

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة حسينة بن بو علي الشلف
كلية الآداب والفنون
قسم اللغة العربية



أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه التخصص: دراسات أسلوبية

العنوان

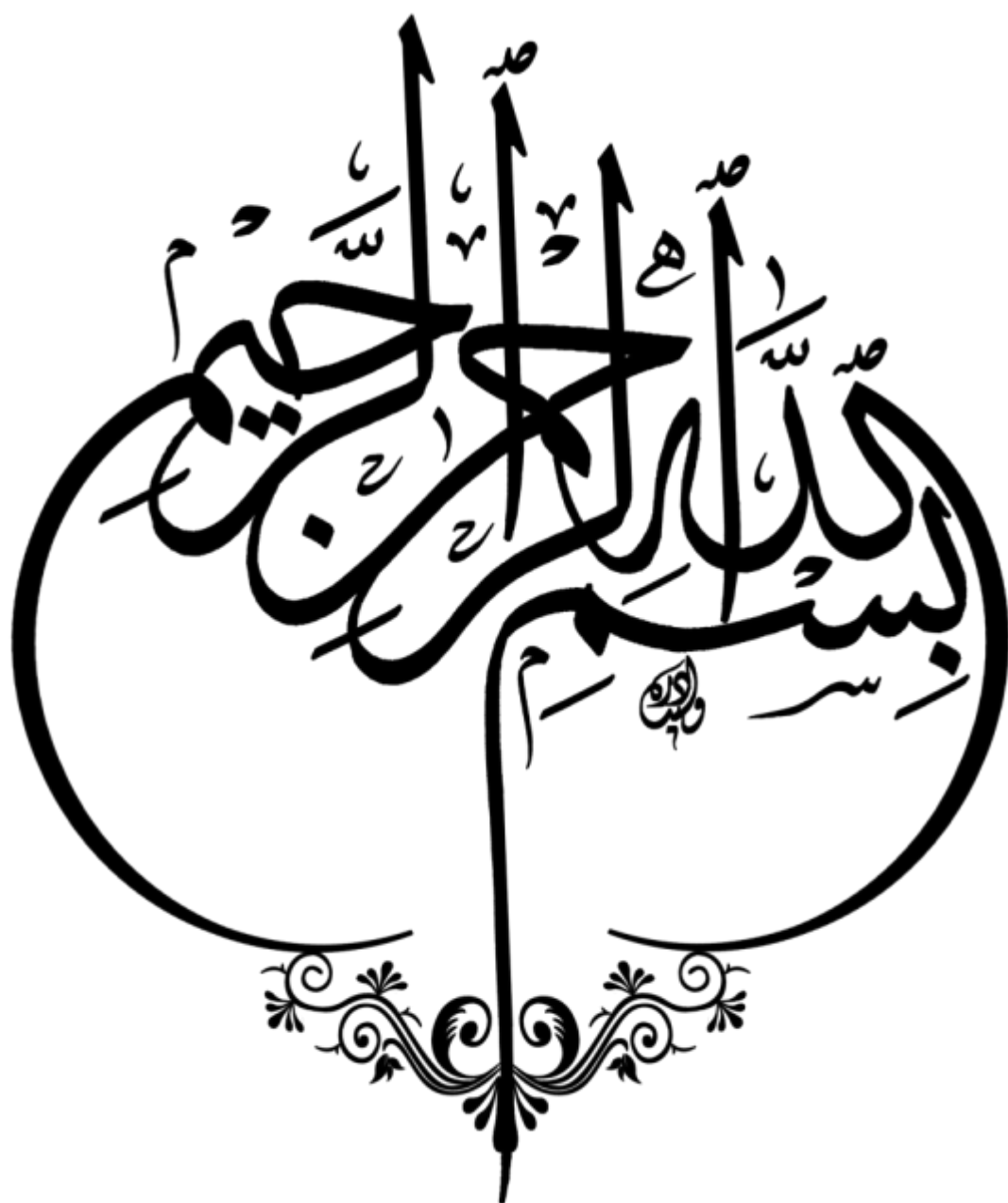
جمالية الكلمة في السياق القرآني دراسة أسلوبية في سورة آل عمران

من إعداد
جميلة بن لكردار

المناقشة بتاريخ 2025/07/09 من طرف اللجنة المكونة من:

رئيساً	جامعة حسينة بن بو علي - الشلف-	أستاذ التعليم العالي	عبد القادر شرف
مشرفاً ومقرراً	جامعة حسينة بن بو علي - الشلف-	أستاذة محاضرة أ	خديجة بن شهدة
عضواً مناقشاً	جامعة خميس مليانة	أستاذ محاضر أ	محمد مداور
عضواً مناقشاً	جامعة حسينة بن بو علي - الشلف-	أستاذة التعليم العالي	راضية بن عريبة
عضواً مناقشاً	جامعة الجزائر	أستاذ التعليم العالي	علي ملاحي
عضواً مناقشاً	جامعة خميس مليانة	أستاذة محاضرة أ	صليحة بردي
عضواً مدعواً	جامعة حسينة بن بو علي - الشلف-	أستاذ محاضر ب	هني حباس

السنة الجامعية: 2025/2024



شُكْرُ وَعِرْفَانُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين أما بعد:

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ " .

يسرني أن أتقدم بخالص الشُّكر وعظيم التقدير لأستاذتي الفاضلة خديجة بن شهدة، التي
تحملت عناء الإشراف على هذه الرسالة ولم تبخل عليّ بغزير علمها وصادق توجيهها ونصحها منذ
كانت فكرة.

كما أتوجّه بخالص الشُّكر وعظيم التقدير للأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الذين
تفضلوا عليّ بقبول مناقشة هذه الرسالة وتقويمها نفعني الله تعالى بعلمهم وجزاهم عني خير الجزاء، ولا
شكّ بأني سأفيد من ملاحظاتهم القيّمة وتوجيهاتهم السديدة.

والشُّكر الموصول إلى كل من طوّق عنقي بالمساعدة والعون على النهوض بهذه الدراسة بأية
صورة كانت، سائلة الله تعالى أن تخرج هذه الدّراسة في صورة مرضية.

إهداء

إلى روح والدي ووالدتي رحمهما الله ولولاهما ما كنت وجزاهما عني خير الجزاء.

إلى رفيق دربي زوجي وأبنائي الأعزاء (أميرة رتاج، سمية أسيل، وعبد الكريم).

إلى أخي قرّة عيني، وأخواتي الفاضلات وأبنائهم جميعًا.

مقدمة

مقدّمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسّلام على أشرف المرسلين سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، إنّ القرآن كتاب الله ومعجزته الخالدة وحجته البالغة، نزل بلغة العرب فعجزت قرائهم عن الإتيان بمثله، ومن بديع إعجازه، أنّه كتاب لا تنقضي عجائبه، ولا يخلّق من كثرة التّساؤل والتناوب، ولا يملّ منه القارئ والسماع والباحث فلا يزيد القارئ إلا حبّاً لمزيد القراءة، والسماع إلا طلباً لمزيد السمع، والباحث إلا شغفا لسبيل البحث والدراسة.

وأغلب الدراسات المنجزة في الإعجاز كانت في الجانب اللغوي والبياني لأنّه الوجه الذي ينسحب على جملة القرآن في سوره وآياته متأرجحة بين الأصوات والمفردات والنظم والفصاحة والبلاغة بلا استثناء، وهذا لإثبات أنّ القرآن معجزة في ذاته لا يمكن لأحد أن يأتي بمثله، وقد خرج مفهوم الإعجاز عن دائرة البحث في الإعجاز المقرون بالتّحدي إلى الإعجاز الذي يعزز النّظر أنّ القرآن من عند الله، وعلى إثر ذلك ازدادت دائرة أنواع الإعجاز اتساعاً، وتعددت الدراسات التي تناولت النص القرآني، منها ما انصب اهتمامه على لغته، ومنها ما اهتم بأسلوبه، ودراسات أخرى بينت بيانه وبلاغته، فهو كتاب لا ينتهي جديده مهما سخر الانسان عقله لدراسته وكشف أسرارهِ إعجازه وبلاغته وجماله.

وانطلاقي للبحث القرآني ليس ترفاً علمياً ولا سياحة فكرية، بقدر ما هو ضرورة ملحة، وواجب ديني يفرضه الإيمان لخدمة الكتاب العظيم ولغته العجيبة الشريفة يظلّ البحث فيه موصولاً لا ينقطع ما دام محفوظاً، وباقياً يتلى بآياته البيّنات، واخترت أن تكون دراستي الجمالية لأنّ القرآن كتاب عقيدة وعبادة ولا تبعد هاتان الميزتان عن أدائهما بصفة الجمال، إذن الهدف من هذا البحث هو الكشف عن الأسرار اللغوية والجمالية البيانية في القرآن، وهو نص غنيّ بالظواهر اللغوية والتركيبية، والبيانية والجمالية، وقد آثرت أن يكون

عنوان هذه الدراسة "جمالية الكلمة في السياق القرآني . دراسة أسلوبية في سورة آل عمران " إسهاما مني في إثراء البحث الذي يجمع بين جمال الكلمة وميزان علم الأسلوب في السياق القرآني للكشف عن خصائص التعبير القرآني في هذه السورة، واللمسات الأسلوبية والفنيّة فيها، التي تدل على هذا القرآن كلام فني مقصودٌ ووضع وضعا دقيقا ونُسج نسجا محكما فريدا، وتتمحور حول هذه الدراسة إشكالات أساسية تمثّل منهجا فعالا في البحث، وتعتبرها إشكالات ثانوية تجعلنا نغوص في البحث للإجابة عنها، وتتجلى في الأسئلة الآتية:

- ما جدوى الدراسة الأسلوبية لتبيان الجوانب الجمالية للكلمة في السياق القرآني؟
- أين يكمن جمال الكلمة في السياق القرآني؟ في المبنى أم في المعنى أم فيهما معا؟
- كيف نقارب نصّ أسلوبيا لتقف على تفرّد اللغوي على سائر النصوص؟
- ما الذي يجعل كلاما جماليا بليغا؟

وللإجابة عن كلّ هذه الإشكاليات، اعتمدنا على المنهج الأسلوبي باعتباره المحرّك الرئيسي في عملية التّحليل والتّعليل لسورة آل عمران، الذي يركّز على دراسة الظواهر اللغوية والأسلوبية والبيانية البلاغية بالوقوف على مستويات التّحليل الأربعة: الصوتيّة، والصرفيّة، والتركيبيّة والدلاليّة، وبمنهج وصفي تحليلي للآيات السورة التي تسمح بالوصول إلى المضامين الإبلاغية والتّعرف على دلالاتها الأسلوبية والجمالية مقترنا بالإحصاء لرصد الظواهر الأسلوبية بالحسابات الرقمية والجداول التوضيحية.

وقد أملت علي طبيعة البحث دراسة مختلفة الظواهر اللغوية للسورة وفق المقاربة الأسلوبية، فجعلت لكل مستوى فصلا منفردا.

يسبق الفصول الأربعة مدخل لمفهوم الأسلوب لغة واصطلاحا، والأسلوبية كمفهوم ومنهج حديث يتعامل مع الخطاب الأدبي، وعلاقة الأسلوبية بالعلوم اللسانيات، النّقد الأدبي، البلاغة، والاتجاهات الأسلوبية (التعبيريّة، النّفسيّة، البنيويّة، الإحصائيّة)، ومنهج التّحليل الأسلوبي، ثمّ التعريف العام للسورة آل عمران.

أما الفصل الأول: فقد خصصته للمستوى الصوتي، وقد تضمن دراسة السمات الصوتية والخصائص الإيقاعية التي ساهمت في تشكيل البنية الصوتية لسورة آل عمران بالوقوف على خصائصها الصوتية ومدى ائتلافها وتنافرهما، والدلالة الإيحائية للأصوات وقيمتها الدلالية، وقصد بيان جمال الإيقاعي والمعنى الدلالي لها فقد سلطت الضوء على مستويات الإيقاع من ناحية تكرار الصوت في الكلمة المفردة أو تكرار الكلمة ذاتها في سياق وتكرار العبارة في نسق الآية وما يحدثه هذا التكرار من التتابع النغمي للأصوات ينتج عنه إيقاعاً منتظماً غاية في جمال والعدوبة ينم عنه إبراز دلالة أو دلالات للألفاظ المتسقة في الآية القرآنية وما للمعاني من تأثير في المتلقي، وتحليل بعض المقاطع الصوتية، ودراسة جمالية فواصل السورة من خلال حسن انتظام الآيات من ناحية القصر أو الطول والتوازن والتوازي والتطريف والتّرسل في مقاطعها وأثارها في إحداث الانسجام الموسيقي والمعنوي.

وفي الفصل الثاني: تناولت فيه الصيغ الصرفية في السورة، فتطرقت إلى بنية الأسماء التي تمثل معلم أسلوبية، ك: النكرة والمعرفة بأنواعها كالضمير والعدد والعلم والأسماء الإشارة والأسماء الموصولة، والمعرف بالأداة والإضافة والتذكير والتأنيث، ثم تناولت بنية الأفعال من حيث الصيغ البسيطة، والصيغ المركبة.

وفي الفصل الثالث: المعنون بـ "المستوى التركيبي"، فدرست ما تفرّدت به التراكيب كالتقديم والتأخير والحذف والاستفهام والأمر والنداء والنفي والتهني والتوكيد والفصل والوصل وما رشّح عنها من معاني ودلالات.

أما الفصل الرابع: فكان للمستوى الدلالي، ودرست فيه الحقول الدلالية الواضحة في السورة، وتحليل الصور البلاغية الموظفة في سورة آل عمران كالتشبيه والاستعارة والكناية والمجاز المرسل.

وقد انتهيت، بعد ذلك، إلى الخاتمة التي ضمنها خلاصة للبحث، وأهم النتائج.

وقد استفاد البحث من كتب الإعجاز القرآني، والتّفسيرات المتعددة، وكتب علم الأصوات والصرف والنحو والبلاغة والمعاجم قديمها وحديثها، ولأسيما التّفسير التي تعنى بالجوانب البلاغية والأسلوبية، وفي مقدمتها (التّحرير والتّنوير) للإمام ابن عاشور و(الكشاف) للعلامة الزمخشري، و(روح المعاني) لأبي الثناء الألوسي، إضافة على ما أفاده من بعض الدراسات الحديثة في الأسلوبية. نظرية وتطبيقاً منها: دراسة قرآنية في جزء عم محمود أحمد نحلة، ومعاني النحو فاضل صالح السامرائي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية مصطفى صادق الرافعي وكتابات عبد السلام المسدي ومحمد الهادي الطرابلسي، ومحمد مفتاح وغيرهم.

ومن الدراسات الحديثة رسائل جامعية تناول فيها أصحابها ظاهرة أسلوبية في القرآن الكريم كدراسة صدقية عوض فلاح الطراونة بعنوان "سورة البقرة دراسة أسلوبية بلاغية"، ودراسة عدالة مصطفى موسى السالم بعنوان "سورة الصافات دراسة أسلوبية"، ودراسة فاطمة حجازي بعنوان "البناء التّشكيلي لسورة آل عمران وأثره في الدلالة"، وبعض المجلات النّقدية والمواقع الإلكترونية للاستئناس ببعض المقالات.

ولعل أولى العقبات التي اعترضت سبيل هذه الرحلة الشّاقة، اعتماداً على القرآن الكريم كله في الدراسة وهذا أمر جعل البحث يطول والإحاطة به أمر صعب وعسير، كثرة الآراء وتنوعها وتعدد الباحثين في مجال الإعجاز والتّفسير، وقلتهم في مجال الجمال الذي يبحث في مجال القرآن، مما أحدث لديّ بعض الخلل وصعوبة التّوازن بين الجانب النظري والتطبيقي، الاحتراس من اللبس بتطبيق آراء الجمال عند الغربيين على القرآن الكريم لتبيان الأحكام بين مفهوم الجمال عند العرب ومقاييسه، وبين مفهومه ومقاييسه عند الغرب، فالجمال العربي قيمي، والجمال الغربي في معظمه مادي نفعي، وبالتالي ترتب على ذلك مشاكل وصعوبات جراء ذلك.

وفي الختام، أشكر الله العلي العظيم الذي وفقني إلى إنجاز هذه الأطروحة، التي تركت من خلالها بصمتي العلمية، وهذا ما يجعلني أرفع أسى آيات التبجيل، وعبارات التقدير لأستاذتي الفاضلة المشرفة الدكتورة "خديجة بن شهدة" التي تحملت أعباء الإشراف، فتابعت خطوات البحث من البداية إلى النهاية، حيث رسمت تنظيمه، وحققت ترتيبه، وتولت تصحيحه جملة، مع جهدي وقدراتي إلى أن أصبح في هذه الحلة بين أيديكم، فهي التي شجعتني كثيرا على مواصلة البحث، وأعطتني قوة إرادة أكبر من طموحي، وفتحت لي أفقا أوسع من رؤياي، ويجب عليّ أيضا أنوه بالمساعدات الجمّة التي كان الدكتور "هني حباس" مساعد المشرفة. يسديها إليّ بدون منّ أو تأخر.

هذا وقد بذلت غاية ما أقدر عليه من الجهد، فما هو من خير وصواب في هذه الأطروحة فمن الله تعالى، وما فيها من خطأ أو تقصير فهو مني ومن الشيطان، وأستغفر الله منه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

مدخل:

الأسلوبية واجراءاتها النظرية
والمنهجية ودراساتها النقدية

1-الأسلوب

2-الأسلوبية

3-التعريف العام لسورة آل عمران

بما أنّ بحثنا يتعلق بتطبيق المنهج الأسلوبي على القرآن الكريم، وبالأخص سورة "آل عمران"، كان لا بد أن نتعرّض للمصطلحات النظرية، والإجراءات المنهجية لها، والدراسات النقدية التي تناولتها، لتكون لنا نظرة معمقة في تناول الموضوع من الزاوية النظرية والتطبيقية.

1- الأسلوب:

1-1- مفهوم الأسلوب:

لقد قامت دراسات موسّعة وجادّة حول البلاغة العربية القديمة تناولتها من جوانبها التاريخية والفنية، بحيث يمكن القول بأنّها غطت مساحة واسعة في هذا المجال، واعتقد أنّ هذا اللون من الدراسة كاد أن يستوفي حقّه حتّى أصبح محتّماً أن يتجه البحث في البلاغة القديمة على نحو يربطها بالبحث الأسلوبي الحديث، والإفادة في ذلك بكل العناصر الموروثة التي تمثّل في جوهرها قيما تعبيرية تصلح كأساس (الأسلبة) البلاغة إن صحّ التعبير، من هذا المنطلق كان من المحتم أن تعرض الإمكانيات الأسلوبية التي وجدت بشكل أو بآخر، داخل مباحث البلاغة لا باعتبارها توصيات وتقنيات ولكن باعتبارها طاقات لغوية داخل نسيج التعبير الأدبي¹.

وعليه تعدّ دراسة الأسلوبية من حيث المصطلح حديثة، وقديمة باعتبارها قامت على أنقاض البلاغة التقليدية المعيارية والتعليمية التي بقيت للأمد البعيد حبيسة الصور البيانيّة، والمحسنات البديعية، وعلم المعاني، ولتأكيد هذا الربط، يجدر بنا الوقوف على ماهية الأسلوبية؟

أ. لغة:

تعدّدت التعاريف اللغوية لمصطلح الأسلوب في المعاجم العربية، لكنّها ظلت تدور في حلقة واحدة ولم تختلف عن بعضها البعض، ففي "لسان العرب": "يقال للسّطر من النخيل أسلوب، وكل طريق ممتد أسلوب، والأسلوب الطريق والوجهة والمذهب، يقال:

¹ محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، ط1، 1994م، (المقدمة).

أنتم في أسلوب سوء، وتجمع أساليب، والأسلوب الطريق تأخذ فيه، والأسلوب بالضمّ: الفن، ويقال: أخذ فلان في أساليب القول، أي أفانين منه، وأنّ أنفه لفي أسلوب، إذا كان متكبرا، قال: أنوفهم بالفخر في أسلوب"¹.

وجاء في معجم اللغة العربية المعاصرة في تعريف الأسلوب بأنه: "مفرد أساليب: طريقة مذهب، نمط سلوكه فلان في معالجة المشكلة، لكلّ إنسان أسلوب في الحياة، وأسلوب حكم: شكله ونظامه، أسلوب سلبي: تصرف سلبي، الأساليب الحديثة للتربية: المناهج والطرق العلمية"².

وبالنظر إلى التّحديد اللغوي لكلمة الأسلوب، يمكن تبين أمرين:

- أولا: البعد المادي الذي يمكن أن نلمسه في تحديد مفهوم الكلمة، حيث ارتبطت في مدلولها بمعنى الطريق الممتد أو السّطر من النّخيل، ومن حيث ارتباطها أحيانا بالنّواحي الشّكلية، كعدم الالتفات يمنة أو يسرة.
- ثانيا: البعد الفنّي الذي يتمثل في ربطها بأساليب القول وأفانينه، كما قال "ابن منظور".

ب. إصطلاحا:

1. الأسلوب عند العرب

الأسلوب في الاصطلاح الأدبي يعني طريقة خاصة في استخدام اللغة، يتميز بها كاتب أو شاعر أو جماعة أدبية، أو حقبة زمنية، أو جنس أدبي وهو يميز أديب عن آخر في اختيار الألفاظ وتأليف الكلام، ويمثل طريقته في إبداع الفكرة وتوليدها وإبرازها في الصورة اللفظية³.

¹ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت-لبنان، دط، دت، مج3، مادة (س ل ب).

² أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب للنشر، القاهرة -مصر، ط:1، 2008م، ج2، ص: 1089.

³ نبيل خالد أبو علي، البحث الأدبي واللغوي طبيعته . مناهجه . إجراءاته، مكتبة المركز الدول، غزة، ط: 03، 2021م، ص: 69.

ومن المعروف أنّ علماءنا الأوائل قد اهتموا بدراسة الأسلوب بطريقة من الطرائق، كما يظهر واضحاً في الشُّروح والتّفسير والكتابات البلاغية والنّقدية والفقهية والأصولية والكلامية والفلسفية، من هؤلاء: الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين)، وعبد القاهر الجرجاني في كتابيه (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة)، والباقلاني في كتابه (إعجاز القرآن)، وحازم القرطاجني (منهج البلغاء وسراج الأدباء)، وابن خلدون في (مقدمته)، فضلاً عن كتب بلاغية قديمة أخرى التي اهتمت بالأسلوب وصفاً وتفسيراً وتأويلاً، وذلك باستخدام مصطلحات أخرى: الصّياغة، واللفظ، والبناء، والطريقة، والضرب، والنّظم، والبيان، والفصاحة، والكتابة، والتعبير، والأسلوب نفسه، في مقابل ذلك غياب نسبي في دراسة الأسلوبية تنظيراً وتطبيقاً، وفي ضوء هذا السياق يقول "محمد الهادي الطرابلسي": "إنّ التّنظير للأسلوب عند العرب قليل، أما التّطبيق فمعدوم" ويعني بالتّطبيق التّوفر في الأدب العربي والنّظر في خصائصه الأسلوبية، وهو يعتبر. على حق. أنّ التّطبيق هو المهد للتنظير والميسر له والمساعد على التّقدم به.

والملاحظ في مساهمة العرب في الكلام عن الأسلوب "عبد القاهر الجرجاني" (ت471هـ) أول من استعمل هذا اللفظ استعمالاً دقيقاً، دون أن يوليه كبير اهتمام، قال في تعريف الأسلوب: "واعلم أنّ احتذاء عند الشعراء وأهل العلم بالشعر وتقديره وتمييزه أن يبتدئ الشّاعر في معنى له وغرضاً أسلوباً والأسلوب ضرب من النّظم والطريقة فيه فيعمد الشّاعر الآخر إلى ذلك الأسلوب فيجيء به في شعره..."¹. إذ نجده يساوي بين النظم والأسلوب ويكاد يقارب بينهما بوصفهما ممثلين لإمكانية خلق التنوعات اللغوية تصدر على الاختيار والوعي، ومن حيث إمكانية هذه التنوعات في أن تصنع نسقاً وترتيباً بإجراء الاحتمالات النحوية القائمة في بنية التركيب، لأنّ توالي الألفاظ في النطق لا يصنع نسقاً، وإنما يصنعه مبتغى المبدع إلى التآليفات لتكوينها الأسلوبية الذي يميزها عن غيرها من الإمكانيات ويربطها بالغرض العام.

¹. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح وشر: محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة القاهرة، دط، 1397هـ-

أما "حازم القرطاجني" (ت684هـ) أول من خصص للأسلوب فصلاً معتبراً إياه فناً مستقلاً بذاته، لم يسبقه إليها غيره في كتابه "منهج البلغاء وسراج الأدباء"، في تحسس المقاييس الأسلوبية في النصوص الإبداعية، من ذلك قوله: "فبالأسلوب هيئة تحصل عن التآليف المعنوية، والنظم هيئة تحصل على التآليف اللفظية"¹. فهو بذلك يقيم فصلاً بين النظم والأسلوب على أن كل واحد منهما له طريق، فالأسلوب يختص بالتآليف المعنوية والنظم على التآليف اللفظية.

فالقرطاجني يربط مفهوم الأسلوب بصورة إخراج الكلام لا بأغراضه ارتبط بالذات المبدعة وكيفية تنظيمها للأفكار والمعاني على مستوى الخطاب الشعري، وهذا يوحي بأنه يجعل الأسلوب أعلق ببنية النص لينقل القارئ من الحسن إلى الأحسن ومن الجيد إلى الأجود، وبهذا التصور النقدي يعتبر ما قدّمه "حازم" قمة ما وصل إليه التفكير العرب بالأسلوب قديماً، فكان أول من جعل الأسلوب قانونه الأساسي وأعطاه الاستقلالي الذاتي حسب تعبير "الطرابلسي"².

وقد قدّم العلامة "ابن خلدون" (ت808هـ) مفهوماً جديراً بالتأنويه في (مقدمته) في فصل الموسوم بـ (في صناعة الشعور وجه تعلّمه)، فقد ورد فيه حديث عن الأسلوب لا يقل أهمية عمّا سبق حيث حاول تحديد المعنى الاصطلاح له، وبحث معناها عند أهل الصناعة، فقال: "ولنذكر هنا سلوك الأسلوب عند أهل الصناعة وما يريدون بها في إطلاقهم فاعلم أنّها عبارة عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه، ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى الذي هو وظيفة البلاغة والبيان ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذي هو وظيفة العروض، فهذه العلوم

¹ حازم القرطاجني، منهج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 2، 1981م، ص: 364/363.

² محمد الهادي الطرابلسي، مظاهر التفكير في الأسلوب عند العرب، ضمن كتاب قضايا الأدب العربي، الجامعة التونسية، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، دط، 1987، ص: 263.

الثلاثة خارجة عن هذه الصنّاعة الشّعريّة وإنّما يرجع إلى صورة ذهنيّة للترّاكيب المنتظمة كليّة باعتبار انطباقها على تركيب خاص¹، لم يؤصل "ابن خلدون" الأسلوب على معرفة علم النحو وإنّما جعل النحو والبلاغة والعروض آليات تغذي سلوك الأسلوب ولكن لا يستلزم من معين التعقيد الذي وقعت فيه العلوم اللغوية في زمانه بأنّ الصنّاعة الشعرية تتعدى معرفة العلوم المذكورة، ولا تقوم الشعرية باستيعاب هذه العلوم وإنّما ترجع الصنّاعة الشعرية بحسب تصور "ابن خلدون" إلى "تلك الصّورة ينتزعها الذّهن من أعيان التّراكيب وأشخاصها ويصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال ثمّ ينتقي التّراكيب الصّحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان فيرصّها فيه رصّاً كما يفعل البناء في القالب أو النساج في المنوال حتّى يتّسع القالب بحصول التّراكيب الوافية بمقصود الكلام ويقع على الصّورة الصّحيحة باعتبار ملكة اللّسان العربي فيه فإنّ لكل فنّ من الكلام أساليب تختص به وتوجد فيه على أنحاء مختلفة..."².

لقد أعطى "ابن خلدون" مفهوماً ذهنياً خالصاً للأسلوب باعتباره صورة تملأ النفس وتطبع الذوق أساسها الدربة والمران وقراءة الأدب الجميل مما يتيح للمبدع إنتاج ألفاظ وتأليف العبارات تنتظم في أسلوبه الخاص، والتي تصبّ بدورها في قالب لغوي وفق القواعد والأعراف المتعارف عليها في أوساط كلام العرب، والتي تقتضي من صاحبها على معرفة بقواعد النحو والصرف والبلاغة متخذاً صورة الأسلوب التكاملي لتركيبه عجيبة تبرز إبداعيته وتفردّه، وهو ما سماه بالقدرة اللغوية وعُرفت فيما بعد في اللسانيات الحديثة بمصطلح (الكفاءة اللغوية).

¹ ابن خلدون، المقدمة، دار ابن هيثم، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط:1، (1426هـ/ 2005م)، ص: 504-505.

² المرجع نفسه، ص 504.

فبعد هذا العرض الموجز نخلص أنّ المصطلح حدّد كمفهوم قبل أن يحدّد كمصطلح، وإن سمي بتسميات مختلفة عند البعض منهم كالفساحة والبلاغة والبيان...، وتم توظيفها في النّقد الأدبي عامة، ومجال البحوث القرآنية خاصة، فهي ترمي إلى استدلال قضية الإعجاز القرآني إعجاز القرآني بإبراز خصائصه البلاغية، فكان ذلك ضرباً من الدراسة الأسلوبية، أما فيما يتعلق بتعريف الأسلوب، فإنّ آراءهم في هذا الشأن كانت متفرقة لا تنتهي إلى تحديد دقيق للأسلوب ومواقفهم منه كانت توفيقية، تجعل من الأسلوب جملة من القوالب الجاهزة، وجملة من الصّور ومن الإمكانيات في التعبير مشتركة لا تختلف باختلاف الأشخاص، بل تختلف باختلاف الأغراض ضبطها القدامى، وألزموا بها من جاء بعدهم¹.

ويعزز هذا الرأي "يوسف بكار" في قوله: "عرف النّقد العرب الأسلوب تعريفا لا يختلف عن التّعريف المعاصر في شيء فقالوا: إنّه ضرب من النّظم والطريقة فيه وأنّه المنوال الذي ينسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه"².

ويبدو لنا من هذا كلّهُ أنّ الأسلوب عند العرب القدامى، قد مرّ بمراحل: الأسلوب باعتبار بياننا، والأسلوب باعتبار معنى ومقالا، والأسلوب باعتبار مقاما وسياقا، والأسلوب بمثابة زخرفة لفظية ومحسن جمالي، والأسلوب باعتبار مظهر من مظاهر الإعجاز القرآني، والأسلوب بمثابة النظم، والأسلوب باعتبار محاكاة وتخيل، دون أن ننسى اهتمامهم بالأسلوب ضمن إشكالية اللفظ والمعنى، والحقيقة والمجاز، والوزن والقافية...³.

¹ الهادي الجطللاوي، مدخل إلى الأسلوبية، عيون المقالات، الدار البيضاء-المغرب، ط:1، 1992م، ص:13/12.

² عبد القادر زين، الأسلوب بين القدامى والمحدثين، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، جامعة الجلفة، مج 5، ع12، 2012، نقلا عن: (بكار حسين يوسف، بناء القصيدة في النقد العربي القديم، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط:4، 1982م، ص: 48 1).

³ جميل حمداوي، الاتجاهات الأسلوبية، الألوكة للنشر والتوزيع، دب، ط:1، 2015م، ص: 21.

ومهما يكن تعريف الأسلوب فإنّ القاسم المشترك بين هذه الآراء جميعاً هو اعتبار الأسلوب استعمالاً خاصاً للغة يقوم على استخدام عدد من الإمكانيات والاحتمالات المتاحة، والتأكيد عليها في المقابل بإمكانيات واحتمالات أخرى، وإنّ الوسيلة الأساسية لتمييزه إنما هي المقارنة سواء كانت المقارنة صريحة أو ضمنية¹، للتمكن من معرفة نقاط التمييز بين المبدع والآخر.

أما في عصرنا الحديث، فإنّ الدعوة إلى الأخذ بالأسباب المستجدة في لغة الأدب أو البلاغة، والنهوض بها في إطارها الموروث، كانت قد واكبت التطور الناجم عن محاولة الأوروبيين في وسائلهم الأدبية، ويرى "مصطفى صادق الرافعي" من خلال كتابه (تاريخ أداب العرب) أنّ جمال الأسلوب له علاقة بين حالة المتكلم ونفسية المتلقي "قد ثبت لنا من درس أساليب البلغاء، وترداد النّظر في أساليب اختلافها، وتصفح وجوه هذا الاختلاف، وتعرّف العلل التي أثّرت في ميادينه بعضها لبعض من طبيعة البليغ وطبيعة عصره، أنّ تركيب الكلام يتبع طبيعة المزاج الإنساني"². فطبيعة العصر التي يحيا بها الشاعر أو الكاتب لها دور فعّال في أسلوبه، والدليل على ذلك شعر شعراء العصر الجاهلي وما تتسم به من فصاحة وبلاغة.

وقد استوعب علماء الأسلوب المحدثين المعاني التي طرحها العلماء القدامى في تعريفاتهم للأسلوب، فجاءت تعريفاتهم متقاربة لتلك المعاني في مضمونها العام، وممن ساهموا بقسط وافر في البحث الأسلوبي "أحمد شايب" في كتابه "الأسلوب"، الذي يعد من أبرز المحاولات التي سعت إلى دراسة الأسلوب والبحث في مجالاته، وهي محاولة عرض البلاغة القديم في ثوبها الجديد يواكب العصرنة، ومن خلال معالجته السياقية للأسلوب، يطرح ثلاثة تعريفات له:

¹ ينظر: محمد بن يحيى، السمات الأسلوبية في الخطاب الشعري، عالم الكتب الحديث . إربد . الأردن، ط:1، (1432هـ. 2011م)، ص 49.

² مصطفى صادق الرافعي، تاريخ أداب العرب، دار الكتاب العربي . بيروت . لبنان، ط:1، 2003م، ص:134.

- "الأسلوب فن من الكلام يكون قصصاً أو حواراً، أو تشبيهاً، أو مجازاً، أو كتابةً أو تقديرًا، أو حكماً وأمثالاً".
- "الأسلوب طريقة الكتابة أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفه للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير".
- "الأسلوب هو الصورة اللفظية التي يعبر بها عن المعاني، أو نظم الكلام، وتأليفه، لأداء الأفكار، وعرض الخيال أو العبارات اللفظية المنسقة لأداء المعاني"¹.
- وحاول "أحمد حسن الزيات" (1388هـ / 1968م) في كتابه "دفاع عن البلاغة" دراسة الأسلوب، واعتمد في دراسته على مقارنة بين البلاغة القديمة ومفهوم الأسلوب عند الغربيين، ومن هذا المنطلق عرّف الأسلوب: "بأنه طريقة الكاتب أو الشاعر الخاصة في اختيار الألفاظ وتأليف الكلام"²، أو "هو طريقة خلق الفكرة وتوليدها وإبرازها في الصورة اللفظية المناسبة"³.
- وفي تلقي مفهوم الأسلوب الغربي وترجمته إلى العربية يورد "يوسف وغليسي" عبارة "بيفون Buffon": "الأسلوب هو الرجل نفسه" لمجموعة من الناقدين العرب وطريقة ترجمتهم لمقولة "بيفون" الشهيرة، وهي:
- "الأسلوب هو الانسان نفسه"، لدى مجدي وهبة، وعدنان بن ذريل، وبسام بركة، وكاظم سعد الدين، ونور الدين السّد
- "الأسلوب هو الرجل نفسه"، لدى عبد المالك مرتاض، صلاح فضل، ومحمد العمري.
- "الأسلوب هو الرجل" لدى محمد عزّام، وعزة آغا ملك.

¹ أحمد شايب، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط: 6، 1966م، ص: 40

² ينظر: أحمد حسن الزيات، الدفاع عن البلاغة، مطبعة الرسالة، القاهرة، دط، 1945م، ص: 56.

³ المرجع نفسه، ص: 62.

- " الأسلوب هو الإنسان عينه " لدى عبد السلام المسدي¹.

وفي تعليقاته لهذه التعريفات لاحظ اختلاف المتبادل في كيفية الترجمة، وقدم تفصيلا حول الموضوع بحيث تطرق إلى كل مفهوم من تلك المفاهيم دقة وتفصيلا من حيث أدوات الربط أو الإضافة إلى أدوات التوكيد... حتى أرسى الترجمة الحقيقية لهذه العبارة "الأسلوب من الإنسان عينه"².

وتلاحقت البحوث والدارسات حول ماهية الأسلوب في عدد غير قليل من النقاد الأسلوبيين العرب، من ذلك "عدنان بن ذريل" في مؤلفاته: "اللغة والأسلوب"، و"اللغة والبلاغة"، و"النقد والأسلوبية"، و"الأسلوبية بين النظرية والتطبيق"، ومختصر القول في هذه الكتب أن عدنان يعتبر الأسلوبية لا تكون بديلا عن النقد الأدبي أو أن تقوم مقام البلاغة، لأنّ في ذلك فوارق شاسعة وكبيرة بين هذه العلوم، وبين التحليلات الأسلوبية والتحليلات البلاغية، وهو من ناحية أخرى لا ينكر صلة الأسلوبية بهذه العلوم³.

لقد أوجد الأسلوبيون المعاصرون صعوبة في ترجمة بعض المقالات بموضوع الأسلوب، أو تلقيم الموضوع من الموروث البلاغي، لذلك تعددت مفاهيمه بتعدد مشاربه، وبتنوع البيئات التي عاش فيها أولئك النقاد، وها هو "فمحمد كريم الكواز" يقرّ بحقيقة مفادها أنّ " كلمة أسلوب في عصرنا هذا، من الكلمات الشائعة المستعملة في بيئات مختلفة، يستعملها العلماء ليدلوا بها على منهج من مناهج البحث العلمي، ويستعملها الموسيقيون دليلا على طرق التلحين وتأليف الأنغام، ومثلهم الرّسامون فهي عندهم، دليل على طريقة تأليف الألوان، ومراعاة التناسب بينها، ويستعملها الأدباء في

¹. يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت.

لبنان، ط:1، 2008م، ص:189/191.

². المرجع نفسه، ص: 192.

³. ينظر: عدنان بن ذريل، اللغة والأسلوب، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 1989م، 141/142.

الفن الأدبي فتقرأها، أو تسمعها مقترنة بأوصاف معينة¹.

ومهما يكن من تعدد في ماهية الأسلوب، واختلاف وجهات النظر، فإنّه يبقى مفهوم الأسلوب يدور في فلك اللغة والنقد الأدبي والبلاغة، ومهما تنوعت مناهجه واتجاهاته، فهو يجمع بين الفكر والصور، والتعبير، لذلك فهو يعتمد حسن اختيار الألفاظ والعبارات وقوة السبك والتأليف بينها.

وفي مجمل هذه الكتب كثير من الإشارات إلى فكرة الأسلوب عند الأدباء وعلم الأسلوب واللغة، وعلم الأسلوب والبلاغة، إضافة إلى ترجمته بعض المقالات حول الأسلوبية، ليلخص أنّ الكلام عن الأسلوب قديم، أما علم الأسلوبية فحديث.... وهو في ذلك . حسب رأيه . يحاول أن ينشئ في ثقافتنا العربية علما جديدا مستمدا من تراثها اللغوي والأدبي ومستجيبا لواقع التطور في هذا التراث الحي، ومستفيدا من دراسات أهل الغرب بالقدر الذي يمكن من رؤية التطور المعاصر رؤية تاريخية، وقراءة التاريخ قراءة عصرية...².

2. المفهوم الغربي للأسلوب:

تعني كلمة (Style) الأسلوب "في اللاتينية الإزميل أو المنقاش للحفر والكتابة، وقد كان اللاتينيون يستعملونها مجازا للدلالة على شكلية الحفر أو شكلية الكتابة"³ فاستخدم في العصر الروماني أيام الخطيب المشهور "شيشرون" كاستعارة يشيرون بها إلى صفات اللغة المستعملة من قبل الخطباء والبلغاء، ثمّ مع مرور الزمن اكتسبت دلالتها الاصطلاحية البلاغية والأسلوبية وصارت تدلّ على الطريقة الخاصة للكاتب في التعبير. كما جاء مصطلح (الأسلوب) في البلاغة الإغريقية وكتابات "أرسطو" على نحو

¹ . محمد كريم الكواز، علم الأسلوب مفاهيم وتطبيقات، منشورات جامع السابع من أبريل، الجماهيرية العربية الليبية، ط: 1426هـ، ص: 20.

² . ينظر: صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه واجراءاته، دار الشروق، القاهرة، ط: 01، (1419هـ / 1998م)، ص: 5.

³ . عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، دار الكتب، القاهرة، دط، دت، ص: 43.

خاص "فالأسلوب عنده شيء أجنبي مضاف إلى التعبير، وبناء على ذلك يمكن فصل الأسلوب عن التعبير، ولما كان الأسلوب شيئاً مضافاً إلى التعبير، فلا بد من وجود غرض أو هدف وراء تلك الإضافة، وهو الهدف بالإقناع والتأثير في السامعين"¹.

واكتسب المصطلح شهرة التقسيم الثلاثي، الذي استقر عليه بلاغيون عصور الوسطى، حين ذهبوا إلى وجود ثلاث ألوان من الأساليب (الأسلوب البسيط والأسلوب المتوسط، والأسلوب الراقى) متخذة من أعمال الشاعر الروماني "فرجيل Virjile" الذي عاش في القرن الأول قبل الميلاد، وهذا التقسيم جاء من خلال ديوانه الذي كتبه عن حياة الفلاحين بعنوان "قصائد ريفية"، يعدّ نموذجاً للأسلوب البسيط، وديوانه الأخلاقي الذي عنوانه "قصائد زراعية" يعدّ نموذجاً للأسلوب المتوسط، أما ملحمة الشهيرة "الإنياذة" فتعدّ نموذجاً للأسلوب السامي²، ولذا شاع في أوساط البلاغيين ما يعرف بدائرة "فرجيل" في الأسلوب.

وبهذا تمّ تفريغ الأسلوب بحسب طبيعة المتكلمين، والملاحظ أنّ هذا التقسيم يعتمد اعتماداً أساسياً على الوضع الاجتماعي لكل طبقة، لكن كمصطلح لم يتم اعتماده في اللغات الأوروبية الحديثة إلا في بداية القرن التاسع عشر، وبالتحديد في "النقد الألماني في معجم Grimm" وورد لأول مرة في الإنجليزية كمصطلح عام 1846م طبقاً لقاموس أكسفورد، ودخل القاموس الفرنسي لأول مرة كمصطلح عام 1872م³.

فجميع سلموا بوجود الأسلوب بالرغم عدم اتفاقهم على تحديد الإطار النظري الذي تتم دراسته في نطاقه، فليس هناك تعريف واحد للأسلوب يتمتع بالقدرة الكاملة على الإقناع، ولا نظرية يجمع عليها الدّراسون في تناوله، وقد أدّى هذا إلى أن يقدم كثير

¹ محمد كريم الكواز، علم الأسلوب، ص: 45 / 35.

² نور الدين السّد، الأسلوبية وتحليل الخطاب (دراسة في النقد العربي الحديث)، دار هومة للطباعة. الجزائر،

2010، ج: 01، ص: 130

³ صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه واجراءاته، ص: 94.

من الباحثين في مقدمة كتبهم لعلم الأسلوب بعرض مجموعة من التعريفات تصل في بعض الأحيان إلى نيف وثلاثين تعريفاً¹.

وسنقتصر على الشائع منها، والتي قسمها "عبد السلام المسدي" إلى ثلاث مصادرات، يستند عليها لتعريف الأسلوب في الغرب وهي: المخاطب والمخاطب والخطاب، يقول: "إذا فحص الباحث ما تراكم من تراث التفكير الأسلوبية وشقّه بمقطع عمودي يخرق طبقاته الزمنية، اكتشف أنه يقوم على ركح ثلاثي دعائمه هي المخاطب والمخاطب والخطاب، وليس من نظرية في تحديد الأسلوب إلا إذا اعتمدت أصولياً إحدى هذه الركائز أو ثلاثتها متعاضدة متفاعلة². وكل تعريف للأسلوب مرده إلى نظرة استقر أصحابها على زاوية من هذه الزوايا الثلاثة:

1. نظرة الأسلوب من زاوية المنشئ:

ركّز فريق من علماء الأسلوب من جانب مؤلفه، فأولوه عناية خاصة تفيد بأنه مرآة عاكسة لتصورات صاحبه وأفكاره ونظرته للوجود، وهي نظرة انبثقت من تعريف "بوفون" الشهيرة حيث قارن بين الأسلوب والمعارف الأخرى بقوله: "إنّ المعارف والوقائع والمكتشفات تنتزع بسهولة وتتحول.... هذه الأشياء إنّما تكون خارجة الإنسان، وأما الأسلوب فهو الانسان نفسه، ولذا لا يمكن أن ينتزع أو يحمل، أو يتهدّم"³. وقد أثر بنظريته هذه لمن جاؤوا بعده من رواد النقد الأدبي ومنظري الأسلوب فتبناها "شوبنهاور Shopenhauer" فعرف الأسلوب: "بكونه ملامح الفكر"، وتمثلها "فلوير Flaubert"، ثم صاغها فقال: "يعتبر الأسلوب وحده الطريقة في تقدير الأشياء"، وكذلك فعل "ماكس جاكوب Max jakob" إذ قال: "جوهر الانسان كامن في لغته وحساسيته".

¹ ينظر: صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه واجراءاته، ص: 95.

² عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط: 03، دت، ص: 61.

³ المرجع نفسه، ص: 67.

ليصبح الأسلوب من هذه الزاوية بمثابة "لوحة الإسقاط الكاشفة لمخبات شخصية الانسان، ما ظهر منها في الخطاب، وما بطن، ما صرح به وما ضُمن فالأسلوب جسر إلى مقاصد صاحبه"¹.

وقد أثار النظر إلى الأسلوب من جهة المبدع خلافا كبيرا شاغلا حيزا واسعا من القضايا، ولعل أهمها تناولا وأبرزها ترددا يرجع أساسا إلى مصدر الأسلوب وما إن كان صادرا عن حالة وعي أم عن خيال (اللاوعي).

فتعريف الأسلوب على: "أنّه اختيار واع يسلط المؤلف على ما توفره اللغة من سعة وطاقات"²، وهي نظرة تتناقض ما قيل عن الإبداع الصادر عن اللاوعي، وتحديد الأسلوب بأنه عملية اختيار مقصودة يعني بالضرورة أنّ " العملية تتم في حالة من الوعي بكامل الظروف المحيطة، وبالتالي فإن الحيل التي سيقدمها المؤلف ستكون مقصودة لغرض ما، فيكون الأسلوب حينئذ على كشف شخصية صاحبه ونظرته للوجود"³، وهي آراء يذهب إليها من يقول أنّ: "الأسلوب هو فلسفة الذات في الوجود"⁴، أو من ينظر إليه على أنّه " قناة العبور إلى مقوماته الشخصية لا الفنيّة فحسب بل الوجودية مطلقا"⁵، وهي فكرة نقف على مثلها عند "موريه" حيث يقول: "الأسلوب بالنسبة لنا هو موقف من الوجود وشكل من أشكال الكينونة"⁶.

ولعل أهم نقد يمكن أن يوجه إلى هذه النظرة عموما يتمثل أساسا في أنّ التحليل الأسلوبي قد ينطلق من خلفيات المنشئ وذلك بإسقاط ظروف حياته على النص

¹. عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص: 67.

². المرجع نفسه، ص: 74.

³. سامي محمد عبابنة، التفكير الأسلوبي، عالم الكتب الحديثة، إريد، ط: 02، 2010م ص: 14/13.

⁴. عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، ص: 66.

⁵. المرجع نفسه، ص: 68.

⁶ صلاح فضل، علم الأسلوب، ص: 97.

أولاً وعلى المنشئ ثانياً الذي كان تحت وطأة ظرف خاص عند كتابته النص لا يعلمه إلا هو¹، هذا فضلاً عن أنّ التصور للأسلوب قد لا يكون ترجمة صادقة لسيكولوجية صاحبه، بحيث يقف عاجزاً بإزاء بعض الأساليب كالتي يلجأ فيها المنشئ إلى "إخفاء مشاعره وأفكاره المذهبية خوفاً أو هروباً أو رياءً"²، لأنّ الذات المعرفية تتغلب أحياناً عن ذات المبدع الحقيقية إذ أنا الشاعرية ليست دائماً الأنا الشعرية، فقد يبدو المنشئ حاملاً لمبادئ وأفكار على عكس تماماً مما هي عليه مبادئه وأفكاره في الواقع الحال، الأمر الذي يتطلب من المحلل الأسلوبي الانطلاق من معيار فنيّ بحث³.

2. الأسلوب من زاوية المتلقي:

ينظر إلى الأسلوب من هذه الزاوية بوصفه مجموعة من الاستجابات تتولد لدى القارئ على أساس أنّ الأسلوب "قوة ضاغطة تتسلط على حساسية القارئ بواسطة إبراز بعض عناصر سلسلة الكلام وحمل القارئ على الانتباه إليها، بحيث إن غفل عنها تشوه النص، وإذا حلّ لها وجد لها دلالات تتميز به"⁴، وهو تصور قائم على مبدأ التفاعل بين النص والمتلقي "فليس ثمة إحساس بقيمة النص إلا بمتلقيه، فالنص والقارئ عنصران مؤثران كل في الآخر، الأول يؤثر من حيث أنّه أداة للإقناع والتأثير، وهما غاية كلّ شكل فنيّ، والتأثير الثاني يتمثل في أنّه يبعث الحياة في النص ويبث فيه الروح"⁵.

ووفقاً لهذا المنظور حُدّد الأسلوب عند "بيير جيرو (Pierre Giraud)" بأنّه: "مجموعة ألوان يصطبغ بها الخطاب ليصل بفضلها إلى إقناع القارئ وإمتاعه وشدّ

¹ ينظر: سامي محمد عبابنة، التفكير الأسلوب، ص: 14.

² . عشتار داود، الأسلوبية والشعرية (قراءة في شعر محمود حسن اسماعيل)، دار مجدلاوي، عمان، ط: 01، (1428هـ / 2007م)، ص: 22.

³ فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية . مدخل نظري ودراسة تطبيقية، مكتبة الآداب، القاهرة، د ط، 2004م، ص: 37.

⁴ . عشتار داود، الأسلوبية والشعرية، ص: 22 / 23.

⁵ . فتح الله أحمد سليمان الأسلوبية . مدخل نظري ودراسة تطبيقية، ص: 23.

انتباهه وإثارة خياله"¹، أو كما جاء "فلوبير (Flaubert)" حيث يعرف الأسلوب بأنه "سهم يرافق الفكر ويخز متقبلها"².

وبناء على ذلك فالمعنى الأدبي لا يتمركز في البنية فحسب كما جاء في الطرح الذي قدّمه "جاكسون"، وإنّما في فهم القارئ لهذه البنية التي تنشأ بين الرسالة والمخاطب³. والواقع أن النظر إلى الأسلوب من هذه الزاوية تكرر وظيفة النصّ الإفهامية الإدراكية على حساب الوظيفة الشعرية الكامنة في النصّ، فأهمية القارئ لا تكمن على هذا النحو، وإن كان كذلك فلا يمكن أن تغفل قيمة هذا الضلع الفاعل (القارئ) في عملية الاتصال، لذلك كان أولى "الاستعانة به للعودة من خلاله إلى النصّ، لأن ارتباط العمل الإبداعي بالقارئ يجعل منه عملية متجدّدة بتجدد القراءات، فيبدو أكثر ثراءً بتعدد تلك القراءات واختلافها من قارئ إلى آخر، إلا أنّ هذه القراءات المتعددة لا تعني إغفال سلطة النصّ، لأن الدلالة تتحرك في الحدود التي يفرضها النصّ عليها، من أجل أن يحفظ هذه الأشكال من الغموض والتشويش"⁴.

3.. الأسلوب من زاوية النصّ:

يرى أصحاب هذه النظرة أن الأسلوب "مسألة تقنية في بناء الكلمات ووضعها"⁵، وعلى هذا الأساس يكون الأسلوب نظاماً "لنصّ مخصوص لا يقبل القياس عليه، ولا يولد نتيجة لقياسه على نظام سابق عليه وجوداً"⁶، ولذلك فالأسلوبية عند "ريفاتير" معلق

¹ . يوسف أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار المسيرة للنشر والتوزيع . عمان . الأردن، ط: 01، (1427هـ/ 2007م)، ص: 37.

² ينظر: فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية . مدخل نظري ودراسة تطبيقية، ص: 23.

³ ينظر: عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص: 79.

⁴ . المرجع نفسه، ص: 82.

⁵ سامي محمد عباينة، التفكير الأسلوبية، ص: 18.

⁶ . منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط: 1، 1990م، ص: 104.

بالنّص حيث يرى أنّه "ليس ثمة أسلوب أدبي إلا في النّص"¹، ولا يخرج الأسلوب عن نطاق النص عند "هيل Hill" فهو عنده "الرسالة التي تحملها العلاقات الموجودة بين العناصر اللغوية لا في مستوى الجملة وإنّما في إطار أوسع منها كالنص أو الكلام"²، وهو عند "ستاروبنسكي (Starobinski)" "مِسْبَار القانون المنظم للعالم الداخلي في النّص الأدبي"³، بينما نجد "هيمسلف (Hjelmslev)" يفتح أفقا أرحب لمفهوم الأسلوب في إطار النّص، حيث يجعل النّص بينية دالاً "فبمجرد تعبير الإنسان عن فكرة ما شعرا بدل التعبير عنها نثرا يعد تنبيها للمتقبل إلى أن النّص قد استحال في صياغته دالا متّصلا بنظام إبلاغي آخر غير النظام الألسني البسيط"⁴، ومختلف هذه الآراء الّتي يتبناها البنيويون تؤكد على أهمية التركيب البنيوي حيث تتحدد في اعتقادها أنّ "الأسلوب هو كتلة متكاملة بمعنى أنّه هو الكل الشامل للسمات الّتي تتخلل العمل، والّتي تشكل الأسلوب، وتلك السمات تتميز بأنّها يؤثر بعضها على بعض وبأنّها تضع الوحدة المتكاملة وأنّ علاقاتها بعضها ببعض أكبر من علاقة تجاور بين عناصر متفرقة منعزلة"⁵. وهي نظرة انبثقت من رؤية "جاكوبسون (Jakobson)" للوظيفة الشعرية الّتي تقوم على مبدأ الاختيار والتّوزيع، حيث يرتبط التّوزيع عنده بصورة مباشرة بالصياغة⁶، والأسلوب بذلك يقوم بإعطاء خصوصية وفرادة للعمل الأدبي دون غيره نتيجة ما يشيعه من نظام يظهر على شكل نسيج للعمل الأدبي بنوعيه الصوتي والدّلالي، وهما لا يحتاجان عادة إلى

¹ موسى سامح ربابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، دار الكندي للنشر والتوزيع . إربد . الأردن، ط: 01، 2003م،

ص 15. وعبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص: 79.

² عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص: 87.

³ المرجع نفسه، ص: 93.

⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص: 91.

⁵ سامي محمد عبابنة، التّفكير الأسلوبي، ص: 18.

⁶ ينظر: جورج موان، مفاتيح الألسنية، تر: الطيب بكوش، مؤسسة سعيدان للطباعة والنشر، سوسة، دط،

1984م، ص: 37.

التطابق سوى في الأدب على حد رأي "بيردسلي"¹، وهكذا "غدا كل من الأسلوب والنص متلازمين في عرف البنيويين، فالأسلوب عندهم ليس شيئاً خارجاً عن النص، بل هو عنصر من عناصره، فالنص هو الميدان الوحيد الذي يبني فيه الأسلوب ولا أسلوب إلا في النص الأدبي"².

والسؤال المطروح: أيها يتبنى المحلل الأسلوبية؟ وللإجابة: يمكننا أن نستشير برأي "المسدي" الذي ينوه إلى عدم الإنسياق وراء هذا المنهج بالبحث والتحليل وإغفال التفاعل العضوي القائم في عملية الخطاب بين المخاطب، والمخاطب، والخطاب، فالعملية لا تكتمل إلا بأضلاع المثلث الثلاثة³.

2-1- نظريات التحليل الأسلوبية:

ينطلق البحث الأسلوبية في مقارنة النص الأدبي من المقولات التالية: الاختيار، التركيب، الانزياح.

1. الاختيار (Selection):

يعدُّ الاختيار حدًّا فاصلاً بين الجمالي وغير الجمالي، فالكلام لا يمكن أن يكتسب صفة الأسلوبية، إلا إذا تحققت فيه جملة من الظواهر التعبيرية التي يختارها الشاعر أو الأديب دون غيرها من البدائل الأخرى، لأنَّ في نظره هي وحدها الأقوى والتي بفضلها يمكن أن يعبر عمّا يدور من مكنوناته. وتكمن مهمة الباحث الأسلوبية الكشف عن العلل والأسباب من وراء هذا الاختيار.

فالاختيار خاصية من خصائص البحث الأسلوبية، فمثلاً في عملية اختيار الكلمة فإنَّ الكاتب أو الشاعر يدخل عنصر الاختيار على مستوى الكلمة ليختار أجملها لفظاً

¹ . سامي محمد عبانة، التفكير الأسلوبية، ص: 19.

² . محمد بن يحيى، السمات الأسلوبية في الخطاب الشعري، ص: 34.

³ ينظر: عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص: 79.

وأكثرها إيجاءاً أو ما شابه ذلك من ألوان البحث اللغوي بغية تحميلها دلالات تتعلق أساساً بالاختيار¹. وهذه العملية هي التي يسميها "جاكسون": إسقاط محور الاختيار على محور التوزيع². لتصبح في نهاية لغة إبداعية فنية جمالية تستهوي القارئ وتستميله، وبالتالي ترفعه إلى مطاف الآثار الأدبية المتميزة الخالدة.

ويعتبر الاختيار من أهم مبادئ علم الأسلوب لأنه يقوم عليه تحليل الأسلوب عند المبدع، ويقصد بها العملية التي يقوم بها المبدع عندما يستخدم لفظة من بين العديد من البدائل الموجودة في معجمه فاستخدم هذه اللفظة من بين سائر الألفاظ وهو ما يسمى "اختيار" وقد يسمى "استبدال" أي أنه استبدالا لفظا بلفظ طوعية الاستبدال³، مناسب للمقام والموقف.

ويفرق الأسلوبيين بين نوعين من الاختيار، الاختيار الأسلوبي وغير الأسلوبي، فالاختيار غير الأسلوبي هو الاختيار المقامي، ويكون مقاميا إذا كان "بين سمات مختلفة تعني دلالات مختلفة"⁴. أما الاختيار الأسلوبي فيكون بين "سمات تعني دلالة واحدة"⁵. أي يكون الإمكانات متساوية الدلالة، وعلى هذا الأساس تم تحديد أربعة أنماط للاختيار وهي⁶:

أ- اختيار غرضه التوصيل، ويمكن أن نجد في النصوص الأدبية نية توصيل المقاصد الجمالية بالإضافة إلى غيرها.

ب- اختيار موضوع الكلام.

ج- اختيار الشفرة "الكود" على مستوى تعدد اللغات.

¹. ينظر: أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، مكتبة الزهراء، القاهرة، دط، دت، ص: 150.

². ينظر: ، عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص: 141.

³. ينظر: المرجع نفسه، ص: 139.

⁴. سعد مصلوح، الأسلوب (دراسة لغوية إحصائية)، عالم الكتب، القاهرة، ط: 03، (1416هـ / 1996م)، ص: 40.

⁵. المرجع نفسه، ص: 40.

⁶. ينظر: صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه واجراءاته، ص: 117.

د- الاختيار على مستوى الأبنية النحوية الخاضعة للنحو.

2. التركيب (Synthèse):

لاشك أن سلامة التركيب في جميع نوحيه المعجمية والنحوية والصوتية والصرفية والدلالية، يسترعي الانطلاق من عملية السابقة ألا وهي: الاختيار، فكلما كان الاختيار دقيقا يخدم الكاتب والنص والقارئ، كان التركيب كذلك، إذ "ترى الأسلوبية أن الكاتب لا يتسنى له الإفصاح عن حسه ولا عن تصوره للوجود إلا انطلاقا من تركيب الأدوات اللغوية تركيبا يفضي إلى إفراز الصورة المنشورة والانفعال المقصود"¹، والانطباع النابع من الذات عبر النص من خلال اللغة، ليحضنه القارئ بحرارة².

وتقاس عملية التركيب بالرجوع إلى المزاج النفسي للكاتب وثقافته بالإضافة إلى السمات الثقافية لكل عصر، وهي الرقيب الذي يسير الكاتب تحت إمرأته حتى يفهم عند المتلقين، "فكل كاتب له مزاجه النفسي وثقافته المتميزة، كما أن لكل عصر سماته الثقافية، ومزاجه الفكري، ومن ثم يختلف أسلوب الكاتب عن كاتب، كما يختلف أسلوب عصر عن عصر، إن الموقف وطبيعة القول وموضوعه، كل ذلك يفرض بالضرورة أداء يختلف عن أداء، بل إن ذلك قد يكون لدى كاتب واحد"³، ولأنه عايش فترتين زمنيةتين مختلفتين، كما أن ظاهرة التركيب لها علاقة تامة بالأسلوب تتحدد ضمن الأداء، من عدة منطلقات ذاتية خاصة بالكاتب ومزاجه النفسي، وثقافته المتميزة، والموضوع المتناول، وهي التي تفرض عليه لا محالة توظيف مفردات وتراكيب خاصة به، انطلاقا مما سلف ذكره، وهذا لن يكون ذا فائدة تواصلية لغوية فنية جمالية، ما لم يبق في إطار العصر وخصائصه الثقافية والفكرية واللغوية⁴. ويتجلى التركيب من خلال

¹ نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج: 01، ص: 169.

² ينظر: محمد بلوحي، الأسلوب بين التراث البلاغي العربي والأسلوبية الحديثة، مجلة التراث العربي، مج 24، ع 95، أيلول 2004م، رجب 1425هـ، ص 93.

³ رجاء عبيدة، البحث الأسلوبي (معاصرة والتراث)، دار المعارف، مصر، ط: 01، 1993م، ص: 49.

⁴ ينظر: محمد بلوحي، الأسلوب بين التراث البلاغي العربي والأسلوبية الحديثة، ص 94.

التّصرف السّديد في بناء الجمل والعبارات بتقديم بعض العناصر أو تأخيرها، وبالقصر أو الفصل أو الوصل، حتّى تكون العبارة صورة صادقة لما في نفسه من المعاني وما في وجدانه من تصور وموسيقى¹. ومن هنا فالتركيب مرهون بمرجعية المبدع الثقافية ومزاجه العاطفي دون إغفال السمات الثقافية التي تميز عصره.

فالتركيب مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالأسلوب، حيث تربطهما علاقة تامة ضمن الأداء وتحدد هذه الظاهرة من خلال منطلقات الدّاتية للكاتب ومزاجه النّفسي، والموضوع المتناول، فالموضوع هو السبب الأول الذي يقوم عليه اختلاف الأساليب، فكل موضوع تراكيبه خاصة يختارها الكاتب ليعبر فيها عن نفسه... لكل فن أسلوبه الخاص الذي يلائم طبيعته².

3. الانزياح (l'ecart):

باب من أبواب الأسلوبية التي تفيد الدرس في الأدب في تحليل النّصوص وهو "استعمال المبدع للغة مفردات وتراكيب وصورا يتصف به من تفرد وإبداع وقوة جذب"³، وذلك نتيجة "انحراف عن نسقه المألوف، وهو حدث لغوي، يظهر في تشكيل الكلام وصياغته، ويمكن بواسطته التعرف على الأسلوب الأدبي، بل يمكن اعتبار الانزياح هو الأسلوب ذاته"⁴، وهو نفسه ما سماه "جاكسون" بـ (خيبة الانتظار Decelved expectation)⁵.

وقد نضج مفهوم الانزياح على يد العالم الفرنسي "جان كوهن" وفصّل فيه كتابيه "بنية اللغة الشعريّة"، "واللغة العليا"، إذ تشكل هذه الظاهرة عنده جوهر

¹. ينظر: أحمد شايب، الأسلوب. دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الإنشائية، ص: 49.

². ينظر: المرجع نفسه، ص: 54.

³. عصام صبيح، وأحمد محمد ويس، وظيفة الانزياح في منظور الدراسات الأسلوبية، مجلة العلامات، ج: 21، م: 06، 1996، ص: 39.

⁴. نور الدين السّد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج: 1، ص: 179.

⁵ ينظر: عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص: 164.

العملية الشعرية، و"هي شرط ضروري لكل شعر"¹، ويرى أن الشعر انزياح عن المعيار، الذي هو النثر "فتعتبر القصيدة انزياحا عنه"²، ولأنّ أسلوب انحراف فردي بالقياس إلى قاعدة ما، أي طريقة في الكتابة يتواجد فيها الأدباء³، فيكون الانزياح حينئذ مساويا للأسلوب وهو "كل ما ليس شائعا ولا عاديا ولا مطابقا للمعيار العام المألوف"⁴.

وقام "جون كوهن" بتبيان كيفية حدوث الانزياح في النص الشعري، إذ قال: "فالشعر لا يحطم اللغة العادية إلا ليعيد بناءها على مستوى أعلى، إذ يعقب النقض الذي تسببه الصورة البلاغية إعادة بناء من طبيعة أخرى... والجانب الأساسي هو المرحلة السالبة"⁵، لأن هذه المرحلة شرط ضروري للمرحلة الثانية"⁶.

ونفهم من قوله أن الشعرية عملية ذات اتجاهين متعاكسين ومتزامنين، وهما: الانزياح ونفيه، وتكسير البنية وإعادة بنائها، فهي عملية التآرجح بين الذهاب والإياب من الدلالة إلى فقدان الدلالة ثم من فقدان الدلالة إلى الدلالة وهي تمنح الخطاب الأدبي خصوصيته الشعرية، وعليه، يمكن القول أنّ العملية الشعرية عنده "كوهن" تمر بمرحلتين:

- المرحلة الأولى: ويتم فيها الدور السلبي (بتكسير القواعد الصارمة)، وتفقد اللغة فيها وظيفتها التواصلية، وتدخل في دائرة اللامعقول إذ تربط بين الدوال

¹ . جون كوهن، بنية اللغة الشعرية، تر: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال . دار البيضاء . المغرب، ط: 01، 1986م، ص: 20.

² . المرجع نفسه، ص: 16.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص: 16.

⁴ . المرجع نفسه، ص: 16.

⁵ . المرجع نفسه، ص: 16.

⁶ . المرجع نفسه، ص: 16.

والمدلولات علاقة التنافر وعدم الملائمة، "ولكي تحقق القصيدة شعريتها ينبغي أن تكون دلالتها مفقودة أولاً، ثم يتم العبور عليها، وذلك كله في وعي القارئ"¹.

- المرحلة الثانية: ويتم فيها الدور الإيجابي بإعادة بناء تلك القواعد بصورة جديدة وذلك عن طريق تصحيح المتلقي وتأويلاته، وهذا الدور يقي اللغة الشعرية من اللامعقول ولكيلا يفقد الشعر "انتماءه إلى اللغة"²، فلا بد من وجود عناصر خلفية على الرغم من هيمنة ما يسميه "جاكسون" "بالوظيفة الشعرية"³ وذلك لغرض عدم الوصول إلى الانغلاق التام ومن ثم توصيل الرسالة.

فنرى أنّ "كوهن" يعطي الدور الأهم للمبدع (الشاعر)⁴، وهو دور سلبي، إذ يقوم فيه المبدع بتكسير بنية اللغة، وخلخلة العلاقات والقواعد الصارمة، لأنها هي المرحلة الضرورية الأساسية التي تعقبه المرحلة الثانوية التي هي نتيجة، إذ يقوم المتلقي فيها ببناء العلاقات بين الدال والمدلول من جديد وبصورة غير مألوفة ولافتة للنظر، وكل ذلك في فضاء حر تحكمه الانزياحات في كافة المستويات: التركيبية والدلالية والصوتية.

نستنتج مما سبق أنّ الانزياح هو خروج مقصود عن المألوف في ترتيب تراكيبه وصياغة صوره، خروجاً إبداعياً مقصوداً، يهدف إلى المفاجأة ولفت الانتباه من خلال بناء معاني خارجة عن المألوف، وذلك من أجل إكساب الخطاب ميزة أو سمة غير اعتيادية، بنقله من النمطية إلى اللغة الإبداعية، إذ إنّ الانزياح بهذه الصورة هو "آلية الخروج عن سلطة اللغة وتكرار بمظهراتها والدخول في مملكة حرية الكلام وإبداعيته، إنّ انتقال الخطاب من جماعية اللسان وبلادة الأساليب إلى فردانية فعل التّكلم،

¹. جون كوهن، بنية اللغة الشعرية، ص: 16.

². نور الدين السّد، الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص: 149.

³. ينظر: جون كوهن، بنية اللغة الشعرية، ص 78.

⁴. نلاحظ أنّ كوهن في هذه النقطة يلتقي مع التراث العربي المتمثل بالجاحظ وابن جني وآرائهم في موضوع (شجاعة العربية) أو (الإقدام)، إذ يقوم فيها الشاعر بركوب الضرورات دون الخوف كالفرس الشجاع الذي يركب الفرس بدون لجام، يقول الجاحظ: "وللعرب إقدام على الكلام، ثقة بفهم أصحابهم عنهم". [الحيوان: 32/5].

وحيوية الأسلوب، وهو امتلاك النص لسلطته في مقابل هيمنة المرجع، وهو انتقال بلغة الشعر إلى حيز الدهشة والمفاجأة التي عبر عنها النقد العربي القديم مبكرا بمصطلحات الشجاعة، العدول، الالتفات، الإعجاز، الإقدام على الكلام¹.

2-الأسلوبية (التأصيل والمفهوم):

2-1- مفهوم الأسلوبية:

إذا ما حاولنا وضع اليد على تحديد الدقيق لتاريخ مولد علم الأسلوب أو الأسلوبية، فسنجد أنه يتمثل في تنبيه العالم الفرنسي "جوستاف كويرتنج"، عندما اتجه سنة 1887م إلى فكرة: "إنّ علم الأسلوب الفرنسي ميدان شبه مهجور تماما حتى الآن... فواضعوا الرسائل يقتصرون على تصنيف وقائع الأسلوب التي تلفت أنظارهم طبقاً للمناهج التقليدية... لكن الهدف الحقيقي لهذا النوع من البحث ينبغي أن يكون أصالة هذا التعبير الأسلوبي أو ذاك، وخصائص العمل أو المؤلف التي تكشف عن أوضاعهما الأسلوبية في الأدب، كما تكشف بنفس الطريقة عن التأثير الذي مارسته هذه الأوضاع... ولشد ما نرغب في أن تشغل هذه البحوث أيضا بالتأثير بعض العصور والأجناس على الأسلوب... وبالعلاقات الداخلية للأسلوب بعض الفترات بالفن وبشكل أسلوب الثقافة عموماً"².

ومن ثم فإنّ النقاد قد حدّدوا آنذاك مجالات علم الأسلوب الحديث بحثا عن التعبير المتميّز، وأوجزوها في سبعة أبواب: أسلوب العمل الأدبي وأسلوب المؤلف، ومدرسة معينة أو عصر خاص أو جنس أدبي محدد، أو الأسلوب الأدبي من خلال الأسلوب الفني، أو من خلال الأسلوب الثقافي في العالم في عصر معين³.

¹ فتيحة كحلوش، نظرية الانزياح: من الشجاعة العربية إلى الوظيفة الشعرية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة فرحات عباس . سطيف . الجزائر، ع43، 2009م، ص: 19.

² .صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه واجراءاته، ص: 17/16.

³ .المرجع نفسه، ص: 17.

وإذا كانت كلمة الأسلوبية فقد ظهرت في القرن التاسع عشر فإنّها لم تصل إلى معنى محدد إلى في أوائل القرن العشرين، وكان هذا التحديد مرتبط بعلم اللغة¹.

ويرجع كامل الفضل لشيوع هذا المصطلح في أوساط الدراسات العربية نقلاً وترجمة إلى الدكتور "عبد السلام المسدي"، وهو يستعمل مصطلح "علم الأسلوب" كذلك مرادفاً للأسلوبية²، فيرى أنّ المصطلح حامل لثنائية أصولية، فسواء انطلقنا من الدال اللاتيني وما تولد عنه في مختلف اللغات الفرعية، أو انطلقنا من المصطلح الذي استقر ترجمته في العربية وقفنا على دال مركب جذره "أسلوب" "Style" ولاحقته "ية" (ique)، وخصائص الأصل تقابل انطلاقاً أبعاد اللاحقة، فالأسلوب ذو مدلول إنساني ذاتي (نسبي)، واللاحقة تختص بالبعد العقلي العلمي (موضوعي) ويمكن في كلتا الحالتين تفكيك الدال الاصطلاحي إلى مدلوله بما يطابق عبارة علم الأسلوب، لذلك تعرف الأسلوب بداهة بالبحث عن الأسس الموضوعية الكفيلة بإرساء علم الأسلوب³.

أما الباحث العربي "سعد مصلوح" فيؤثر مصطلح الأسلوبيات، ويعلّل ذلك بأنّه أخصر [من مصطلح علم الأسلوب] وأطوع من التصريف، كما أنّه جاء في سنّة السلف في سكّ المصطلحات الشبيهة بالرياضيات والطبيعيات، ولأنّه يتّسق بهذا المبنى مع مصطلح اللسانيات والصوتيات⁴. إلّا أنّنا نجد مصطلح "الأسلوبية" هو الذي طغى استعماله وجرى على الألسنة، بخلاف الأسلوبيات فبقي محصورة استعمال للدلالة على الاتجاهات الأسلوبية.

¹ ينظر: محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص: 172.

² ينظر: نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج: 1، ص: 14/13.

³ ينظر: عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص: 34.

⁴ ينظر: نور الدين السد، معجم مصطلحات الأدب، تح: مجدي وهبة، مكتبة لبنان . بيروت . لبنان، ط: 1،

1972م، ص: 542.

ويقصد بالأسلوبية (Stylistique) دراسة الأسلوب دراسة علمية في مختلف تمثلاته اللسانية والبنوية والسيمائية والهيرومونيطيقية*، وتعد الأسلوبية فرعاً حديثاً من فروع اللسانيات إلى جانب الشعرية والسيمائيات والتداوليات¹.

فالأسلوبية "تركّز بشكل مكثف ومباشر على عملية الإبلاغ والإفهام، بالإضافة إلى انتقالها الأساسي والجوهري إلى التأثير في المتلقي، وذلك من خلال ميل الكاتب ونزوعه الأكيد إلى أن يجعل كلامه مبنياً ومؤلفاً بطريقة يلفت فيها انتباه المتلقي لما يريده، ولذلك فإنّ الأسلوبية تسعى بكل تميّز لدراسة الكلام على أنّه نشاط ذاتي في استعمال اللغة"².

ووفق هذه الرأي يمكن النظر إلى الأسلوبية كبديل ووريث شرعي للبلاغة العربية القديمة، ذلك لأن البلاغة وقفت في دراستها عن حدود التعبير، ومعاييرها، ووضعت مسمياتها وتصنيفاتها وتجمدت ولم تحاول الوصول إلى بحث العمل الأدبي من جميع جوانبه، أما الأسلوبية فقد أوجدت الحلول المناسبة لتجاوز الدراسة الجزئية القديمة، وتعاملت مع الإبداع الأدبي بصورة كاملة³.

وقد ميّز الدّراسون بين مصطلحي "الأسلوب" و"الأسلوبية" من حيث النّشأة والاستخدام، فأروا أنّ الأول نشأ قبل الهجري الثاني بقرون عديدة، وأنّ العرب قد استخدموه منذ القدم في مصنفاتهم ودراساتهم الأدبية والنقدية مواكبا لمصطلح "البلاغة" دون تعارض بينهما ووقف موقف مساعد للبلاغة على تصنيف قواعدها المعيارية، أما في الغرب فقد نشأ متأخراً ودخل في المعاجم الغربية مع بداية القرن الخامس عشر، أما المصطلح الثاني. الأسلوبية. فنشأته غربية، وقد استخدمه الغربيون في مطلع القرن العشرين، وارتبط استخدامه بظهور الدراسات اللغوية الحديثة ومدارس

* الهيرومونيطيقا: تعني الشرح والتفسير والتأويل، الاتجاهات الحديثة

¹ ينظر: جميل حمداوي، الاتجاهات الأسلوبية، ص: 6.

² موسى سامح ربابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ص: 09.

³ ينظر: شكري عياد، مدخل إلى علم الأسلوبية، مطبعة أصدقاء الكتب، القاهرة، ط: 3، 1996 م، ص: 35 / 40.

علم اللغة كمدرسة "فرديناد دي سوسير Ferdinand De Saussure" (1858م . 1913م) السويسري، التي تعزى إلى تفريق بين اللغة والكلام من خلال معادلته الشهيرة "اللسان في نظرنا هو اللغة ناقص الكلام"¹، وأوضح أنّ اللسان "نتاج اجتماعي للملكة اللغة، فهو مجموعة من الأعراف الضرورية التي يستخدمها لمزاولة هذه الملكة عند الأفراد"².

وكان هذا الجهد اللغوي متاحا بشكل مباشر أمام أحد تلاميذه، وهو "شارل بالي Charles Bally" الذي تأسس على يديه قواعد علم الأسلوب ونشره عام 1902م كتابه الأول "بحث في علم الأسلوب الفرنسي، ثم اتبعه بعدة دراسات أخرى مطوّلة نظرية وتطبيقية، أسس بها علم الأسلوب الذي يعرفه على أنّه: "العلم الذي يدرس وقائع التعبير اللغوي من ناحية محتواه العاطفي، أي التعبير عن واقع الحساسية الشعورية من خلال اللغة ووقائع اللغة عبر هذه الحساسية"³.

وركّز "بالي". أيضا . على الطابع العاطفي للغة وارتباطها بفكرتي القيمة والتّوصيل، فكان يرى أنّ الاحتكاك بالحياة الواقعية يجعل الآراء والأفكار التي تبدو موضوعية في الظاهر كطعمه بالتّيار العاطفي، ودرس العبارة وما قد يحفّ من أبعاد نفسية واجتماعية، فكان بذلك مساهما في علم النّفس اللغوي، وعلم الاجتماع اللغوي، من حيث أراد أن يكون أسلوبيا⁴.

والأسلوبية كمنهج نقدي يوصفها "جون دوبوا Jean Dubois" على أنّها فرع من فروع اللسانيات، وهذا ما أكّده "ميشال أريفاي Michel arrivé" بقوله: "الأسلوبية

¹ . أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1994م، ص: 38.

² . المرجع نفسه، ص: 38.

³ . صلاح فضل، علم أسلوب، مبادئه واجراءاته، ص: 18، نقلا عن: Carles Bally El Language la vida trad

.Buenos avies 1972 p93

⁴ ينظر: عبد الحفيظ حسن، المنهج الأسلوبي في النّقد الأدبي، د. دار. دط، 2020، ص: 16.

وصف للنص الأدبي وفق طرائق منتقاة من اللسانيات"¹، وهو إثبات بدور اللسانيات في بلورة مفهوم الأسلوب، تأخذ منطلقاً في تحليلها للنص الأدبي من معايير أرسى دعائمها اللغوي سوسير.

الأمر الذي أدى بـ "رومان ياكوبسون" في إحدى محاضراته الشهيرة نادى بضرورة التوثيق بين النقد وعلم اللسان عن طريق علم الأسلوب"، وتلاه "عبد السلام المسدي" أيضاً حين: "نادى بمدى جسور بين النقد وعلم اللسان عن طريق علم الأسلوب"².

وقد تضافرت جهود كثير لإنضاج هذا المنهج النقدي، وتعدد المدراس الأسلوبية وتنوعت اتجاهاتها وغايتها حتى بات من العسير حصر آراء علماء الأسلوبية، رأينا أن نكتفي بالإشارة إلى أصحاب العلامات البارزة والجهود المتميزة الذين أسهموا في تحديد معالم هذا المنهج. ومن هؤلاء نذكر:

"رومان جاكوبسون Roman Jakobson" الذي عرّف الأسلوبية: بأنها البحث عما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب أولاً، وعن سائر أصناف الفنون الإنسانية ثانياً والأسلوبية وصف للنص الأدبي وفق طرائق مستقاة من علم اللسان"³، فهو هنا يوسع دائرة الأسلوبية للتحجاوز النص الأدبي إلى سائر الفنون الإنسانية.

أما "فيلي" فعرّف الأسلوب اللغوي بأنه: "طريقة التعبير اللغوي التي تميز تعبير الشخص"⁴، فالتمييز بين شاعر وشاعر أو بين كاتب وكاتب فكتابته الأدبية هي العنوان والإشارة إلى أسلوبه.

¹ محمد عبد المنعم الخفاجي، الأسلوبية والبيان العربي، الدار المصرية اللبنانية، مصر، ط: 1، 1992م، ص: 239.

² جون لويس كابانيس، النقد الأدبي والعلوم الإنسانية، تر: عبد الجليل بن محمد، دار المعارف، مصر، دط، دت، ص: 61، ينظر: عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص: 23.

³ عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص: 37.

⁴ ساندروس، نحو نظرية أسلوبية لسانية، تر: خالد محمود، المطبعة العلمية، دمشق، ط: 1، 2003م، ص: 13.

ويذهب "ديفيد روبي" إلى أنّ: "الأسلوبية هي الدراسة التي تركز على الأشكال الأدبية للنص"¹، فمحورها دراستها هي الأعمال الأدبية، إذ تتناول النصوص الأدبية بالدراسة وفق أساس تحليل الظواهر اللغوية بهدف الكشف عن الظواهر الجمالية والأنماط التعبيرية والتركيبية للنصوص.

ويقول "ميشال ريفاتير": "الأسلوبية علم يعنى بدراسة الآثار الأدبية، ودراسة موضوعية تنطلق من اعتبار الأثر الأدبي بنية ألسنية تتجاوز مع السياق المضموني تجاوزا خاصاً، أي دراسة النص في ذاته وتفحص أدواته وأنواع تشكيلاته الفنية، وتمكين القارئ من إدراك انتظام خصائص الأسلوب الفني، إدراكا نقدياً مع الوعي لما تحققه تلك الخصائص من غايات وظيفية"²، ركز في تعريفه على عنصرين أساسيين من عملية التواصلية وهما: الخطاب ككل متكامل وجب دراسته دراسة موضوعية، والمخاطب من بين الوظائف التأثيرية التي يحققها الخطاب فيه.

ويرى "بيير جيرو" الأسلوبية أنها: "دراسة للمتغيرات اللسانية إزاء المعيار القاعدي (...). والقواعد في هذا المنظور هي مجموعة قوانين، أي مجموعة إلزامات التي يفرضها النظام والمعيار على مستعمل اللغة والأسلوبية تحدد نوع الحريات في داخل هذا النظام، القواعد هي العلم الذي لا يستطيع الكاتب أن يصنعه، أما الأسلوبية ما يستطيع فعله"³، فالأسلوبية وفق هذا التصور تعنى بجمال التصرف الكاتب للظاهرة اللغوية استعمالاً وإبداعاً.

فمفاهيم الأسلوبية تعددت، وعلة التعدد راجع أنّ كل عالم له رؤيته الخاصة في القضايا الأسلوبية، إلا أنّ هناك تقارب إلى حدٍ بعيد على اعتبار الأسلوبية منهج تحليلي علمي يعنى بدراسة الأعمال الأدبية بطريقة موضوعية مستخدماً أفكار علم اللغة

¹ عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، ص: 36.

² فرحان بدوي، الأسلوبية في النقد الغربي الحديث، مجد المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، دط، د ت، ص: 134.

³ بيير جيرو، الأسلوبية، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، سوريا، ط: 1، 1994م، ص: 13.

الحديث في الكشف عن السمات الأسلوبية والخصائص الشكلية التي تميز عملاً أدبياً، أو أدبياً معيناً، أو عصرًا أو بيئة أدبية... وهذه السمات قد تكون صوتية تتصل بالأنماط الصوتية للنص أو الإيقاع، أو وزن وقافية في الشعر، وقد تكون تركيبية تتصل بطريقة تراكيب الجمل والعبارات، وقد تكون معجمية تتصل بالكلمات المجردة في مقابل الكلمات المحسوسة، وبالتكرار النسبي للأفعال والصفات، وقد تكون بلاغية تتصل باستعمال المتميز للمجاز، وللاستعارات والصور وغيرها، كما أنّ الأسلوبية لا تكتفي برصد الأشكال التعبيرية والوقوف على سماتها بل تسعى أيضا إلى الكشف عن أفكار النص الأدبي وأسرار جماله¹.

والملاحظ أن هذه التعريفات لا تختلف عن نظيرتها في النقد العربي، فهي مثلا، عند "منذر عياشي": "علم يدرس اللغة ضمن نظام الخطاب، ولكنها أيضا علم يدرس الخطاب موزعا على مبدأ هوية الأجناس، ولذا كان موضوع هذا العلم متعدد مستويات مختلف المشارب والاهتمامات، متنوع الأهداف والاتجاهات، ومادامت اللغة ليست حكرا على ميدان إيصالي دون آخر، فإن موضوع علم الأسلوبية ليس حكرا هو أيضا، على ميدان تعبيرى آخر"².

أما "محمد عزام" فيعتبرها "علما تحليليا يرمي إلى إدراك الموضوعية في حقل إنساني عبر منهج عقلاني"³. ويعرفها "عدنان بن ذريل": "علم لغوي حديث يبحث في الوسائل اللغوية التي تكسب الخطاب العادي، أو الأدبي خصائصه التعبيرية والشعرية فتميزه عن غيره، إنها تتقرب (الظاهرة الأسلوبية) بالمنهجية العلمية اللغوية وتعتبر (الأسلوب) ظاهرة هي في الأساس لغوية تدرسها في نصوصها وسياقاتها"⁴.

¹ ينظر: نبيل خالد أبو علي، البحث الأدبي واللغوي. طبيعته. مناهجه. إجراءاته، ص: 66.

² منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، ص: 29.

³ محمد عزام، الأسلوبية منهجا نقديا، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط: 1، 1989م، ص: 11.

⁴ عدنان بن ذريل، اللغة والأسلوب، ص: 140.

ويعرّفها "راج بحوش" بأنّها علم يرمي إلى تخليص النصّ الأدبي من الأحكام المعيارية، ويهدف إلى علمنة الدراسة الأدبية". وتكاد التعريفات تلتقي أو تصب في قالب واحد في تعريفات الأسلوب، وقد خلص "ميشال شريم" إلى القول متجنباً كثير من الخلافات، بأنّ "الأسلوبية هي تحليل لغوي موضوعه الأسلوب وشرطه الموضوعية وركيزته الألسنية"¹.

2-2- الأسلوبية وعلاقتها بالعلوم الأخرى:

لقد تأثرت الأسلوبية في نشأتها بعدد من علوم السابقة لها شأنها كل العلوم الأخرى، فالعلوم اللاحقة تتأثر بالعلوم السابقة لها، وقد تلتقي ببعض المباحث وتفترق في البعض الآخر، وقد نشأت في ظل ثلاثة علوم وثيقة الصلة بها هي: اللسانيات، البلاغة، والنقد الأدبي.

2-2-1- علاقة الأسلوبية باللسانيات:

يمكن القول إنّ علاقة الأسلوبية بعلم اللغة هي علاقة منشأ ومنبت ووفق ما يرى بعض الباحثين تتحدّد الأسلوبية بكونها أحد فروع علم اللغة، إلا أنّ اعتبارها على وجهه نظر خاصّة تميزها عن سائر فروع الدراسات اللغوية، فالأقرب إلى المنطق اعتبارها علماً مساوقاً لعلم اللغة، لا يعني بعناصر اللغة من حيث هي، بل بإمكانياتها التعبيرية، وعلى هذا الأساس تكون لعلم الأسلوب التي نفسها لعلم اللغة. وقد أدى الارتباط التاريخي بين الأسلوبية وعلم اللغة ببعض مؤرخي النقد إلى أن يقعوا في الخلط بينهما²، حيث عدّوا كل دراسة تتناول المظاهر الأسلوبية اللغوية بأنّها من الأسلوبية، إذ لا يعني هذا الالتقاء في التاريخ والأدوات، أن يكون هناك التقاء في مجالات البحث ينتفي معه التّفريق بين العلمين، بل إن علم اللغة هو علم له حدوده ومعامله، كما لعلم الأسلوب حدوده ومعامله، فلا بد أن يحافظ كلا العلمين على ذلك التّمايز، الذي يسمح لروادها التنافس

¹. جوزيف ميشال شريم، دليل الدراسات اللغوية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط:2،

1987م، ص: 38/37.

² ينظر: يوسف أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ص: 40.

كل في مجاله، وإثراء الساحة العلمية بالبحوث المتنوعة.

تعرف اللغة بأنها مؤسسة اجتماعية تدرس تزامنيا، كما نادى بذلك "دي سوسير" في محاضراته، وهي مؤسسة اجتماعية لأنها تبحث في لغة الجماعة ما لها خصائصها المختلفة عن جماعة أخرى، في الزمان والمكان¹.

ويقف البحث اللغوي الحديث عن اللغة في شموليتها، أي في تداولها بين فئة اجتماعية معينة، ليضع لها قواعد صارمة لا يجب الخروج عنها أو تجاوزها، دون تطرق الفرد من خلال هذه الجماعة، فهذا الأخير في إبداعاته يقوم بتشويه اللغة بحملها من المؤلف إلى المؤلف، ولم يكون له ذلك إلا بخرقه لهذه القواعد خرقا فنياً جماليا نابعا من اللغة ذاتها، وهو ما دأبت على مدارسته الأسلوبية بشتى اتجاهاتها، حيث تبقى أقل شمولية من البحث اللغوية الصرفة، مادامت تجنح إلى الانتهاكات الفردية للغة ومحاولة تحليل ذلك في مستويات ثلاث: الكاتب، النص، والقارئ، كل حسب دوره في عملية التلقي ووظيفته التواصلية، رصدا للقيم التزينية والفنية²، وبذلك يتخذ "الدرس اللغوي مسار اتجاه الأصوات . المفردات . التركيبات وما يتصل بذلك، محددا هدفه نحو دراسة تلك العناصر، وما يتميز به من خواص معينة بينما تجعل "الأسلوبية" وجهتها دراسة العلاقات ومسافة توزيعها، ثم يكون ذلك لهدف نال، وهو استشفاف القيم الفنية والجمالية من خلال ذلك التوجه الخاص للمظاهرة اللغوية"³، وتفردا عن سائر الظواهر اللغوية في إبداعات فنية لكُتاب آخرين.

¹ ينظر: محمد بلوحي، الأسلوب بين التراث البلاغي العربي والأسلوبية الحديثة، ص94.

² ينظر: المرجع نفسه.

³ رجاء عيدة، البحث الأسلوبى (معاصرة والتراث)، ص:55.

- ويمكن أن نوضح أهم الفروق بين علم اللغة وعلم الأسلوب في اتجاهين:¹
- الاتجاه الأول: أن علم اللغة يدرس ما يقال، أي: مكونات الكلام الملفوظ، بينما الأسلوبية تدرس كيفية ما يقال، مستخدمة الوصف والتحليل في آن واحد.
 - الاتجاه الثاني: إن علم اللغة الأدوات يقتصر على تأمين المادة التي يعتمد إليها المتكلم أو الكاتب، ليفصح بها عن فكرته، أما علم الأسلوب فيرشدنا إلى اختيار ما يجب أخذه من هذه المادة للتوصل إلى نوع معين من التأثير في السامع أو القارئ، شريطة احترام ما اتفق عليه العلماء من مدلولات لفظية، وقواعد صرفية ونحوية وبيانيتها.

- دور علم اللغة في نشأة الأسلوبية الحديثة:

"إن الدافع الحقيقي لنشأة الأسلوبية يكمن في التطور الذي لحق الدراسات اللغوية، وتكاد الدراسة العربية تجمع على أن نشأة الأسلوبية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بهذا التطور، وتعدّه أساس الدراسات الأسلوبية"².

والتطور الذي حصل في البحث اللغوي طال أمرين:³

1. ظهور علم الفيلولوجيا المقارنة:

هذا العلم الذي ربط اللغة بالفكر والإنسان، ونظر نظرة تاريخية مقارنة، حاول من خلالها اكتشاف خطوات التطور في اللغة (الهندو أوروبية) الأصلية، فنقل اهتمامه من مادية اللغة وتحليل عناصرها، إلى اهتمام بتاريخ الكلمة من حيث نطقها ومعناها، وصور استعمالها المتخلفة في العصر الواحد، ودون أدنى شك يظهر كيف لهذا التطور

¹ يوسف أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ص: 40.

² إبراهيم عبد الله أحمد عبد الجواد، الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، أطروحة دكتوراه، كلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية، عمان، 1994، ص: 21 / 22.

³ المرجع نفسه، ص: 21.

الدرسي اللغوي، أن تجد الأسلوبية متشعبا من البحث وإثبات الوجود، وبقيت في هذا التطور فجوة تكشف عن الصور متباعدة الأجزاء في اللغة، فكان تاريخ كل كلمة منفصلا عن الكلمة الأخرى، حتى كان التطور الثاني، الذي جاء بها العالم السويسري (سوسير).

2. جهود فرديناند دي سوسير:

أ. التفرقة بين اللغة والكلام¹:

اللغة: "هي النظام الذي استقر ورسخ بنوع من الاتفاق الاجتماعي بين أفراد الجماعة المعينة، يتفاهمون فيما بينهم من خلالها".

الكلام: "هي صورة اللغة المتحققة في الواقع في استعمال فرد معين في حالة معينة، وهذا الاستعمال يطابق النظام العام (اللغة) في صفاته الأساسية، ولكنه يختلف في تفصيلاته من فرد إلى فرد، ومن حالة إلى الحالة".

ويظهر مما سبق كيف أحيانا سوسير روح اهتمام بحال المتكلم، وحال المخاطب، في استخدام اللغة التي تناسب المقام لكليهما، بل كيف يمكن أن تكون اللغة المستخدمة صورة تعكس روح صاحبها وتميز الفرد ومجتمعه وعصره، وما من شك، فإن هذا التوجه الذي طرحه سوسير، قد أدى دوره في نقل الاهتمام اللغوي إلى صورة وجدت الأسلوبية معها مكانها الذي تنمو فيه وتزدهر.

ولم يكن عطاء "سوسير" متوقفا على هذا الطرح بل أثار عدد من القضايا التي

كان لها أثرها في الدرس الأسلوبي، ومنها:

¹. ابراهيم عبد الله أحمد عبد الجواد، الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص: 22.

ب. التّفريق بين الدال والمدلول:

فهو يرى أنّ "العلامة اللغوية ذات طبيعة مركبة، وهي مكوّنة من اتحاد (الدال)، أي: الشكل الصوتي الذي يشار به إلى المعنى، و(المدلول) أي: المعنى أو المفهوم نفسه"¹.

ج. أبعاد الدرس اللغوي:

إذ جعل الدرس اللغوي يدور في فلك بعدين أساسيين:

- البعد الأول: الدراسة التزامية أو الآنية (الساينكرونية): "التي تعالج فيها اللغات بوصفها أنظمة اتصال تامة في ذاتها، في لحظة معينة من الزّمان، وتتجلى اللغة، في هذه الحالة، في هيئة نظام منسوق يعيش في الوعي اللغوي لمجتمع ما"².
- البعد الثاني: الدراسة التعاقبية أو التاريخية (الدياكرونية): "التي تعالج فيها تاريخيا، عوامل التغيير التي تخضع لها اللغات في مسيرة الزمن، فهي تعنى بالظواهر اللغوية غير المخترقة في الوعي اللساني لهؤلاء المتكلمين أنفسهم"³.

د. محاور ارتباط الإشارة اللغوية:

- المحور الأفقي: وهو المحور النظمي، "الذي تنتظم عليه الوحدات اللغوية، لتؤلف سلسلة معينة من الكلام في مقاطع وكلمات وجمل"⁴.
- المحور الرأسي: وهو محور الاستبدالي، "تنتظم عليه العلاقات بين كل إشارة من الإشارات الموجودة في المرحلة الكلامية، والاشارات الأخرى، التي تنتهي إلى اللغة نفسها، وهي علاقات تربط في ذهن المتكلم والسامع بين الإشارات التي تنتهي إلى نمط واحد، وتقوم بوظيفة لغوية مشتركة، ومن ثمّ يمكن أن يحل بعضها محل بعضها الآخر، في سياق السلسلة الكلامية نفسه، دون أن يطرأ خلل على النظام النّحوي"⁵.

¹ يوسف أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ص: 41.

² المرجع نفسه، ص: 41.

³ المرجع نفسه، ص: 41.

⁴ المرجع نفسه، ص: 42.

⁵ المرجع نفسه، ص: 42.

ويمكن إجمال باختصار الفائدة التي جنتها الأسلوبية من طرح الجديد الذي قدّمه سوسير، كما يأتي¹:

أ- استفادت الأسلوبية من مفهومي: "الآنية والتعاقبية"، وهما بعدا الدراسة اللغوية، كما حدّدها سوسير، حيث وُظِّفَا في الدراسات النقدية الأسلوبية، فأصبح بالإمكان معهما، إصدار حكم كامل على الإنسان الفرد في أعماله الأدبية المستقلة، وفي الوقت نفسه، إعطاء صورة مادية صحيحة للتطور التاريخي.

ب- كما استغل الأسلوبيون مفهومي: "الدال والمدلول"، إذ نُظِرَ إلى الظاهرة اللغوية على أنّها رمز، وأنّ هذا الرّمز يتألف في ذاته إلى عنصرين: أحدهما: المفهوم أو المدرك الذهني، والآخر: الصورة الصوتية، وقد أضاف الأسلوبيون وظيفة للدوال تتعدى توصيل المفاهيم، إذ وجدوا أنّ الدوال لا تنقل المفاهيم فحسب، بل يدخل في نطاقها تداعي المعاني، والشحنات العاطفية، والانسجام المتزامن، فالمدلول لا يعزل عما يلتحم به في السياق.

وبذلك يمكن القول بأنّ الأسلوبية قد أخذت من اللسانيات الصفة العلمية الوصفية في دراسة اللغة، غير أنّها درست الخطاب ككل، وما يتركه هذا الخطاب من أثر في نفس المتلقي، فحين نجد أنّ اللسانيات قد اتجهت إلى دراسة الجملة بالتنظير واستنباط القواعد التي تستقيم بها، والقوانين التي من خلالها تكتسب طابع العلمية. وزودت اللسانيات المنهج الأسلوبي بطابع العلمية الوصفية ينأى عن الدراسة المعيارية الحكمية، التي وقعت فيه البلاغة القديمة مما ولد عقمها وجمودها².

¹. يوسف أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ص: 43.

². ينظر: محمد بلوحي، الأسلوب بين التراث البلاغي العربي والأسلوبية الحديثة، ص 96.

2-2-2-علاقة الأسلوبية بالنقد الأدبي:

يعرف النّقد بالمفهوم الدّارج بأنّه: "فن تقويم الأعمال الأدبية والفنية، وتحليلها تحليلًا قائمًا على أساس علمي"¹، وتلتقي الأسلوبية مع النّقد فكرة معالجة النصّ الأدبي من خلال عناصره ومقوماته الفنيّة والإبداعية، متخذةً من اللغة والبلاغة جسراً تصف فيه النصّ الأدبي².

وبالنظر إلى مفهوم النّقد، فإنّه يتضمن موضوع الحكم على العمل الأدبي، حيث يستشف ذلك من معنى التقويم، أما الأسلوبية فإنّها لا تُقدِّم على الحكم على العمل الأدبي، وإنّما تركز جهودها على البحث عن أسس الجمال المحتمل قيام الكلام عليه³.

وأما النّقد فيعتمد في عمله بالإضافة إلى عنصر الجمال، عنصر الصحة اللغوية، وهذا يجعل من الأسلوبية تمثل حلقة وصل التي تربط نظام العلاقات بين علم اللغة والنّقد الأدبي⁴.

وقد كانت النظرة إلى العلاقة بين الأسلوبية والنقد الأدبي في ثلاثة اتجاهات⁵:

- الاتجاه الأول: يرى أنّ الأسلوبية تختلف عن النقد، لكنّها ليست بديلاً عنه، فيرى هذا الاتجاه بأنّ النقد فهم شامل، بينما الأسلوبية محدودة الاتجاه، إذ يعد النّقد في نظرهم ذا نظرة فاحصة، ويستخدم جميع الأدوات الفنيّة: كاللغة والذوق الفني، والصياغة... ثمّ يحكم بعد ذلك بالجودة أو الرداءة بناءً على

¹ . إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث . المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط: 01،

(1424هـ / 2003م)، ص: 11.

² ينظر: يوسف أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ص: 52.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص: 52

⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص: 52.

⁵ ينظر: المرجع نفسه، ص: 53-54.

- المعطيات القائمة بين يديه، أما الأسلوبية فمهمتها فحص النص الأدبي في تركيباته اللغوية للكشف عن القيم الجمالية.¹
- وعلى هذا الرأي فإنّ النقد يشمل الأسلوبية ويحتويها، فهي "فرع من نشاط النقد الأدبي، فمصيها النقد وبه قوام وجودها".²
- الاتجاه الثاني: يرون أنّ العلاقة بينهما علاقة احتواء، تكون فيها الأسلوبية محتوية للنقد وشاملة له، ومنطلق الاحتواء مائل في قدرة الأسلوبية على أن تحتل مكان النقد وتحيط بموضوعه وترمم نقائصه، أي أنّ النقد قد استحال فرعاً من فروع علم الأسلوب يمدّه بالتعريفات والمعايير الجديدة.
- الاتجاه الثالث: وهو اتجاه يعترف بمنهجية كل من النقد والأسلوبية، فالأسلوبية ليست وريثاً للنقد، بل هي مغايرة له ومختلفة عنه، فهما "متواجدان في خطين متوازيين لا يلتقيان، وليس حتماً أن يكون بقاء أحدهما مرتبط بزوال الآخر"³، وبالاختلاف بينهما من منظور هؤلاء اختلاف منهجي، ففي الوقت الذي تدرس فيه الأسلوبية الأثر الأدبي بمعزل عما يحيط به من ظروف سياسية أو تاريخية أو اجتماعية أو غيرها، لا يغفل النقد في أثناء دراسته للنص تلك الأوضاع المحيطة به.⁴
- فيرى أصحاب هذا الاتجاه أنّ العلاقة بين الأسلوبية والنقد هي علاقة جدلية، إذ يستطيع كلا المنهجين أن يمد الآخر بخيارات متعددة، استقها من مجال دراسته، ويؤكد على بروز العلاقة بينهما حين يشترك المنهجين في معالجة النص من خلال: الوصف، التحليل، والتفسير، فيتعدى النقد إلى الحكم والتقييم، بينما تكتفي الأسلوبية بالكشف

¹ يوسف أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ص: 53.

² عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص: 86.

³ محمد الغمومي، نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط:1، 1999م، ص: 204.

⁴ المرجع نفسه، ص: 204.

والتقرير، ولا ينفي هذا الفائدة التي يجنيها النقد من التحليلات الأسلوبية، ويمكن القول بعد هذا، إن الأسلوبية "لا يطمح إلا أن تكون رافدا موضوعيا يغذي النقد فيمده ببديل اختياري، يحل محل الارتسام والانطباع، حتى تسلم أسس البناء النقدي، فالأسلوبية إذن، دعامة آنية حضورية في كل ممارسة نقدية"¹.

2-2-3- علاقة الأسلوبية بالبلاغة:

إن الأسلوب هو طريقة في الكتابة تتماشى إلى حد كبير مع فن البلاغة، سواء كانت هذه الطريقة لكاتب معين أو لجنس من الأجناس أو لعصر من العصور، فالأسلوب هو فن البلاغة الحديث الذي أظهر في القرن الثامن عشر الميلادي تحت عنوان "الأسلوبية"، وقد تحوّل هذا الفن تدريجيا من طريقة في الكتابة إلى طريقة في الكتابة والنقد.

وإنّ الأسلوبية تتعين صلتها بأنها صلة نسب، فهي "تتقلص في مباحثها حتى لا تعدو أن تكون جزءا من نموذج التواصل البلاغي، وتنفصل أحيانا عن هذا النموذج، وتتسع إلى حدّ تكاد تصبح فيه نفسها بلاغة مختزلة في الأسلوبية"²، ومع ظهور مبحث الأسلوبية على الساحة النقدية، لم تفتأ الدراسات العربية تبحث في الصلة بين هذا الوافد الإسمي، الذي يحمل في ثناياه ملامح البلاغة العربية الممتدة الجذور في أعماق التاريخ، ويصحها ذلك الوهج المشتعل من كبار النقاد والأدباء العرب، الذين زحرت المكتبة العربية بكتهم المصدريّة والمرجعية في فنون البلاغة وأفنانها، ولا زالت منارا للبحث البلاغي الأسلوبي³.

وتكاد الدراسات تجمع على وقوع الصلة بين الأسلوبية الحديثة والبلاغة القديمة، إلّا أنّ الدراسين العرب كانوا في هذا الباب على عدّة اتجاهات⁴:

¹ عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص: 119.

² هنريش ليث، البلاغة والأسلوبية - نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، تر: محمد العمري، دراسات (سال) - بيروت - لبنان، ط: 01، 1989م، ص: 19.

³ يوسف أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ص: 61-62.

⁴ ينظر: عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص: 48.

-الاتجاه الأول: نظر إلى الأسلوبية والبلاغة من خلال الفروقات التي لمحبها فيها، فاعتمد أن البلاغة كانت قد توقفت في نموها وتحجرت في قوالبها، ولم تحاول الوصول إلى البحث العمل الأدبي كاملاً، فيرى هذا الاتجاه بأنّ الأسلوبية "امتداد بديلاً مغايراً للموروث، ونفيٌ لها في الوقت نفسه، لأنّ المفهوم الأصلي للبدل... أن يتولد عن واقع معطى وريث ينفي بموجبه حضوره ما كان قد تولد عنه"¹.

ولعل ما يؤكد هذا تلك المفارقات بين المنظورين البلاغي والأسلوبي "فالبلاغة علم معياري، يترع إلى تقرير الوقائع اللغوية في الخطاب الأدبي، إذ يستند إلى منظومة تصنيفية وفق مقاييس جاهزة، ويرمي إلى تعليم مادته وموضوعه، بينما الأسلوبية علم وصفي يقوم بتفسير سمة الأدبية التي تشد نسيج النص بعيداً عن المعيارية، ويسعى إلى تحديد الظاهرة الإبداعية بعد أن يتحدد وجودها الفعلي"، بالإضافة إلى "تعالٍ منحي البلاغة، وفصلها بين الأغراض والصور وتصورها للأشياء تصوراً ماهياً بموجبه تسبق الأشياء وجودها، في الوقت الذي تتجه الأسلوبية اتجاهاً اختبارياً، وتتصور الأشياء تصوراً وجودياً بمقتضاه لا تتحد للأشياء ماهياتها إلا من خلال وجودها، لذا اعتبرت أن الأثر الأدبي معبر عن تجربة معيشة فردية"² "يتقاطع فيها الدال والمدلول مكونين للدلالة"³.

وقد تمثل هذا الموقف في عدّة دارسين عرب، كان من أبرزهم "محمد عبد المطلب" في كتابه "البلاغة والأسلوبية"، وكانت الفروق التي لاحظها على العلمين كما يأتي:

1. مبدأ الحكم.
2. الوقف من الإبداع.
3. الموقف من الشكل والمضمون.

¹ عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص: 52.

² المرجع نفسه، ص: 52-53.

³ المرجع نفسه، ص: 54.

أما من حيث الحكم، فكانت البلاغة، بحسب هذا الاتجاه، تعتمد أنماطا مسبقة، وتصنيفات جاهزة تحمل من خلالها، بينما تتحدد الأسلوبية بقيود المنهج العلمي الوصفي.

وفي الوقت من الإبداع، هدفت البلاغة إلى خلق الإبداع، من خلال وصاياها التقييمية، في حين اكتفت الأسلوبية بالسعي نحو تعليل الظاهرة الإبداعية بعد أن يتقرر وجودها، وأما الموقف من الشكل والمضمون، فكانت الرؤية هذا الاتجاه تنظر إلى أنّ البلاغة اعتمدت الفصل بين الشكل والمضمون، بينما رفضت الأسلوبية هذا الفصل.

ولم تكن هذه الآراء للترك دون نقد فإنّه إن ترك أمر مبدأ الحكم والموقف من الإبداع ليكون مقبولا في أحد نواحيه، إلا أنّ الوقف من الإبداع والموقف من الشكل والمضمون لم يرق لبعض النقاد، إذ تعرض "ابراهيم عبد الجواد" لهذا الرأي قائلا: "وبعد هذا التشخيص صحيحا إذا ثبت لدينا أن البلاغة العربية فصلت بين الشكل والمضمون، وأن المنهج الوصفي كان غائبا عنها، وإذا قصرنا دراستنا على كتاب بلاغي واحد تتجلى فيه هذه المفارقات، وقد ثبت أن البلاغة لا تنظر إلى الشكل في معزل عن المضمون، كما أنّها لا تسعى إلى تعليل الظاهرة الإبداعية، وعلى الرغم من أنّها تتصف في الغالب بصفة المعيارية"¹. ممّا أدى حتميا ظهور اتجاه مغاير له.

-الاتجاه الثاني: وهو اتجاه سجل فيه "شكري عياد" روح الأصالة، التي تمتد جذور الأسلوبية الحديثة فيها لتضرب في أعماق البلاغة القديمة، فنظر إلى الدرس البلاغي القديم على أنّه درس خصب، ساهم دون شك في وضع المبادئ الأساسية لعلم الأسلوب العربي.

وهنا، حاول "شكري" أن يكشف عن أوجه التلاقي بين تصور اللغويين الغربيين للغة وبين الدرس البلاغي العربي، فربط بين نظرة "دي سوسير" للغة، وتعريف

¹. ابراهيم عبد الله أحمد عبد الجواد، الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص: 112.

"الجرجاني" للبلاغة¹، وكانت فكرة العلاقات القائمة بين المحور الرأسي والمحور الأفقي حاضرة في شقها الأفقي، حيث تأتي بتعريف الجرجاني على أنّها "تأخي معاني النحو بحسب الأغراض التي يصاغ لها الكلمة" وجاءت في تعريف السكاكي بأنّها: "معرفة خواص التراكيب"².

فعلى هذه الشاكلة، اندفع "شكري عياد" يكشف عن وجوه التلاقي بين الدرس الأسلوبي والبلاغة العربية، وإن فرق بينهما في بعض القضايا، أما عن نقاط الالتقاء، فكانت على النحو التالي:

1. أهمية الموقف.

2. طرق التعبير.

3. الهدف.

إذ يهتم الأسلوبيون والبلاغيون بمراعاة مقتضى الحال، وقد لعبت الظروف الفكرية التي أحاطت العصر القديم والعصر الحديث، في اختلاف التركيز بين العلمين في هذا المجال، حيث كانت البلاغة تركز على عقلية المخاطب، نظراً لخضوع البلاغة في ذلك الوقت لسيادة المنطق على التفكير العلمي، وإن وجد عندهم مادة أدبية تهتم بالناحية الوجدانية للمخاطب، بينما كانت الأسلوبية قد نشأت في عهد علم النفس، الذي انتشر في شتى المجالات، لذلك وُجد الموقف عند الأسلوبيين أشدّ تعقيداً منه عند البلاغيين³.

أما طرق التعبير، فهو موقف ناتج من سابقه، إذ يفترض كلا العلمين أن هناك طرقاً متعدّدة للتعبير عن المعنى، وأن القائل أو الكاتب يختار إحدى هذه الطرق بما يراه مناسباً للموقف في رأيه⁴.

¹ ينظر: إبراهيم عبد الله أحمد عبد الجواد، الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص: 113.

² المرجع نفسه، ص: 113.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص: 114.

⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص: 115.

وفيما يتعلق بهدف الأسلوبية والبلاغة، فقد قرر "شكري عياد" مشتركاً، إذ يسعى كلا العلمين إلى تقديم "صورة شاملة لأنواع المفردات والتراكيب، وما يختص به كل منهما من دلالات، وهذا نفسه هو ما يصفه علم البلاغة"¹.

وقد بين "شكري عياد" بعض المفارقات بين البلاغة والأسلوب، فيما يتعلق بأصول كل علم، إذ اعتقد أنّ أصل البلاغة لغوي قديم، وأصل الأسلوب لغوي حديث فصبغت هذه الأصول البلاغة المعيارية، والأسلوب بالعلمية الوصفية².

وربما كانت هذه الملامح نذيراً لظهور اتجاه الثالث ينطلق من مفهوم المعيارية والوصفية.

الاتجاه الثالث: وهو توجه يرى البلاغة أكبر من الأسلوبية، وهي اتجاه من اتجاهي البلاغة: المعيارية والتقديرية العلمية، بينما تتصف الأسلوبية بالتقديرية العلمية دون المعيارية، فنأدى أصحاب هذا الاتجاه إلى عدم "إقامة علاقة خلاقية بين البلاغة والأسلوبية إلى درجة التناقض، أو إقامة علاقة سلبية، بحيث تُرى الأسلوبية مرحلة تالية للبلاغة"³.

وبعد هذا العرض لمختلف الآراء، يرى البحث أنّه مهما كانت الطروحات السابقة، صائبة في بعض أوجهها، أو في جميعها، إلا أنه لا يمكن أن تنتقي تلك الصلة الواضحة بين الأسلوبية والبلاغة العربية، وإن المحاولات العربية التي تناولت مسح التراث العربي القديم، أو تناولت جزءاً منه، أو تعرضت له بأضواء الدراسات الغربية، فإنّ ذلك لا يزيد العلاقة بين العلمين إلا قوة وصلابة، وأنّه كلما أجريت دراسات جديدة حصلنا على نقاط التقاء وأهداف مشتركة بين الأسلوبية والبلاغة، مع التأكيد على الحدود حصلنا

¹ إبراهيم عبد الله أحمد عبد الجواد، الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص: 116، وينظر: شكري

عياد، مدخل إلى علم الأسلوب، ص: 43.

² ينظر: المرجع نفسه، ص: 116.

³ المرجع نفسه، ص: 116/117.

على نقاط التقاء وأهداف مشتركة بين الأسلوبية والبلاغة، مع التأكيد على الحدود التي ميزت العلمين كل زمانه وعصره، فيمكنني القول بعد ذلك: بأنّ الأسلوبية هي بلاغة حديثة.

2-3- اتجاهات الأسلوبية:

2-3-1- الأسلوبية التعبيرية*:

ورائد هذا الاتجاه هو "شارل بالي(Charles Bally)" (1865/ 1947) تلميذ سوسير، ومؤسس علم الأسلوب، وقد عرّف علم أسلوب التعبير بقوله: "هو العلم الذي يدرس وقائع التعبير اللغوي من ناحية محتواه العاطفي، أي تعبير عن واقع الحساسية الشعورية من خلال اللغة"¹.

فالأسلوبية التعبيرية هي: "دراسة القيم تعبيرية وانطباعية خاصة بمختلف وسائل التعبير التي في حوزة اللغة، وترتبط هذه القيم بوجود متغيرات أسلوبية، أي ترتبط بوجود أشكال مختلفة للتعبير عن فكرة واحدة"².

ويقول "بالي" عن "موضوع الأسلوبية" ما نصّه: "تدرس الأسلوبية وقائع التعبير اللغوي من ناحية مضامينها الوجدانية، أي أنّها تدرس تعبير الوقائع للحساسية المعبر عنها لغويا، كما تدرس فعل الوقائع اللغوية على الحساسية"³، فموضوع الأسلوبية عند شارل بالي يركز على مضمون الوجداني للغة .

أو بتعبير آخر فالأسلوبية التعبيرية تعني عند "بالي" البحث عن القيم التأثيرية لعناصر اللغة المنظمة والفاعلية المتبادلة بين العناصر التعبيرية التي تتلاقى لتشكيل نظام الوسائل اللغوية المعبرة، وتدرس الأسلوبية عند بالي هذه العناصر من خلال

* نعتمد نفس المصطلح الذي اعتمده المترجم منذر عياشي لكتاب بيير جيرو "الأسلوبية".

¹ . صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه واجراءاته، ص: 18.

² . بيير جيرو، الأسلوبية، ص: 53.

³ . صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه واجراءاته، ص: 18.

محتواه التعبيري والتأثيري"¹، أما "عبد السلام المسدي" فيورد في كتابه "الأسلوبية والأسلوب": "الأسلوبية تعني بالجانب العاطفي في الظاهرة اللغوية وتقف نفسها على استقصاء الكثافة الشعورية التي يشحن بها المتكلم خطابه في استعماله النوعي لذلك حدّد بالي حقل الأسلوبية بظواهر تعبير الكلام وفعل الظواهر الكلام على الحساسية، فمعدن الأسلوبية حسب بالي ما يقوم في اللغة من وسائل تعبيرية تبرز المفارقات العاطفية والإرادية والجمالية بل حتّى الاجتماعية والنفسية، فهي إذن تنكشف أولاً وبالذات في اللغة الشائعة قبل أن تبرز في الأثر الفني"².

وإذا كان بالي قد اهتم باللغة من حيث تعبيرها على الوجدان، إلّا أنّه لا يخص بذلك لغة الأدب، وإنّما تحدث عن اللغة الطبيعية التوصلية أيضاً.

فعلم الأسلوب في نظر "شارل بالي": "ينبسط على رقعة اللغة كلّها فجميع الظواهر اللغوية ابتداء من الأصوات حتّى أبنية الجمل الأكثر تركيباً، يمكن أن تكشف خصيصة أساسية في اللغة المدروسة، وجميع الوقائع اللغوية مهما تكن يمكن أن تشفّ عن لمحة من حياة الفكر أو نبضة من الحساسية، إنّ علم الأسلوب لا يدرس قسماً من اللغة بل اللغة بأكملها منظوراً إليها من زاوية خاصة"³. ومن هنا يمكن أن نستعرض أهم الخصائص تتجلى فيها أسلوبية "بالي":

أ- البحث عن مكان القوة التعبيرية في اللغة على جميع مستوياتها.

ب- تحليل علاقاتها بالفكر وبالشخصية الجماعية بدراسة أهم العناصر التعبيرية

ودورها في تشكيل النظام العام بعلاقاتها:

¹ نور الدين السّد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج:01، ص: 62.

² عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص: 41.

³ نور الدين السّد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج:01، ص: 54، نقلاً عن: شكري عياد، اتجاهات البحث الأسلوبي، دار العلوم للطباعة والنشر، السعودية، ط:01، 1985م، ص: 31.

1- الداخلية منها.

2- ومقارنته بالنظم الخارجية الأخرى من ناحية ثانية¹.

وما ينبه إليه "بالي" هو: "الكف عن اعتبار اللغة الأدبية شيئاً ينبغي علاجه بمفرده، شيئاً خلق من العدم، فاللغة الأدبية. قبل كل شيء. هي تحول خاص في لغة الجميع، إلا أنّ البواعث الحيوية والاجتماعية في لغة الكلام تصبح بواعث جمالية للغة، وحينئذ تنتمي إلى منطقة النقد وتاريخ الأدب"²، إذ أنّ أسلوبية التعبير تقوم على فحص الوسائل التعبيرية في لغة ما، وفي أونة معينة من تطور هذه اللغة، دون إغفال الوجه الاجتماعي للغة، وهو يتضمن المقام والمقتضى الحال، والأسلوبية في هذا السياق تلفت النظر إلى الاستعمالات الأسلوبية المميّزة كالتشبيه والتّرادف، والمعنى المجازي، وقوّة الإيحاء، والحذف، والإضمار، والتّفكك وسوى ذلك من الظواهر والوقائع الأسلوبية³. يقول صلاح فضل: "أنّ هناك صعوبات قد تعترض لها إذا حاولنا تطبيق هذا المنهج التعبيري على اللغة العربية، فالعناصر الكتابية أقوى بكثير من العناصر الكلامية، والجانب التراثي لها أشدّ ضغطاً من الجانب العفوي، إلا أنّنا بحاجة حقيقة لإعادة النظر في جملة القيم التعبيرية للغة العربية مفيد من التحليلات اللغوية والبلاغية القديمة، فهما ثروتنا المطمورة..."⁴.

وما يؤخذ على أسلوبية "بالي" هو أنّه ضيّق الحقل دراسته وجعله حكراً على النّاحية الوجدانية، أي أنّه أبعد القيم التعليمية والجمالية⁵، فأسلوبية تعبيرية بحتة ولا تعني إلاّ الإيصال المألوف والعفوي وتستبعد كل اهتمام جمالي أو أدبي، لكن هذه الأسلوبية توسّعت عند خلفاء "بالي" فشملت دراسة القيم الانطباعية والتعبير الأدبي⁶.

¹ ينظر: نور الدين السّد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج: 01، ص: 67.

² صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه واجراءاته، ص: 37.

³ ينظر: نور الدين السّد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج: 1، ص: 65، نقلاً عن: عزت آغا ملك، الأسلوبية من

خلال اللسانية، الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت. لبنان، ع: 38، 1986م، ص: 88/89.

⁴ صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه واجراءاته، ص: 42/43.

⁵ ينظر: بيير جيرو، الأسلوبية، ص: 57.

⁶ ينظر: المرجع نفسه، ص: 67.

2-3-2- الأسلوبية النفسية:

يعد ليوسبيتزر Leo Spitzer الألماني (1887م / 1960م) أهم مؤسس للأسلوبية النفسية بتأثير من كارل فوسلير*، تعنى بمضمون الرسالة ونسيجها اللغوي مع مراعاة لمكونات الحدث الأدبي، الذي هو نتيجة لإنجاز الإنسان والكلام والفن، متجاوزا البحث في أوجه التراكيب ووظيفتها في نظام اللغة إلى العلل والأسباب المتعلقة بالخطاب الأدبي، ويعود ذلك إلى اعتقاد هذا الاتجاه بذاتية الأسلوب وفرديته، ولذلك فهو يدرس العلاقة بين وسائل التعبير والفرد، دون إغفال علاقة هذه الوسائل التعبيرية بالجماعة التي تستعمل اللغة المنتج فيها الخطاب الأدبي المدروس¹.

ويعزى بروز هذا الاتجاه كرد فعل للأسلوبية التعبيرية المهتمة بالكلام المحكي واللغة المنطوقة دون اللغة الأدبية، يقول "نور الدين السّد": "لقد درس سبيتزر وقائع الكلام، وحلّل الانحراف الفردي والأسلوب الخاص الذي ينم عن شخصية الكاتب، وقد أولى عناية لدراسة الصيغ المعبرة" التي أوردتها المبدعون في لغتهم الخاصة، وبذلك يضع علم اللغة "اللسانيات" كلّ ما توصل إليه من معرفة في خدمة الأسلوبية La stylistique المطبقة في تحليل الآثار الأدبية"²، فالأسلوبية حسب سبيتزر تحلل استخدام العناصر التي تمدنا بها اللغة استخداما منظما³.

ويمكن تلخيص منهج سبيتزر وأهم معالمه في الخطوات الآتية⁴:

- 1- علم الأسلوب ينبغي أن يتخذ العمل الفني المحدّد منطلقا له، ولا يتكئ على وجهة نظر مسبقة أو فكرة خارجية وعلى النقد أن يستخلص من العمل الأدبي ذاته جميع مقولاته.

*. كارل فوسلير (1872م / 1949م) زعيم المدرسة المثالية الألمانية.

¹ ينظر: نور الدين السّد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج:1، ص:70.

² المرجع نفسه، ج:1، ص:72.

³ ينظر: جورج مونان، مفاتيح الألسنية، ص:135.

⁴ ينظر: صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه واجراءاته، ص:57.

- 2- يمثل كل "عمل أدبي وحدة كليّة شامل، يقع في مركزها روح مبدعها، وهو المبدأ الذي يضمن لها تماسكها الداخلي، فروح المؤلف يعدّ نوعاً من النظام الشمسي الذي تسبح في محيطه وتنجذب إليه جميع العناصر من لغة وحكاية وغيرها، ويعتبر مبدأ التماسك الداخلي هذا المحور الأساسي لما يسميه "سبيتزر" المركز الروحي أو الطابع الغالي على جميع تفاصيل العمل الذي يعتبر سبباً وتفسيراً لها.
- 3- ينبغي لكل ملمح تفصيلي أن يسمح بالنّفاذ إلى مركز العمل الأدبي باعتبار هذا العمل كلاً يدخل الملمح في تكوينه المتكامل، فإذا وصلنا إلى مركز العمل تعود لرؤية فتنبسط على جهة التفصيل، ولو وقعنا على التفصيل الملائم عثرنا على المفتاح الأساسي الذي يصلنا إلى المركز.
- 4- يتم النّفاذ إلى العمل من خلال الحدس، لكن هذا الحدس خاضع للتحقيق بالملاحظات والاستنتاجات، من خلال حركة ذهاب وإياب من مركز إلى المحيط، فالملاحظة الحدسية الأولى هي "مفتاح التّشغيل" العقلي الذي يضعنا على الطريق الصحيح، والعمل الذي يتم بناؤه هكذا يتكامل مع مجموعة أكبر حتّى تصل إلى الطابع الغالب على أعمال عصر معين أو وطن خاص، وروح المؤلف تعكس روح وطنه، وهنا يتلاقى "سبيتزر" مع أفكار "كارل فوسلير".
- 5- منطلق الدراسة الأسلوبية في هذا التّوجه ذات ملمح لغوي، لكن بوسعها اتخاذ بديل آخر ملائم للعمل الأدبي، وكثيراً ما كان "سبيتزر" نفسه يهجر بسرعة الملاحظة اللغوية التي ابتداءً منها ليقيم الجسر المطلوب بين اللغة وتاريخ الأدب، إلّا أنّ هذا الملمح اللغوي المتميز يمثل انحرافاً أسلوبياً فردياً، فهو طريقة خاصة تختلف عن الاستعمال العادي المألوف.
- 6- لا بدّ لعلم الأسلوب أن يكون "نقداً متعاطفاً"، فالعمل الأدبي ككل ينبغي إعادة التقاطه من داخله وفي شموليته، مما يقتضي تعاطفاً معه ومع مبدعه.

ويبدو أنّ "سبيتزر" أحدث تعديلا في نظريته للأسلوب، يقول: "هناك اعتبار صرفني إلى التحليل النفسي للأسلوب، لأنّ هذه الدراسة ليست في حقيقة أمرها إلّا شكلا آخر من دراسة "السيرة الذاتية"، وهي عرضة للتحريف والاختلاف كما يقولون، اليوم في أمريكا، ولو استطاع الناقد، فرضا، أن يصل جانبا من جوانب الإنتاج بتجربة نفسية عاشها الكاتب، فليس من الثابت، بل من الخطأ القول أنّ هذا التوافق بين الحياة والأثر الفني يسهم دائما في جمال الانتاج، فالتجربة الشخصية لا تعدو أن تكون مادة أولى، شأنها في ذلك شأن المراجع الأدبيّة مثلا، لذا انصرفت عن بحث الحالات النفسية وشرح أساليب المؤلفين انطلاقا من "مراكزهم العاطفية" وجعلت تحليل الأسلوب خاضعا لتفسير الآثار بوصفها (منظومة شعرية قائمة بذاتها) دون اللجوء إلى مزاج المؤلف"، ونجد "نور الدين السّد" يعلق على هذا التّوجه بقوله: "والواقع أنّ سبيتزر لم يتخل عن المنهج الأسلوبي النفسي نهائيا، وإنّما عدّل في طريقة تحليله للأسلوب من وجهة نظر نفسية، فترك تتبع الحياة النفسية للمؤلف وأمسك عن الرجوع إلى التجربة التي عاشها"¹.

ويتم تطبيق منهج "سبيتزر" في التحليل الأسلوبي وفق مراحل متعددة، فالقارئ مضطر لأن يطالع النص ويتأمله حتّى يستلفت نظره شيء من لغته، هذا الشيء يعدّ خاصية يتمّ التّوصل إليها بالحدس، إذ يهديننا إلى أهميتها الأسلوبية في النصّ، ثمّ يتم اختبارها مرّة أخرى في شكل منتظم من خلال قراءة جديدة تدعمها شواهد أسلوبية أخرى، فالدائرة إذن مكوّنة من ملاحظة منعزلة يهتدي إليها القارئ بفطنته، تتبعها قناعة بأنّ هذه الظاهرة منعزلة يكمن فيها سرّ الأسلوب وهي تمثّل روح العمل الأدبي في شموليته، على افتراض أنّ هذه الظاهرة لا بدّ أن تدعمها ملامح أسلوبية في النصّ ذاته²، ويضيف: "إنّ الطريق العملي الوحيد هو القراءة، وإعادة القراءة بصبر وبصيرة

¹. نور الدين السّد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج: 1، ص: 75.

² صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه واجراءاته، ص: 59.

ويقين، برغبة توشك أن تكون ميتافيزيقية في الوصول إلى الحل، حتى لا يلبث أن يتجلى لنا هذا الملمح الخاص المنشود¹.

ومن مآخذ النقاد على منهج التحليل الأسلوبي لسبيتزر ورفاقه، تلونه بالصبغة الانطباعية والمثالية، والتركيز على ملمح رئيسي قد يخطئ في استقطاب الخواص، ضعف الطابع العلمي في التناول بالذهاب وراء المؤلف في نهاية المطاف².

2-3-3- الأسلوبية البنيوية:

يقول "بيير جيرو" البنيوية تعلّما:

أ- أن اللغة بنية، وأنه ضمن نسق العلاقات بين الإشارات يجب أن يكون البحث عن مصدر القيم الأسلوبية، ذلك لأنها ليست خواص للإشارة ولكن للنسق.

ب- وأن هذه البنى تستجيب لوظائف تحددها طبيعة الإيصال والتغيرات مثل المرسل، والناقل، والمستقبل، والرمز، والمرجع، وأن طبيعة كل واحد في علاقاته مع الآخرين تفرض استخدامات معينة كل حالة خاصة حيث الخصوصية تولّد أثر الأسلوب.

ج- وتعلّما أيضا أن لآثار الأسلوب مصدرا مزدوجا، بنية النسق (الاستبدال) حيث تأخذ الآثار قيمها الممكنة، وبنية النص (التركيب) التي تجعل هذه القيمة أو تلك آنية³.

ساهم "ميشال ريفاتير (Micheal Réffeterre)" (1924هـ / 2006م) في إرساء دعائم الأسلوبية البنيوية من خلال المقالات التي كتبها، وهي "تعنى في تحليل النص الأدبي بعلاقات التكامل والتناقض بين الوحدات اللغوية المكونة للنص وبالدلالات والإيحاءات التي تنمو بشكل متناغم⁴، فهذه الأسلوبية تهتم بوظائف اللغة على حساب أية اعتبارات

¹ .صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وأجراءاته، ص: 60.

² ينظر: المرجع نفسه، ص: 71.

³ ينظر: بيير جيرو، الأسلوبية، ص: 147.

⁴ .نورالدين السّد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج: 1، ص: 86.

أخرى، والخطاب الأدبي في منظورها نص يضطلع بدور إبلاغي ويحمل غايات محدّدة، وينطلق التحليل من وحدات بنيوية ذات مردود أسلوبى، وقد أعطى "جاكسون" نماذج عنها في "القواعد الشعرية" مسلطا الضوء على الهيكل الذي يؤطر الخطاب ووحداته التكوينية، وفي دراسته لقصيدة "القطط لبودلير" مع "كلود ليفي شتراوس" تقصي جملة مواصفات تكشف عن الروابط بين البناء الصرف، وتراكيب الجمل، والدلالة والوزن... وقال "جاكسون": "أنّ النصّ الأدبي خطاب ذو أسلوب منظم تبعا لعمليتين متواترتين في الزمن متطابقتين في الوظيفة، وهما:

أ- اختيار الأدوات التعبيرية.

ب- المزاوجة بين الأشكال، وقد لاحظ محورين أساسيين في الأسلوبية الحديثة¹.

ولقد أوضح "ميشال ريفاتير" مراحل القراءة الأسلوبية في النصوص: وهي:

1- مرحلة الوصف: ويسمى "ريفاتير" مرحلة اكتشاف الظواهر وتعيينها وتسمح للقارئ بإدراك وجوه الاختلاف بين بنية النصّ والبنية النموذج القائمة في حسّه اللغوي مقام المرجع، فيدرك التّجاوزات والمجازات وصنوف الصياغة....

2- مرحلة التأويل والتعبير: وعندها يتمكن القارئ من الغوص في النصّ والانسحاق في أعطافه وفكّه على نحو ترابط فيه الأمور وتتداعى ويفعل بعضها في بعض².

فأسلوبية "ميشال ريفاتير" تحاول أن لا تغفل دور القارئ باعتباره جزءا من عملية التّوصيل ويعوّل عليه في تمييز بعض الوقائع الأسلوبية داخل النصّ، ولذلك يقترح ما يسميه "القارئ العمدة" وهو ليس قارئاً معيّناً، بل مجموع الاستجابات للنصّ التي يحصل عليها المحلل من عدد من القراء، ويقرّر "ريفاتير" أنّ استجابة القارئ العمدة لا تعني الباحث الأسلوبى كاستجابات قيمية، بل إنّ أحكامه بالاستحسان أو عدمه يجب إسقاطها من الحساب، وإنّما تنحصر فائدته في تعيين الوقائع الأسلوبية لا تفسيرها، ويبقى التفسير مهمّة الباحث الأسلوبى نفسه، ونجاحه في هذا التفسير موقوف على إدراكه للبنية الأساسية للنصّ³.

¹ ينظر: نورالدين السّد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج:1، ص: 87.

² ينظر: المرجع نفسه، ص: 87/88.

³ لمرجع نفسه، ج:1، ص: 98، نقلا عن: شكري عياد، اتجاهات البحث الأسلوبى، ص: 16.

إنّ الانجاز الذي تقدّمه الأسلوبية البنيوية على المستوى النظري هو الانطلاق من دراسة الظاهرة الأدبية ووقائعها الأسلوبية في النص ذاته، فهي ترى أنّ الأدب مهما تميّز فهو يصدر عن رؤية يجمع شتاتها العناصر المكوّنة للنص والتي تشكّل اللغة محورها الأساس¹.

2-3-4- الأسلوبية الاحصائية:

البعد الإحصائي في دراسة الأسلوب هو من المعايير الموضوعية الأساسية التي يمكن باستخدامها تشخيص الأساليب، وتمييز الفروق بينها، ويكاد ينفرد من بين المعايير الموضوعية بقابليته لأنّ يستخدم في قياس الخصائص الأسلوبية².

إنّ الإحصاء الرياضي في التحليل الأسلوبي هو محاولة موضوعية مادية في وصف الأسلوب، وغالبا ما يقوم تحليل الأسلوب فيها على أساس محدّد، مثل قول "فوكس Fucks":

"نقيم الأسلوب كما يأتي في نطاق المجال الرياضي بتحديد من خلال مجموع المعطيات التي يمكن حصرها كمياً في التركيب الشكلي للنص"³، وحينما يتمّ تحديد الأسلوب بأنّه تردد الوحدات اللغوية التي يمكن إدراكها شكلياً في النص، فهذا يعني أنّه يمكن إحصاء هذه الوحدات اللغوية وإخضاعها للعمليات الرياضية، إنّ النسبة بين عدد ورود الكلمة في نص ما والمجموع الكلي يمكن تمثيلها عددياً، وهذا يسهّل مقارنتها بالنصوص الأخرى⁴.

¹ .نورالدين السّد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج: 1، ص: 92.

² ينظر: سعد مصلوح، الأسلوب (دراسة لغوية احصائية)، ص: 51.

³ .نورالدين السّد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج: 1، ص: 103.

⁴ ينظر: المرجع نفسه، ج: 1، ص: 103.

يقول "محمد الهادي الطرابلسي" في معرض حديثه في سبيل الموضوعية في الدراسة الأسلوبية، أنّ الإحصاء شرط هام يستعان به في هذا المجال "وقوام الإحصاء التجريد الكامل لمختلف استعمالات الظاهرة اللغوية في النصّ المدروس، فتبويبها فتصنيفها حسب أولويات المفعول إعداداً لاستنطاقها، ولا يحتاج أمر الإحصاء إلى مزيد تحليل رغم تنوّع مظاهره وتعدد شروطه... ولقد غدا الإحصاء طريقة في العمل لا يستغني عنها أيّ علم، وبعضها لا يكاد يعتمد سواها"¹.

وقد تبني الباحث "سعد مصلوح" في كتابيه "الأسلوب" و"في النصّ الأدبي" الأسلوبية الإحصائية في تحليله للنصوص الأدبية، فإثارت تراكيب أو مجازات أو استعارات معينة يمكن أن تكشف عن خواص أسلوبية عند هذا الأديب أو ذاك. ويضيف عن الأسلوبية الإحصائية "إنّ التّشخيص الأسلوبي الإحصائي، يمكن اللجوء إليه حين يراد الوصول إلى مؤشرات موضوعية في فحص لغة النصوص الأدبية، وتشخيص أساليب المنشئين، وهذه المؤشرات والمقاييس الموضوعية . في ظننا . وسيلة منهجية منضبطة يمكن بها استنفاد الدرس الأدبي من ضباب العموم والتهويم، وتخليصه من سلطان الأحكام الذاتية التي تفتقد السند والدليل، وتستعصي على التحليل، والتعليل ، وهذه الوسائل المنضبطة في الدرس العلمي ليست بديلاً للذوق، وإن كانت محاولة لعقلنة الذوق، كذلك فإنّ الفحص اللغوي الأسلوبي للنصّ ليس بديلاً "ألسنيّاً". إن صحّ التعبير. للنقد الأدبي، بل هو نوع من المقاربة المنهجية للغة الأدب، ذو نفع مزدوج لعلوم اللسان وعلوم النّقد، وهو في الوقت نفسه مدخل منهجي لا يمكن لنقاد الأدب الخُلص أن يشيخوا بوجوههم عنه، وإلّا فقدت دراساتهم جانب كبيراً من منهجيتها وموضوعيتها وجدواها"².

¹ محمد الهادي الطرابلسي، في منهجية الدراسة الأسلوبية، مجلة الجامعة التونسية، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، نوفمبر 1983، ص: 2016.

² سعد مصلوح، في التّشخيص الأسلوبي الإحصائي للاستعارة، تطبيق على أشعار البارودي، مجلة الفكر، تونس، نوفمبر 1984م، ص: 235/234.

مما جعل عديد من الباحثين العرب يتبنون هذا المنهج في دراساتهم، كدراسة "سيد البحراوي" لقصيدة أمل دنقل "مقابلة خاصة مع ابن نوح"، ودراسات محمد الهادي الطرابلسي، وسعد مصلوح، علي هنداي، صلاح فضل.

4-2- منهج التحليل الأسلوبي:

تنطلق الأسلوبية في مقاربتها للنص الأدبي من بنيته اللغوية، لهذا اعتمدت كمنهج علمي موضوعي على مستويات البحث اللغوي المعروفة، وهي¹:

- 1- **المستوى الصوتي:** ويرتكز على: الوقف . الوزن . النبر والمقطع . التنغيم والقافية، كما يمكن في هذا المستوى دراسة الإيقاع والعناصر التي تعمل على تشكيله والأثر الجمالي الذي يحدثه، كما يمكن دراسة تكرار الأصوات والدلالات الموحية التي تنتج عنه.
- 2- **المستوى التركيبي:** يدرس فيه: الجملة والفقرة والنص وما يتبع ذلك، من خلال الاهتمام ب: البنية العميقة والبنية السطحية، طول الجملة وقصرها، الفعل والفاعل، الإضافة، التقديم والتأخير، المبتدأ والخبر، التعريف والتكثير، الروابط، الزمن، العلاقة بين الصفة والموصوف، الصلة، العدد التذكير والتأنيث، الصيغ الفعلية.
- 3- **المستوى الدلالي:** ويدرس فيه: الكلمات المفاتيح، الكلمة والسياق، الاختيار، المصاحبات اللغوية، الصيغ الاشتقاقية.
- 4- **المستوى البلاغي:** ويدرس فيه: الإنشاء الطلبي وغير الطلبي، كدراسة أساليب الاستفهام، الأمر، النداء، القسم، والدعاء، والتعجب والنهي.... والمعاني البلاغية التي يخرج إليها كل نوع، الاستعارة وفعاليتها، المجاز العقلي والمرسل، البديع ودوره الموسيقي.

¹ ينظر: يوسف أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ص: 51-52.

كما وتختلف المستويات التي يشملها التحليل الأسلوبي في النصوص الشعرية عنها في النصوص السردية، وفي هذا الجانب صَنَّف "نور الدين السّد خطاطة تشمل مكونات الخطاب السردية التي تدخل في مجال التحليل الأسلوبي، وهذه المكونات: "الزمن (النظام الزمني)، الفضاء (الحيز المكاني) (النّصي) (الحيز الدلالي، الوصف (طبيعته ووظائفه)، الشخصية الحكائية (مصادرها، تحديدها)، الحوار (الداخلي، خارجي)، الرؤية السردية"¹

كما تتحدد العناصر التي يتعامل معها التحليل الأسلوبي على النحو التالي:²

- 1- **العنصر اللغوي:** الذي يعالج نصوصاً قامت اللغة بوضع شفيرتها.
- 2- **العنصر النفعي:** ويتمحّض عنه إدخال المقولات غير اللغوية كمؤلف والقارئ والموقف التاريخي وهدف الرسالة.

- 3- **العنصر الجمالي الأدبي:** ويكشف عن تأثير النص على القارئ وعن التفسير والتّقويم الأدبيين له، وهو عنصر مهم.

إلى جانب المستويات والعناصر شغلت ظاهرة " الانزياح " الأسلوبين، حيث اتجه فريق منهم إلى تمييز اتجاه آخر في الأسلوبية أطلقوا عليه اسم الأسلوبية "الانزياح"، وقد صَنَّفوا الانزياحات إلى³:

- أ- انزياح في التركيب، العلاقة بين العلامات.
 - ب- انزياح في التّداول، العلاقة بين العلامة والمرسل والمتلقي.
 - ج- انزياح في الدلالة، العلاقة بين العلامة والواقع.
- وبذلك تبقى هذه القضايا مجالا حيويًا يؤكد نجاعة المنهج الأسلوبي، ونجاعة أدواته الإجرائية.

¹ . نور الدين السّد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج: 2، ص: 182.

² ينظر: يوسف أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ص: 69.

³ ينظر: يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص: 208.

3- التعريف العام لسورة آل عمران:

3-1- سبب التسمية:

هذه السورة الثالثة من سور القرآن الكريم في ترتيب المصحف، تبلغ عدد آياتها مائتي آية، وعدد كلماتها ثلاثة آلاف وأربعمائة وثمانون، وعدد حروفها أربعة عشر ألفاً وخمسمائة وخمسة وعشرون حرفاً وهي مدنية بإجماع القراء، معروفة بسورة "آل عمران"، وقد جاء ذكر عمران في هذه السورة مرتين في آيتين متتاليتين¹، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ، ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ، إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَدَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 34/35].

واختلف في عمران المذكور هنا ف قيل: أبو موسى وهارون قاله مقاتل، وقيل: أبو مريم قاله الحسن، ووهب، والظاهر الثاني بدليل القصة الآتية في عيسى ومريم، وبين العمرانيين من الزمن ألف وثمانمائة سنة².

ونحن إذا تتبعنا أسماء السور في القرآن الكريم نجدها تشير إلى أهم وأغرب ما اشتملت عليه السورة من أولها إلى آخرها نجد أن أغرب ما فيها، وما عنت بتفصيله السورة هو قصة عيسى وأمه، وما تجلى فيها من مظاهر القدرة الإلهية بولادة مريم وابنها عيسى عليه السلام، ولا نجد غريباً أو هاماً يتعلق بخصوص موسى وهارون، وهذا يؤيد ما ذكرناه من أن عمران هو والد مريم لا أبو موسى وهارون³.

¹ محمد الناصر لدين الله بن محمد الزمزمي الكتاني الحسني، قبسات في علوم القرآن الكريم وشرح المختار من أي الذكر الحكيم، اعتنى بجمعه وطبعه أسامة الناصر الشريف الكتاني، مراجعة وتقديم على أبو العلي، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، دط، دت، ص: 85.

² ينظر: فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، دت، ج: 8، ص: 21، ابن الجوزي، زاد الميسر في علم التفسير، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2002، ج1، ص: 375، والخازن، تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل، ضبطه وصححه: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2004، ج: 1، ص: 239.

³ منيرة محمد ناصر الدوسري، رسائل جامعية (أسماء سور القرآن وفضائلها)، تقديم: فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط: 01، 1426م، ص: 169.

قال الألوسي: "ويرجح كون المراد به أبا مريم، أن الله تعالى ذكر اصطفاها بعد، ونص عليه، وأنه قال سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 35] والظاهر أن شرح لكيفية الاصطفاء المشار إليه.

أما تركيب الاسم "آل عمران" فهو مشتق من كلمتين (آل) و(عمران)، والمقصود "بآل" مقلوب من الأهل ويصغر على الأهل، إلا أنه خص بالإضافة إلى الإعلام كقولنا آل غزة يعني أهل غزة وآل البيت يعني أهل البيت، فأصل آل أهل، فأبدلت الهاء همزة ثم ألفاً يدل عليه تصغيره، ويختص بالأشهر الأشرف، كقولهم: القراء آل الله وآل محمد صلى الله عليه وسلم ولا يقال: آل الخياط والإسكاف، ولكن أهل¹.

أما كلمة عمران فهي كلمة مشتقة من كلمة عمر، عَمَرَهُ عَبْدُهُ وإنه لَعَامِرٌ لِرَبِّهِ أي عابدٌ، وتركته يُعَمِّرُهُ أي يعبدّه يصلي ويصوم، يقال رجل عَمَّارٌ إذا كان كثير الصلاة كثير الصيام، ورجل عَمَّار وهو الرجل القوي الإيمان ثابت في أمره الثَّخِينُ الْوَرَعِ مأخوذ من العَمِير وهو الثوب الصفيق النسج القوي الغزل الصبور على العمل².

وقد ذكر العلماء أسماء أخرى لهذه السورة منها:

- أُنْمَا تسمى بسورة الزهراء، وهي تشترك بهذا الاسم مع سورة "البقرة"، لأنها كشفت عما التبس على أهل الكتاب من شأن عيسى . عليه السلام.
- وتسمى بسورة الأمان: لأن من تمسك بها أمن الغلط من شأنه.
- وتسمى بسورة الكنز: لتضمنها الأسرار التي تتعلق بعيسى . عليه السلام
- وتسمى بسورة المجادلة، لنزول أكثر من ثمانين آية منها في شأن مجادلة الرسول صلى الله عليه وسلم لوفد نصارى نجران.
- وتسمى بسورة طيبة، لجمعها الكثير من أصناف الطيبين في قوله تعالى ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾³. [سورة آل عمران، الآية: 17].

¹ . الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ضبطه وصحّحه: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، دط، (1425هـ/2004م)، ص: 98.

² . ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج: 04، ص: 601.

³ . محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم . تفسير سورة آل عمران، دار المعارف، القاهرة، دط، دت، ج: 02، ص: 5.

- وتسمى بسورة الاستغفار: لما فيها من قوله: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾¹. [سورة آل عمران، الآية: 17].

- وتسمى بسورة المعينة، فقد ذكرها الألوسي بهذا اللفظ، وذكرها أبو حيان بلفظ (المعينة)، ولم يوردا سبب تسمية بها².

وهذه الأسماء التي ذكرها المفسرون لم ترد فيها أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن صحابته، إنما هي أوصاف وصفت بها السورة، ولعلمهم اقتبسوها من القرطبي فيما ساقه من أوصاف السورة في المسألة الثالثة قال: "هذه السورة ورد في فضلها آثار وأخبار، فمن ذلك ما جاء أنها أمان من الحيات، وكنز للصعلوك، وأنها تحتاج عن قارئها في الآخرة، ويكتب لمن قرأ آخرها في ليلة كقيام ليلة، إلى غير ذلك"³.

2-3- سبب النزول:

لقد عدَّ العلماء سورة آل عمران هيَّ السورة الثامنة والأربعين في عداد نزول سور القرآن، وتذكر الروايات أنَّ أول سورة نزلت في الحوار مع وفد نصارى نجران اليمن، فجعلوا لهذه المناسبة سببا أساسيا لنزولها كأمثال "الطبري"، و"البغوي"، و"الرازي"، وابن أبي حاتم"⁴.

¹ محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم . تفسير سورة آل عمران، ص:5.

² ينظر: منيرة محمد ناصر الدوسري، رسائل جامعية (أسماء سور القرآن وفضائلها)، ص:172.

³ المرجع نفسه، ص: 172 / 173. ينظر: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع الأحكام القرآن والمبين لما تضمنته من السُّنة وآي الفرقان، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط:1، (1424هـ / 2006م)، ج: 5، ص:7.

⁴ . ينظر: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح وضبط: بشار عواد معروف وعصام فارس الحريستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1415هـ-1994م، ج:06، ص: 154/150، البغوي، تفسير البغوي "معالم التنزيل"، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، دط، 1409هـ، ج:02، ص: 05، فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب التفسير الكبير، ج:02، ص 127/128، ابن أبي حاتم الرازي، تفسير القرآن العظيم مستنداً عن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، تح: أحمد بن عبد الله العمري الزهراني وحكمت بن بشير بن ياسين، دار ابن الجوزي، للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 1439هـ ج:02، ص:585.

حيث روى ابن أبي حاتم: عن الربيع بن أنس قال: " (...) إِنَّ النَّصَارَى أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَاصَمُوهُ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَقَالُوا لَهُ: مَنْ أَبُوهُ؟ وَقَالُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَالْبُهْتَانَ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا يَكُونُ وَلَدٌ إِلَّا وَهُوَ يَشْبَهُ أَبَاهُ؟" قَالُوا: بَلَى، قَالَ: "أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَبَّنَا حَيٌّ لَا يَمُوتُ وَأَنَّ عِيسَى يَأْتِي عَلَيْهِ الْفَنَاءُ؟" قَالُوا: بَلَى، قَالَ: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَبَّنَا قِيمٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ يَكْلُوهُ وَيَحْفَظُهُ وَيَرْزُقُهُ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَهَلْ يَمْلِكُ عِيسَى مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: "أَفَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ" قَالُوا: بَلَى: "فَهَلْ يَعْلَمُ عِيسَى مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا إِلَّا مَا عِلْمُ؟" قَالُوا: لَا، قَالَ: "فَإِنَّ رَبَّنَا صَوَّرَ عِيسَى فِي الرَّحِمِ كَيْفَ يَشَاءُ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَبَّنَا لَا يَأْكُلُ الطَّعَامَ، وَلَا يَشْرَبُ الشَّرَابَ وَلَا يَحْدُثُ الْحَدَثُ؟" قَالُوا: بَلَى قَالَ: "أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ عِيسَى حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَمَا تَحْمِلُ الْمَرْأَةُ، ثُمَّ وَضَعَتْهُ كَمَا تَضَعُ الْمَرْأَةُ وَلَدَهَا، ثُمَّ غُذِيَ كَمَا يَغْذَى الصَّبِيُّ ثُمَّ كَانَ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَشْرَبُ الشَّرَابَ وَيَحْدُثُ الْحَدَثُ؟" قَالُوا: بَلَى، قَالَ: "فَكَيْفَ يَكُونُ هَذَا كَمَا زَعَمْتُمْ؟ فَعَرَفُوا، ثُمَّ أَبَوْا إِلَى جُحُودًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: "الْم، اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ"¹.

3-3 فضائل السورة:

لقد وردت جملة من الأحاديث النبوية الشريفة تروي فضائل قراءة سورة

"آل عمران" بسند صحيح، منها:

ما رواه الإمام مسلم عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان* أو

¹. ينظر: ابن أبي حاتم الرازي، تفسير القرآن العظيم مسنداً عن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، ج: 02، ص: 585، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 05، ص: 174.

*. الغمامة بالفتح السحابة، والجمع غمام غمام، وإنما سمي غماماً لأنه يغمُ السماء أي يسترها، ينظر: ابن المنظور، لسان العرب، ج: 12، ص: 441.

غيايتان* أو كائنهما فرقان من طير صوف تحاجان** عن أصحابها اقرؤوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة "قال معاوية: بلغني أن البطلة: السحرة"¹.

وعن بن النواس بن سمعان الكلابي رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "يؤتي بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران، وضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد، قال: كائنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق***، أو كائنهما حزقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما"².

وأخرج الإمام البخاري عن ابن عباس في حديثه قال: "بت في بيت رسول الله فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان نصف الليل أو قبله بقليل أو بعده استيقظ رسول الله فقرأ الآيات من آخر سورة آل عمران"³.

* الغياية كل شيء أظّل الإنسان فوق رأسه السحابة والغبرة والظّل ونحوه، ينظر: المرجع نفسه، ج: 15، ص: 143.
** وقوله تحاجان، أي يخلق الله من يجادل عنه بثوابهما الملائكة، كما جاء في بعض الحديث أن "من قرأ ﴿شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: 18] آية خلق الله سبعين ملكا يستغفرون له إلى يوم القيامة". ينظر: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، ج: 5 ص: 9.

¹. أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1991، ج: 1، ص: 553.

***. وقوله بينهما شرق، قيد بسكون الراء وفتحها، وهو تنبيه عن الضياء، لأنه لما قال: "سوداوان" قد يتوهم أنهما مظلمتان، فنفي بذلك بقوله: "بينهما شرق" يعني بكونهما سوداوان، أي: من كثافتهما التي بسببها حالتا بين من تحتها وبين حرارة الشمس وشدة اللهب، والله أعلم. ينظر: المرجع نفسه، ج: 5، ص: 9.

². المرجع نفسه، ج: 1، ص: 554.

³. أبي عبد الله محمد بن اسماعيل ابن ابراهيم الجعفي البخاري، صحيح البخاري، كتاب تفسير سورة آل عمران، دار البشري للطباعة والنشر، د.د.ر، دط، 1437هـ-2016م، ص 4568.

وتروى بسند ضعيف:

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ سورة آل عمران أعطي بكل آية منها أماناً على جسر جهنم"¹.
- قال صلى الله عليه وسلم "من قرأ سورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وسلم، وملائكته حتى تجب الشمس"².
- قال صلى الله عليه وسلم "من قرأ آخر آل عمران في ليلة، كتب له قيام ليلة"³.
- قال صلى الله عليه وسلم "ما خيب الله عبداً قام في جوف الليل، فافتتح سورة البقرة وآل عمران، ونعم الكنز المرء البقرة وآل عمران"⁴.

¹ . مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، دط، 2008، ج: 01، ص: 168.

² . أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الأوسط، تح: طارق بن عوض الدين محمد، أبو الفضل عبد المحسن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، دط، (1038هـ/ 2293هـ)، ج: 02، ص: 191، رقم 6157، ووضع الألباني في (صحيح وضعيف الجامع الصغير زياداته)، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ص: 1254، رقم (12532).

³ . الإمام عبد الله بن عبد الرحمن الدرامي، سنن الدرامي، تح: حسين سليم، دار الكتاب العربي، بيروت، دط، دت، ج: 4، ص: 2139. (قال عنه المحقق أنه ضعيف).

⁴ . الطبراني، المعجم الأوسط، ج: 02، ص: 214. رقم (1772)، قال الألباني: ضعيف، ينظر: (صحيح وضعيف الجامع الصغير) الألباني، ج: 12، ص: 224، رقم (5601).

الفصل الأول:

المستوى الصوتي في سورة

آل عمران

1- أهمية الدراسة الصوتية في القرآن الكريم

2- الأصوات المشككة في سورة آل عمران

3- المقاطع الإيقاعية في سورة آل عمران

4- الفاصلة القرآنية

تُعتبر الدراسة الصوتية الركيزة الأساسية لأي لغة، إذ تعتمد أبنية اللغات وتراكيبها بشكل رئيسي على التشكيلات الصوتية. وبما أن الأصوات تشكّل العمود الفقري للغة، كان من الضروري أن تكون جزءاً لا يتجزأ من صيغتها وبنيتها التركيبية. وبالتالي، فإن أي دراسة تهمل الجانب الصوتي كعنصر جوهري تُعد ناقصة وغير فعّالة.

1- أهمية الدراسة الصوتية في القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو المنطلق الأساس للظاهرة الصوتية، وقد توجهت عنايتهم بدراسة الأصوات، ومعرفة خصائصها ومخارجها للوقوف على طبيعتها ووظيفتها، ويتفرع هذا الدرس إلى: علم الأصوات المجرد (Phonitcs) وعلم الأصوات الوظيفي (Phonology)، الأول يعنى بالجانب المادي من الكلام الإنساني، على حين يركز الثاني على ما يؤديه الصوت من وظيفة محدّدة في البنية اللغوية، ونمثل على ذلك فنقول إنّ (النّون) صوت يختلف عن (القاف) في (نام وقام) فلا يحل أحدهما محل الآخر، وإذا ما أردنا التفريق بين (إن شاء، وإن تاب) في فونيم (النّون) لاحظنا أنّ كلا منهما مختلف عن الآخر في نطقه لما يجاوره، ومن ثمّ لا يجوز وضع أحدهما محل الآخر، فكلتا هما صورتان لصوت واحد عُرف في الدرس الصوتي بـ (الفونيم) Phonème، وهذا الضرب هو ما سنعني به في التحليل الصوتي، ولا سيما ما يعرف منه بـ (القيم الصوتية) والتي تعرف بأنّها تلك الخصائص التي تميز بواسطتها الأصوات، ويتعلق بها نوع من المعاني الطبيعية، التي لا توصف آثارها بأنّها عرفية ولا ذهنيّة لأنّها في الواقع مؤثرات سمعية انطباعية ذات وقع على الوجدان، تدركها المعرفة، ولا تحيط بها الصفة.

ويأتي أهمية الصوت وفاعليته في القرآن لما يكتسيه من جمالية وقعها في السمع (الجمال الصوتي)، واتساقها الكامل مع المعنى (التناسق الفني)، واتساع دلالتها لما تتسع له دلالات المفردات الأخرى¹، وهذا هو الفن كلّ الفن في الأسلوب، يرجع إلى الذوق الموسيقي في

¹. ينظر: أمين بكري شيخ، التعبير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1973م، ص: 180/179.

حروف اللغة وأجراسها، كأداة فنية في التعبير. يقيم عليها القرآن مفاهيمه عن الله والإنسان ارتباطاً جعلها من أهم الأدوات ذات تأثير المباشر في نفس الجاهلي ووجدانه¹، يقول "الرافعي" في هذا الصدد: "فلما قُرئَ عليهم القرآن رأوا حروفه في كلماته، وكلماته في جملة، ألحانا لغوية رائعة، كأنّها لا تتلافها وتناسبها قطعة واحدة"²، "لو سقط واحد منها أو أبدل بغيره، أو أقحم معه حرف آخر، لكان ذلك خلافاً بينا في نسق الوزن، وجرس النغمة وفي حس السمع وذوق اللسان وفي انسجام العبارة، وبراعة المخرج، وتساند الحروف وإفضاء بعضها إلى بعض، كالذي تنكره من كل مرئي لم تقع أجزاءه على ترتيبها، ولم تتفق على طبقاتها، وخروج بعضها طويلاً وبعضها عرضاً، وذلك ما بقي منها إلى جهات متنافرة"³.

وعن اختيار النص القرآني للكلمات، وانتقاؤه للألفاظ قد جرى مجرى عجيبي في هذا الإطار، إذ نجد في اختيار حروف الكلمة نوعاً من الإعجاز يغلف هذا الاختيار، فنجد الكلمة صافية الأصوات، جميلة الوقع في السمع، طيبة المجرى على اللسان، معتدلة التأليف، نازلة على أحسن يكون من هيئة إيقاع موحية بكل ما تريد من دلالات ومقاصد وأغراض من جرس ألفاظها، فطريقة النظم التي اتسقت بها ألفاظ القرآن، وتألفت لها حروف هذه الألفاظ، إنّما هي طريقة يتوخى بها إلى أنواع من المنطلق وصفات من اللهجة لم تكن على هذا الوجه من كلام العرب، ولكنها ظهرت فيه أول شيء على لسان النبي صلى الله عليه وسلم، فجعلت المسامع لا تنبوع على شيء من القرآن، ولا تلوي من دونه حجاب القلب، حتّى لم يكن لمن يسمعه بد من الاسترسال إليه والتّوفر على الإصغاء، لا يستمّله أمر من دونه وإن كان أمر العادة، ولا يستأنسه الشيطان وإن كانت طاعته عندهم عبادة، فإنّه إنّما يسمع ضرباً خالصاً من الموسيقى اللغوية في انسجامه واطراد نسقه واتزانه على أجزاء النفس مقطعا ولا تتلوه تلاوة، فلكل صوت فاعلية جمالية والمعنوية التي تؤثر في النشاط

¹ ينظر: كاصد ياسر الزبيدي، الجرس والإيقاع في تعبير القرآن، مجلة آداب الرافدين ع9، 1978، ص: 330.

² مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط8، 2005، ص: 176.

³ المرجع نفسه، ص: 179.

الإيقاعي والانبعاث الموسيقي تتحدد بأشياء كثيرة منها النغمة المميزة لكل صوت من الأصوات، وغني الصوت بالنغمات الثانوية¹.

ومن هذه قضية الرمزية الصوتية، سيرتكز انطلاقنا باستنطاق طاقة الدلالية والتعبيرية لسورة آل عمران للثنائيات المتقابلة بين الأصوات وتعدد صوائت وتنوعها للولوج في عمق التنظيمات الإيقاعية المكونة للنص بالإعتماد على المنهج الإحصائي لما فيه من التحديد الكمي القائم على مبدأ المؤالفة والمخالفة المولدة لقيم الخلافية تبرز الاختلاف الدلالي والمعنوي للأصوات المستساغة، "فدراسة أصوات الكلام لا تقتصر على ملاحظة المخارج والصفات وتسجيلها فحسب فهي مقدمة لدراسة اللغة ولكنها ليست من صلب دراسة اللغة أو بعبارة أخرى هي دراسة للكلام وليست دراسة للغة، ذلك بأن هذه الملاحظات والتسجيلات لا تتصل باللغة إلا حين يتم تنظيمها والربط بينها في نظام صوتي كامل تعرف فيه علامات المخارج وعلاقات الصفات ايجاباً وسلباً وتعرف الظواهر الموقعية التي يتطلبها رصد هذه الأصوات المدروسة في السياق"².

2- الأصوات المشكلة في سورة آل عمران:

في هذه الدراسة سنحصى عدد الأصوات المجهورة والمهموسة، والأصوات الانفجارية والاحتكاكية لتوضيح ماهية الصفة الأكثر وروداً وعلاقتها بالمعنى العام لسورة آل عمران، وهي كالآتي:

¹. ينظر: شكري عياد، موسيقى الشعر العربي، دار المعرفة، القاهرة، ط: 02، 1978م، ص: 113.

². تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، دط، 1994م، ص33.

• الأصوات المجهورة والمهموسة:

عدد تواتره	الصوت المهموس	عدد تواتره	الصوت المجهور
556	ت	705	أ
51	ث	575	ب
171	ح	92	ج
104	خ	240	د
224	س	222	ذ
86	ش	488	ر
83	ص	68	ز
35	ظ	66	ض
388	ف	50	ط
267	ق	368	ع
484	ك	73	غ
745	هـ	1705	ل
		1244	م
		1250	ن
		633	و
		450	ي

• الأصوات الانفجارية والاحتكاكية:

الأصوات الانفجارية	عدد تواتره	الأصوات الاحتكاكية	عدد تواتره
(الهمزة)	705	ث	51
ب	575	ذ	222
ت	556	ح	171
ج	92	خ	104
د	240	ز	68
ط	50	س	224
ق	267	ش	86
ك	484	ص	83
ض	66	ط	50
		ع	368
		غ	73
		ف	388
		هـ	745

• الأصوات المركبة:

الأصوات المركبة	الحرف	عدد تواتره
	ج	92

فهذه التشكيلات الصوتية التي حوت عليها سورة آل عمران، قد أظهرت طبيعة

النظام الصوتي الحاوي لها، والمتمثل فيما يلي:

1. احتواء السورة الكريمة على مقدار التنوع في الأصوات بشكل ثنائي: إضافة إلى تنوع صوائتها الذي كان استجابة لتنوع ايقاعي وتلون موسيقي في السورة خلقه تداخل الحروف وتلاحقها وتتابعها قائمة بذلك على مبدأ المخالفة الذي خلق بدوره انسجاماً وتناسقاً بينها انعكس على النغمة الموسيقية للكلمة في السورة.

2. تفاوت النسب بين ملمعي الجهر والهمس حسب الأغراض:

أ- بلغت عدد مكونات الصوتية في سورة آل عمران 11 324 صوتاً، وكان الصوت الأكثر تكرار صوت اللام حيث تكرر 1705 مرة، وأقل الأصوات تكراراً كان صوتي (الثاء والظاء) حيث تكرر الأول 51 مرة، والثاني 35 مرة.

ب- غلبت الأصوات المجهورة على الأصوات المهموسة، حيث بلغت الأصوات المجهورة عددها 8 229 صوتاً فحين بلغت الأصوات المهموسة 3194 صوتاً، ويعود ذلك إلى طبيعة الموضوع العام للسورة التي تحدثت عن مجادلة النصارى ونقض عقائدهم الباطلة وإبطال مذاهبهم ونفي الشبهات عن صحة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وقصة مولد عليه الصلاة والسلام وكشفت الصراع القائم الأصيل بين أهل الإيمان وأهل الكفر، ودعوة المؤمنين للتقوى والخشوع في تدبر ملكوت الله سبحانه وتعالى، وهذه الأفكار تحتاج إلى أصوات فيها قوة وصلابة ووضوح سمعي عالٍ، وقدرة على التأثير في المتلقي، وهذه الصفات موجودة في الأصوات المجهورة أكثر من الأصوات المهموسة التي تحمل معنى الخفاء والضعف.

ج- أكثر الأصوات المجهورة تكراراً (ل، ن، م، و، ي) على التوالي، واحتلت المراكز المتقدمة على مستوى أصوات السورة، وهي جزء من الأصوات المانعة، ذات الوضوح السمعي، بينما كانت (ض، ظ، ع) من أقل الأصوات المجهورة تكراراً وهذه الأصوات لا تتناسب وطبيعة الموضوع فصوت (ض، ظ) من الأصوات التي تتسم بصعوبة النطق والصلابة وتحمل ملمح التفخيم، أما صوت (غ) فهو يوحى بالغموض والخفاء وهذا لا يتناسب مع موضوع السورة الذي يهدف إلى جذب والانتباه والإقناع.

د- كانت الأصوات المهموسة أقل الأصوات تكرارا مقارنة بالأصوات المجهورة، ومن أكثر الأصوات المهموسة تكرارا في سورة آل عمران (هـ، ت، ك) فصوت الهاء يدل على الاضطراب والانفعال النفسي، ويحمل معنى الخوف، والضعف والرقّة وصوت (ت) يدل على الليونة والضعف والرقّة، ومنه تستوحي منه معاني المشقة والعذاب، وصوت (ك) يدل على الخشونة والحرارة والقوة والفعالية، وأقل الأصوات ورودا في سورة آل عمران (ش، ط، ث) فصوت (ش) يوحى بالبعثرة والجفاف والانتشار، وصوت (ط) من الأصوات الصعبة في النطق، وتحمل معنى القوة والصلابة والفخامة، وصوت (ث) يحتاج إلى جهد عضلي كبير عند نطقه، فهو قليل في الجذور العربية، وهذه الأصوات لا تتناسب مع طبيعة السورة ودلالاتها.

3. تفاوت النسب بين ملمحي الانفجاري والاحتكاكي حسب الأغراض:

أ- كانت الأصوات الاحتكاكية أكثر ورودا في سورة آل عمران من الأصوات الانفجارية، بلغت الأصوات الاحتكاكية 2 633 صوتا، بينما بلغت الأصوات الانفجارية 3 035 صوتا، وهذا جاء متناسبة مع طبيعة سورة آل عمران وأفكارها، فهي تحتاج إلى أصوات ذات قوة ومتانة في النطق لإيصال المعنى المقصود.

ب- كانت أكثر الصوامت الاحتكاكية تكرارا (هـ، ف، ع) فصوت الهاء يدل على الاضطراب والانفعال النفسي، ويدل على خفوت في الصوت، ويدل على ضعف والرقّة، والفاء يوحى بالبعثرة والتشتت والانتشار، والعين يحمل معنى القوة والصفاء والفخامة والسمو والفعالية، وأقل الأصوات الاحتكاكية كان صوتي (ض، ط).

ج- كانت أكثر الأصوات الانفجارية تكرارا (الهمزة والباء والتاء) فالهمزة تتسم بالظهور والبروز، والتاء توحى بالتماسك والطراوة والليونة، والباء تدل على الصلابة والظهور والعلو والامتلاء، وهذا كله يتناسب مع موضوع السورة، بينما كانت أقل الأصوات الانفجارية تكرار (ض، ط).

4. أما أنصاف الحركات فكانت من أكثر الأصوات تكرارا على مستوى سورة آل عمران وأفكارها، فقد تكررت (الواو) 633 مرة واحتلت المرتبة الرابعة على مستوى السورة، وتكرر صوت (الياء) 450 مرة واحتلت المرتبة الخامسة، لجانبها الموسيقي ووضوح السمع العالي، "إذ أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفس وأن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنوع الصوت بما يخرج فيه مدأ أو غنه أو ليناً أو شدة"¹.

5. مقابلة ثنائية الأضداد بين الأصوات المجهورة والمهموسة، وبين الانفجارية والاحتكاكية مما أحدث اختلافا دلاليا ومعنويا قام على الجانب المحسوس للحدث اللغوي والخلفية الدلالية للجانب التجريدي المحض في النص اللغوي كشف بدوره على نفسه كملح أسلوبى للمحلل اللغوي.

6. تكرار صوت (الجيم) المركب 92 مرة، ويعود ذلك إلى طبيعة صوت الجيم الصلبة الضخمة، وصعوبة نطقه.

2-1- نسق الأصوات وانسجامها:

يعد النسق الصوتي من الأسس المهمة في بناء النمط الصوتي، حيث تشكل عنصرا مهما في شبكة العلاقات اللغوية، وتتجلى أهميتها من أنها تشكل مجموعة من العناصر المتفاعلة والمتراطة فيما بينها ترابطا قائما على التمايز في إطار من التنوع والاختلاف والتماثل والتقابل والتجانس وفق قواعد ومبادئ ومعايير محددة.

كما أن للنسق دور في إظهار القيمة الدلالية الوظيفية للألفاظ، من حيث ارتباطها بالدلالات الوظيفية في إطار منظومة النص، ومن خلال الاستجابة التي يجدها المتلقي قارئاً أو مستمعا.

لقد اهتم الفكر الانساني منذ البداية بدراسة علاقة الصوت بالمعنى، ولم يتوصل العلماء قديما وحديثا إلى نتائج بيّنة تربط بين الصوت والدلالة لكونه يرتبط بالجوانب

¹. مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 215-216.

اللغوية أكثر تعقيدا وإشكالا كنشأة اللغة والدراسات النفسية والاجتماعية والأنثروبولوجية¹، فمناسبة حروف العربية ومعانيها تلقتها طائفة بالدراسة والقبول والاعتراف بصحتها كأمثال سيبويه، والخليل، وأبي علي الفارسي، وابن جني، ويعدُّ الأخير رائدهم مجالا وأثقفهم علما وأرسخهم وأوسعهم مقاما، فقد عرفوا آنذاك أنَّ لكل حرف صفة ومخرجا مثلما لمحا له قيمته التعبيرية الموحية، إذ لم يَعْنِهِمْ من كل حرف أنَّه صوت، وإنَّما عناهم من صوت هذا الحرف أنَّه معبر عن غرض، وأنَّ الكلمة العربية مركبة من هذه المادة الصوتية التي يمكن جل أجزائها إلى مجموعة من الأحرف الدوال المعبرة، فكل حرف منها يستقل ببيان معنى خاص ما دام يستقل بإحداث صوت معين، وكل حرف له ظلٌّ وإشعاع، إذ كان لكل حرف صدى وإيقاع².

فقد توصل هؤلاء إلى معنى اللفظة مستفاض عن صورتها الحقيقية، وأنَّ الأصوات العربية تستند إلى بعض الإيحاءات اللمسية والبصرية والصوتية والإيحاءات بالمشاعر الإنسانية كما هو ملاحظ عند (ابن جني، وأحمد فارس الشدياق، وعبد الحق الفاضل، والعلالي والأرسوزي)³ وكان الحدس والأثر موجهان لهذه الآراء التي لم تسلم من الانتقادات والتعارض أحيانا عند الباحثين، فمثلا "ابن جني" لجأ إلى استخلاص معاني حروف العربية من معاني الألفاظ ولقد استهدى في ذلك بقاعدته الذكية باب "تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني" أي تقارب الأصوات لتقارب معانيها، ومن الأمثلة التي ساقها وحللها (قضم، خضم)، (صعد، سعد)، (سدَّ، صدَّ)، (قسم، قصم)، يقول في "قضم، خضم": "ألا تراهم قالوا قضم في اليابس وخضم في الرطب وذلك لقوة القاف وضعف الخاء، فجعلوا الحرف الأقوى للفعل الأقوى، والصوت الأضعف للفعل الأضعف"⁴، فالقاف شديد (انفجاري)

¹ ينظر: محمود سمران، علم اللغة (مقدمة القارئ العربي)، دار النهضة العربية، بيروت، دط، دت، ص: 261.

² ينظر: صبيح الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط: 03، 2009م، ص: 142.

³ ينظر: حسن عباس، فطرية العربية على موائد علمائها، مجلة (المعرفة السورية)، مج: 36، ع: 407، 1997، ص: 29.

⁴ أبي الفتح عثمان ابن جني (ت392هـ)، الخصائص، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م، ط: 01، ج: 01، ص: 509.

والخاء رخو (احتكاكي)، فالشدّة والرخاوة هما اللتان أكسبتا قيمة تعبيرية للحرف عند "ابن جني" وكان العربي قد أدرك ذلك بحسه اللغوي فوظف هذه القيم التعبيرية في محاكاة أصوات الأحداث والمعاني التي تعبر عنها، واختار الحرف الأقوى (فيزيولوجيا) ليدل على حدث أقوى أو العكس.

كما استهدى بقاعدته الأذكي (سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود و الغرض المراد)¹ تفتن فيها أن الحروف ترتب في اللفظ ترتيباً يساوي الحدث الذي يعبر عنها فيقدم الحرف الأول الذي يضاهي أول الحدث ويضع في وسطها ما يضاهي وسطه، ويؤخره ما يضاهي نهايته، ويوضح بتحليل الفرق بين (قط) طولاً، و(قد) عرضاً بقوله: "أنّ الطاء أخصر للصوت وأسرع قطعاً له من الدال، فجعلوا الطاء المناجزة (أي ذات المخرج الصوتي القريب من مخرج القاف) للقطع عرضاً، أما الدال المماثلة (أي ذات المخرج الصوتي البعيد عن مخرج القاف) فقد جعلوها لما طال من الأثر، وهو قطعة طولاً"²، إلا أنّه لم ينبج بهاتين القاعدتين المستحدثتين من التّعارض في معرض كشف عن خاصية المميّزة لحرف الخاء، فمثلاً يقول: القاف فيها صلابة والخاء رخاوة. ثم يعود ويقول: الحاء فيها رقة والخاء فيها غلظة فليل للماء نضح بمعنى رشح ونضح للماء الغزير اشتد فورته في ينبوعه³، فكيف تجمع خاصيتي الرخاوة والغلظة وهما متناقضتان في آن واحد؟!، ويقرر "العلايلي" في كتابه تهذيب المقدمة اللغوية في جدول معاني حروفه أنّ اللام الملاصقة والمساس وذلك بمعرض تحليله لمعنى لفظة الجبل⁴، ثم يعود فيقرر في جدول معاني حروفه أنّ اللام تدل على الانطباع بالشيء بعد تكلفه⁵ فحين اعتمد "الأرسوزي" قاعدة صدى الأصوات في

¹ . أبي الفتح عثمان ابن جني (ت392هـ)، الخصائص، ج: 02، ص: 163/162.

² المرجع نفسه، ج: 02، ص: 158.

³ ينظر: المرجع نفسه، ج: 01، ص: 55.

⁴ ينظر: أسعد أحمد العلايلي، تهذيب المقدمة اللغوية، دار السؤال للطباعة والنشر، دمشق، ط: 03، 1985، ص:

47.

⁵ ينظر: المرجع نفسه، ص: 64.

الوجدان لاستيحاء معاني الحروف مقتصرًا على تحديد خصائص أحد عشر حرفاً فقط من حروف العربية... إلخ.

ومع الزمن تحولت قوة القضية فصار الفعل البسيط فيها معقد فلم يعد الحرف على حد قول "عمران القيسي" ظاهرة هامشية بل هو إحدى أهم الظواهر الحضارية وقد رافق تطوره الجمالي تطور حضارة أمة بأكملها، ومثلما دخل الحرف ضمير الأمة الديني نراه يدخل مباشرة جمالية حياتها وذوقها فلقد أدى الحرف المخطوط بالكوفي وظائف جمالية زخرفية فذة ضمن أشكاله المورقة والمشجرة والظفرة والمربعة استطاع أن يخترع الفنان أشكالاً هندسية متنامية الأبعاد وبالغة الدقة".¹

ومن دلالة الحرف ومرونته وبعده الجمالي وربما من عناصر أخرى، ينطلق البعد الایحائي الرمزي للحروف فالمتصوفة المسلمين يعتقدون "أن للحروف قيمة رمزية يؤدي اكتشافها إلى استجلاء جملة من الحقائق الأخرى كالأمور المستقبلية أو حل الرموز المستعصية كحروف أوائل السور".²

إنَّ هذا الفضاء البصري والسمعي للحروف ساهم في تقوية تعبيرية الأصوات ورمزيتها فأدى الأمر إلى امتداد صداها في العصر الحديث، فشغلت نقادا متذوقين وشعراء كباراً أمثال "موريس كرامون" و"أندري سبيّر" و"هنري موري" وغيرهم ممن مالوا إلى إعطاء دلالات رمزية للأصوات والحروف، فـ "ميشيل كويتي" يَجْمَلُ هذا التُّزْوَعُ الرمزي في ثلاث نظريات.³ تؤكد بوجود علاقة تربط الحروف بمعاني كلماتها واضعة اعتبارية "دي سوسير" موضع التعريف الذي يفرض عدم الأخذ على إطلاقه.

¹ ينظر: عمران القيسي، حروف العربية من التصوف إلى التشكيل، مجلة الفكر العربي، ع: 15، يونيو 1980م، ص: 184 / 185.

² محمد العمري، تحليل الخطاب الشعري البنية الصوتية في الشعر، الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء . ط: 01، 1990م، ص: 215.

³ . ينظر: المرجع نفسه، ص: 223.

وربما كان لغياب الأدلة العلمية في تحديد بدايات الأصوات وكيفيةها، وقلة الدراسات الموثقة حول نشأتها التي لم توضع شروطاً ضرورية وكافية لحصرها وضبطها لافتقارها لمنهج علمية في الدراسة، وبحث مساهمة فعالة لفسح المجال أمام الدراسين إعطاء الأصوات دلالات رمزية فوق طاقتها مستنديين في ذلك على اجتهادات الشخصية وشروط الحدسية كان الافتراض والتخمين لدليل قوي على خروجها، غير أنّ هناك شرطاً ضرورياً نطمئن عليه ولكنه كما يقول "محمد مفتاح" غير كافٍ ألا وهو: "تراكم أصوات معينة أكثر من غيرها في البيت أو في المقطوعة أو في القصيدة"¹ على أن يكون لهذا التّراكم الصوتي مؤشرات مواكبة (صرفية ومعنوية وتداولية) وسياق ملائم خاص وعام.

فالتراكم الذي يكون كثافة ملحوظة يتحقق بتراكم نوع معين فوق المعيار الطبيعي لوجوده في الخطاب الأدبي أو تراكم لعدّة أنواع من التّوازن الصائتي والصامتي يرصف بعضها فوق بعض لتحقيق مستوى الملحوظ من الكثافة الصوتية وتكرير النّوعي متميز عن المعيار العام في الخطاب التّواصلي العادي²، "فبروز تنظيم للفونيمات لا يدين لتنظيم عناصره إلا بالقليل ويدين بالكثير لطبيعتها وكثافتها ومواقعها"³.

بالإضافة إلى مبدأ فاعلية المؤالفة والمخالفة بين عناصر التراكم التي تكون لها تأثير سلبي أو إيجابي، فضلاً عن نوع المادة الصوتية المتراكمة ضمن السياق العام والخاص للآيات، فالأصوات لا تكتسب قيمة دلالية وهي معزولة إلا إذا نسجت ضمن السياق التي يشكلها الكلام، ذلك أنّ "السياق العام والخاص كما يقول (د. محمد مفتاح) هو معيار تخويل المعنى للصوت، ومهما يكن الأمر فإن السياق بمعنييه هو الحكم الفصل، فليس للأصوات دلالة جوهرية بعكس ما تذهب إليه بعض الآراء،... إلا إذا عضدت تلك الأصوات بالتّراكم وبالسياق العام والخاص"⁴.

¹ محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط: 03، يوليو 1992م، ص: 36.

² محمد العمري، تحليل الخطاب الشعري البنية الصوتية في الشعر، ص: 64.

³ ينظر: محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ص: 49.

⁴ محمد مفتاح، دينامية النص، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، ط 03، 1990م، ص: 62.

لذا طبيعي أن تحظى مواقع الأصوات في الكلمات بالفنيّة المكانية لما تحقّقه من انسجام بين التّراكم الصوتي والمؤشرات الدلالية الموجهة مشكّلة بؤرة صوتية ذات أبعاد دلالية، يلعب فيها الإحصاء دور مهم بتحصيل أوسع قدر من النتائج والكشف عن قضاياها من أساسها.

ومن هنا سيكون توجهنا في دراسة النّسق الإيقاعي الخارجي للحروف، معتمدين على:

- تراكم العناصر المتكررة بوقوع بعضها فوق بعض.
- ملاحظة السياق الداخلي ودوره في بروز الأصوات.
- دراسة مخارج الأصوات وصفاتها وعلاقتها بالسياق.
- الانتباه لفاعلية المؤالفة والمخالفة.

2-2- الحروف والكلمات:

إنّ النّص القرآني نص مختلف البناء بحسب الأغراض التي وجهت إليها الآيات فالأصوات تتكرر وتنشع داخله وفق ما يطلبه سياق الحال، تجيء وكأنّها لوحة مرسومة تراها العين وشحنة إيقاعية تستثير أذن السامع مجسّدة قبل أن تكون موحية.

وتعد الأصوات اللام والميم والنون أكثر الحروف تراكماً في السورة الكريمة، إذ وردت اللام بتواتر 1 705 مرة، ووردت النون 1250 مرة، والميم 1244 مرة نظراً لما تتميز به هذه الأصوات من خصائص صوتية، من جهر ووضوح، وقوة إسماع لقربها من الأصوات الصائتة، وقد ذكر "إبراهيم أنيس" أنّ نسبة شيوع النون وأخواتها في اللغة العربية تعد أكبر نسب، ففي كل ألف حرف نجد حوالي 117 نونا و124 ميماً و127 لاماً¹، ولعل من أكثر الآيات

¹ ينظر: محمد فتح الله الغير، الخصائص النطقية والفيزيائية للصوامت الرنينية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط: 01، 2008م، ص: 82.

ورود لها بصورة مكثفة قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 07].

ومن المتبين أن صوت اللام جاء في مقدمة الأصوات المجهورة بتواتر (1 705) مرة لتمييزه بصفة تلائم سورة آل عمران وأفكارها، فصوت اللام يمتاز بالليونة والوضوح السمعي¹، وهو صوت جانبي ذو ذبذبة لطيفة، ويحمل هذا الصوت الدلالة على القوة، ويوحى بالثبات والتماسك والالتصاق، بسبب تحفز أعضاء النطق في إنتاجه، حيث يخرج من "حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان وما بينهما، وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فوق الضاحك والأنياب والرباعية والثنية"²، و"ينحرف اللسان إلى جانب الأيمن من الفم، ويتصل طرفه، بأصول الثنايا، وبذلك يحال بين الهواء و مروره من وسط الفم، فيتسرب من جانبه"³، محققا بهذا التراكم الصوتي إيقاعا عذبا سلسلا.

كقوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 18]. فالآية الكريمة من أعظم الآيات الواردة في إثبات توحيد الله تعالى وشهادة بآته سبحانه وتعالى هو المعبود بالحق وقرن شهادته بشهادة الملائكة وأولوا العلم فهذه الفكرة تتناسب مع الليونة في صوت اللام، فلذلك شكل صوت اللام ذو الوضوح السمعي أثرا بارزا في إيصال المعنى وإيضاحه من جهة وإحداث إيقاع منسجم من جهة أخرى.

¹ ينظر: عباس حسن، خصائص الحروف العربية ومعانيها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د ط، 1998م، ص: 41.

² سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1407هـ-1988م: 04، ص: 573.

³ ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر. القاهرة. مصر، د ط، د ت، ص: 64.

ومن ذلك، قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 26]. فصفاة الوضوح السمي والليونة الموجودة في صوت اللام كانت ملائمة لطبيعة الغرض المنشود المتمثلة في عرض صفات الله وعظمته، لما يشكّله الصوت من رنين موسيقي عذب في فحوى الآية .

ويلي صوت اللام النون الذي تكرر (1 250) مرة في آيات السورة، وينتج صوت النون "عندما يلتقي طرف اللسان باللثة خلف ثنانيا العليا، فتحدث عقبة على نحو ما يحدث في الصوامت الانفجارية، ولكن تيار الهواء المنتج لهذا الصوت، يمضي بعد خفض الحنك اللين، وهو الطبق، إلى التجويف الأنفي، محدثاً صوتاً أطلق عليه القدماء من لغوي العرب الغنة"¹.

ويتسم صوت النون بوضوحه السمي العالي² وحامل قيمة الاستقرار والتّمكن والصميمة، ويعد صوت النون الرنان من أكثر الأصوات التي تعبر عن مشاعر الألم والخشوع³، لاتصافه بخاصية الغنة التي تجعله بارزاً لنا مرناً في حالة النطق، فصوت النون صوت أنفي مانع، واضح في السّمع، وهذه الصفات التي ذكرت جعلت صوت النون يتميز بكونه ثاني أكثر الأصوات المجهورة ذكراً في سورة آل عمران، فلو نظرنا لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 61]. حملت الآية أعلى نسبة لتكرار صوت النون، حيث بلغت نسبة تكرار الصوت سبعة عشر وتحدثت عن صفات المنافقين ومجادلتهم في أمر عيسى بن مريم وكشفت عن علاقتهم مع اليهود ضد المسلمين، والملاحظ أنّ الفكرة تتناسب مع سمة الوضوح السمي في صوت النون تسهّل الوصول لأذن سامعها وتكون حجة ضد المنافقين عند الإنكار.

¹ محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، منشورات جامعة القدس المفتوحة . عمان . الأردن، ط: 01، 1996م، ص: 164.

² . ينظر: المرجع نفسه، ص 164.

³ ينظر: عباس حسن، خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص: 160.

واستدعى استخدام صوت النون الذي يحمل معنى الخشوع والاستقرار، ومعنى الصميمة عند ذكر أسماء وصفات الله الحسنى فتحوّلت دلالة صوت النون لمعنى الهدوء والاستقرار والرقّة والأناقة¹ ويظهر ذلك في هذا الدعاء التي تنتهي الكثير من ألفاظها بنغمة النون وغنتها الموسيقية وامتدادها الصوتي على وجه يصور الحالة النفسية للقارئ وكأنّ أنفاسه تتصاعد إلى السماء كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 193]. تحدثت الفكرة عن جماعة المؤمنة المصدقة برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وإقرارها بوحداية الله أن يغفر الله ذنوبهم ويستر عيوبهم ويلحقهم بجماعة الأبرار، وقد بينت الفكرة عظمة الله وصفاته وخشوع الجمادات عند سماع كلام الله تعالى.

ومن الملاحظ أنّ صوت النون كان من أكثر الأصوات المجهورة ذكرا، بسبب طبيعة الأفكار التي تحتاج إلى مثل هذا الصوت، ليتحقق الانسجام بين الصوت والمعنى، وليدل على عظمة القرآن وإعجازه.

ومن أكثر الأصوات المجهورة تراكما صوت الميم بلغ عدده (1 244) مرة، ولتكرار صوت (الميم) دلالات ثلاث الأفكار الموجودة في الآيات، فما يحدث عند إنتاجه من انطباق تام للشفتين وتذبذب الوترين، وخروج الهواء من الأنف، بسبب انخفاض سقف الحنك اللين (الحنك الأقصى) إلى الأسفل² كلها ملامح تجعل هذا الفونيم يحمل دلالة الليونة، والمرونة، والتماسك³ ويضفي جوا من الهدوء والوقار عند التفكير بالآيات، وهذا يتلاءم وطبيعة فكرة للآيات كقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 179].

¹ ينظر: عباس حسن، خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص: 160/161.

² محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، ص: 164.

³ ينظر: عباس حسن، خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص: 72.

تحدثت الفكرة عن المؤمنين والمنافقين الذين يظهرون الانتساب للإسلام فالله وعدهم بالابتلاء وما تنطوي قلوبهم من النفاق فيعرف هذا ويعرف ذاك، ولإيضاح الفكرة للسامع كان لابد من استحضار صوت الميم الذي يتسم بالاستمرارية والوضوح السمعي.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 81]. تحدثت الفكرة عن موضوع ميثاق الأنبياء الذي أخذه الله عليهم بالإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونصرته كان لابد من استخدام صوت الميم، الذي يتسم باللونة والمرونة، ويحمل معنى الهدوء والوقار، وهذا يتناسب مع طبيعة الفكرة، ومن الصفات التي يحملها هذا الصوت الغنة التي تكسبه موسيقية وإيقاعا، وكذلك "يعد صوت الميم من الصوامت الاستمرارية، وهي الأصوات التي يمكن للمتكلم إطالتها"¹، كما يعد من أوضح الصوامت في السمع، وكل هذه الصفات المميزة لصوت الميم جعلته يحتل المرتبة الثالثة في الأصوات المجهورة.

وأقل الأصوات المجهورة ورودا في هذه السورة هي (ض، ظ، غ) وتتميز هذه الصوامت بصفات تميزها عن غيرها من الأصوات، فصوتا الضاد والظاء يعدان من الأصوات التي تتسم بالصعوبة نطقها، و(يتصفان بالصلابة، والشدة، والفخامة)²، أما صوت الغين (فيوحي بالغموض والخفاء)³، وهذه الصفات لا تتناسب وطبيعة موضوع السورة التي تهدف إلى جذب الانتباه والإقناع للسامع أكثر من الزجر والترهيب، فكانت الأصوات الأكثر ورودا، والأقل ورودا في مواضع الآيات حسب ما يمليه طبيعة الأفكار، وهذا من ملامح الإعجاز القرآني.

¹ . أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب . القاهرة، د ط، (1418هـ/1997م)، ص: 126.

² . عباس حسن، خصائص الحروف العربية، ص: 120 / 123.

³ . المرجع نفسه، ص: 126.

أما بالنسبة للصوامت المهموسة التي تتسم بالحس الخفي والسهولة التي يجري معها النفس¹، فقد كان صوت (الهاء، والتاء، والكاف) من أكثر الأصوات التي تحمل ملمح الهمس في السورة، ولعل سبب ظهور هذه الأصوات بنسبة أعلى في ملمح الهمس، مرده إلى صفات الأصوات، فطبيعة الموضوع تستدعي حضور صفة الصوت الظاهر في ذلك الملمح.

فصوت "الهاء" صوت حنجري مهموس، يتخذ الفم الوضع الصالح لنطق حركة كالفتحة مثلا، عند النطق به يمر الهواء جلال الانفراج الواسع الناتج عن تباعد الوترين الصوتيين في الحنجرة² وهذا الصوت يدل على الاضطراب والانفعال النفسي ويدل على خفوت الصوت³ ويدل على الضعف والرقّة⁴، وهذه الدلالات تناسب ومفهوم الهمس الذي يدل على الخفة والسهولة، فقد جاء هذا الصامت متناسبا مع موضوع السورة وأفكارها وكان يدل على الانفعال والاضطراب النفسي لليهود والمنافقين وما ارتكبوه من جرائم وموبقات بتكذيبهم لآيات الله، وتثبيط المؤمنين من اتباع دين الحق وقتل أنبياءه والدعاة إليه، أما في سياق الحديث عن المؤمنين ودعاء المؤمنين لربهم ومناجاته والمتمثلة في حديث امرأة عمران مع ربّها في شأن وليدها، وفي حديث مريم مع زكريا، وفي دعاء زكريا ونجواه لربه...، والوصايا الربانية كان يحمل معنى الرقة والهدوء، فنلاحظ أنّ دلالات هذه الصوامت جاءت منسجمة ومعاني السورة، وهذا الصوت من الأصوات التي تصدر عن الإنسان بسبب الإرهاق والتعب، أو حالة نفسية دون قصد منه، ولو تتبعنا الأفكار الموجودة في سورة آل عمران لوجدنا معظمها تتحدث عن حادثة وفد نصارى النجران وعن أهل الكتاب والمنافقين، وبيان عظمة الله وألوهيته.

¹ ينظر: عباس حسن، خصائص الحروف العربية، ص: 40.

² ينظر: محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، ص: 165.

³ ينظر: عباس حسن، خصائص الحروف ومعانيها، ص: 40.

⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص: 59/55.

ويُلي صوت "الهاء" في ترتيب الأصوات المهموسة صوت "التاء"، "وينتج هذا الصوت بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، ومقدم اللثة، وانحباس الهواء مدة من الزمن خلف طرف اللسان، ثم انفصاله فجأة تاركاً نقطة الالتقاء"¹، ويدل صوت التاء أيضاً على معانٍ لها علاقة "بالليونة، والضعف، والرقّة"²، ويعد صوت التاء صوتاً أجلاً يطول معه التقاء طرف اللسان، وأصول الثنايا العليا وبالتالي يمكن أن يستوحي من صفاته هذه، معاني المشقة والعذاب، ولو نظرنا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ... أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 22/19].

تحدثت الفكرة مجادلة وإنكار اليهود والنصارى لرسالة الإسلام بعدما أقام الحجة بما جاءهم به علم، ثم بدأت الحالة النفسية لليهود تضطرب، وما عانوه من مشقة العذاب نتيجة سوء أعمالهم، فهنا صوت التاء حمل دلالات أدت المعنى المقصود.

أما بالنسبة للكاف فهو صوت فهو ينتج "عندما يلتقي أقصى اللسان بالطبق، مما يؤدي إلى احتباس تيار الهواء، خلف نقطة الالتقاء، ثم انفصل العضوان الملتقيان، فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً لا يتذبذب معه الوتران الصوتيان"³، ومن معاني صوت الكاف "الخشونة، والقوة، والحرارة، والفعالية، والامتلاء، والتجميع"⁴، وهذه الدلالات تتناسب والسياق المقام، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُدِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 26]. في السياق، كان صوت الكاف يحمل معنى القوة ليثبت الملك لله تعالى وقوته وعظمته، وفي قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ

¹ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 61.

² عباس حسن، خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص: 54/53.

³ محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، ص: 163.

⁴ عباس حسن، خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص: 68.

إِيْمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿سورة آل عمران، الآية: 106﴾. كان الصوت يوحى بمعنى بالقوة والفعالية والتجميع حيال وصف لنار جهنم وحسرة الكافرين وخساراتهم نتيجة سوء أعمالهم .

في حين أنّ الأصوات (الضياء، الثاء، الصاد) كانت تحمل أقل نسبة للملح الهمس في أفكار السورة كلها ،ولو تتبعنا صفات هذه الأصوات ،لوجدنا أنّها لا تتناسب وطبيعة أفكار السورة فصوت "الضياء" يوحى بالفخامة والنضارة والأناقة والظهور، وبشيء من الشدة والقساوة¹ ولا يتناسب وطبيعة أفكار السورة، وصوت "الصاد" من الأصوات الصغيرية العالية التي تدل على القوة والشدة والصلابة وفاعلية²، وصوت "الطاء" قليل الورد في الجذور العربية، وذلك عائد إلى أنّ النطق بهذا الصوت يتطلب جهداً عضلياً يتمثل في إخراج طرف اللسان، ووضعه بين أطراف الثنايا العليا والسفلى للأسنان³ ولاشك أنّ ذلك الجهد العضلي، تخلصت منه لغة الكلام، بنقل المخرج إلى ما وراء الأسنان.... مع احتفاظها بصفة الرخاوة تارة، أو تحولها إلى صفة الشدة تارة أخرى⁴، وبالتالي هذا الجهد لا يتناسب مع طبيعة السورة وأفكارها.

أما فما يتعلق بالأصوات الانفجارية فصوت "الهمزة" يعد من أكثر الأصوات انفجارية بروزاً وتصويراً وتشخيصاً للموقف كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 128].

وتعد الهمزة صوت صامت انسدادياً حنجري (أو مزماري) لا مجهور ولا مهموس⁵ يثير

¹ .حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص:123.

² .المرجع نفسه، ص: 149.

³ .محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، ص:157.

⁴ . ينظر: رمضان عبد التّواب، التّطور اللغوي مظاهره وعلمه وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:03، (1417هـ/1997م)، ص:53/54، وينظر: ابراهيم أنيس، موسيقى الشعر، دار القلم، بيروت، ط: 04، 1972م، ص: 33.

⁵ .بركة بسام، علم الأصوات، مركز الإنماء القومي، بيروت، د ط، د ت، ص: 177.

صوتها الانفجاري الانتباه ويوحى بالبروز والتثوء فتشكلها في الحنجرة بانطباق شفقي المزمار سادة بذلك فتحة المزمار، وانفراجها جعل منها حاجزا صوتيا حال دون الجمع بين المتعاطفين محققة معنى الإضراب حيث فصلت الهمزة الجمع (أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ) عن (الأمر أو على الشيء بالإضمار) لإثبات الكون بيد الله المصرف المدبر في شؤون عباده بقبول توبتهم أو عذابهم، وأنَّ محمداً ما هو إلاَّ عبد مربوب مهمته تبليغ الرسالة، تجسّد توافق مخارجهما وصفاتها كحاجز صوتي في حرف العطف أو.

وقد ساند الهمزة الألف اللينة، بتشكيل صوتها في جوف الفم مع حركة الفك العلوي إلى أعلى مما أشار إلى فوق فأوحى بالامتداد المكاني للمتلقى أو إثارة الإنتباه لتمييزه بإيقاعه العالي، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا﴾ [سورة آل عمران، الآية: 81].

ومن التتابع الصوتي لصوت الهمزة ما نجده في مقام الاستفهام حول قضية التوحيد والبعث فتواتر الهمزة الاستفهامية ثلاث مرات متتالية له ما يبرره أسلوبيا إذ ما يلحظ في التواتر الانفجاري أنَّ جاء على لسان الحق لما دار على لسان الكافرين يوحى بالحضور والعيانية الواضحتين لما يثيره من الانتباه في سمع السامع وفي ذهنه، ومن مقامات الاستجواب لله وعباده ارتفعت الأصوات المجهورة للتناسب مع مقام العتاب والزجر من الله والاستنطاق للكافرين ولما كان صوت الهمزة يتوافق خروجه مع انفراج الفكين عن بعضهما البعض في حركة اتجهت للأعلى فإنه يشير إلى البروز ويوحى به ساندته بقية الأصوات المجهورة التي تحمل معاني الشدة والقوة التي ناسبت عملية التصديق بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام.

فمخرج الهمزة بما فيه من وقوف بانقطاع النفس على مستوى الوترين في حالة تطابقهما بسبب انسداد فتحة الحنجرة جاء مناسباً لمقام استخبارهم بما يتطلبه السؤال والجواب من انفجار يلفت الانتباه ووقف يؤهله للإجابة ثم انفراج يضع الأنبياء أمام التصديق الجازم لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم والاعتراف برسالته تمثل في قوله: ﴿قَالُوا أَقْرَبْنَا﴾ فالألف الممدودة كالمعتاد عاظلت ليوحي صوته الممطوط بتوجيه الأنظار الغافلة البعيدة لكتاب الله بمط المسافة وإبعادها، إن علمنا بأن صوتهما يثير الانتباه لمسافة أبعد من صوت الهمزة بالإضافة إلى الرجوع الصوتي في اللام متعانقا مع النون مما شكل إيقاعاً موسيقياً ذا نغمة عالية.

وبعد صوت الهمزة الانفجاري نجد صوت الباء بتواتر بلغ 155 مرة ساهم في تصوير الأحداث والتعبير عنها في حدود السياق الذي ورد فيه بما يتلاءم مع مخرجه وصفته.

فقد بلغ عدد تواتر الباء في السورة 155 مرة لفظ بها قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [سورة آل عمران، الآية: 37]، من انفراج الشفتين بعد انطباقها على بعضهما بعضاً مما يمثل الحدث الدال على الانبثاق والظهور الذي تمثل في طلب زكريا في الفعل هب أن يرزقه الله بمولود وانبثاقه في الوجود بما يحاكي واقعة انبثاق صوته من الشفتين إيماءً وتمثيلاً، ومن الطريف واللطيف ما نجده من استثمار القرآن الكريم للعدد لموافقة المعنى في لفظة هب فالحبة غلب فيها عند العرب كما ذكر صاحب الكشف¹ فناسب الدعاء العطاء لسيدنا زكريا عليه السلام مما يبرز القيمة التعبيرية للحرف.

¹. أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ضبطه وصححه ورتبه مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث، القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط: 3، (1407 هـ / 1987 م)، ج: 03، ص: 53.

وصوت الباء يدل على الصلابة والغلظة، وهذا الرأي ذهب "ابن جني" حين قال: "فالباء لغلظتها تشبه بصوتها خفة الكف على الأرض"¹، وهذه الصلابة نابعة من طبيعته النطقية ولهذا الصوت دلالاته الإيحائية في النص، كما أنّ في صوت الباء دلالة على بلوغ معنى في شيء بلوغاً تاماً²، ويتميز صوت الباء "بالاتساع، والامتلاء، والعلو، والانبثاق، والظهور" وهذه الصفات أعطت إيحاءً قوياً وصلابة هذا الصوت.

ومن أوضح السياقات حرف الباء ما جاء في قوله تعالى: ﴿لَيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 127]. مما توافقت فيه التشكيلات الصوتية في تمثيل وتصوير واقعة الكبت في قوله: "يَكْبِتُهُمْ" فكل من الكاف والباء والتاء أصوات شديدة، يقف الهواء عند إصدارها في نقطة معينة كأنه يكبت ثم ينطلق على شكل انفجار، وفي أساس البلاغة: "كبت الله عدوك، كبّه وأهلكه، ومن المجاز فلان يكبت غيظه في جوفه ولا يخرج" ³، وهي في هذا المقام تشكل جزءاً من الإذلال والصرف عن الشيء ⁴، فالآية تصور كبت الله عز وجل على الكافرين وإذلالهم وتخيب آمالهم، جاءت تشكيلات صوتية في صورة متناسقة في ناحية المخارج ساهمت في إظهار الدلالة وتجميلها.

ومن التّوزيعات الصوتية لصوت التاء التالي في التواتر لصوت الباء بنسبة بلغت مرة (556) ما جاء في قوله تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَزُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 26]، حيث يلامس رأس اللسان

¹. أبي الفتح عثمان ابن جني (ت392هـ)، الخصائص، ج: 02، ص: 163.

². عبد الله العلايلي، مقدمة الدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد، المطبعة العصرية، مصر، دط، 2016، ص: 210.

³. أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر، بيروت-لبنان، دط، 1979 ج: 02، ص: 118. مادة (ك ب ت).

⁴. ينظر: أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، دار احياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط1، 2001، ج: 05، ص: 125. مادة (ك ب ت).

(الدولق) الجهة الداخلية لمنبت القواطع من الأسنان العليا وتدعى النخاريب فيقف الهواء وقوفا تاما عندها ويضغط مدة من الزمن، ثم ينفصل اللسان فجأة تاركا نقطة الالتقاء فيحدث الصوت الانفجاري، الذي يشعر به عند النطق الاسم "مَعْدُودَاتٍ" حيث جَسَد المدة المستغرقة للعذاب بشكل حرف التاء المتتابع في الآية الكريمة في التجويف الفمي عند النطق به مما ساهم في تجسيد أيام البقاء في نار جهنم من الأعلى إلى الأسفل، وبزيادة المد يوحى برحابة هذه الأخيرة. المعدودات. فيمنحها بعدا واتساعا زمنيا لا يحده إلى علم الله عز وجل وفي هذه الآية "تكذيب للكافرين من اليهود والنصارى، إذ كانوا يقولون أن مدة عذابهم سبعة أيام، ومنهم من قال أربعين ليلة، في حين قرّر القرآن الكريم أن المخطئ في التوحيد والنبوة والمعاد عذابه الدائم لأنه كافر، والكافر عذابه دائم"¹. فهذا الانفجار ناسب معاني الشدة والكسرة والقوة التي جاءت متلازمة مع معنى اللفظة.

أما التاء في قوله تعالى: ﴿فَأُتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 93].

فمخرج التاء الصامت الانسدادي ذولقي - نخروبي مهموس فهي²، جاء معاكسا لمخرج حرف المد المتساوي معه في معدل التكرار لإبراز دلالة الآية الكريمة.

فتكرار التاء في هذه الآية بوقوف الهواء وقوفاً تاماً وانضغاطه ثم انفصاله محدثاً صوتاً انفجارياً من شأنه أن يدل على حجم المفاجأة التي قدمت للسامعين فمعنى التعجيز واضح من تتابع التاءات الأربعة في هذه الآية التي أوحى بالانتقال من مقام الاستفسار لمقام المطالبة بالدليل حيث ناسب الانفجار فيها هول الصدمة عاضد التاء الصوتي المد المتواترة خمسة مرات واللذان استطاعا أن يبرزوا حصار اليهود من كل الجوانب بهذا الدليل المقدم نظراً لما يتميز بوضوح سمعي عال فالتحم بالتاء في ودٍ حميم ليصبح موقف الآية في غاية العجب والروعة .

¹. فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب التفسير الكبير، ج: 07، ص: 211.

². بسام بركة، علم الأصوات العام، مركز الإنماء القومي، بيروت، دط، دت، ص: 115.

فكما كان للأصوات الانفجارية دورا في التمثيل وتشكيل الأحداث كان للأصوات المهموسة الدور ذاته، فإذا كانت الأصوات الانفجارية تتكون بأن يحبس مجرى الهواء الخارج من الرئتين حبسا تاما في موضع من المواضع، وينتج عن هذا الحبس أو الوقف أن يضغط الهواء ثم يطلق سراح المجرى الهوائي فجأة فيندفع الهواء محدثا صوتا انفجاريا¹، فإن الأصوات الاحتكاكية تحدث بأن يضيق مجرى الهواء الخارج من الرئتين في موضع من المواضع بحيث يحدث الهواء في خروجه احتكاكا مسموعا².

ولعل أكثر هذه الأصوات الاحتكاكية ورودا في السورة صوت الهاء الذي بلغ معدل تواتره (745) مرة ولقد اختلف علماء اللغة العربية في موقع مخرجه من الحلق فمعظمهم جعل مخرج العين بعد مخرج الهاء، وشدّ عنهم "الفراهيدي" و"ابن جني" و"العليلي" فجعلوه في أول الحلق من الداخل قبل مخرج الحروف جميعا.

فقد مثل صوت الهاء الاحتكاكي ملمحا أسلوبيا في فعل الهداية التي "هي الدلالة على الطريق لمن لا يعرفه، فهي إرشاد إلى مرغوب لأنّ كون المهدي راغبا في معرفة الطريق، ولذلك تقابل الضلالة وهي الحيرة في الطريق"³.

فقد استطاع مخرج الهاء أن يصور معنى الهداية فإذا لفظ الهاء مرققا مخففا مخفوتا به، وقد خرج عميقا من جوف الصدر في أول الحلق، لابد أن تتلاشى بذلك اهتازته الصوتية مع النفس المبعثر، فيختفي التخریب فيه ويغيب التشويه عنه ويضمحل الاضطراب والذي يوحى عندها بمقام الطريق الواضح في الوصول إلى المقصود في قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 101]. التي تعكس باهتازة الاضطرابات

¹ ينظر: كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط: 01، 2000م، ص: 247.

² ينظر: المرجع نفسه، ص: 297.

³ محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ط: 1، 1984، ج: 22، ص: 102.

النفسية جراء حيرته في شأن حال الكفار بتكذيب القرآن وفيه رسول يسددهم ويثبتهم ويعلمهم ويزكيهم ويبين لهم حقائق الأمور وطرائق الخير وطرائق الشر ومن يتوكل على الله ويلتجأ إليه ﴿فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فجاء انقباض جوف الصدر وأنسجة الحلق مناسبا لهذا العارض المفاجئ فصوت الهاء يتحول إلى صوت لا بد له أن يرتعش على شكل اهتزازات توحى بالحالة النفسية التي تعرض لها صاحب الصوت والتي تظهر على جهاز الراسم الطيفي بخطوط عشوائية توحى بهذا الاضطراب وتدل على العلاقة التجاورية بين الصوت المجهور والمهموس.

وقد أفادت خاصية اهتزاز هذا الحرف لفن انتباه السامع إلى ما يقصده المتكلم الغائب، مع ملاحظة الاحتكاك المسموع والصفير المنبعث مع صوت الصاد الذي ناسب المقام.

كما نلمح في آية أخرى توزيعا آخر لصوت الهاء في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ [سورة آل عمران، الآية: 08].

أوحى حرف الهاء بخروجه في آخر الحلق إلى حاجة العبد إلى تثبيت الله عز وجل أن يحفظ عليه قلبه وإيمانه "فمخرج الهاء عند التلفظ به بانغلاق المزمار انغلاقا تاما سوى فتحة صغيرة في الجزء الخلفي على مستوى النسيجان الخلفيان الهرميان"¹، مثلت بصيص الأمل لجوء أهل العلم للتوسل والتضرع لله دون غيره، وبهذا شكّل صوت الهاء باهتزازاته العميقة في باطن الحلق الاضطرابات النفسية وهذا الموقع الممتاز للمخرج جعل اهتزازها أكثر عرضة لتأثر المباشر بمختلف الانفعالات التي تجيش في الصدر من حزن وأسى تم الإحساس بصوته الاحتكاكي المسموع الذي راح يصور مقام الدعاء والتضرع بما يستدعيه من شدة وقوة لازمته التنويعات الصوتية المتراوحة بين الجهر والهمس.

¹. بسام بركة، علم الأصوات العام، ص: 126.

يأتي بعد صوت الهاء صوت الفاء الذي بلغ معدل تكراره 388 مرة والذي استطاع أن يصور حالة المعرضين عن الحق في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 82].

حيث أوحى مخرج الفاء بالشدة والغلظة والقوة بضرب الأسنان العليا على الشفة السفلى فمثل قصر ادعائي بضمير فصل للمبالغة في وصفهم بشدة الفسق وكأن فسق غيرهم لا يعادل فسقهم، فصورت بعثرة النفس عند خروج صوت الفاء لبعثرة القوم وتشتتهم في كل الجهات للإحاطة به إن علمنا بأن صوت الفاء يتكون باقتراب الشفة السفلى من القواطع العليا وتلامسها بحيث تسمح للهواء المزفور أن ينفذ من خلالها مع حدوث الاحتكاك¹، فالفاء صامت احتكاكي أسناني شفوي مهموس، أوحى انفراج الفكين عن بعضهما البعض عند خروج صوتها بمعاني التباعد والتوسع ليتم التعقيب فيها بزمان مترخ بقدر الحاجة بما يتوافق مع خاصيتها في الانفراج².

وأيضا نلمح من الحروف الاحتكاكية حرف الفاء المتواتر الذي بلغ معدل تكراره (368) مرة في السورة والذي استطاع بمخرجه أن يصور ما يتطلبه مقام العمل للتمتع بالنعيم "الفوز" بعدم مشقة وتكلف لنيله وجد في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى﴾ [سورة آل عمران، الآية: 195].

ويستدعي خروج صوت العين أن يضيق أو الحلق من الداخل مشكلا حلقة مجوفة ملساء الجوانب (تمثل الاستعداد والتهييب للعمل) وبعدها يندفع النفس من جوف الصدر فيحتك بفوهة الحلق ويتوزع إلى ذبذبات هوائية تتكيف عندها فوهة الحلق مع هذه الذبذبات هوائية تتكيف عندها فوهة الحلق مع هذه الذبذبات برجوع جذر اللسان بقوة إلى الورا مقتربا من الجذر الخلفي للحلق حيث يلامسه (وكأنه يوحي بقصر العمل على هذا

¹ بسام بركة، علم الأصوات العربية، ص: 121.

² المرجع نفسه، ص: 121.

النوع) فيضيف مجرى الهواء المزفور لدى مروره على مستوى الفراغ الحلقي لتجميعها في محراق الفوهة لتتحول إلى صوت صاف محدثا احتكاكا مسموعا وواضحا مع تذبذب فيخرج صوت العين صافيا نقيا، فأوحى بآلية العمل للعاملين ذكورا أو إناثا كبارا أو صغارا وأن الله لا يضيع أجر أعمالهم من هاجر أو أذى في سبيل الله وقاتل، فساعد القوة والشدة والثقل في صوت العين للتعبير عن معنى المراد.

ولقد صوّر مخرج العين في أول الحلق طلب القريب والبعيد بتوعد الله بالعذاب في الدنيا والآخرة الباقي على كفره في قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعْدَّ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 56]، فقد أوحى احتكاك صوت العين وتوزعه إلى ذبذبات هوائية تكيفت معها الفوهة بتجميعها في محراقها ليخرج الصوت نقيا مشعرا بالحرارة العذاب وألمه في الدنيا والآخرة عظمه حرف العين.

كما نجد في السورة الكريمة أصوات مركبة (Affricates) ناتجا عن مزيج من الانفجار والاحتكاك، وهي صفة خاصة بصوت الجيم الفصيحة فهذا الصوت (لثوي، حنكي مركب) (انفجاري احتكاكي) مجهور¹ يعتمد على الأساس المخرجي في تكوينه فـ "عندما يرتفع مقدم اللسان اتجاه مؤخر اللثة، ومقدم الغار حتى يتصل بهما، فيحتبس الهواء الصادر من الرئتين خلف منصة الاتصال، غير أنّ انفصال العضوين المتصلين لا يحدث فجأة على نحو ما يحدث في الأصوات الانفجارية المحضة، وإنما يتحقق ببطء فيعطي الفرصة للهواء بعد الانفجار، أن يحتك بالأعضاء المتباعدة، احتكاكا شبيها بما يسمع من صوت الجيم الشامية، ولذا فإنّ هذا الصوت يبدأ انفجاريا وينتهي احتكاكيا"².

¹. كمال محمد بشر، علم الأصوات، ص: 311.

². محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، ص: 157.

ويعد صوت الجيم من أقل الأصوات تكرار في السورة الكريمة فقد تواترات (92) مرة ويعود ذلك إلى طبيعة صوت الجيم الصلبة والضحمة، ولصعوبة نطقها فأفكار السورة تحتاج إلى أصوات لينة لتناسب المعنى المقصود، كقوله تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 66].

وقد أوحى صوت الجيم في "حَاجَجْتُمْ، تُحَاجُّونَ" أوحى بجهره بإحساس سمعي يحمل الإعلان بالارتفاع الصوت الذي صوّره راسم الطيف بحرف شديد السواد زاد سواده بازدياد علوه بمضاعفته لحرف الجيم الذي أضفى بعدا جديدا للكلمة من حيث الشدة والقوة ناسبت صفة الانفجار والاحتكاك بصوت الجيم وما يحمله من ضخامة وصلابة وقوة¹، خلافا للكلمة الثانية التي جاءت بحرف جيم واحد.

لفظ (حَاجَّ) يشير إلى تقديم الدليل واستقبال الدليل بشكل معتدل، ويكون الهدف غالبا الوصول للحقيقة، أما لفظة (يُحَاجِّجُ) فهي أكثر قوة بإضافة حرف الجيم، مما يجعل المحاجة تمسكا قويا بالحجج، الذي يكون المحاجج غالبا على دراية وتمكن بما يحتاج به، وهو الذي يمنحه هذا التماسك والقوة، هذا المعنى واضح تماما في الآية الكريمة، فالله يخبرنا أن قوما حاججوا فيما لهم به علم، ويعني هذا كان تمسكهم قوي بسبب علم لديهم، وعندما عاب عليهم استخدم لفظة (تُحَاجُّونَ) من دون إضافة لجيم أخرى، لأنهم في الحقيقة حاججون فيما ليس لهم به علم.

¹. ينظر: عباس حسن، خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص: 38.

وسنكتفي لهذا القدر لضيق المساحة المخصّصة هذا المبحث، وقد ألمحنا بعد استعراضنا للأصوات الأكثر تراكما ودوراناً بحسب مخارجها وصفاتها، أنّ مخارج الصوتية شكلت ساحة حركيّة داخلية من أول الحلق حتّى آخر الفم وخارجة بالتّحديد في الشفتين، وكان الصوت بارعاً راقصاً فيها تتنقل مخارج حروفه من فوق إلى تحت، ومن الأمام إلى وراء، ومن اليمين إلى الشّمال أو العكس لتصوير الأحداث والأشياء بحركات تجسّدية ترجمتها اللفظة العربية لا توحى بمعناه الأصيل فحسب وإنّما تُجسّده بأبهى صورة.

3- المقاطع الإيقاعية في سورة آل عمران :

3-1- جمالية الإيقاع في القرآن الكريم :

يطلق بمصطلح الإيقاع ويراد به تأليف الحروف في الكلمات وتناسق الكلمات في الجمل وتوزيعها داخل التركيب بمسافات تؤدي إلى إحداث تنغيمات وأصوات مؤثرة، وقد تحرّج البعض من نعت أي شيء من كتاب الله ذو جرس أو إيقاع أو موسيقى، لأنّ هذا المصطلح عرف بإطلاقة على اللحن الموسيقي والغناء، فقد جاء في لسان العرب: "الإيقاع من إيقاع اللحن والغناء، وهو أن يوقع الألحان ويبينها وسمي الخليل رحمه الله كتاباً من كتبه في ذلك المعنى كتاب الإيقاع"¹. وفُضِّل استعمال مصطلحات أخرى كالفصاحة والجزالة والعذوبة والسلاسة، وصفاء الديباجة، وحسن الرّصف ولكن سرعان ما تغيرت النظرة لما عرف بأنه لا يخضع للوزن الشعري المحكم بتفعيلات متّزنة متكافئة وقوافي مطردة متناظرة، بل لوزن الوجدان والنفس المعبر عنها بنظام اللغة.

فاللغة العربية بطبيعتها لغة موسيقية، وقد استثمرها - أي لغة - القرآن الكريم لما لها من طاقات فنية في تشكيل بنية إيقاعية منظمة وهادفة لأداء معانيه دينية، ولكن في أسلوب جديد تناسب تفرّده وجلاله وإعجازه لم تعرف له العربية مثيلاً في التراث الأدبي وفنّها القولي، ومن صور الإعجاز في لغة القرآن كثرة ومتنوعة منها اختيار الألفاظ بدقّة عجيبة، حتّى لا تجد لفظاً يمكن استبداله بآخر دون تغير المعنى، ومنها دقة التركيب

¹. ابن منظور، لسان العرب، مادة (وق ع).

والنّظم، ومنها الإيقاع الجميل في تراكيبه وجرس ألفاظه، ومنها كذلك توزيع الحروف على مساحات الكلام بين المجهور والمهموس ومفخم ومرفق وشفوي وحلقي وأسنانى.... إلخ¹.

لقد دُهِش العرب حينما سمعوا القرآن، وتحيروا في أمر هذا الكلام الذي تستلذه الأذان وتستخفّه الألسنة وتقشعر منه الجلود وتطمئن به القلوب، ومبعث حيرتهم ودهشتهم يعود إلى هذه الخصائص الصوتية الفريدة للقرآن، وقد جسّد الوليد بن المغيرة هذه الحيرة حين قال يصف القرآن في مقولته الشهيرة: والله لقد وضعت على أقرء الشعر فما هو بالشعر، وما هو بالسجع ولا الكهانة، وإنّ أعلاه لمثمر، وإنّ أسفله لمغدق، وإنّه ليعلو ولا يعلى عليه²، في هذه الكلمة يتجسّد ما تملّك هذا الرّجل وغيره من كلام العرب لما سمعوا القرآن الكريم، فقد طرق أسماعهم وهزّ أوتار وجدانهم، ولامس شغاف قلوبهم بجرسه البديع ونغمه الرفيع، فأيقنوا أنه شكل بمنظومته الإيقاعية منعطفًا جديدًا في الأمة الأدبية والثقافة العربية مما أكسبه أدبا جديدا، لخروجه هذه إيقاعية دروب الشعر أو منشور القول، لعدوبة وقعه وشدة أثره وغدا التسليم بأنّه قول بشر أمراً مستبعداً ولا جدال فيه، فهو كلام لا يبلغه ثناءً، ولا يلحقه رجاءٌ، وهو قول لا يستغرقه إسهابٌ، ولا يبلغ مداه إطنابٌ، ولا يقع عليه خطابٌ، وقد أدركوا ذلك برهافة حسهم، وطول معاشتهم لمسجوع القول وموزون الشعر.

فقد أدرك علماء جمالية الكلمة القرآنية، ورونق لفظها، ودقّة تصويرها منذ الوهلة الأولى، فعلموا أن الإيقاع في القرآن يكمن من تألف الحروف وانسجامها، وتواتر كلماتها في جملها، واتساق الجمل في تركيبها، ليحقق التأثير المنشود ويلفت انتباه المتلقين على اختلاف

¹ . ينظر: السيد خضر، فواصل الآيات القرآنية - دراسة بلاغية دلالية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، (1420هـ/

2000م)، ص: 5/4.

² ينظر: فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب التفسير الكبير، ج: 01، ص: 202.

عقائدهم ومستوياتهم وثقافتهم، لأنّ الناس يستهويهم جمال الإيقاع وحسن الأداء¹، ولأنّ النفس البشرية يؤثر فيها التعبير الموسيقي أكثر مما تؤثر فيها الكلمة العادية المجردة، وترتاح إلى الإيقاع وتأنس به وتنفعل، وتتناغم معه وتتجاوب². وذلك ما يوضحه "صبيحي صالح": "أنّ هذا القرآن في كلّ سورة منه وآية، وفي كلّ مقطع منه وفقرة، وفي كلّ مشهد منه وقصة وفي كلّ مطلع منه وختام يمتاز بأسلوب إيقاعي غني بالموسيقى مملوء نغما حتّى ليكون من الخطأ الشديد في هذا الباب أن نفاضل فيه بين سورة وأخرى، أو توازن بين مقطع ومقطع، لكننا حين نؤمّ إلى تفرد سورة منه بنسق خاص إنّما نقرّر ظاهرة أسلوبية بارزة تؤيدها بالدليل وتدعمها بالشاهد، مؤكدين أنّ القرآن نسيج واحد في بلاغته وسحر بيانه، إلا أنّه متنوع تنوع موسيقى الوجود في أنغامه وألحانه"³.

ولأهمية الإيقاع القرآني حثّ الله تعالى على ضرورة تلاوة كتابه بصوت عذب مجوّد، بعد النزول الصوتي فقال الله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [سورة المزمل، الآية: 04]، وقوله: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ [سورة الفرقان، الآية: 32]، والترتيل قراءة على ترسل وتؤده بتبيين الحروف وإشباع الحركات، حتّى يجيء المتلو منه شبيها بالشعر المرتل، وهو المفلج المشبه بنور الأبحان، وأنّ لا يهذه هذا، ولا يسرده سرداً⁴، فالنغم الإيقاعي المرتل تضفي جماليات صوتية تتكرر وتتوازي عبر التوزيع المنسجم لآيات السورة، تظهر للحس فتملاً السمع عذوبة والقلب خشوعاً والنفس إعجاباً والكيان إجلالاً ومهابة

¹ ينظر: محمد ابراهيم شادي، البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، مطبعة الرسالة، سوريا، ط:1، (1409هـ/ 1988م)، ص:12.

² ينظر: نعيم اليافي، قواعد تشكّل النغم في موسيقى القرآن، اتحاد الكتاب العرب، سوريا، 1984، ص: 132.

³ صبيحي صالح، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، ط10، 1977، ص: 334.

⁴ أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج4، ص 174، ينظر: محمد كريم الكوّاز، الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ط:1، 1426م، ص:327.

فضلا عن دوره في الإشعار بالمعنى¹، يقول الدكتور "دراز": "دع القارئ المجود يقرأ القرآن يرتله حق ترتيله نازلا بنفسه على هوى القرآن، وليس نازلا بالقرآن على هوى نفسه، ثم انتبذ منه مكانا قصيّا لا تسمع فيه جرس حروفه، ولكن تسمع حركاتها وسكناتها، ومدّاتها وغنّاتها، واتصالاتها وسكتاتها، ثم ألق سمعك إلى هذه المجموعة الصوتية وقد جرّدت تجريدا وأرسلت ساذجة في الهواء، فستجد نفسك منها بإزاء لحنٍ غريب لا تجده في كلام آخر لو جرّد هذا التجريد وجوّد هذا التجويد"². وهذا سرّ من أسرار إعجازه وجمال موسيقاه، وروعة نغمه الآخذة بالألباب ومجامع القلوب، ليحمل في ثناياه شفرات المعاني، ومفاتيح الدلالات، إلى درجة تمنحه خاصية التأثير في نفوس متلقيه.

فالإيقاع والتلاؤم مع الموضوع ملمح جمالي في التعبير القرآني، وإنّ نظم القرآن ونغمه ينبعث من الحروف والكلمات والأسلوب، فحروفه المتآخية في كلمات ذات إيقاع عماده الانسجام والتلاؤم، ومن ثمّ يتحدّد الأداء التعبيري عبر السياق القرآني، فالإيقاع الهادي له موضعه الملائم، والإيقاع الهادر الصاخب له موضعه الملائم له، والإيقاع الساكن الرقيق له موضعه أيضا، ويتبدى التلاؤم في أن الآية تتظافر ألفاظها في نغم هادي إن كانت الآية في تبشير، أو داعية إلى التأمل والتفكير إن كانت عظيمة وتتلاءم نغماتها القوية إذا كانت إنذار أو وصف عذاب، ويتناسق الإيقاع متلائما مع الموضوع من حيث القوة والجرس الصوتي المدوي المنبثق من الألفاظ بحروفها، والجمل بتراكيبها، والخواتم بشدّة جرسها وقرع الأسماع بها³.

¹ ينظر: محمد ابراهيم شادي، البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، ص: 68/67.

² محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم (نظرات جديدة في القرآن)، اعتنى وخرج أحاديثه، عبد الحميد الدخايني، دار طبية للنشر والتوزيع. الرياض. السعودية، ط: 01، (1417هـ/1997م)، ص: 127/128.

³ ينظر: المهدي ابراهيم الغويل، جمالية البنية الإيقاعية في القرآن الكريم دراسة في الجزء الأخير من سورة مريم، مجلة الجامعة الأسمرية، ع 21، 2011، ص: 170.

وقد جعل الله الإيقاع في القرآن الكريم وسيلة للتمكين والتأثير قصد الاستجابة والإذعان، فهو بهذا آل إيقاعيا مميزا في رصفه للأصوات، وترتيبه للكلمات، وبديعه للنظم، جعلت منه خطابا يتعالى على التبدل والتغيير، وذاك سرّ من أسرار إعجازه وجمال موسيقاه، وروعة نغمتها الآخذة بالألباب ومجامع القلوب، ويحمل في ثناياه شفرات المعاني، ومفاتيح الدلالات، إلى درجة تمنحه خاصية التأثير في نفوس مستمعيه¹. نظرا لما يؤديه من وظائف جمالية متعدّدة إذ "أنّ الأثر للإيقاع ثلاثي، عقلي، وجمالي ونفسي، أما العقلي فلتأكيد المستمر أنّ هناك نظاما ودقة وهدفا في العمل، وأما الجمالي فلأنّه يخلق جوًّا من حالة التأمّل الخيالي الذي يضيف نوعا من الوجود الممتلئ في حالة شبه واعية عن الموضوع كله، وأما النفسي فإنّ حياتنا إيقاعية، المشي والنوم والشهيق والزفير..."²، نظرا لما يمتلكه من نسيج لغوي غاية في الدقة والانتظام، وسحر بلاغي في بيانه، ذو طابع موسيقي متنوع في النغم الإيقاعي. وهذا هو الفن كلّ الفن في الأسلوب، يرجع إلى الذوق الموسيقي في حروف اللغة وأجراسها، كأداة فنية في التعبير. يقيم عليها القرآن مفاهيمه عن الله والإنسان ارتباطا جعلها من أهم الأدوات ذات تأثير المباشر في نفس الجاهلي ووجدانه³، يقول "الرافعي" في هذا الصدد: "فلما قرئ عليهم القرآن رأوا حروفه في كلماته، وكلماته في جملة، ألحانا لغوية رائعة، كأنّها لا تتلافها وتناسبها قطعة واحدة"⁴، "لو سقط واحد منها أو أبدل بغيره، أو أقحم معه حرف آخر، لكان ذلك خلافا بينا في نسق الوزن، وجرس النغمة وفي حس السمع وذوق اللسان وفي انسجام العبارة، وبراعة المخرج، وتساند الحروف وإفضاء بعضها إلى بعض، كالذي تنكره من كل مرئي لم تقع أجزاءه على ترتيبها، ولم تتفق على

¹ . ينظر: خالد قاسم، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن، علم الكتب الحديث، عمان-الأردن، ط1، 2006، ص: 138.

² . عز الدين اسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي عرض وتفسير ومقارنة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1974، ص: 361.

³ . ينظر: كاصد ياسر الزبيدي، الجرس والإيقاع في تعبير القرآن، ص: 330.

⁴ . مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 168.

طبقاتها، وخروج بعضها طولا وبعضها عرضا، وذلك ما بقي منها إلى جهات متنافرة"¹، أي أن الإنسان هنا يقف خاشعا وجلأ أمام هذا النظم الصوتي العجيب في ترتيب حروف القرآن وتناسق حركاتها، إذ يتداخل بعضها مع البعض الآخر في وحدة عضوية متكاملة، ولذلك احتوى النّسق التركيبي للقرآن الكريم هذه النّاحية الجمالية فجاءت انساق بنائه الصوتي تحتوي على إيقاع منتظم مبني على التنوّع، واتخذ طابع المفاجأة من خلال توظيف العنصر الزمني فيه، وهذا ما جاء به أغلب علماء اللغة حينما تحدثوا عن إعجاز نظمه وسرّ موسيقاه، إذ يقول أحد المحدثين: "وللقرآن سرٌّ إعجازي يكمن في نغمه في كل مقطع منه بحيث أنّك لو غيرت كلمة موضعها لشعرت لما يشبه انكسار الوزن في الشعر فالقرآن يمتاز بأسلوب إيقاعي يتفرد فيه عن سائر الكتب"، ولذلك نجد أنّ حذف أي كلمة أو مقطع فيه يقابل زيادة أو نقصان حرفٍ أو مقطعٍ في البيت الشعري فيؤدي إلى اختلال في تفعيلاته الوزنية أو العروضية، وهذا يضيف على الإيقاع الموسيقي الرتابة والانتظام.

2-3- مستويات الإيقاع في سورة آل عمران:

تسعى دراسة المستويات الإيقاعية في عرض الجوانب المهمة ألا وهي: دراسة الإيقاع على مستوى الصوت واللفظة المفردة والعبارة القرآنية وما يدخل في تركيبها بصورة تركيبها بصورة متكاملة لإبراز الجمالية التعبيرية للأسلوب في سورة آل عمران.

3-2-1- إيقاع الحرف:

ويختص هذا اللون بدراسة إيقاع الحرف وتوظيفها في نسق لفظي متوازن يضمن لها اعتدالا وتناسبا مع بقية الألفاظ المجاورة لها بشكل أكثر انتظاما لما لها من الأثر الكبير في إعطاء جرس خاص وإيقاع مؤثر في نفس السامع تتماشى مع المعاني والأغراض التي تدور حولها الآيات القرآنية، ويعدّ "مصطفى صادق الرافعي" أول من أثار بفكرة الإعجاز النظم واستغراقه كل القرآن الكريم إعجازه صوتي، إذ يقول: "إنّ القيمة الفنيّة للحروف كامنة في

¹. مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 248.

كونها دالة على أصوات والصوت وسيلة من وسائل التعبير، وهو يحمل رعشات الطرب، واضطراب القرع وهمسات لا يفسرها غير سماعها، فأصوات الحروف إنما تنزل منزلة النبرات الموسيقية المرسلة في جملتها كيف اتفقت، فلا بد مع ذلك من النوع في التركيب وجهة من التأليف حتى يمازج بعضها بعض، ويتألف منها شيء فتتداخل خواصها وتتجمع صفاتها ويتكون من اللحن الموسيقي"¹. "وحسبك بهذا اعتبارا في إعجاز النظم الموسيقي في القرآن الكريم وأنه مما لا يتعلّق به أحد، ولا يتفق على ذلك الوجه الذي هو فيه إلا فيه، لترتيب حروفه باعتبار من أصواتها ومخارجها، ومناسبة بعض ذلك مناسبة طبيعية في الهمس والجهر، والشدة والرخاوة والتفخيم والترقيق، والتفشي والتكرير..."².

فإنك لو استمعت إلى حروف القرآن خارجة عن مخرجها الصحيحة لتشعر بلذة جديدة، في رصف هذه الحروف بعضها بجانب البعض في الكلمات والآيات كأنها أوتارا يعزف عليها اللسان، فيخرج من كلّ وتر صوت فهذا ينقر، وذاك يصفر، وهذا يخفى، وذاك يظهر وهذا يهمس، وذاك يجهر، والآخري نزل على النفس، وآخر يحتبس عنده النفس وهلم جرا...، فترى الجمال الصوتي أول شيء أحسسته الأذان العربية، والجمال اللغوي مائلا أمامك في مجموعة مؤتلفة تضيفي للفظ طابعا جماليا، وإيحاء معنويا مع جاراتها الألفاظ، مما يحدث بينهما محاكاة صوتية، ينم فيها إظهار المعنى الدلالي للعبارة نفسها، أي أنّ "الصوت ليس له معنى في ذاته، وإنما له قيمة تعبيرية مرتبطة بخصائصه الأوكوستيكية والفيزيائية". وهو ما أطلق عليه علماء اللغة المحدثون (بالقيم التعبيرية للصوت)³. ويراد بها "الدلالة الكامنة في بعض أصوات اللغة Phonaesthemes، وفي بعض التراكيب الصوتية Synaesthesia وفي بعض الكلمات المحاكية Onomatopoeia"⁴، وهذا ما أشار إليه "ابن

¹ . مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 176.

² . المرجع نفسه، ص: 177.

³ . إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط: 5، 1984م، ص: 47.

⁴ . محمد صالح الضالع، الأسلوبية الصوتية، دار غريب للطباعة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط: 1، 2002م، ص: 22.

أثير" (ت 637 هـ)، وهو من القدماء في وصف انتظام الألفاظ من خلال سياقها الموضوعية فيه يكمن عن تألف حروفها المكونة له، إذ يقول: "إنّ هذه الأمور المحسوسة، التي شاهدها في نفسها، لأنّ الألفاظ داخلية في حيز الأصوات، فالذي يستلذه السمع منها، ويميل إليه هو الحسن، والذي يكرهه وينفر عنه هو القبيح، (....) والألفاظ الجارية هذا المجرى، فإنّه لا خلاف في أنّ لفظة (المُرمة) و(الديمة) حسنة يستلذه السمع، ولأنّ لفظة (البُعاق) قبيحة يكرهها السمع"¹، وقول "ابن الأثير" هذا يجعلنا نرجّح أنّ النسق التركيبي لألفاظ أي لغة يستند على عامل الانتقاء من خلال نظمها الصوتي، أي مكوّنها الصوتي، فتكشف بنية معانيها في ذاتها عن طريق التحليل اللغوي، التي تساهم على إظهار الدلالات الوظيفية التي يؤديها الصوت المفرد أو مجموعة الأصوات في اللفظة باعتباره قيمة تعبيرية للغة أو لنسقها التركيبي، وعنصرها إيحائيا يرتبط بالمعنى العام ارتباطا وثيقا من خلال هذا النسق.

وقد حدث ذلك وغيره بفعل اللغة القرآنية المعجزة التي تطرب لها الأذن، وتخضع لها النفوس، وتلين بها القلوب، لما جمعت من لطف الجمال وهيبة الجلال، ولعلّ من أخطر سمات تلك اللغة الفريدة وأبرزها وأقوامها تأثيرا هذا الجمع العجيب بين استرسال النثر وإيقاعية الشعر في نظم صوتي هو من دلائل الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم²، فمكوّنها الصوتي نابع من حروف اللغة العربية، لذلك يمكن أن نعدّ الصوت أو الحرف في اللغة العربية عنصرا إيحائيا في فهم المعنى إذ: "إنّ للحروف في اللغة العربية إحياء خاصا، فهو إنّ يدل دلالة قاطعة على المعنى، يدل دلالة اتجاه وإحياء ويثير في النفس جوّا يهئ لقول المعنى ويوجه إليه ويوحى به"³.

¹ . ضياء الدين ابن أثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: محمد معي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، دط، 1990م، ج: 1، ص: 115/114.

² . ينظر: محمد سيد سليمان العبد، من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، ع: 26، 1989م، ص: 74.

³ . مازن المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر، بيروت، دط، 1960، ص: 261.

ولذلك نجد أنّ الإيقاع الصوتي للمفردة القرآنية، يأتي عن طريق انتظام أصواتها وانسجامها وتلاؤمها في تشكيل صوتي يخلق وحدة عضوية فيما بينها، وهذه الوحدة العضوية تؤدي دوراً مهماً في تكوين هذا الإيقاع الصوتي، أو المحاكاة، ولذا نجد "إنّ الكلمة تحمل إلى جانب جرسها ووقعها على الأذان، وحركة اللسان بها إيقاعاً بالمعنى وظلالاً وموسيقى، وما يُسميه علماء الصوتيات بالأنوماتوبيا ويعنون به موافقة صوت الكلمة لما هو مقصود منها"¹، ويكون ذلك من خلال بروز أحد أصوات الكلمة، مما يعطي جانباً إيحائياً وموسيقى دالة على معناها العام، لذلك يتضح لنا أنّ البناء الصوتي للكلمة لا يفي لرسم كيانها ما لم توضع في سياق لفظي واسع، وهذا ما ذهب إليه "ابن الأثير" (ت637هـ) إذ يقول: "واعلم أنّ تفاوت التفاضل يقع في تركيب الألفاظ أكثر ما يقع في مفرداتها، لأنّ التركيب أعسر وأشق، لأنّ التركيب أعسر وأشق، ألا ترى ألفاظ القرآن الكريم . من حيث انفرادها . قد استعملتها العرب ومن بعدهم، ومع ذلك فإنّه يفرق جميع كلامهم، ويعلو عليه؟ وليس ذلك إلاّ لفضيلة التركيب"²، وقد أقدم بعرض أمثلة على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة هود، الآية: 44].

إذ قال في ذلك: "أنّك لم تجد ما وجدت لهذه الألفاظ من المزية الظاهرة إلاّ يرجع إلى تركيبها، وأنّه لم يعرض لها هذا الحُسن إلاّ من حيث لاقت الأولى بالثانية، والثالثة بالرابعة، وكذلك إلى آخرها، فإن ارتبت في ذلك في ذلك فتأمل، هل ترى لفظة منها لو أخذت من مكانها، وأفردت من بين أخواتها كانت لابسة من الحسن ما لبسته في موضعها في الآية"³.

¹ . مازن المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، ص: 102.

² . ضياء الدين ابن أثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج 1، ص 213.

³ . المرجع نفسه، ج 1، ص 214.

وبناء على هذا، نجد أن القرآن بعيد كل البعد عن التنافر في التركيب، بل يجنح إلى خاصية التلاؤم الصوتي، وجمال الانسجام الموسيقي تام بين الأصوات، ويتجلى ذلك على مستوى اللفظة المفردة أو على مستوى العبارة في نظمه التركيبي السياقي من خلال تتابع أصوات مفرداتها في التأليف وعدم خروجها من مخارج متقاربة كل القرب أو متباعدة كل البعد، فيؤدي إلى الوحشية والغرابة فيه، مما أحدث نوعاً من الانسجام والتناغم الصوتي ضرباً من الإيقاع ناتج عن التلاؤم الصوتي، توحى بدلالات معينة من خلال الأصوات المكونة لها. ونجد ذلك على مستوى الصوامت أو الحبيسات كما نجده على مستوى الحركات أو الطليقات، فالطليقات تتمتع بالتوافق والتجانس فيما بينها¹.

ويعد "الرماني" (ت 388هـ) أول من درس فكرة التلاؤم الصوتي في القرآن، موضحاً أثر ذلك على النفس البشرية، حيث يرى التلاؤم نقيض التنافر وهو أعلى أوجه التأليف وأسمائها مرتبة، حيث يقول: "المتلائم في الطبقة العليا القرآن كله، وذلك بين لمن تأمله، والفرق بينه وبين غيره من الكلام في تلاؤم الحروف على نحو الفرق بين المتنافر والمتلائم في الطبقة الوسطى، وبعض الناس أشد إحساساً بذلك وفطنة له من بعض، كما أن بعضهم أشد إحساساً بتمييز الموزون في الشعر من المكسور، واختلاف الناس في ذلك من جهة الطباع كاختلافهم في الصور والأخلاق، والسبب في التلاؤم تعديل الحروف، فكلما كان أعدل أشد تلاؤماً"². ويرى أن "الفائدة في التلاؤم حسن الكلام في السمع، وسهولته في اللفظ، وتقبل المعنى له في النفس لما يرد عليها من حسن الصورة وطريقة الدلالة ومثل ذلك مثل قراءة الكتاب في أحسن ما يكون من الخط والحرف، وقراءته أقبح ما يكون من الحرف والخط، وقراءته في أقبح ما يكون من الخط والحرف، فذلك متفاوت في الصورة، وإن كانت المعاني واحدة، ومخارج الحروف مختلفة فمنها ما هو من أقصى الحلق، ومنها ما

¹ ينظر: مازن المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، ص: 104.

² علي بن عيسى الرّماني، النّكت في إعجاز القرآن . ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز ، تح: محمد زغلول سلام ومحمد خلف الله، دار المعارف - مصر، ط: 02، 1968، ص: 88.

هو أدنى الفم، ومنها ما هو في الوسائط بين ذلك. ومثال على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 35/33].

لقد بنيت مخارج حروف الألفاظ ألفاظ هذه الآيات على ثلاثة أنواع من المخارج وهي من أقصى الحلق، كما في الهمزة والالف والقاف والحاء والعين، وأصوات أدنى الفم وهي الياء والطاء المفخمة، وأما الأصوات الوسائط فهي (الصاد، والذال، والميم، والراء، والنون، والتاء، والكاف)، فهي من مخارج متفاوتة بين القرب والبعد، وقد أسهم هذا التفاوت في المخارج إلى حصول التلاؤم بين الألفاظ مما أكسب هذه الآيات طابعا جماليا في تنعيمها الصوتي الموسيقي، وساعد على إظهار المعنى الدلالي لها بصورة واضحة، وهو اصطفاء الله سبحانه وتعالى آل إبراهيم واسماعيل واسحاق وأولادهما وآل عمران وموسى وهارون على العالمين سلسلة بعضها من بعض، وإظهار نذر الذي قدمته أم مريم لخدمة دين الله سبحانه وتعالى من خلال خدمتها لبيت المقدس¹.

وكذا في قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوْنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (15) الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالسَّحَارِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 16/15].

مما ساعد على وجود التلاؤم الصوتي هو اشتماله على أصوات أقصى حلق وهي الهمزة والألف والقاف والعين، وأصوات أدنى الفم وهي الياء والجيم والطاء والضاد منسجمة مع أصوات أقصى الحلق، بالإضافة إلى وجود الأصوات الأنفية والشفيتين وهي النون والميم والباء والواو، مع أصوات متقاربة المخرج نسبيا ك (الصاد والسين، والهاء

¹. علي بن عيسى الرّماني، النّكت في إعجاز القرآن. ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، ص: 90.

والغين) واقتراهم كل مرة بأصوات المد الطويلة ذات التردد السمعي العالي، مما أسهم إلى نقلها من الهمس إلى الجهر في تصويتها، ولعل الفارق النسبي في بعد بين هذه المخارج ساعد على تكوين النسق الجمالي للألفاظ بصورة جمالية وإظهار تنغيمه الموسيقي كان سببا في بروز المعاني الدلالية للألفاظ المتسقة بصورة أوضح، في كون الله سبحانه وتعالى هو الذي يخص المتقين بالنفع، لأنهم هم المنتفعون في الحياة الدنيا والآخرة، فيسكنهم في جناته ويطعمهم ويرزقهم من عنده، وهو الذي يثيب ويعاقب يوم القيامة، وخص الله سبحانه وتعالى هؤلاء بالصفات التي ذكرها في قوله أعلاه، لأنهم كانوا يقدمون في الليل وقيمون الصلاة في آخره إلى حين حلول صلاة الفجر، فتصعد هذه الأعمال إلى الله تعالى فيعطي كل ذي عمل ثوابه ورزقه جزاء ما عمل من صالح الأعمال واستغفر الله لنفسه ولكافة المؤمنين في طاعة الله ورسوله¹.

أما "ابن سنان الخفاجي" (ت466هـ) قد اشترط في حسن تأليف اللفظة أو ألفاظ العبارة، بأن تكون حروفها متفاوتة في مخارجها من حيث البعد أو القرب، وعدم تكرار الحروف ذات متقاربة أو متباعدة في المخارج، أوضح ذلك في قوله: "أن يكون تأليف اللفظة من حروف متباعدة المخارج وهذا بعينه في التأليف، وبيانه أن يتجنب الناظم تكرار الحروف المتقاربة في تأليف الكلام، كما أمرنا بتجنب ذلك في اللفظة الواحدة، بل هذا في التأليف أقبح، وذلك أن اللفظة المفردة لا يستمر فيها من تكرار الحرف الواحد أو تقارب الحرف مثل ما يستمر في الكلام المؤلف إذا طال واتسع"².

ولكن "ابن أثير" (ت637هـ) لم يوافق نظرة "ابن سنان الخفاجي" لللفظة، فرأى أن المقياس الفني لجمال اللفظة ينبثق من تأليف المخصوص لأصوات الألفاظ، وشدة وقعها في أذن السامع هي "الحاكمة في هذا المقام بحسن ما يحسن من الألفاظ، وقبح ما يقبح،

¹ ينظر: علي بن عيسى الرّماني، النكت في إعجاز القرآن. ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، ص: 192.

² . أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، تح: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ميدان الأزهر، د ط، (1372هـ / 1952م)، ص: 78.

وسأضرب لك في هذا مثالا فأقول إذا سئلت عن لفظة من الألفاظ وقيل لك ما تقول في هذه اللفظة أحسنة أم قبيحة فأني لا أرى عند ذلك إلا تفتي بحسنها أو قبحها على الفور، ولو كنت تفتي بذلك حتى تقول للسائل اصبر إلى أن اعتبر مخارج حروفها ثم أفتيك بعد ذلك بما فيها من حسن أو قبح لصح لابن سنان ما ذهب إليه من جعل مخارج الحروف المتباعدة شرطاً في اختيار الألفاظ وإنّما شذ عنه الأصل في ذلك وهو أن الحسن من الألفاظ يكون متباعد المخارج فحسن الألفاظ إذن ليس معلوماً من تباعد المخارج، إنّما علم قبل العلم بتباعدها، وكل هذا راجع إلى حاسة السمع¹.

فالإيقاعية في أسلوب القرآن تبدأ من إقامة الروابط والعلاقات بين مخارج الحروف وصفاتها لإكسابها خاصية السهولة والعدوبة، ثم هناك أيضاً علاقة تتضافر والعلاقات المتقدمة تكمن في "حركات الحروف" التي لها قيمة فنية في إحكام الروابط الإيقاعية بين الحروف لتوظيفها في أداء المعنى، فحركات الحروف إضافة إلى صفاتها ومخارجها كلها علاقات أو روابط ملحوظة في بناء الكلمة القرآنية، وفي بناء الإيقاع المؤثر لها.

لهذا لا نجد في العربية كلمة متطابقة في مخارجها وصفاتها وحركاتها، وهذا التنوع في بناء الحروف يحقق وحدة صوتية متناغمة ومنسجمة يكسب الكلمة قيمة جمالية من خلال جرسها المميز، ومن الانسجام والتناسق بين الحروف مخرجا وصفة وحركة، تتكون إيقاعية الكلمة وموسيقاها وهذه الإيقاعية مرتبطة بأداء المعنى، ولا تنفصل عنه وقد بلغ القرآن حد الإعجاز في الإيقاع الموسيقي لكلماته الدالة على المعنى الديني، وذلك في نسبه الموزعة على الأنساق التعبيرية، وفي تناسبه مع الحالات والمعاني والمواقف وفي نظامه البديع المعتمد على نظام العلاقات، ومعاودة هذه الإيقاعية وتكرارها لأداء المعاني الدينية.

¹. ضياء الدين ابن أثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج:1، ص: 173.

ومما لا شك فيه، أنّ سورة "آل عمران" احتوت أمثلة كثيرة مثل هذا النمط الإيقاعي الصوتي، في ثنايا آياتها المائلة إلى الطول، لقوله تعالى: ﴿مَنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 04].

نجد هنا أنّ صوت (الشين) في لفظة (شديد) الدال على التفشي والانتشار والشدة، قد تلاؤم مع أصوات المفردة جميعاً، وخاصة مع صوت (الدال) الانفجاري المسبوق بصوت المد (الياء) الدال على المد الطويل، أو الانتشار، جعل لفظة (شديد) ذات طابع إيقاعي شديد وسريع، يوحي بالمعنى الذي أكسبها قيمة تعبيرية عالية تتضمن معنى: "التهديد الرعب للذين كفروا بآيات الله، وتلوح لهم بعزة الله وقوته وشدته وانتقامه، والذين كفروا بآيات الله هم الذين كذبوا بهذا الدين الواحد بإطلاقه، (...) وهم أول يتوجه إليهم بالتهديد الرعب بعذاب الله الشديد وانتقامه الأكبر"¹.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 52].

فقد تكررت هنا صوت (السين) المشدد المهموس الدال على الهدوء والسكينة في لفظة (أحس) مما أكسب هذه اللفظة إيقاعاً هادئاً، وجعل لها إيحاءاً دلاليّاً واضحاً، وهو إحساس عيسى الكفر من بني اسرائيل، بعدما أراهم كل تلك المعجزات التي لا تنهياً لبشر مثلهم، والتي تشهد بنفسها بأنّ الله وراءها، وأنّ قوته سبحانه وتعالى تؤيدها وتؤيد كذلك من جاءت على يده إليهم"².

¹. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط32، 2003، ج: 3، ص: 368.

². المرجع نفسه، ج: 3، ص: 401.

وما جاء من ذلك قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 117].

فقد جاءت لفظة (صِرٌّ) وهي لفظة ذات جرس عنيف، استمد قوته وشدته من وجود الصوتين (الصاد) الصفيري الاحتكاكي المفخم و(الراء) الاحتكاكي المكرر، ذي التردد السمعي العالي، أكسب اللفظة إيقاعا شديدا نتيجة اجتماع هذين الصوتين، فأوحت لنا بهذا المشهد المروع الذي ألقى ظلاله الشديدة على سمع المتلقي فزلزل كيانه، وذلك لما يحمله من معانٍ دلالية، وهي: "أننا ننظر فإذا نحن أمام حقل قد تهيأ للأخصاب، فهو حرث، ثم إذا العاصفة تهبّ إنها عاصفة باردة ثلجية محرقة تحرق هذا الحرث بما فيها من صِرٍّ، واللفظة ذاتها كأنها مقذوف يُلقى بعنف، فيصوّر معناه بجرسه التّفاد، وإذا الحرث كلّهُ مدمرٌ خراب، إنها لحظة يتم فيها كل شيء، يتم فيها الدمار والهلاك، وإذا الحرث كلّهُ مدمر خراب، إنها لحظة يتم فيها كل شيء، يتم فيها الدمار والهلاك، وإذا الحرث كلّع يباب، ذلك مثل ما يُنفق الذين كفروا في هذه الدنيا. ولو كان يُنفق فيما ظاهره الخير والشر. ومثل ما أيديهم من نعم الأولاد والأموال كلّها إلى هلاكٍ وفناءٍ دون متاع حقيقي ودون ما جزاء".¹

ومنه قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 112].

قد جاءت هنا لفظة (ضُرِبَتْ)، وهي ذات جرس عنيف استمد قوته وشدته من وجود صوت (الضاد) المفخم الشديد الذي يخرج من بين الأسنان، والراء التكراري الشديد الذي يخرج من تكرار ضربات اللسان على اللثة، وكذلك من وجود صوت (التاء) الانفجاري المهموس، واجتماع هذه الأصوات وتلاقعها، قد أكسب اللفظة إيقاعا شديدا، يدل على العنف والقوة واليأس، بهذا المشهد المروع الذي ألقى ظلاله على القارئ المستمع، فهزّ

¹ سيد قطب، في ظلال القرآن، ج: 4، ص: 451.

كيانه وأخشعه له ، وذلك لأنه يُفضي بدلالات هي أنّ الله سبحانه وتعالى قد كتب اليهود، أنّهم في كل أرض يذلّون، ولا تعصمهم في ذلك إلاّ ذمة الله تعالى وذمة المسلمين حيث يدخلون في ذمتهم فتعصم بذلك دماؤهم وأموالهم إلاّ بحقّها، ويأتيهم الأمن والطمأنينة، ولم تعرف اليهود ذلك الأمن والطمأنينة إلاّ حين دخلوا في ذمة الرسول والمرسلين من بعده¹.

ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 12]، فقد جاءت لفظة (تُحْشَرُونَ) الدال على الشدة والقوة والعنف، الذي استمد قوته وشدّته من وجود صوت (الشين) الدال على الانتشار والتفشي، وكذلك بوجود صوت (الراء) التكراري الشديد، وصوت (النون) المتوسط بين الشدة والرخاوة ذي التردد السمعي العالي، وتلاقي هذه الأصوات المجتمعة، قد أكسبها طابعا إيقاعيا يميل إلى العنف والقوة، وجعلها تُوحى بالمعنى الذي أعطها قيمة تعبيرية عالية، ووظيفة دلالية وهي رجوع النّصر للمسلمين بتأييد من الله وتدييره، وفي هذا الشيء تخذيل للذين كفروا وتهديد لليهود بأنّ الله سيفعل بهم مثلما فعل بالأقوام أخرى كآل فرعون الذين أهلكهم الله وأعلى بني اسرائيل، كما أنّ فيه تثبيتا للذين آمنوا وتهوينا من شأن أعدائهم حتى لا يرهبونهم، وهذا ما وعد الله به المسلمين بهزيمة الذين كفروا ويكذبون وينحرفون عن منهج الله تعالى².

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 180]. فقد لفظة (سَيُطَوَّقُونَ) الدال على الشدة والقوة، استمدّها من الأحرف التي كونت البناء، ف (السين) حرف مهموس يشي بالتردد لدى البخيل شاركه في ذلك حرف "الياء" ولكن هذا الطوق ثقيل عليهم يوم القيامة فعبر عنها صوتيا بحرف (الطاء) مهموس المطبق والمقلقل لحالهم، لنجد حرفا (الياء)

¹. ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج: 4، ص: 449.

². المرجع نفسه، ج: 3، ص: 372.

المضمومة و(الواو) عند النطق بهما يشكلان استدارة بالشفيتين مثل استدارة الطوق، لينتهي بحرف (النون) ليختتم المشهد، وباجتماع هذه الأصوات المشكلة في اللفظة أضفى طابعا إيقاعيا متساوقة ما تحمله اللفظة من المعنى ليعطي لها قيمة تعبيرية عالية في نسق الآية، للحديث عن حال الذين يبخلون بأموالهم وبيان عقابهم، لأنّ الله حث على بذل الأرواح وإخراج الزكاة وبين الوعيد الشديد لمن يبخل في ماله لأنّها لله عزّ وجل وقد بخلوا فيها وسوف يطوقون بها يوم القيامة¹.

3-2-2-إيقاع اللفظة:

ويعنى هذا الجانب بدراسة اللفظة كإيقاع، يستمد جماله العذب نتيجة لتكرار الوحدات الصوتية والتوزيع المنتظم لأصوات المفردات، تؤثر في ذهن السامع ونفسيته مما يجعله أكثر تشوقا لها تسهم في بيان المعنى الدلالي بصورة أشمل، ولهذا "لا نعثر في القرآن الكريم على ألفاظ وحشية غريبة التأليف ثقيلة في السمع، كالعشلق، والعشنت، والشوقب والشوذب ونحوها (وكلها بمعنى طويل)، إن انسيابية النظم اللغوي مع التلاوة، قد اقتضت خلوصه من مثل هذه المفردات، مع التسليم بقيمتها الأسلوبية في بعض الاستخدامات الأدبية، فقيام اللغة القرآن على التوازن بين مقتضيات ومتطلبات التعبير الفني الجمالي قد استدعت وضعها خاصا للمفردات في التركيب، يحافظ على أسباب العذوبة والسلاسة والايناس"² بمعنى أن لغة القرآن الكريم تعنى بإحكام التلاؤم الصوتي للمفردات، لتجيء ألفاظ العبارات بصورة متناسقة ومنسجمة لا ضعف في تأليفها ولا تعقيد في كلمها، تستبعد فيها صيغ الكلام الثقيلة التي تخرجها عن سمة الألفة والايناس الصوتي.

¹ ينظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم السبع المثاني، ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1994، ج:4، ص:139.

² . محمد صلاح زكي أبو حميدة، أسلوب الاستفهام ودلالاته البلاغية في سورة الصافات "دراسة أسلوبية"، المجلة العربية للعلوم الإسلامية، ع 32، 2014م، ص:76.

ومن أمثلة ذلك، قوله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّتْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ، مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 196/197]، فلا تجد في تتابع ألفاظها أي كلام وحشي أو غريب يخرجها من فصاحتها أو الذوق العربي السليم في انتقاء المفردات، بل ذوق غاية في الجمال والعذوبة نتيجة التلاؤم الصوتي، لما لها من دور في توليد إيقاع منتظم ورتيب في الشدة والعنف، ساعد على إظهار الدلالات الوظيفية التعبيرية للآيتين الكريمتين، ينم على أنّ "تقلب الذين كفروا في البلاد مظهر من مظاهر النعمة والوجدان، ومن مظاهر المكانة والسلطان، وهو مظهر يحيك في القلوب منه شيء لا محالة يحيك منه شيء في قلوب المؤمنين، وهو يعانون الشظف والحرمان، ويعانون الأذى الجهد، ويعانون المطاردة والجهاد وكلها مشتقات وأحوال بينما أصحاب الباطل ينعمون ويستمتعون، ويحكك منه شيء في قلوب الجماهير الغافلة، وهي ترى الحق وأهله يعانون هذا العناء، والباطل أهله في منجاة، بل في مسلاة، ويحكك فيه شيء في قلوب الضالين المبطلين أنفسهم فيزيدهم ضلالا وبطرا ولجاجا في الشر والفساد"¹.

وقد حاول "سيد قطب" توضيح حقيقة الإيقاع الصوتي بأنه موسيقى تنبعث من تآلف الحروف في الكلمات، وتناسق الكلمات في الجمل، ونظمها في نسق خاص، وما يثريه هذ التناسق من إيقاع موسيقي غاية في الجمال لذهن المتلقي، حيث يقول: "ذلك الإيقاع الموسيقي الناشئ من تخير الألفاظ ونظمها في نسق خاص، ومع أن هذه الظاهرة واضحة جد الوضوح في القرآن الكريم، وعميقة كل العمق في بنائه الفني، فإن حديثهم لم يتجاوز ذلك الإيقاع الظاهري، ولم يرتق إلى إدراك التعدد في الأساليب الموسيقية، وتناسق ذلك كله مع الجو الذي ينطلق فيه هذه الموسيقى، ووظيفتها التي تؤديها في كل سياق"².

¹. سيد قطب، في ظلال القرآن، ج: 4، ص: 549.

². سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط 10، 1988م، ص: 67.

كما تتخذ اللغة القرآنية أحيانا من الصوت المتكرر وسيلة بلاغية لتصوير الموقف وتجسيمه، معتمدا في ذلك على ما تتميز به بعض الألفاظ من خصائص صوتية وما تشيعه بجرسها الصوتي، من نغم يسهم في إبراز المعنى المراد، وإنك لتجد القرآن الكريم يستخدم هذه الوسيلة البلاغية باقتدار رائع، فالصوت المفرد يختار بعناية، تصاحبه أصوات أخرى قد تكون متقاربة ان احتاج الموقف ذلك، وقد تكون متباعدة إن كان التبادل أدلُّ على المعنى وأكثر تصويراً¹.

فالتكرار في القرآن أسلوب من الأساليب البلاغية الرفيعة ومظهر من مظاهر الإعجاز، يحسن استعماله في الأمور المهمة والتي تعظم العناية بها ويخشى بتركه، الخطأ والنسيان وسوء الفهم، بما له وقع كبير في التأثير على مستمعيه، فمن لا يتأثر مرة قد يتأثر بأخرى أو بمرات متعددة، لماله من فوائد جليلة يقول "الجاحظ": "إنَّ الناس لو استغنوا عن التكرير وكفوا مؤونة البحث والتنقير لقلَّ اعتباره قل علمه، ومن قلَّ علمه قلَّ فضله، ومن قلَّ فضله كثر نقصه لم يحمد على خير أتاه، ولم يذم على شر جناه، ولم يجد طعم العزِّ، ولا سرور الظفر، ولا روح الرجاء، ولا برد اليقين ولا راحة الأمن... فهذا لو استغنى البشر في الكلام عن التكرار، فما بالك إذن بكلام رب البشر سبحانه"².

فالقُرآن جاء ليعطي أروع أمثلة في بناءه التركيبي تكشف جانب من جوانب إعجازه البلاغي وجمالياته الأسلوبية، وكيف لا وقد أنزل على قوم تأسروهم البلاغة ولألى الفصاحة، يقول: "ابن قتيبة" (ت: 276هـ): "فقد أعلمتك أنَّ القرآن نزل بلسان القوم وعلى مذاهيمهم، ومن مذاهيمهم التكرار: إرادة التوكيد والإفهام، كما أنَّ من مذاهيمهم الاختصار: إرادة التخفيف والإيجاز، لأنَّ افتنان المتكلم والخطيب في الفنون وخروجه عن شيء إلى شيء أحسن من اقتصاره في المقام على فنٍّ واحد"³.

¹ . محمود أحمد نحلة، دراسات قرآنية في جزء عم، دارالمعرفة الجامعية، الاسكندرية، دط، 1988م، ص: 160.

² . أبو عمرو بن بحر الجاحظ، مجموع رسائل الجاحظ، جمع وتعليق: محمد طه الحاجزي، دار النهضة العربية . بيروت، ط1، 1982م، ص: 73.

³ . أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، دط، دت، ص: 235.

فلم ينحصر حضور التكرار على نوع واحد دون غيره بل جاء النص ثريا بأنماط التكرار عديدة جاءت على شكل ألحان عذبة مطّردة الإيقاع والتنغيم، تحمله من تشكيلات جمالية وإبداعية أدائية موظفة في ثنايا النصّ جراء تكراره للمادة اللغوية بصورة بارعة، فهو يوظف تكرار الألفاظ بصورتها متحدة البنية والدلالة، ويوظف تكرارات اللفظ متحد الدلالة مختلف الهيئة، ويوظف تكرارات الصورة الصرفية باعتماد الوزن، وما يحدثه كلّ ذلك من إكساب الكلام جرسا وموسيقى نصية، وما يتبع ذلك التلوين التكراري من جماليات دلالية وسياقية¹ تجعله متميزا عن الملامح الأسلوبية والتعبيرية الأخرى التي ألفناها.

والأساس في هذا التوظيف هو إثراء السياق الخاص بكل آية من الناحية الصوتية والدلالية، أي: "أنّ القرآن الكريم قد اعتنى بهندسة بالأصوات ليوصل مضامينه في تراكيب يشعر السامع بأنّ لها حلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، لأنّ ذلك التشكيل قد أعطى أي الذكر الحكيم موسيقية لا يمكنها الاستقلال من اتساق النّحو والدلالة، مما يجعل التغير الصوتي ليس مخلا بموسيقية التركيب وحدها، وإنّما بأنظمة البناء جميعا"²، وتتجلى روعته في ترديده الإيقاعي ونغمه الجرسى الذي تعتمد عليه مفرداته اللغوية، وتشكيلاته الأسلوبية، من تركيب أصواته، وترتيب حركاته، وتوزيع حروفه بشكل يعانق فيه اللفظ صورته المعنوية وبنيته الحسية، فجميع هذه الروافد الصوتية تجعل للتكرار في القرآن الكريم نغما موسيقيا وترديدا إيقاعيا هو جزء أصيل من جماليته التعبيرية وطريقته الأسلوبية التي يخاطب بها العقل الإنساني، ويستشرف بها حسّه الوجداني.

¹ ينظر: أسامة عبد العزيز جاب الله، جماليات التلوين الصوتي في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط: 01، 2013م، ص: 330.

² . عامر عبد المحسن السعد، دلالة الاتساق البنائية في التركيب القرآني، أطروحة دكتوراه، جامعة البصرة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، البصرة، 1995م، ص: 29.

جاريا على نسق حوى اتساقا فريدا، وانسجاما عجيبا، لم يخرج عن مألوف العرب في لغتهم، فمفرداته مفرداتهم، وجمله جملهم، وقواعد صوغه قواعدهم، من حروف العرب تألفت كلماته ومن كلماتهم تألفت تراكيبه، وعلى قواعدهم جاء تأليفه، ومع ذلك أعجزهم بأسلوبه الفدّ ومذهبه الكلامي المعجز، وتعبيره الراقى، مما يجعله أسى فوق تعابير العرب عموما والأسلوب البشري مطلقا، يباين التكرار الكائن في كلام البشر، الذي لا يسلم عادة من القلق والاضطراب، يعاب على كاتبه وصار عيبا في كلامه. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وليس في القرآن تكرار محض بل لابدّ من فوائد في كلّ خطاب"¹.

فالقُرآن كلام إلهي تكراره محكم، ذو وظيفة يؤديها في النصّ القرآني، يعرفها كل من خَبَرَ طبيعة النصّ القرآني وخصائصه، يؤدي وظيفتين أولهما دينية والثانية أدبية، وتتعلق بالوضعية الدينية "بتقرير المكرر وتوكيده وإظهار العناية به ليكون في السلوك الأمثل وللاعتقاد أبين، أما الناحية الأدبية فإنّ دور التكرار فيها متعدد وإن كان الهدف منه في جميع مواضعه يؤدي إلى تأكيد المعاني وإبرازها في معرض الوضوح والبيان"، وكل ذلك تؤكده آياته التي تضمنت هذه الظاهرة.

فالقُرآن من هذا المنطلق كتاب دين وكتاب أدب، وهو حمالة روح اللغة العرب، أجاد وأبدع في استخدامها وتوظيفها لتؤدي المطلوب والمقصود، كما أبدع في عرضها، فلم تأت عبثا أو بشكل عشوائي، بل كان من ورائها حكم إلهية، وأغراض بلاغية مخفية، أدهشت العقول وأثرت الألباب بروعة أسلوبها وجمال نظمها، حتّى وإن سلك هذا المسلك المألوف في التكرار غير أنّه خرج بالكلام المكرر عمّا قد يلحقه عادة من قلق النظم واضطراب الأسلوب وضعف الترابط بين أجزائه فيجعل وجه الكلام جافيا كالحا، وقد تعرض العلماء لقضية التكرار وتعددت إجراءاتهم وتقسيماته له، وكان أول من أوجد تقسيم "الخطابي" (ت 388هـ) الذي جعل التكرار على ضربين:

¹. أحمد ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة - السعودية، دط، 2004، ج: 14، ص: 408.

أ- أحدهما "المذموم: وهو ما كان مستغنى عنه غير مستفاد به زيادة معنى لم يستفد بالكلام الأول فيكون التكرار حينئذ فضلا من القول ولغوا، وليس في القرآن شيء من هذا النوع.

ب- الضرب الثاني: ما كان بخلافه، ولا يمكن تجنبه، لأن ترك التكرار في الموضع الذي يقتضيه، تدعو إليه الحاجة فيه مماثل لتكلف الزيادة في وقت الحاجة إلى الحذف والاختصار"¹.

ومع كل ما جاء به وما حواه من عجب اللفظ ودقيق المعنى، إلا أن بعض الملحة وأشباههم ومن لا نفاذ لهم في أسرار العربية ومقاصد الخطاب والتأني بالسياسة البيانية إلى هذه المقاصد، فزعموا به مزاعم سخيفة وأحالوه إلى النقص والوهن، وقالوا أن هذا التكرار ضعف وضيق من قوة وسعة، وهو. أخزاهم الله. كان أروع وأبلغ وأسرى عن الفصحاء من أهل اللغة والمتصرفين فيها، ولو أعجزهم أن يبحثوا بمثله ما أعجزهم أن يبحثوا بمثله ما أعجزهم أن يعيبوه لو كان عيباً²، فكان لزاماً على من تصدى للرد عليهم أن يدرس هذا الأسلوب ويبين أسرار البلاغة ويشير إلى نظيره في كلام العرب وقد فعلوا ذلك³، يجيب "عبد الكريم الخطيب" على من ادعى أن التكرار ليس من أساليب البلاغة بهذا الشكل: "حيث قال بعض من في قلبه مرض وليس سليم الذوق حول التكرار في القرآن شيئاً لا يعجب به، ادعوا أن التكرار في القرآن يسيء إلى فصاحة القرآن ويسأم السامع، على رأيهم ليس أسلوب القرآن على مستوى الرفيع من أساليب البلاغة"⁴.

¹. أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي الخطابي، بيان إعجاز القرآن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، دار المعارف بمصر، ط3، 1982، ص: 52.

². ينظر: مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 194.

³. ينظر: عبد الفتاح لاشين، بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار (وأثره في الدراسات البلاغية)، دار الفكر العربي، مصر، دط، دت، ص: 201.

⁴ عبد الكريم خطيب، إعجاز القرآن في دراسات السابقين دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها، دار الفكر العربي، مصر، ط1، 1974، ص 394.

البلاغيون أعطوا للتكرار دواع كثيرة منها: التأكيد وتقدير المعنى في النفس وطول الفصل والتحسر والتلذذ والتعظيم والتّهويل والتّعجب، والذي نطمئن إليه بشدة أن انسياق بعضهم وراء تحري الفروق الدقيقة بين الألفاظ وشدة الوله بالتفريع كان سببا في إهمال بواعث التكرار ودوره الدلالي في السياق والجو التنغيبي الذي يشيعه والذي يكون له بالغ الأثر في المتلقي، لذا من الطبيعي أن يدرجه بعض الباحثين ضمن مظاهر الإعجاز الكثيرة الذي تحدي بها الله سبحانه وتعالى عباده، يقول "محمود أحمد نحلة": "وإنك لتجد القرآن الكريم يستخدم هذه الوسيلة البلاغية باقتدار رائع، وإعجاز معجز، فالصوت المفرد يختار بعناية، وتصاحبه أصوات أخرى قد تكون متقاربة المخارج إن احتاج الموقف ذلك، ومتباعدة المخارج إن كان التباعد أدلّ على المعنى وأكثر تصويرا له"¹.

وللتكرار معانٍ متنوعة فطن إليه علمائنا العرب، ويعد "الجاحظ" (ت868هـ) أول من تحدث هذه المعاني في كتابه "الحيوان" إذ قال: "ورأينا أن الله تبارك وتعالى إذا خاطب العرب والأعراب، أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف، وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكي عنهم جعله مبسوطا وزاد في الكلام "وعلى هذا الأساس يكون: "ذلك مبالغة في إفهامهم وتوسع في تصوير المعاني لهم وتلوينها بالألفاظ، إيجازا في موضع وإطنابا في موضع إذ كانوا قوما لا سليقة لهم كالعرب وليسوا في حكمهم في البيان، فلا يمضي الكلام لسننه بلا اعتراض من تنافر التركيب وثقل الحروف وجفاء الطبيعة اللغوية، فلهذا ونحوه كان لابد في خطابهم من التكرار والبسط والشرح، بخلاف العرب، فإن الخطاب يقع إليهم على سنن كلامهم من الحذف، والقصد إلى الحجة والاكتفاء باللمحة، وبالإشارة الموحى بها، وبالكلمات المتوسمة، وما يجري هذا المجرى، وهو قول صحيح بالجملة"².

¹ . محمود أحمد نحلة، دراسات قرآنية في جزء عم، ص: 99/98.

² . أبي عثمان بن بحر الجاحظ، كتاب الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، ط: 02، (1384هـ / 1965م)، ص: 94.

ولأنّ التكرار يعد أحد أبرز العناصر الصوتية المستخدمة لغايات أسلوبية في السلسلة الكلامية¹، فإننا سنرى مدى تحقق هذه الغايات الأسلوبية في سياق القرآني وبالأحرى في سورة آل عمران كاشفين الخصائص الجمالية تجري به على مستوى الرّفع والسمو المتناهي في جمال اللفظ ورّقة الصياغة وروعة التعبير، تتنوع أنماطه تبعا لتنوع المقام، والمخاطب، والمتلقي، وهي على أنواع:

- تكرار الصوت.

- تكرار اللفظة.

- تكرار الاشتقائي.

- تكرار العبارة.

1. تكرار الصوت:

وهو أحد أنواع التكرار الصوتي وأصغرها مساحة، ويقصد به الاتكاء على حرف بعينه ليتردد بصفة منتظمة في مجموعة الدوال المتجاورة، ليحكم علاقتها صوتيا². ومما لا شك فيه أنّ تكرار الصوت أو عدّة أصوات يؤدي إلى شيوع جرس موسيقي يكون ملبيا لحاجة المعنى والسياق، فإذا كان السياق يتطلب جرسا شفافا هادئا جاءت الأصوات سلسلة ورقيقة، أما إذا تطلب الخشونة والقسوة فيأتي قويا هادرا. والقرآن الكريم يتميز أسلوبه بالتنظيم الدقيق لأصواته وترتيبها بالشكل الذي لا يوحى بوجود تنافر فيما بينها، وصولا إلى إبراز المعنى المطلوب وإيضاحه بأيسر الطرق، لتحقيق الملحظ الإيقاعي لدى المتلقي من ناحية، وتعميق دلالة الأثر الناشئ عن هذه التكرارات من ناحية أخرى³.

¹ ينظر: بيير جيرو، الأسلوبية، ص: 39.

² ينظر: محمد عبد المطلب، هكذا تكلم النّص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، القاهرة. 1997 م، ص: 40.

³ ينظر: محمد العياشي، نظرية إيقاع الشعر العربي، المطبعة العصرية، تونس، دط، 1985 م، ص: 283.

ونجد النّقد لم يغفل دور الصوت في تحقيق الإيقاع الموسيقي للنص وأقصد هنا بالصوت تكرار حرف من نمط معين¹، لذا "شبه بعضهم الحلق والفم بالناي، فإنّ الصوت يخرج منه مستطيلاً أملس ساذجاً ... فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة، وراح بين أنامله اختلفت الأصوات، وسمع لكل حرف منها صوت لا يشبه صاحبه، فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة كان سببا في استماعنا هذه الأصوات المختلفة"².

وبهذا نجد لكل حرف في السورة يشكل إعجازا بحد ذاته ،لأنّه يختار حروفها وبنّتي لها أصواتها لتشكل تناسقا عجيبا ، والحروف بجرسها ترسم المعاني³، ومثال ما جاء منه في سورة "آل عمران" قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ، لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ، يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الآية : 112/ 114.

¹ ينظر: عبد المنعم عبد الله خلف حميد الدليحي، التّوازي في سورة القمر-دراسة أسلوبية-، مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، مج: 2013، ع: 30، 2013، ص: 338.

² . أبي الفتح عثمان ابن جني، سر صناعة الإعراب، دار القلم، دمشق، ط1، 1993، ص: 09، وأبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص: 16، كمال بشر، علم الأصوات، ص: 161.

³ . ينظر: الجميلي ابراهيم جنداري جمعة، الموقف الأدبي: الإيقاع في القصة القرآنية، اتحاد كتاب العرب، سوريا، 2002م، ص: 16.

نجد أنَّ صوت النون تكرر أكثر من الأصوات الأخرى في سور القرآن الكريم، وهو "صوت مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة، ففي النطق به يندفع الهواء من الرئتين محرّكاً الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق أولاً، حتى إذا وصل إلى الحلق هبط أقصى الحنك إلا على فيسْدُ بهبوطه فتحة الفم ويتسرب الهواء من التّجويف الأنفي محدثاً في مروره نوعاً من الحفيف لا يكاد يسمع"¹.

وقد شاع تكراره في فواصله بنسبة كبيرة عن بقية الأصوات المشاركة في بناءه التشكيلي، ناهيك عن ورودها في ثنايا ألفاظ الآيات، فالنُّون تعد من الأصوات ذات الوضوح السمعي العالي وخاصة إذا جاءت مسبقة بحروف المد أو اللين (الألف والواو والياء) ذات التردد السمعي العالي جداً، فضلاً عما يتمتع به رنين شجي ومؤثر، يضيف تكرارها على آيات السورة اتساقاً موسيقياً هادئاً، يسهم في إبراز معاني ألفاظها، كما في ألفاظ الآيات التي وردت في الآيات المقدمة الذّكر (يتلون، ويسجدون، ويؤمنون، ويأمرون، وينهون، ويسارعون، والصالحين)، وقد ينجح الاتساق اللفظي الموسيقي في تكراره إلى النُّون إلى الشدة والعنف والاضطراب، كما في الألفاظ (يكفرون، ويقتلون، ويعتدون)، لذا يعد تكرارها من السمات المميزة للتركيب القرآني لما تضيفه عليه من طابع إيقاعي متميز.

ومما ورد أيضاً في سورة آل عمران من تكرار صوتي، صوت الميم كما في قوله تعالى:

﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ، إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾. [سورة آل عمران، الآية: 36/34].

¹. ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 66.

فالميم هنا: "صوت مجهور لا هو بالشديد ولا بالرخو، بل مما يسمى بالأصوات المتوسطة، ويتكون هذا الصوت بأن يمرّ الهواء بالحنجرة أولاً فيتذبذب الوتران الصوتيان، فإذا وصل مجراه إلى الفم هبط أقصى الحنك، فسد مجرى الفم فيتخذ الهواء مجرى في التجويف الأنفي، محدثاً في مروره نوعاً من الحفيف لا يكاد يسمع"¹، لذا نلمح أوجه تكراره في الأسماء والصفات دون البقية، وهي (عليم، والعليم، والسميع، ومريم، والرحيم)، وما زاد الميم وضوحاً سمعياً وموسيقياً اقترانها بأصوات المد الطويلة الياء، الذي ساعد في إبراز المعنى الدلالي لهذه الصفات والأسماء الدالة على رحمة الله وحلمه في معاملة عباده.

كما تمكنت أصوات الحروف الصحيحة (المانعة) أن تجمع بين القيمة الموسيقية والقيمة الدلالية، فجاء التكرار حسناً يستلذه السمع²، لما تضيفه على النغمة هدوءاً وطولاً، لتعطينا صورة معبرة عن تأمل الإنسان المؤمن في الكون، وعند استغاثته واستنجاده بخالقه، يظهر ذلك في الآيات التالية: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ، رَبَّنَا إِنَّنا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ، رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 191-194].

ومثال ما تكرر أيضاً في سورة آل عمران صوت (الكاف) في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ (124)﴾ [سورة آل عمران، الآية: 124].

¹ . ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 45.

² . ينظر: عبد الواحد زيارة اسكندر المنصوري، مستويات النظم في التركيب القرآني، أطروحة دكتوراه، جامعة البصرة، كلية الآداب، البصرة، 1998، ص: 92.

فقد تحقق التكرار بوصفه بنية أسلوبية عن طريق هيمنة صوت كاف (6 مرات)، والكاف "صوت شديد مهموس مرقق، يتم نطقه برفع مؤخرة اللسان في اتجاه الطبق، وإصاقه به، وإصاق الطبق بالحائط الخلفي للحلق، ليسد المجرى الأنفي مع إهمال الأوتار الصوتية وعدم اهتزازها"، فالنسق الصوتي للآية مال إلى القوة والشدة بفضل تكرار الكاف الشديدة المهموسة فضلا عن مجاورتها لطائفة من الأصوات لشديدة مثل: الياء والذال والباء ولاسيما في الكلمات (يَكْفِيكُمْ، يُمِدُّكُمْ، رَبُّكُمْ، الْمَلَائِكَةُ)، فقد أعطى التواشج الصوتي لإظهار الدلالة على: "كلمات رسول الله . صلى الله عليه وسلم يوم بدر، للقلة المسلمة التي خرجت معه، والتي رأت نفير المشركين، وقد أبلغهم الرسول . صلى الله عليه وسلم . ما بلغه يومها ربه ، ليثبت قلوبهم وأقدامهم، وهو بشر يحتاجون إلى العون في صورة قريبة من مشاعرهم وتصوراتهم، ومألوفاتهم، وأبلغهم كذلك شرط هذا المدد أنه الصبر والتَّقْوَى، والصبر على تلقي صدمة الهجوم، والتَّقْوَى التي تربط القلب بالله في النَّصْر والهزيمة"¹.

ومن الأصوات الأخرى شاع فيها التكرار نجد صوت "الراء" في قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 35]. فالناظر للتعبير الكريم يلمس إحياء صوت (الراء) فكان توزيعه منتظما ومتسقا منح لسورة إيقاعا صوتيا بارزا، الراء صوت مجهور "مكرر يضرب اللسان معه ضربات متتالية"²، فجاء تكرارها مناسب للدعاء، جاء "تكشف لنا عن قلب "امرأة عمران" وما يعمره من إيمان، ومن توجه إلى ربها بأعز ما تملك، وهو الحنين الذي تحمله في بطنها، خالصا لربها، محررا من كل قيد ومن كل شرك ومن كل حق لأحد غير الله سبحانه وتعالى"³.

¹ . سيد قطب، في ظلال القرآن، ج: 4، ص: 470.

² . أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص: 340.

³ . سيد قطب، في ظلال القرآن، ج: 3، ص: 392.

ومثال ذلك ما تكرر صوت الباء في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 30]، فجاء في الموضع الأول مع الإدغام عن طريق التشديد أضفى على الكلمة نوعاً من الإجلال والوقار تزيد محبة العباد لهم، والتي تختلف عن محبة البشر لبعضهم البعض.

فمحبة الله تعالى للعباد جاءت على سبيل الجائزة والمكافأة لمحبتهم، فجاء تكرارها بفك الإدغام معنى آخر نستشفه في لفظة (يُحِبُّكُمْ) من الرقة ما ليس في اللفظ المدغم، يشعر أثناء النطق بها نوعاً من التدليل والتنعيم للمخاطبين، كما يوحي تكرار الباء الشفوية الرقيقة ذات المخرج القريب بزيادة تقريبه إياهم ومضاعفة المحبة بهم إزاء محبتهم إياه. ساعدت على إبراز المعاني الدلالية للآية إذ "أن حب الله ليس دعوى باللسان، ولا هيأما بالوجدان، إلا أن يصاحبه الاتباع لرسول الله، والسير على هداه، وتحقيق منهجه في الحياة.. وأن الإيمان ليس كلمات تقال، ولا مشاعر تجيش، ولا شعائر تقام، ولكنه طاعة لله والرسول، وعمل بمنهج الله الذي يحمله الرسول"¹.

كما تكراره لأصوات الشديدة كصوتي (القاف والتاء) في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 102]، فصوت (القاف) من أصوات أصوات التفخيم الجزئي، والتفخيم هو "ارتفاع مؤخر اللسان إلى الأعلى قليلاً في اتجاه الطبقة اللينة، وتحركه إلى الخلف قليلاً في اتجاه الحائط الخلفي للحلق"². أما أصوات التفخيم الجزئي فهي أصوات لإطباق منها مع استعلائها³، فتكرارها - القاف والتاء - أحدثا إسهاماً قوياً بإيقاعاتها في تجسيد ضخامة وعظمة وهيبة التقوى، "التقوى التي تبلغ أن توفي بحق الله الجليل.. التقوى الدائمة اليقظة التي لا تغفل ولا تفتت لحظة من لحظات العمر حتى يبلغ الكتاب أجله"⁴.

¹. سيد قطب، في ظلال القرآن، ص: 387.

². أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص: 283.

³. ينظر: المرجع نفسه، ص: 283.

⁴. سيد قطب، في ظلال القرآن، ج: 3، ص: 442.

وكذلك نلاحظ تكرار لأصوات (الكاف والميم) و(التاء والميم) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 153]، فإننا نلمس ظاهرة التكرار الصوتي في كلمة (صَدَقَكُمُ) و(أَرَاكُمْ) (مِنْكُمْ)، (فَشِلْتُمْ) وَ(تَنَازَعْتُمْ) و(عَصَيْتُمْ).... وغيرها، فالكاف والتاء أصوات تمتاز بالفخامة والشدة، وعند التقائها بالميم المجهورة ساعد ذلك في زيادة وضوحها في السمع، زيادة على ذلك فإن الميم كصوت يملك خصائص وصفات متعددة كالجر والغمّة، و من أشباه الصوت اللين¹، ساهمت في رسم مشاهد كامل للمعركة، حيث بدأ المسلمون يحسون المشركين، أو يتسألون شأفتهم، قبل أن يليهم الطمع في الغنيمة، وكان رسول الله . صلى الله عليه وسلم قد قال لهم: لكم النصر ما صبرتم"، لكن ضعف فريق منهم أمام هذا الإغراء الغنيمة، ووقع النزاع بينهم وبين ما يرون الطاقة المطلقة لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتهى الأمر بالعصيان، بعدما رأوا بأعينهم طلائع النصر الذي يحبونه².

ومن أروع صور التكرار ما ورد في كلمة "زحزح"، في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 185]، نلاحظ تكرار صوت متلازمين الحاء والزاي، وكما عرفنا أنّ من خصائص الحاء الهمس، والزاي فهو الجهر، وبذلك يلتقيان في الاحتكاك ويختفيان في الجهر والهمس، لتصور لنا دلالتها "وكأنما للنار جاذبية تشد إليها من يقترب منها، ويدخل في مجالها فهو في حاجة إلى من يزحزحه قليلا ليخلصه من جاذبيتها المنهومة فمن أمكن أن يزحزح عن مجالها، ويستنقذ من جاذبيتها، ويدخل الجنة فقد فاز³.

¹ ينظر: ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 28.

² ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج: 4، ص: 493.

³ ينظر: المرجع نفسه، ج: 4، ص: 539.

2. تكرار الألفاظ:

يمتد تكرار الألفاظ إلى مساحة صوتية أكبر من امتداده في مساحة الحروف، وذلك بالإلحاح على تردد الألفاظ بعينها داخل نسق الآيات، وليس المقصود من التكرار مجانسة الألفاظ ببعضها لبعض وإنما تكرار المتشابه بينها ومشاكلتها فيما بينها، وصولاً إلى تقوية النغم وإبراز الإيقاع وإيصاله إلى المتلقي من خلال الأثر الذي يتركه في السامع والقارئ ولهذا قالوا أن هذا " الضرب من التكرار هو الذي يفيد تقوية النغم في الكلام"¹.

والتكرار في اللفظة يتم بعدة أوجه، يتواجد في الأفعال والأسماء والصيغ المتناوبة في النص وليدة الضرورات اللغوية والدلالية أو التوازن الصوتي، تختلف بطبيعة الحال فيه دلالاتهما المعنوية على الرغم أنهما متساويتان لفظاً.

أ. تكرار الأسماء:

إنّ الاسم في العربية كما هو معروف . يراد به معنى الثبات والديمومة . ويحقق تكراره إيقاعاً يتناسق مع المعنى ويسايره، ونستدل على ذلك في تكرار لفظ "الملك" بضم الميم وهو من الأسماء فنجد دلالاته واحدة في الأسماء المكررة، وتكراره حقق تناسقاً صوتياً ينسجم والدلالة التي يراد من تكرارها قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 26].

فتكرار لفظ "الملك" ثلاث مرات قد أثبتت أحقية صاحبه بالتصرف فيه، ولا سيما أن اللفظ الأول بين من هو المالك وهو الله سبحانه وتعالى، ودلالة الملك ثابتة في كل لفظ مكرر، فمن حقه أن يعطيه لمن يشاء، ويخلعه ممن شاء، ولا يسأل عن ذلك الحق، ولو تغيرت دلالة الألفاظ المكررة لأصبح التصرف محدوداً في جزء من الملك، وهذا غير ممكن.

¹ ماهر مهدي هلال، جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، دار الرشيد للنشر، العراق، دط، 1980، ص: 239.

ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 42]، "فالاصطفاء الأول تقبلها من أمها وتفريغها للعبادة وتوفير الرزق لها، وتطهيرها عن فعل السوء، والثاني هدايتها وإرسال الملائكة إليها، وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير أب وتبرئتها مما قذفها به اليهود بإنطاق الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين"¹، وتكرار هذه تأكيد وتقرير على أن السيدة مريم مصطفاة على نساء العالمين أجمع.

ومن تكراره للأسماء أيضا قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 93].

فقد تكررت لفظة (اسرائيل) مرتين، وهي دلالة واضحة على اسم آخر وهو (يعقوب) عليه السلام الذي حرم على نفسه لحوم الإبل وألبانها، وقيل عروقها، لأنه كان مريضا بعرق النساء، إذا شفي من مرضه.²

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 45]، فهنا نجد أن لفظة (مريم) وهي اسم قد تكررت مرتين، دلالة من الله سبحانه وتعالى على اثبات انتساب عيسى لمريم لأنه ولد من غير أب فلا ينسب إلا إلى أمه، وبذلك فضلت على غيرها واصطفيت على نساء العالمين.³

¹ ناصر الدين بن أبي سعيد عبد الله عمر بن محمد الشيرازي (ت791هـ)، أسرار التنزيل أسرار التأويل المسمى تفسير البيضاوي، حققه وعلّقه عليه وخرج أحاديثه وضبطه نصه محمد صبيعي بن حسن حلاق ومحمد أحمد الأطرش، دار الرشيد، دمشق، ط: 01، (1421هـ/2000م)، مج: 01، ص: 16.

² ينظر: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج 1، ص 371.

³ ينظر: المرجع نفسه، ج 1، ص 363.

وكذلك في قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (192) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (193) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (194)﴾ [سورة آل عمران، الآية: 194/191].

فتكرار كلمة "رَبَّنَا" في صدر كل آية أحدث نوعا من التوازن الصوتي والنغم الإيقاعي، تناسب مقامات الدعاء التي هي مخ العبادات، فتلاوة هذه الآيات بطريقة تنغيمية تتوازى فيها الوحدات الصوتية ما بين الصعود تارة والهبوط تارة أخرى، تأنس لترديدها العقول، وتميل لأنسها الأنفس.

ب . تكرار الأفعال:

وتكرار الفعل يعبر عن حركة تعطي النص الحيوية وتنفخ فيه الحياة، وعملية التكرار الأفعال تعني إعادة لتلك الحركة أو الحيوية اللتين تقويان الدلالة، فتجعل السامع في حالة تعجب واستغراب، ومثل هذا التكرار لا يخلو من الإيقاع ينسجم وتلك الحالة المستغربة.

ويأتي تكرار الفعل الذي يعني تكرار الحدث بعد إطلالته، وكأنّ تلك الإعادة تجديد وتطرية له كما في قوله تعالى: ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 03]، فنلاحظ تكرار صيغتي الفعل الماضي (نَزَلَ)، و(أَنزَلَ)، وهنالك خصيصة أسلوبية في مجيء كليهما وهي أنّ القرآن نزل منجما فحين نزل الكتابان جملة كما يرى الزمخشري¹، وبهذا النص تفرد أسلوبيا بمجيء الفعل المكرر ليعطي معاني مختلفة تخدم سياق الآية.

¹ ينظر: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج1، ص:336.

بمعنى أنزلا الكتابان التوراة والانجيل دفعة واحدة على موسى وعيسى عليهم السلام على عكس القرآن الكريم الذي أنزل منجما أي بشكل دفعات على النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

ومنه أيضا في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 67]، فقد تكرر هنا فعل الماضي التاقص (كان) مسبقا ب (ما) التافية، دلالة على نفي الله تعالى أن يكون إبراهيم عليه السلام على دين اليهود أو النصارى لإشراكهم به عزيزا والمسيح. عليه السلام.¹

ومن تكرار الفعل المضارع قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 21]. فتكرار الفعل (يقتلون) يؤسس دلالة معينة انبثقت من النص الكريم وهي "دلالة على ما فعله أهل الكتاب لقتلهم رسولهم بغير الحق وقتلهم اتباعهم كذلك، وسعيهم الحثيث لقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لولا أن عصمة الله من شر كيدهم"²، فمنح التكرار للآية تكثيفا واضحا في المعنى وفيضا زاخرا بالإيحاء والتجديد.

ج. تكرار الصيغ:

ومثال ما تكرر في سورة "آل عمران" من الصيغ: حرف العطف، الذي يعتبر من بين العناصر التي تؤدي إلى التماسك النصي، وربط عناصر الكلام مع بعضها البعض، كما يشكل إيقاعا موسيقيا متدرجا يتحكم في ارتفاع سرعته أو انخفاضها، بحسب نوعية الحرف المستعمل، لقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ هَذَا الصَّلَافَ فِي يَمِينِكَ وَارْفَعْكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرْكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 55].

¹ . ينظر: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ص: 371.

² . المرجع نفسه، ص 347.

فإننا لوغيرنا أي حرف عطف من مكانه أو استبدلناه بغيره لاختل المعنى ولذهب جمال التعبير، فدور أدوات العطف لم يقتدر على تنظيم وترتيب أحداث قصة النص القرآني، بل يقوم بتوزيع الصوت كذلك، لأنَّه يعدُّ إحدى وسائط النبر، فالواو يوصف بأنَّه "حرف يجمع ما بعده مع شيء قبله إفصاحاً في اللفظ أو إفهاماً في المعنى، وإنَّما يقع ذلك لمن يعلو خطابه ولا يرتاب في إبلاغه"¹، والفاء تعطي معنى التعقيب بلا تراخ فتقوم برفع الصوتية الآية بصورة مهموسة لأنَّها مهموسة"²، وتقوم بقرع متلاحق يصاحب الآية تكرار نبري الذي استدعاه الحدث الدلالي، فهذا لا يعطي إلا أنَّ "لأجراس الحروف في الكلام إفادة نغمية"³، لتعقبها "ثم" عاطفة لتدل على الترتيب مع التراخي، التي ساهمت في إظهار الوظيفة الدلالية للآية، "لقد أرادوا صلب عيسى عليه السلام وقتله، وأراد الله أن يتوفاه، وأن يرفعه إليه، وأن يطره من مخالطة الذين كفروا والبقاء بينهم وهو رجس وذنس، وأن يكرمه فيجعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة"⁴.

ومنه قوله تعالى: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 17]، ترى ألا يستقيم المعنى لو أغفل حرف العطف (و) بين الصفات، فيقول مثلاً: هذا هو المسلم الصدوق الأمين المخلص، لكن الله سبحانه وتعالى اختاره لبيان الجليل إيذاناً بمعنى خصوصي ما كان ليتحصل لو حذف حرف العطف وهذا القصد هو الإشارة إلى كمال الموصوف، بحيث تنزل كل صفة منزلة مستقلة وما ذاك إلا لقوة الموصوف في تلك الصفة وكأنَّه يقول: والله بصير بالعباد الصابرين، والله بصير بالعباد الصادقين، والله بصير بالعباد القانتين وهكذا، وهذا هو المعنى الذي نستفيده من تكرار حرف عطف بين هذه الصفات.

¹ .برهان الدين أبو حسن ابراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، بيروت .

لبنان، ط: 1، 1969م، ج 1، ص 232.

² .عبد المنعم عبد الله خلف حميد الدليعي، التوازي في سورة القمر. دراسة أسلوبية. ص: 362 .

³ .وداد مكايي حمود الشمرس، التَّوازي في القرآن، أطروحة دكتوراه، جامعة موصل، كلية التربية للبنات . 1422هـ، ص: 56.

⁴ ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج: 3، ص: 403.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 05].

لقد تكررت هنا (لا النافية) مرتين، دلالة على عدم خفاء أي شيء عن خالقه لأنه هو الذي أوجده في هذا الكون الواسع، أي أنه يعني بذلك جل ثناؤه: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ هُوَ فِي الْأَرْضِ، وَلَا شَيْءٌ هُوَ فِي السَّمَاءِ، يقول: فكيف يخفى عليا يا محمد وأنا علام جميع الأشياء، ما يضاهي به هؤلاء الذين يجادلونك في آيات الله، من نصارى نجران في عيسى بن مريم، في مقالتهم التي يقولونها فيه"¹. والإشارة فيها: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي قَدَّرَ الْمَقَادِيرَ فِي الْأَزَلِ كَيْفَ يَشَاءُ، ودبر الأحوال على ما يشاء، ثم خلق الأرض والسماوات وبث فيهما كل ما يشاء، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء لا في الأرض ولا في السماوات².

ومن الحروف الذي تكررت، حرف التوكيد (إِنَّ) الذي يضيف على العبارة قوة وجزالة لما يحمله من دلالات إيحائية لطيفة في التوكيد، يقول "الكعبري": "إنما دخلت (إِنَّ) في الكلام للتوكيد عوضاً عن تكرير الجملة، وفي ذلك اختصار تام مع حصول الغرض من التوكيد"³، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 155]، لقد أظهر الله تعالى تمحيص ما في قلوب المؤمنين ثلث صفات من صفاته العلا وأسمائه الحسنى، وهو العفو الغفور الرحيم، ليجعله مرآة ظهور صفاته العفو والمغفرة⁴.

¹. أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 3، ص 167.

². ينظر: أحمد بن عمر بن محمد نجم الدين الكبرى (ت 618هـ)، التأويلات النجمية في التفسير الإشاري الصوفي، تحقيق وتخريج وتعليق ودراسة أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، 1971، ص: 5.

³. أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب، تح: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، ط: 1، 2009، ج: 3، ص: 205.

⁴. أحمد بن عمر بن محمد، التأويلات النجمية في التفسير الإشادي الصوفي، ص: 84.

وفي حروف الجر، قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 13]، لقد تكرر حرف الجر (في) ثلاث مرات في سياق الآية الكريمة، إذ وعد الله بهزيمة الذين يكفرون ويكذبون وينحرفون عن منهج الله، ووعد الله بنصر الفئة المؤمنة ولو قل عددها، وتوقف النصر على تأييد الله الذي يعطيه من يشاء حقيقة قائمة لا تنسخ، وسنة ماضية لا تتوقف، ولا بد من بصر ينظر وبصيرة تتدبر، لتبرز العبرة، وتعمها القلوب¹.

وقد كثر هذا النوع من التكرار في ثانيا آيات سورة "آل عمران" بنسب كبيرة جدا، مما أضفى للبنية التركيبية انسجاما لآيات السورة مع تنوع فواصله، فساعدتها على إظهار مشاهدتها بصورة مؤثرة وزيادة تناسق المعنى الدلالي لمفرداتها بصورة أوضح.

3. تكرار الاشتقاقات:

يعتمد هذا التكرار على جذر اللفظ المكرر، قد نجد لفظين أو عدة ألفاظ مشتقة من الجذر نفسه، ولهذا التكرار قدرة على جذب انتباه المتلقي إلى الأصل كما يعمل على تركيز الدلالة في ذهن المتلقي أيضا.

وتتخذ الألفاظ المشتقة المكررة وسيلة لتخفيف من الإحساس بالألم، وتمس شفافية النفس لتطمئنها بأن ذلك الإحساس مشترك مع العدو، ويعطي بذلك صفة التعميم، ويشكل هذا اللون من التكرار بنسب متفاوتة في السورة آل عمران: لقوله تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 140].

¹ سيد قطب، في ظلال القرآن، ج: 3، ص: 372.

تظهر لنا الألفاظ المشتقة المتكررة (يمسّكم، مسّ) وتكرار اللفظ (قرح) تناسقا صوتيا، وتنوعا في التنغيم المتقارب، فتكرار السين والميم خلق جواً من صوت صفيري مصحوب بغنة خيشومية، يعبر عن حالة الألم بعد المعركة أحد وسقوط عدد من الشهداء، وإصابة كثير من المسلمين بالجراح، ولتخفيف الإحساس بالألم كان تكرار اللفظ (مسّ) أي أصاب القوم وهو الكفار من قريش بالإحساس بمثله في معركة بدر.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 188].

يعني (لا تحسبن) الذين يفرحون أنفسهم فائزين، وقوله: "فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ" تأكيد بأنهم غير ناجين من العذاب في أي حال من الأحوال.

لقول الله تعالى: ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 54]، أي مكروا بعيسى، وواوا الضمير تعود على بني إسرائيل بالحيلة والقتل فجازاهم الله على مكروهم بالخيبة والخذلان.

فالتكرار في هذه الآية جميل، لأن التكرار له دلالات فنية، يدل على الاهتمام بموضوع ما، يشغل البال سلبي كان أم إيجابا، خيرا أو شرا، جميلاً أو قبيحاً، ويستحوذ هذا الاهتمام على حواس الانسان وملكاته، والتكرار يصور مدى هيمنة المكرر وقيمته وقدرته، وإن كل عبارة فيها لفظ مكرر يكون حداً فاصلاً لموقف نفسي معين، وبالتالي تحمل. أي هذه العبارة. دفعة شعرية متناغمة في وقع موسيقى مقسّم متساوٍ مع لاحقتها وسابقتها، لا نحسّ معه بملل وإنما الذي نحسّه هو جمال ناجم عن التلاؤم الطبيعي بين أجزاء الآية¹.

¹. ينظر: عبد الحميد جيدة، الاتجاهات الحديثة في الشعر العربي المعاصر، مؤسسة نوفل، بيروت، ط: 01، 1980م، ص: 68/67.

4. تكرار العبارة:

ويمثل هذا النوع من التكرار قمة الأداء الصوتي المنبعث من النص، لما يتسم به من الشمولية والاتساع مقارنة بالأنواع المذكورة سابقا من التكرار، فهو يعتمد إلى تكرار جملة أو عبارة قرآنية داخل السياق بعد كل فقرة أو فقرتين فيمنح النص القرآني تشكيلا صوتيا جماليا أسلوبيا خلابا يزرع الراحة والطمأنينة في ذهن المتلقي، وقد تنبه إلى ظاهرة تكرار العبارة أو جملة في النص القرآني، جملة من علماء اللغة العرب، نخص منهم "السكاكي" (ت626هـ) حيث ركز على دور التكرار في إعادة اللفظ أو عبارة عدّة مرات في النص القرآني أو الشعري على حدّ سواء، إذ يقول: "إنّ نحو فبأي آلاء ربكما تكذبان، وويل يومئذ للمُكذِّبين، فمذهوب به مذهب رديف يعاد في القصيدة مع كلّ بيت، أو مذهب ترجيع القصيدة يعاد بعينه مع عدّة أبيات، أو ترجيع الأذكار، وعائب الرديف أو الترجيع، أما دخيل في صناعة تفنين الكلام، أو ما وقف بعد على لطائف أفانيته"¹.

وكذلك "ابن أثير" (ت637هـ) في مثله السائر، حيث يرى أنّ التكرار العبارة في البيئة القرينية وقعا كبيرا في زيادة الدلالة المعنوية لتلك الآية، وقد ضرب لذلك مثلا، قوله تعالى: ﴿قَدْ وَفُوا عَذَابِي وَنُذْرٍ، وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [سورة القمر، الآية: 40/39]، إذ قال أنّه: "قد تكرر ذلك في السورة كثيرا وفائدته أن يجددوا عند استماع الحث على ذلك، والبعث إليه، وإن تقرع لهم العصا مرّات لئلا يغلبهم السهو وتستولي عليهم الغفلة، وهكذا حكم التكرير في قوله تعالى في سورة الرحمن (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) وذلك عند كلّ نعمة عدّدها على عباده"².

إذن فالتكرار في الجملة يعمل على إيقاظ ذهن المتلقي من خلال قرع الأسماع بالجرس المنبعث من ألفاظها، ومن الآيات القرآنية التي تضمّنّها بحثنا والتي اشتملت على هذا النوع قوله تبارك وتعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا

¹ . أبي يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت626هـ)، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية . بيروت .

لبنان، ط: 01، (1403هـ/ 1973م)، ص: 28.

² . ضياء الدين ابن أثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج: 3، ص: 15.

بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿[سورة آل عمران، الآية: 18]، إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
قد كرّر في الآية الكريمة جملة (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) مرتين، مما يفيد دلالة لفظية هي "أَنَّ الأول
جرى مجرى الشهادة وإعادة ليجري الثاني مجرى الحكم بصحة ما شهد به الشهود"¹، أي
أَنَّ الملائكة وأولوا العلم من المؤمنين أَنَّهُ قائم بذاته جلّ شأنه.

وما ورد منه أيضا قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ
مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة آل
عمران، الآية: 26].

فقد كرر سبحانه وتعالى جملة "من تشاء" دلالة على أَنَّ كلامه قد "وقع في الخير
الذي يسوقه إلى المؤمنين وهو الذي أنكره الكفرة، فقال بيدك الخير تؤتيه أولئك على الرغم
من أعدائك"².

ومنه ما تكررت فيه الجملة أيضا، قوله تعالى: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي
اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة آل
عمران، الآية: 27]، وفي هذه العبارات دلالات منها: "ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل
والنهار في المعاقبة بينهما، وحال الحي والميت في إخراج أحدهما من الآخر، وعطف عليه
رزقه بغير حساب على أَنَّ من قدر على تلك الأفعال العظيمة المحيرة للأفهام ثمَّ قدر أن
يرزق بغير حساب من يشاء من عباده... إلخ"³.

¹ . محمود بن حمزة بن نصر الكرماني (ت500هـ)، أسرار التكرار في القرآن، تح: أحمد عز الدين وعبد الله خلق الله،
دار صادر ، بيروت - لبنان، ط: 02، (1417هـ/ 1996م)، ص: 37، وينظر: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر
الزمخشري ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل، ج1، ص343.

² . ينظر: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج:3،
ص:222.

³ . المرجع نفسه، ج:1، ص:35.

وأيضا في قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ، قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَرُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 30/18]، حيث تكررت "ويحذركم الله نفسه مرتين في هذه الآيات، لقد كان "أبو السعود" رأي فيها، فدلالة التكرار: "﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾" تكرر لما سبق، وإعادة له، لكن لا للتأكيد فقط، بل لإفادة ما يفيدته قوله عز وجل: { وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ } من أن تحذيره تعالى من رأفته بهم، ورحمته الواسعة، أو أن رأفته بهم لا تمنع تحقيق ما حذرهموه من عقابه، وأن تحذيره ليس مبنيا على تناسي صفة الرحمة، بل هو متحقق مع تحققها أيضا¹.

وفي قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 49]. قال الزمخشري في تكرر قوله تعالى: "بإذن الله": "إنَّ الغرض من ذلك هو رفع وهم من توهم فيه اللاهوتية"²، لأنَّ الإحياء ليس من جنس الأفعال البشرية³، وقيل يعود "بإذن الله" الأولى إلى الأفعال الثلاثة وهي أخلق، أنفخ فيكون طيرا، وأما "بإذن الله" الثاني فهو كذلك يعود إلى الأفعال الثلاثة الأخرى وهي: أبرئ، أنبئكم، وأحي⁴.

¹ أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، تفسير أبي السعود المسعى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار احياء التراث العربي، بيروت-لبنان، دط، 2007، ج: 02، ص 40.

² أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج: 01، ص: 431.

³ ينظر: أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، تفسير أبي السعود المسعى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج: 1، ص: 218.

⁴ ينظر: محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى، البرهان في توجيه متشابه القرآن، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1982، ص: 48.

وفي قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ: وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 106/107]، وفي تكرار هذه العبارات دلالات مؤثرة، هي من: "كان من أهل دور الحق وَسِمَ بياض اللون واسفاره واشراقه، وابيضت صحيفته وأشرقته، وسعى النور بين يديه وبيمينه، ومن كان من أهل ظلمة الباطل وَسِمَ بالسواد وكسوفه وكَمَدِهِ، واسودت صحيفته واطلمت، وأحاطت به الظلمة من كل جانب"¹.

ومنه قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَهُمْ يَكْفُلُ مَرِيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 44]، فالناظر إلى التعبير يطالع تكرار عبارة (وما كنت لديهم)، وعن فائدة هذا التكرار يقول أبو السعود "وتكرير ما كنت لديهم مع تحقق المقصود بعطف إذ يختصمون على إذ يلقون كما في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾ [سورة آل عمران، الآية: 47]، للدلالة على أن كل واحد من عدم حضوره عليه الصلاة والسلام عند إلقاء الأقلام وعدم حضوره عند الاختصام مستقل بالشهادة على نبوته عليه الصلاة والسلام، لاسيما إذا أريد باختصامهم تنازعهم قبل الاقتراع فأنَّ تغيير الترتيب في الذكر مؤكد له². وهكذا حمل التكرار سمة التوكيد في استقلال النبوة.

¹ أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج: 1، ص: 399.

² ينظر: أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج: 1، ص: 361.

3-2-3- إيقاع المقاطع:

يعد الكلام في مجموعه حزمة صوتية مترابطة، وهي التي يصطلح عليها بـ"المقاطع"، ولكل لغة قواعدها خاصة في تجميع الوحدات الصوتية في مقاطع ضمن هيكلية محددة تختص بتلك اللغة، فنظام المقطعي في اللغة العربية يتميز بمجاميع من المقاطع، تتكون كل مجموعة من عدّة مقاطع ينظم بعضها إلى بعض فهي وثيقة الاتصال¹، وبفضل الكلام العربي تنقسم تلك المجاميع إلى مقاطع ليُجعل من هذه اللغة لغة إيقاعية أكثر من غيرها لتعدد مقاطعها.

وقد أثبتت الدراسات المخبرية (الفيزيولوجية منها والسمعية) أن إنتاج الكلام لا يتم بضغط متواصل وثابت من الرئتين خلال المجموعة النفسية الواحدة، فعضلات الصدر تنتج نبضات منفصلة من الضغط خلال إنتاج المجموعة النفسية الواحدة، كما أنّ تسجيلات الكلام ودراسة طيفه أدّت إلى تسجيل الذبذبات الصوتية لجملته ما، ويظهر أثر الذبذبات في شكل خط متموج يتكون هذا الخط من قمم ووديان، وتلك القمم هي أعلى ما يصل إليه الصوت من الوضوح²، وهنا يجب التنويه إلى ما تم القول في الأسطر الأخير بجملته ما وعدم التلفظ الكلمة المفردة لأنّ التركيب المقطعي يخضع لما يقع بين حدّين أدنيين من الأسماع في السلسلة الكلامية أي لحظتي الصمت اللتين تسبق إحداهما الشروع في التلفظ بالكلام وتلي الثانية نهايته.

ويعد المقطع الصوتي من الوسائل الصوتية المتميزة التي يركز عليها النصّ القرآني، تظهر منسجمة متألّفة مع جو السورة والآيات القرآنية تعبر عن حالات شعورية ونفسية التي تكتنف تلك الآيات، يخلق بسكتاته حائلا يحول عن صفة الاتصال الصوتي التام مما يسهم في تشكيل الإيقاع اللغوي وإيجاد العلاقة بين المقام والأنماط المقطعية، وأي اختلاف يعتري البناء المقطعي بين النصوص سيؤدّي إلى اختلاف البناء الدلالي³.

¹ ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 111.

² ينظر: بسام بركة، علم الأصوات العام، ص: 96.

³ ينظر: هلال علي محمود، سورة العاديات . دراسة مقطعية، مجلة آداب الرافيدين، جامعة الموصل، ع: 54، 2009، ص: 99.

وإنّ معرفة نسيج الكلمات في سورة آل عمران يعنى أساسا تقسيم الوحدات الصوتية إلى مقاطع صوتية وذلك لتحديد طرفي الكلمة في بعض الأحيان يصعب تعيينها وتحديدّها إذ "ليس من السهل في بعض الحالات تحديد معالم الكلمة ومعرفة أين تبتدئ وأين تنتهي أو تقسيمها إلى مقطع (Syllable) وذلك لأنّ تحديد الكلمات يقوم على أسس معقدة فالكلمة العربية تتألف في حالتها المجردة من أصوات مقطعية رتبية تأتي منها واحدة بجانب الأخرى"¹.

ويمكن السبب وراء صعوبة تحديد معالم الكلمة أثناء التشرّح المقطعي إلى عدم الاتفاق اللغويين المحدثين إلى ضبط مفهوم المقطع ومردّه ذلك إلى اختلاف الرؤى حول الوظيفة الأكوستيكية الفيزيائية أو الوظيفة النطقية والأجهزة المستخدمة التي لم تمكنهم من رسم حدود المقطع بدقّة² ولعل من أنسب التعريفات التي نراها جامعة لتحديد المقطع هو "نوع بسيط من الأصوات التركيبية في السلسلة الكلامية، بمعنى أنّ الوحدة الصوتية أكبر من الفونيم (الصوت اللغوي) وتأتي مباشرة بعده من حيث الأبعاد الزمنية في النطق والمكانية في الكتابة"³.

والمقاطع الصوتية كما هو معروف في اللغة العربية "نوعان متحرك (Open) وساكن (Closed) والمقطع المتحرك هو الذي ينتهي بصوت لين قصير أو طويل، أما الساكن فهو الذي ينتهي بصوت ساكن"⁴، وغرضنا من هذه الدراسة المقطعية تحديد أنماط المقاطع في سورة آل عمران تستند بالأساس إلى المقاطع الأكثر وضوحا وتمييزا من الناحية الصوتية التي بدورها تؤثر في نفوس المتلقين، فالذوق الفني والحس الروحي كفيلا لالتماس الدور الإيقاعي والجمالي للمقاطع.

¹. ريمون طحان، الألسنية العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دط، 1980م، ج: 01، ص: 70، وينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص: 238 / 243.

². ينظر: إنعام الحق الغازي، ناصر محمود، المقطع الصوتي وأهميته في الكلام العربي، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب لاهور، باكستان، العدد: 24، 2017م، نقلا عن: برتيل مالمبرج، علم الأصوات، تر: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، دط، 1985م، ص: 154.

³. بسام بركة، علم الأصوات العام، ص: 97.

⁴. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 159 / 160.

فالوحدة الصوتية في القرآن الكريم تخضع لنظام محكم وفق سياق عام غير معزولة عنه، متنوعة المقاطع وفق ما يقتضيه السياق ويتطلبه المقام، ومن أحسن استعمالات المقاطع الصوتية قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 37].

إنّ تحليل هذه الآية إلى مقاطع صوتية تبرز مدى اختيار القرآن لمقاطع معينة دون غيرها، لأنّ سياق المقام يستدعي هذا الانتقاء والاختيار لما تحمله من طاقات ودلالات إيجابية تكتشف لنا عن فضاءات النص العميقة، وهذا ما نلاحظه في التشريح المقطعي:

فَ / تَقْ / قَبْ / بْ / لْ / هَا / رَبْ / بْ / هَا / بْ / قْ / بُوْ / لْ / حْ / سَ / نْ / وَ / أَنْ / بْ / تْ / هَا / نْ / بَا / تَا /
حْ / سَ / نَا / وَ / كَفْ / فَ / لْ / هَا / زَكَ / رِيْ / يَا / كُلْ / لْ / مَا / دَخْ / لْ / عَ / لِيْ / هَا / زَكَ / رِيْ / يَا / اَلْ /
مَحْ / زَا / بْ / وَ / جَ / دَ / عِنْ / دَ / هَا / رِزْ / قَا / قَا / لْ / يَا / مَرْيَمُ / أَنْ / نَ / لْ / كِ / هَا / ذَا / قَا / لَتْ / هُوَ /
مِنْ / عِنْ / دِلْ / لْ / هِ / إِنْ / نَ / لْ / هِ / يَرْ / زُقْ / مَنْ / يَ / شَاءُ / بْ / غِيْ / رِ / حْ / سَا / بْ .

والملاحظ أنّ الآية اشتملت على ثمانية وتسعين مقطعاً، وبلغ عدد المقاطع القصيرة ثمانية وأربعين مقطعاً، فتواجهه في الآية قوي ومركز مقارنة بالمقاطع الأخرى، لكونه يتميز هذا المقطع بالوضوح والبساطة في تكوينه، بالإضافة إلى حركته الإيقاعية البارزة والمثيرة للانتباه لبنائها على صورة واحدة صامت + صائت¹.

فالآية تتحدث عن سرعة استجابة الله تعالى لدعاء والدته مريم عليها السلام . فالفاء في قوله "تَقَبَّلَهَا" تعكس هذه السرعة . ورعايته سبحانه وتعالى لها، وبعدها تطوي الآية الأحداث والوقائع والأزمنة منذ ولادة سيدة مريم ثم كفالة سيدنا زكريا عليهما السلام وتعظيم مقامهما عند رب العالمين، وكل هذه الدلالات يساعد المقطع القصير (ص ح) ذا الرتم السريع على إظهارها وإبرازها عاكسة تسلسل وتعاقب أحداث القصة.

¹ . عبد القادر عبد الجليل، هندسة المقاطع الصوتية والموسيقى الشعر العربي (رؤية لسانية حديثة)، دار الصفاء . عمان- الأردن، ط: 01، 1998م، ص: 30.

وفي قوله تعالى: ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 03]، مقاطعها كالتالي:

نَزَلَ / عَ / لِيْ / كَ / لَ / كَ / تَا / بَ / بِلَ / حَ / قِ / مُ / صَدِّ / دِقًا / لِ / مَا / بَيَّنَّ / نَ / يَ /
دي/هـ /و/ اَنُّ /زَ/لَتُ/ تَوْ/رَا/ةَ /وَلُ/إِنْ/جِي/لَ.

اشتملت الآية على أربعة وثلاثين مقطعاً، وبلغ عدد المقاطع المقفلة التي تنتهي بالسكون (ص ح ص) أربعة عشر مقطعاً للتعبير عن مقامات الجد والصرامة والجسم¹.

ففي الآية مقاطع جادة تناسب معنى جد والفصل تعبّر بصورة رائعة عنه، فجاء السياق ليتحدث عن نزول القرآن وعلو شأنه، حيث جاء مصدقاً للكتب السماوية السابقة وليفرق بين الحق والباطل.

فهذه الآية خطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تتضمن دلائل وبراهين قاطعة بأن القرآن من عند الله وكذلك التوراة والإنجيل للذين يشككون في صدق الكتب ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويحثهم إلى انقطاع عن ذلك، فمن يؤمن بالتوراة والإنجيل وجب عليه الإيمان بالقرآن لأنّه منزل واحد وهو الله تعالى، وإذا ما حاولنا ربط هذه الدلالة بدلالة الانقطاع والتقطع الذي يدلُّ عليها المقطع المقفل (ص ح ص)، فأجيز القول أنّه أضفى شيئاً من خصائصه على دلالة الآية الكريمة.

وقد روعي في الآية إيقاعاً جميلاً، بحيث توزعت باقي المقاطع المفتوحة بين الطويلة والقصيرة، يمكن ملاحظتها بشكل جلي في هذه الخصائص الصوتية التي تتسم بالامتداد الصوتي وهي "تا، بَ، ما، نَ، را، جي، لَ" والراجح أنّ المقاطع الطويلة الموظفة تجسد مقام الرفع لله تعالى وتعالى مكانته لا ينافيه فيها أحد.

¹ ينظر: أبو زيد أحمد، التناسب البياني في القرآن، مطبعة النّجاح الجديدة، الدار البيضاء، د ط، 1970م، ص: 321.

ويساعد هذا النوع من المقاطع على الاسترخاء والتريح في الأداء، إنه وقفة بعد تتابع عدة مقاطع صوتية مما يتيح أداء الصورة أداءً بالإيقاع¹.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 140]، جاء التفسير المقطعي وفق النمط الآتي:

إِنْ / يَمْ / سَسْ / كُمْ / قَرْ / حٌ / فَ / قَدْ / مَسَّ / قَوْمَ / قَرْ / حٌ / مِثْلُ / لُ / هُ / وَ / تِلْ / كَلْ /
أَيُّ / يَأْمُ / نٌ / دَا / وِ / لُ / هَا / بَيُّ / نَنْ / نَا / سِ / وِ / لِ / يَغْ / لَ / مَلْ / لَ / هُلْ / لَ / ذِي / نَا / أْ / مَ /
نُو / وِ / يَتْ / تَ / خِ / ذَ / مِنْ / كُمْ / شُ / هَ / دَا / ءَ / وَلْ / لَ / هُ / لَا / يُّ / حِ / بُظْ / ظَ / لِ / مِي / نَ .

بلغ عدد مقاطع هذه الآية سبعة وستين (67) مقطعا متوزعة من خمسة وعشرين (25) مقطعا من نوع (ص ح)، وثمانية (08) مقاطع من نوع (ص ح ح)، وثمانية وعشرون (28) مقطعا من نوع (ص ح ص) وحضي الأخير حصة الأسد، فمنح للآية إيقاع متوازن اصطفى خصائصه من المقطع القصير السريع ومن المقطع الطويل البطيء، فهذا المقطع يساعد على الاسترخاء بعد تتابع لمجموعة من المقاطع قصيرة قبله، فأضفى للآية إيقاعا متميزا.

ولننظر الآن في استخدام التعبير القرآني البليغ للمقاطع المفتوحة، جاء ليعبر عن لون من التعبير الهادئ المريح تطربه الآذان وترتاح النفوس له، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 198].

ألا ترى أن هذه المقاطع المفتوحة التي تنتهي بالصوامت المفتوحة (لا، ذي، قو، تا، ري، خا، دي، في، ها، لا، ما، لا، را " نجحت في تصوير النعيم الذي أعدّه الله للمتقين.

¹. ينظر: محمد ابراهيم شادي، البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، ص: 58.

كما نجد أنّ المقاطع الطويلة الممدودة في نظام الصوتي لهذه الآية قد أدى وظيفة موسيقية في النظم وجعله مناسباً للمعنى "فتوزيع المقاطع الصوتية يقوم على مراعاة التناسب الصوتي الذي يجعل الصياغة لذيدة تأخذ القلوب والأسماء على مسيرة المعاني والصور والمشاهد، فيلَوْن حركة الإيقاع باللون المناسب للمقام شَدَّةً، وَحَدَّةً، وارتخاءً، وبطئًا وسرعة"¹.

وفي الآية الأخرى، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 200]، ومقاطعها كالآتي:

يَا / أَيُّ / هَلْ / لَ / ذِي / نَ / آ / مَ / نُو / ا / صَ / بَ / رُو / وَ / صَا / بَ / رُو / وَ / رَا / بَ / طُو
وَتَ / قُلْ / لَا / هَ / لَ / عَ / لَ / كُمْ / تَفْ / لَ / حُو / نَ .

اشتملت الآية على خمسة وثلاثين مقطعاً، واحتلت المقاطع المفتوحة المقفلة المنتهية بصامت، وهذا النوع (ص ح ح ص) قليل الشيوع في السورة، واستقر في مواضع متشابهة في خطاب المؤمنين من جهة . كالتى بين أيدينا . أو ذمّ المشركين من جهة أخرى كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 98] فكما هو واضح أنّ الآية توجه اللوم والعتاب والذم لأهل الكتاب لسلوكاتهم المشينة اتجاه الدين الحنيف.

جاءت الآية المستأنفة بوصايا جامعة للمؤمنين تجدد عزيمتهم وتبعث الهمم إلى دوام الاستعداد للعدوّ كي لا يثبطهم ما حصل من الهزيمة، فأمرهم بالصبر الذي هو جُماع الفضائل وخصال الكمال، ثُمَّ بالمصابرة وهي الصَّبْر في وجه العدو، وهذا النوع من الصبر أشدُّ ثباتاً في النَّفْس وأقربه إلى التزلزل، وأوصاهم بالمرابطة ليكونوا دائماً على حذر من عدوهم².

¹. أبو زيد أحمد، التناسب البياني في القرآن، ص: 328.

². محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 04، ص: 408.

ولعل في تكثيف المقاطع الطويلة المقفلة ما يشير إلى إظهار المشقة والتعب، لأن تلك الوصايا ليست بالسهلة بل تحتاج إلى نفس متمرسة قوية للإفصاح عنها، وساندها على ذلك حرف الراء المكرر ليحاكي عملية الاستمرار في الصبر والمرابطة.

4-الفاصلة القرآنية:

تعد الفاصلة القرآنية ظاهرة أسلوبية تضيف للخطاب القرآني قيمة صوتية جمالية دلالية، فهي من العناصر المهمة في بناء التشكيل الصوتي وتنوعه في النص القرآني، لما تؤديه من دور مهم في تنظيم آياته واتصال معانيها واتساقها مما يخلق بينها موسيقى منتظمة ينتج عنها إظهار الدلالات الوظيفية للألفاظ المتشكلة، والقادرة على التأثير في أذن المتلقي واستجابته له.

أي أن: "موسيقى الفواصل أشبه موسيقى القوافي في الشعر وبناء القرآن الكريم على الفواصل تأكيد لقيمتها الموسيقية في الكلام، إذ بتوقع الأذان . مع توالي الآيات . تكرير الصوت أو عدة أصوات"¹، والسؤال المطروح: ماهية الفاصلة القرآنية ؟ وفيما تتجلى جمالية القيم الصوتية للواصل القرآنية؟

4-1-تعريف الفاصلة القرآنية:

أ. لغة:

لقد جاء في قاموس المحيط أن "الفاء والصاد واللام كلمة صحيحة تدل على تمييز الشيء من الشيء وإبانته عنه"²، "والفصل بون ما بين الشيئين"³، وفصلت الشيء فانفصل، أي قطعت فانقطع⁴.

¹ محمد سيد سليمان العبد، من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، ص: 85.

² أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، ج4، ص 505. مادة (ف ص ل)

³ ابن منظور، لسان العرب، ج: 11، ص: 521. مادة (ف ص ل)

⁴ ينظر: أبو النصر اسماعيل بن حماد الفارابي الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تج: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 02، (1407هـ/ 1987م)، ج: 05، ص: 1790.

وجاء في "معجم الاشتقاق المؤصل": "أنّ المعنى الجوهرى للفصل هو تميز الشيء عن غيره، مع تمام أو ما هو من بابه"¹.

وخلاصة الرأي اللغوي، أنّ الفصل في كتب القدماء بمعنى موضع حدٍ بين شيء وآخر، ولم يتطرق أحد من اللغويين أنّ الفصل يقتضي التّمام سوى ما جاء في معجم المؤصل، وهذا المعنى وثيق الصلة بالفاصلة القرآنية التي نحن بصدد الحديث عنها.
ب. اصطلاحاً:

يقصد بالفاصلة القرآنية ذلك اللفظ الذي ختمت به الآية، فكما سموا ما ختم به بيت الشعر قافية، أطلقوا ما ختمت به الآية الكريمة فاصلة.

وقد اقترن مصطلح الفاصلة قديماً بجملة من التعريفات متصلة بالقافية في الشعر والسجع في النثر إما بعقد مقارنة بينهما أو الجمع بينهما في المعنى واحد أو المفاضلة.

إنّ أول من أشار إلى مصطلح الفاصلة "الخليل بن أحمد" (ت 170هـ)، إذ يقول: "سجع الرجل، إذا نطق بكلام له فواصل كقوافي الشعر من غير وزن كما قيل: "لصّها بطل، وتمرها دقل، إن كثر الجيش بها جاعوا، وإن قلّوا ضاعوا"². فدلالة المصطلح عامة تشمل كل كلام مسجوع تشبه قوافي الشعر دون وزن.

وقد ورد المصطلح عند سيبويه (ت 180هـ) في معرض حديثه عن حذف الياء الفعل المنقوص، إذ يقول: "وجميع ما لا يحذف في الكلام وما نختر فيه أن لا يحذف، يحذف في الفواصل والقوافي"³، والأسماء الأجدر أن تحذف، إذا كان الحذف فيها غير الفواصل

¹ . محمد حسن جبل، المعجم الاشتقاقى لألفاظ في القرآن الكريم، كتبة الآداب، القاهرة، ط:01، 2010م، ج: 03، ص: 167.

² . خليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تح: ابراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، بغداد، د ط، د ت، ج:02، ص:244. مادة (س ج ع)

³ . سيبويه، الكتاب، ج:4، ص: 185/184.

والقوافي¹ وبلحظ أن سيبويه استخدم مصطلح أواخر الآيات، ولم يرد لفظ السجع، وجعل الفواصل والقوافي بمنزلة واحدة، فهي تؤدي دورا في تنظيم الطابع الصوتي الموسيقي وإبراز المعاني الدلالية في نسق التركيبي تماثل القافية وما تؤديه في عملية المحافظة على تناسق أواخر أبيات القصيدة الشعرية وكيفية انتظام معانيها.

واستبعد البعض تسمية الفاصلة سجعا، تكريما للقرآن الكريم وترفعاً أن يقاس على منظوم القرآن، فالفاصلة تكون مقاطع الكلام فيها متماثلة كما تكون متقاربة على عكس السجعة التي يشترط فيها توافق الفاصلتين في الحرف الأخير وهذا ما أشار إليه "ابن الأثير" (ت 637 هـ) بأنه "تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على الحرف واحد. "مما يعني أن الفواصل أعم وأشمل من السجع. وقد احتدم الصراع ونزاع الفكري والقبولي بين المؤلفين بين منكر ومؤيد حول المصطلح، وبقي الصراع قائما حوله في وقتنا الحاضر على الرغم من تطور العلوم اللغوية والصوتية، على رأسهم "الرماني" (ت 384 هـ) الذي نفى مسألة وجود السجع في القرآن وتفضيله استعمال الفواصل، حيث قال: "والفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني، والفواصل بلاغة والأسجاع عيب، وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني، أما الأسجاع فالمعاني تابعة لها، وهو قلب ما توجبه الحكمة في الدلالة"². ووافقه الباقلاني: "ولو كان القرآن سجعا لكان خارج عن أساليب كلامهم ولو كان داخلا فيها لم يكن بذلك الإعجاز، ولو جاز أن يقال هو سجع معجز لجاز أن يقولوا الشعر معجز"³، وحجتهم في ذلك:

¹ ينظر: سيبويه، الكتاب، ص: 184-185

² علي بن عيسى الرّماني، النكت في إعجاز القرآن - ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، ص: 97 .

³ أبو بكر بن الطيّب الباقلاني، إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف . مصر. ط: 03، دت، ص: 57.

- قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "أسجع كسجع الكهان"، "أسجاعة كسجاعة الجاهلية"¹، وجعله مذموماً².
- لأن أصله من سجع الطير³، فشرف القرآن أن يستعار لشيء منه لفظ أصله مهمل ولأجل تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث في وصفه بذلك.
- وردَّ "ابن سنان الخفاجي" وأتباعه كالمعتزلة، والزمخشري (ت 538هـ)، والسبكي (ت 771هـ)، وابن نفيس (ت 684) على شبهة المانعين، فأتى بعملين لإثبات مذهبه بأدلة جديدة ليس من وسع إنكارها، فكان أكثر النقاد حسماً للخلاف وأشدّهم حماساً لإثبات السجع في القرآن الكريم، وكان منهجه على النحو التالي⁴:
- بدأ بذكر مذاهب المانعين، وذكر عبارة "الرّماني": "الفواصل بلاغة والسجع عيب" وفنّد أدلتهم واحداً واحداً بقوله: "بقوله: "وأظن الذي دعاهم إلى تسمية كل ما في القرآن فواصل ولم يسموه ما تماثلت حروفه سجعا، رغبتهم في تنزيه القرآن الكريم عن الكلام المروي عن الكهنة وغيرهم"⁵.

¹ الحديث رواه الطبراني، وفيه محمد بن سليمان مسمول، وهو ضعيف، ولفظه "عَنْ مُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: " كَانَ عِنْدَ رَجُلٍ مِنْ هَذِيلٍ امْرَأَتَانِ فَرَمَتْ إِحْدَاهُمَا الْآخَرَى بِفَيْهٍ أَوْ بَعْمُودٍ فَسُطَّاطُ فَاسْقَطَتْ، فَرَفَعَ ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَضَى فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَغْرَةً فَقَالَ أَوْلِيَاؤُهَا: كَيْفَ نَدِي مِنْ لَا صَاحَ وَلَا اسْتَهْلَ، وَلَا شَرِبَ وَلَا أَكَلَ فَمَثَلُ ذَلِكَ يُطْلَى، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَسْجَعُ كَسْجَعِ الْأَعْرَابِ". جَاءَ فِي مَعْجَمِ الزَّوَائِدِ وَمَنْبَعِ الْفَوَائِدِ، لِلْحَافِظِ نَوْرِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْهَيْثَمِيِّ، بِتَحْرِيرِ الْحَافِظَيْنِ: الْعِرَاقِيِّ، وَابْنِ حَجَرَ، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ . بيروت . لبنان، د ط، د ت، ص: 300.

² ينظر: أبو بكر بن الطيّب الباقلاني، إعجاز القرآن، ص: 57.

³ جاء في لسان العرب في مادة (س، ج، ع): "سجع الحمامة: موالاة صوتها على طريق واحد، تقول العرب سجعت الحمامة: إذا دعت فطربت في صوتها، وسجعت الناقة سجعا مدّت حينها على جهة واحدة"، ج: 08، ص: 150.

⁴ ينظر: عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة . العابدين . القاهرة، ط: 01، (1413هـ/ 1992م)، ص: 321/ 322.

⁵ .أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص: 171.

- فرق بين الفواصل والأسجاع تفرقة فنية بأنّ الأسجاع حروف متماثلة في مقاطع الفصول أما الفواصل فممنها ما يكون متماثل الحروف ومنها ما يكون متقارب الحروف، فالأول سجّع والثاني فاصلة.

- أنّ السجّع الذي يتبع المعنى . وهو غير مقصود متكلف . فذلك بلاغة والفواصل مثله، وما تقع المعاني تابعة له وهو مقصود متكلف فذلك عيب.

ومما يؤيد به المجيزون مذهبهم فوق ما ذكر، أنّ السجّع من الفنون التي يبين بها فضل الكلام ويقع لها التفاضل في البيان والفصاحة، كالجناس، والالتفات ونحوهما من الفنون البلاغية التي هي محل اتفاق من حيث ورودها فيه، فكما جاز ورود هذه الفنون فيه جاز ورود السجّع، وأقوى ما استدلووا به الاتفاق على أنّ موسى أفضل من هارون، لمكان السجّع قيل في موضع: "هارون وموسى" (طه: 70)، ولما كان الفواصل في موضع آخر بالواو والنون، قيل: "موسى وهارون" * [سورة الشعراء، الآية: 48]¹.

ولست هنا بصدد تتبع كل الآراء والحجج حول هذا الموضوع، فالخلاف السائد بين العلماء كان شكلياً، وهو عائداً إلى الأسماء أكثر من المسميات، فالجميع يتفق أنّ الفاصلة هي اللفظ الذي ختمت به الآية، والجميع ينظر للقرآن نظرة تقديس وتعظيم وينفون مشابته بكلام البشر.

* اقترن " موسى وهارون " في القرآن عشر مرات، تسعا فيها ذكر موسى على هارون، أربع مرات في غير فاصلة: البقرة: 248، الأنعام: 84، يونس: 75، الأنبياء: 48، وخمس مرات في فاصلة الأعراف: 121، الشعراء: 48، المؤمنون: 45، الصافات: 114 و120، وتقدم هارون على موسى في موضع واحد في الفاصلة موضع الجدل، قوله تعالى: ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ (70) طه: 70، ينظر: محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، دار عمار، عمان، الأردن ط: 02، (1421هـ/2000م)، ص: 108.

¹ ينظر: أبو بكر بن الطيّب الباقلاني، إعجاز القرآن، ص: 65.

4-2- القيم الجمالية للفاصلة القرآنية:

ولا يخفى عن قارئ القرآن والمهتم به دراسة وفهما أن القرآن جمال متفرد، والفاصلة القرآنية لوحة من لوحات جمالية وركيزة بيانه في نظمه، تضيف للخطاب القرآني جمالا وإعجازا، تجعل المتلقي واقفا خاشعا مهورا تمتلكه النشوة من الأعماق لاعتمادها على الانسجام النغمي في تردد عالي بين آياتها، فهي صورة تامة التي تنتهي فيها أبعاد جمل الأصوات، لها أثر بالغ في تأليف الصوتي والمعنوي وفي التصوير البياني بفضل تنظيم الدقيق المحكم للآيات واتساقها بشكل يظهر معانيها على وجه الأمثل، تكسب الأسلوب القرآني قوة وصلابة في التعبير تتجلى جمالياته من دلالاته السياقية التي تبرز التحام الأصوات بالمعاني لو طرحت أو استبدلت بغيره لاختل السياق سواء من جهة المعنى والجرس الصوتي، فليست الفواصل مجرد توافق بين الألفاظ والأوزان، بل هي علاقة وثيقة الصلة لما قبلها، وكأن ما سبقها لم يكن إلا تمهيدا لها، تأتي مستقرة في موضعها لا قلقلة ولا نافرة عمد إليها التعبير القرآني لتحقيق أغراضه ومقاصده دينية ودنياوية.

وعلى هذا الأساس وجب الاعتراف بتفوق الفاصلة على السجع في النثر والقافية في الشعر، لأن جمالية المعنى والجرس في سياق الآيات تتشكل بصورة دقيقة لا يمكن ملاحظتها في غيرها استنادا لقول "تمام حسان": "تأتي الفاصلة في نهاية الآية لتحقيق النص جانبا جماليا لا يخطئه الذوق السليم، لأنه مهما يكن من شيء نحس أنها تضيف على النص قيمة صوتية منتظمة ينقسم سياق النص بها إلى وحدات أدائية تعد معالم الوقف والابتداء وتتضافر مع الإيقاع فينشأ من تظاferها أثر جمالي لا يبعد كثيرا عما نحسه من وزن الشعر وقافيته ولكن هذا الأثر يمتاز عن ذلك بالحرية من كل قيم مما تفرضه الصنعة على الوزن والقافية"¹.

¹. تمام حسان، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية في النص القرآني، عالم الكتب، القاهرة، ط: 01، (1413هـ / 1993م)، ص: 195.

ولقول "بنت الشاطئ": ما من فاصلة قرآنية إلا يقتضي لفظها في سياقه دلالة معنوية لا يؤديها لفظ سواه، قد نتدبره فهتدي إلى سره البياني، وقد يغيب عنا فنقر بالقصور"¹.

وأنّ جمالية الفاصلة صوتياً تحقق بالوقوف عليها، فالوقف على الفواصل هو الذي يعطيها ذلك الجرس الصوتي الأسر الذي يأخذ الألباب... وهذا ما جعل أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم يتعلمون الوقف كما يتعلمون القرآن، روى "ابن الجزري" عن ابن عمر قوله: "لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أحدنا ليؤتي الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة على النبي . صلى الله عليه وسلم فيتعلم حلالها وحرامها وأمرها وزاجرها وما ينبغي عليه منها"²، وقال "الزركشي": "إنّ مبنى الفواصل على الوقف، ولهذا شاع مقابلة المرفوع بالمجرور، وبالعكس"³، فلولا الوقف لذهب جمال الفواصل لأنّ متفاوتة في الحركات فبعضها ينتهي بالضمة، والبعض الآخر بالفتحة أو الكسرة.

فالقرآن بغير فواصل كالإنسان بغير مفاصل، فسبحان الله الذي أنزل القرآن ولم يجعل له عوجاً!

¹ . عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن، ومسائل ابن الأزرق دراسة لغوية قرآنية بيانية، دار المعارف، ط: 02، ص: 278.

² . محمد بن محمد بن جزري، النشر في القراءات القرآنية، تح: علي محمد الضياع، المكتبة التجارية الكبرى . القاهرة . مصر، د ط، د ت، ص: 225.

³ . أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهارد الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دارالمعرفة، بيروت، 1391هـ، ج: 03، ص: 69.

3-4- أنماط الفاصلة القرآنية:

1-3-4- ما يختص حروف الفاصلة:

يكون بحسب الحروف التي تتكون منها الفواصل، وهو على نوعين:

أ. الفواصل المتماثلة:

وتسمى كذلك المتجانسة أو ذات المناسبة التامة¹، فهي التي تماثلت حروف رويها كما في الشعر، كما في قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ [سورة آل عمران، الآية: 114/115]، فقد جاءت الفواصل على حرف واحد وهو صوت النون ذات التردد السمعي العالي، ومما زاد هذا التردد وضوحا سبقها بصوت المدّ (الياء)، لذلك أحدثت انسجاما بينها وبين الأصوات في الألفاظ التي قبلها وما بعدها كـ (يُؤْمِنُونَ، يَأْمُرُونَ، يَنْهَوْنَ، يَسَارِعُونَ) مما ساعد على اتساق النسق التركيبي وإفصاح الدلالات المعاني لها والمتمثلة في: "أَنَّ هؤلاء الذين هذه صفتهم من أهل الكتاب هم من عداد الصالحين... والله ذو علم بمن اتقاه بطاعته، واجتناب معاصيه، وحافظ أعمالهم الصالحة حتى يثيبهم عليها، ويجازيهم بها"².

ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾، قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُوتَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿ [سورة آل عمران، الآية: 99/98]، فقد اشتمل التعبير في الآيتين على فاصلة متشابهة، حيث وردت الفواصل هنا باللفظتين (تعملون، تعملون)

¹. سماها الرماني "المتجانسة": "ثلاث رسائل... 90، بينما سماها "المتماثلة" كل من الخفاجي "سر الفصاحة" 203، والزركشي "البرهان..." 73/1، والسيوطي "الإتقان" 2/ 105، على حين سماها ابن قيم "ذات المناسبة التامة" "الفوائد" 88، والبلاغيون سماها "السجع العالي" "صور البديع" 2/ 18. محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، ص: 145.

². أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 4، ص: 57/56.

منتهية بالنون المجهور مسبوقة بحرف المد (الواو) فأحدثت انسجاما صوتيا مع بقية الأصوات المكونة للألفاظ، مما ساعد على إظهار المعاني الدلالية لها وهي (أنَّ اليهود يجحدون حجج الله التي أنزلها على النبي محمد . صلى الله عليه وسلم . في كتبهم والتي أثبتها الله عليهم بصدقه وثبوته وإنهم يعملون بها، فضلا عن أنَّ الله ليس بغافل عن أعمالهم التي عملوها بحق عبادة وغير ذلك من الأعمال التي تستحق العقوبة عاجلا، أم آجلا"¹.

ب . الفواصل المتقاربة:

وتسمى ذات المناسبة غير التامة، فهي التي تقاربت حروف رويها وتشابهه في بعض الصفات الصوتية، كتقارب صوتي الميم والنون، ومما جاء منه في سورة "آل عمران " قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ، ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 33/34].

لقد جاءت الفواصل ههنا في اللفظتين (العالمين، وعليم) التي تنتهي بصوتي النون والميم المتشابهين في كونهما يحملان نفس الصفات الصوتية من ناحية الجهر وقوة التردد السمعي خصوصا أنهما مسبوقان بصوت المدّ الطويل (الياء) ممّا ساعد على حصول الانسجام الصوتي بينها وبين باقي الأصوات في ألفاظ الآيات التي تحمل نفس الصفات أو تختلف عنها في بعض الشيء، مما ساعد على إبراز الدلالات الوظيفية لها، والتي تدلُّ على أنَّ: "آدم ونوحا فردين، وذكر آل ابراهيم وآل عمران أسرتين أشاره إلى أنَّ آدم بشخصه ونوحا بشخصه هما اللذان وقع عليهما الاصطفاء، فأما ابراهيم وعمران فقد كان الاصطفاء لهما ولذريتهما كذلك"².

¹ . ينظر: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 3، ص: 22، 23.

² . سيد قطب، في ظلال القرآن، ج: 3، ص: 391.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 59/58]، نلاحظ أنّ الفواصل قد انتهت بصوتي (الميم والنون) في اللفظتين (الحكيم ويكون)، واللذان يتصفان بأنهما من أصوات المجهورة ذات التردد السمعى العالى خاصة وأنهما سبقا بصوتي المد (الواو، الياء)، مما ساعد على حصول الانسجام الصوتي بينهما وبقية الأصوات في سياق الألفاظ الآيات، نتج عن ذلك إظهار الدلالات الوظيفية لها، وهي أنّ الله خالق الكون وواهب الحياة، وأنها نفخت من روجه، وأنّ الأمر فيها بكلمة منه جلّ ثناؤه كن فيكون¹.

والملاحظ، هذا النوع كثير الورد في سورة آل عمران، ممّا أضفى لها نسقا صوتيا ذا موسيقى عالية جدا داخل السورة وذلك لطول فواصلها في جميع آياتها، وساعد على إظهار معانيها الدلالية على أكمل وجه.

ومن الحروف المتقاربة أيضا (الدال والباء)، كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ، رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 09/08]، فقد جاءت الفواصل بصوتي (الباء والدال) في اللفظتين (الوهاب والميعاد) وهما من الأصوات الانفجارية المجهورة، ذات المخارج المتقاربة، وذات التردد السمعى العالى وذلك لسبقهما بصوت المد الطويل (الألف، الياء)، مما ساعد على حصول الانسجام الصوتي مع بقية الأصوات في ألفاظ الآيات، أفصح عن بيان المعاني الدلالية لها، وهي أنّ المؤمنين: "وهم بوحى إيمانهم يعرفون أنهم لا يقدرّون على شيء إلا بفضل الله ورحمته، وأنّهم لا يملكون قلوبهم فهي في يد الله... فيتجهّون إليه بالدعاء أن يمدّهم بالعون والحياة².

¹. ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج: 3، ص: 397.

². المرجع نفسه، ج: 3، ص: 371.

4-3-2- ما يختص بالمقاطع:

وهي أن تكون في المقاطع، وتنقسم إلى قسمين:

1. بحسب وزن الفاصلة وحرف الروي:

وهو ما يختص بوزن الفاصلة وحرف الروي، وتنقسم إلى خمسة أقسام:

أ. المتوازي:

وهو أن تتفق الكلمتان في الوزن والحرف، كقوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرْكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ، قُلْ إِنْ تَخْشَوْا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَرُوا يَعْزَمُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 29/28].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ، يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 70/69]، نجد فواصل هذه الآيات قد جاءت باللفظتين (يشعرون ، تشهدون) وهما معادلتان في الوزن وفي صوت الفاصلة النون المجهورة المسبوقة بصوت المد (الواو)، مما ساعد على ثبوت الانسجام الصوتي بين صوت النون وبقية الأصوات في الألفاظ الأخرى، والتي تحمل نفس الصفات الصوتية أو تختلف بعض الشيء عنها، مما نتج على ذلك بروز المعاني الدلالية لها، وهي: "توبيخ لأهل الكتاب على كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم، وجحودهم بنبوته، وهم يجدونه في كتبهم مع شهادتهم أن ما في كتبهم حق، وأنه من عند الله"¹.

¹. أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 3، ص: 309.

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 67/68]. فقد جات فواصل الآيات منتهية باللفظتين (المشركين، المؤمنين)، بصوت النون المجهور المسبوق بصوت المد (الياء)، ذات التردد السمعي العالي، ومما نجده هنا أن هذه الألفاظ متساوية في عدد الأحرف والوزن، مما جعل توازنا ملحوظا في النسق الصوتي الموسيقي لها، نتيجة التلاؤم بين ألفاظها وصوت الفاصلة، ونتج عنها ظهور المعاني الدلالية لها، وهو: "تكذيب من الله عز وجل دعوى الذين جادلوا في إبراهيم وملته من اليهود والنصارى وأدعوا أنه على ملتهم، وتبرئة لهم منه، وأنهم لدينه مخالفون، وقضاء منه عز وجل لأهل الاسلام، ولامه محمد صلى الله عليه وسلم أنهم هم أهل دينه، وعلى منواجه وشرائعه دون سائر أهل الملل والأديان غيرهم"¹.

ومما لا شك أن الكلام الموزون ذا تأثير على النفس، يستهوي العقول والقلوب، لما يضيفه الاتفاق في الوزن والروي من جمال وعذوبة على الإيقاع، "فعلى مستوى الإيقاع لا شك أنه يمثل رنة تحدث قوة استماع حاملة ترددا زمنيا طويلا"².

ب. المتوازن:

يراد به أن تتفق الفاصلتان في الوزن دون حرف الروي، أي أنه يراعي في مقاطع الكلام الوزن فقط، فبه يحقق الثراء الموسيقي العذب تمثلت في المراوحة بين المتوازي والمتوازن، "فاعتياد الأذن على نهاية صوتية واحدة لكل قرينة قد يفقدها عنصر المفاجأة

¹. أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 3، ص: 306.

² أحمد كشك، من وظائف الصوت اللغوي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2006، ص 13.

التي توقظ النفس وتنبه الذهن"¹، ومن أمثلته: قول الله تعالى: ﴿كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ، قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 12/11]، فاللفظتان (العقاب، المهاد) متوازنتان مختلفتان في الحرف الأخير، وهما من الأصوات المجهورة متقاربتان في النطق ذات تردد سمعي عالي لاقترانها بأصوات المد الطويلة (الألف)، مما ساعد على الانسجام الصوتي بينهما وبقيّة الأصوات في سياق ألفاظ الآيات، وقد نتج عنه إبراز معاني الدلالية لها فهو (يذكرهم فيها بمصير آل فرعون.. وكان الله سبحانه وتعالى قد أهلك آل فرعون أنجى بني اسرائيل، ولكن هذا لا يمنحهم حقًا خاصًا إذ هم ضلوا وكفروا، ولا يعصمهم أن يوصموا بالكفر إذا هم انحرفوا، وأن ينالوا جزاء الكافرين في الدنيا والآخرة كما نال آل فرعون الذين أنجاهم الله منهم²).

ومنه كذلك قول الله تعالى: ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُوهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ، وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 21/20] فقد جاءت الفواصل في اللفظتين متوازيتين (مُحِيطٌ، عَلِيمٌ) على نفس الوزن (فعل) وتختلفان في الحرف الأخير، فالطاء من الأصوات الانفجارية المهموسة اللثوية، والميم من الأصوات شفوي أنفي مجهور، فالمادة الصوتية لهذا النوع من الفاصلة يتكوّن من مقاطع ذات صفة استمرارية، تأتي بشكل سلس لتعبر عن إيقاع الآية وتربطها مع الدلالة، تظهر الموازنة بشكل جلي في سور المدنية، كما هو مبين في سورة آل عمران وإن طالت آياتها، مقارنة بالسور القصيرة المكية، ولعل هذا ما جعل "سيد قطب" يقول: "والقوافي الفواصل في القرآن غيرها في الشعر، فهي ليست حرفا متحدا، لكنّها إيقاع متشابه مثل: "بصير، حكيم، مبین، مریب" أو مثل "الألباب، الأبصار، النار، قرار"³.

¹ محمود أحمد نحلة، دراسة قرآنية في جزء عم، ص: 183-184.

² ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج: 3، ص: 371.

³ المرجع نفسه، ج: 3، ص: 547.

ج. المطرف "المعطوف":

وهو شكل آخر من أشكال الفاصلة، وشرطه "أن تتفق الكلمتان في حرف الروي لا في الوزن"¹، كقول الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ، لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 186/185]، فقد جات الفواصل المطرفة هنا في اللفظتين (الغرور والأمور) التي تنتهي بصوت (الراء) التكراري المجهور ذي التردد السمعي العالي، وخصوصا وأنه قد سبق بصوت المد الطويل (الواو) مما أدى إلى زيادة التنغيم والتناسق بينه وبين بقية الأصوات في الألفاظ الأخرى، مما أفصح عن بيان الدلالة الوظيفية لها، وهي علم: "الجماعة المسلمة في المدينة ما ينتظرها من توضيحات وآلام، وما ينتظرها من أذى وبلاء في الأنفس والأموال، من أهل الكتاب من حولها، ومن المشركين أعدائها، ولكنها سارت في الطريق، لم تتخاذل، ولم تتراجع، ولم تنكص على أعقابها"².

ومن قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ، رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 193/192]، فقد جاءت الفواصل المطرفة هنا في اللفظتين (أنصار، أبرار) المنتهية بصوت الراء التكراري المجهور المسبوق بصوت المد الطويل (الألف) مما ساعد على زيادة تردده السمعي، فضلا عن التنغيم الصوتي الحاصل بين الراء وبقية الأصوات الأخرى في الألفاظ المتسقة، مما يؤدي إلى إظهار الدلالات الوظيفية لها، في كون قلوب المؤمنين مفتوحة: "ما إن تتلقى حتى تستجيب وحتى تستيقظ فيها الحساسية الشديدة، فتبحث أول ما تبحث عن تقصيرها وذنوبها ومعصيتها، فتتجه إلى ربها تطلب مغفرة الذنوب وتكفير السيئات، والوفاء مع الأبرار"³.

¹ ينظر: محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، ص: 149.

² أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 4، ص: 540.

³ المرجع نفسه، ج: 4، ص: 547.

فبالرغم من اختلاف في الوزن بين هذه الفواصل إلا أنّها اتفقا في الروي، يجعل النص متماسكا، فالقارئ حين يلحظ هذا الاتفاق تترسخ في ذهنه صورة متكاملة الأجزاء، ولوحة منتظمة، التي ارتكزت فاصلتها على النون الرنينية يظل صداها مترددا في العمق، مما يوحي بتناغم الأصوات واتسامها، بالإضافة إلى الإيقاع الجميل الذي تحققه تلك الغنة المصاحبة للنون.

د. المرصّع:

وهو أن يتفق المقطعان في ثلاثة أشياء هي الوزن والحرف وتقابل المقاطع، ومما جاء منه قوله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ، مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 196/197]، فقد جاءت الفواصل المرصعة في اللفظتين (البلاد ، والمهاد)، التي تنتهي بصوت الدال المجهور المتوسط بين الشدة والرخاوة ذي التردد السمعي العالي، ومما زاد في تردده سبقه بصوت المد (الألف) الطويلة، زيادة في تنغيمه مع بقية الأصوات في الألفاظ المتسقة في النسق اللفظي لهذه الآيات، إذ أفصح ذلك على بيان المعاني الدلالية لهذه الألفاظ، وهي قوله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: "لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد، يعني تصرفهم في الأرض وضرهم فيها".

وقد أوضح ابن الأثير (ت 637 هـ) شرط من شروط الفواصل المرصعة أن يكون اختلاف في كلمات المقطعين، وهو شرط من شروط التّرصيع، في الفواصل¹.

هـ. التماثل:

وهي أن يتساوى المقطعان في الوزن معا، ويجب أن تكون الكلمات في المقطعين متساوية²، ومما جاءت منه في سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ

¹. ينظر: ضياء الدين ابن أثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج1، ص: 361.

². ينظر: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهارد الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج:1، ص: 76.

مُتُّمْ لِمَغْفِرَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ، وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿[سورة آل عمران، الآية: 157/158]، فقد جاءت الفواصل هنا باللفظتين (يجمعون، وتحشرون)، وكذلك في الكلمات (قُتِلْتُمْ مُتُّمْ) متوازية ومتقابلة في عدد الحروف، مما يشكل تناسقا صوتيا، ساعد على إظهار الدلالات اللفظية لتلك الألفاظ المتسقة في هذه الآيات وهي: لئن متم أو قتلتم أيها المؤمنون، فإنّ إلى مرجعكم ومحشركم، فأجازيكم بأعمالكم، فأثروا ما يقربكم من الله، ويوجب لكم رضا، ويقربكم من الجنة"¹.

2. بحسب طول مقاطع الفاصلة:

وهو نوع يختص بطول المقاطع في الفاصلتين أو مجموعة فواصل، وهو على ثلاث أقسام:

أ. الفواصل القصيرة:

وهي ما كانت مؤلفة من لفظتين أو أكثر، كقول الله تعالى: ﴿الْم ، اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 02/01]، فقد جاءت الفواصل القصيرة هنا باللفظتين (الم، الْقَيُّومُ)، المنتهية بصوت الميم الشفوي المجهور ذي التردد السمي العالي، مما يخلق انسجاما صوتيا بينه وبين الأصوات الأخرى في الألفاظ المكوّنة للسياق في هذه الآيات، مما ساعد على إبراز الدلالة اللفظية المتمثلة: "بإعلان الوحدةانية المطلقة لذات الله وصفاته"².

ومنه قوله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّتْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ، مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 196/197]، فقد جاءت الفواصل القصيرة في اللفظتين (البلاد، المهاد)، التي تنتهي بصوت الدال المجهور ذي التردد السمي العالي، وخاصة أنّه سبقة صوت المد الطويل (الألف)، مما زاد في انسجامه مع أصوات الألفاظ المكوّنة في لنسق الآيات الكريمة، لقد أفصح هذا الانسجام عن بيان الدلالات الوظيفية

¹. أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 3، ص: 150.

². سيد قطب، في ظلال القرآن، ج: 3، ص: 367.

للألفاظ وهي وصف: "تقلب الذين كفروا في البلاد مظهر من مظاهر النعمة والوجدان، ومن مظاهر المكانة والسلطان، وهو مظهر يحييك في القلوب منه شيء لأمحالة ويحيك منه شيء في قلوب المؤمنين، وهم يعانون الشظف والحرمان، ويعانون الأذى والجهد، ويعانون المطاردة أو الجهاد .. وكلها مشقات وأهوال"¹.

ب. الفواصل المتوسطة:

وهي ما كانت مؤلفة من ثلاثة أو أربعة أو تزيد على ذلك بقليل، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾، هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ [سورة آل عمران، الآية: 06/05]، فقد جاءت الفواصل المتوسطة هنا باللفظتين (السَّمَاءِ، الْحَكِيمُ) المنتهية بصوتي الهمزة الحلقية، والميم المجهورة ذات التردد السمعى العالى، مما ساعد على حصول الانسجام الصوتي بينها وبين الأصوات الأخرى في النسق آيات هو سبقه بصوت المد الطويل (الألف، الياء)، أدى ذلك إلى زيادة هذا التنعيم، وبيان الدلالات اللفظية المتسقة، التي هي "توكيد العلم المطلق الذي لا يخفى عليه شيء، وإثبات هذه الصفة لله . سبحانه . في هذا المقام ، هذا التوكيد يتفق أولاً مع وحدانية الألوهية والقوامة (...) ذو القدرة والقوة على الصنع والتصوير (الحكيم) الذي يدبر الأمر بحكمته فيما يُصَوِّر ويخلق بلا مُعَقَّب ولا شريك"².

ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَكُفُّوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 71/72]، فقد جاءت الفواصل المتوسطة في الكلمتين (تشهدون وتعلمون) منتهية بصوت النون المجهور ذي التردد السمعى العالى، نتيجة لسبقه بصوت المد الطويل (الواو) مما زاد في انسجامه مع بقية الأصوات المكونة لألفاظ الآيات، وساعد هذا الانسجام على تناسق سياقها اللفظي، مما أدى إلى بيان

¹ . سيد قطب، في ظلال القرآن، ج: 4، ص: 549.

² . المرجع نفسه، ج: 3، ص: 368، 369.

الدلالات اللفظية (في كون أهل التوراة والانجيل يخلطون بين الحق والباطل، وذلك يتم عن طريق بالألسنة والتصديق برسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء من عند الله، على أن قلوبهم تعمّر بالديانة اليهودية والنصرانية"¹.

ومنه قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 88/89]، نلاحظ مجيء الفواصل الطويلة في الكلمتين (يُنْظَرُونَ، رَحِيمٌ) منتهية بصوت النون والميم المجهورتين، والمسبوقتين بصوتي المد الطويل (الواو، الياء) مما ساعد على زيادة التردد السمعي لهما فضلا عن الانسجام الصوتي بينها وبقية الأصوات الأخرى في سياق الألفاظ، مما نتج عنه بيان الدلالات الوظيفية هذه الآيات وهي في كون (الذين لا يتوبون، ولا يثوبون، الذين يصرون على الكفر ويزدادون كفرا، والذين يلجؤون في هذا الكفر حتى تفلت الفرصة المتاحة، وينتهي أمد الاختبار، ويأتي دور الجزاء هؤلاء وهؤلاء لا توبة لهم لا نجاه"².
ج. الفواصل الطويلة:

وهي الفواصل التي تزيد ألفاظها على سبعة، كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنْزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ، وَمَكْرُوهًا وَمَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 53/54]، فقد جاءت الفواصل الطويلة هنا في اللفظتين (الشَّاهِدِينَ، الْمَاكِرِينَ) منتهية بصوت النون المتوسطة بين الشدة والرخاوة، ومما زاد في تردده السمعي سبقه بالصوت المد الطويل (الياء) ذي التردد السمعي العالي جدا، فقد ساعد هذا الانسجام الصوتي بين النون وبقية الأصوات في النسق اللفظي على إظهار الدلالات اللفظية في أن اليهود: "أرادوا صلب عيسى - عليه السلام - وقتله، وأراد الله أن يتوفاه، وأن يرفعه إليه، وأن يطهره من مخالطة الذين كفروا والبقاء بينهم وهم رجس ودنس، وأن يكرمه فيجعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة، وكان ما أراده"³.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ

¹ . ينظر: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 3، ص:

² . سيد قطب، في ظلال القرآن، ج: 3، ص: 424.

³ . المرجع نفسه، ج: 3، ص: 403.

عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ، وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمُهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿ [سورة آل عمران، الآية: 46/45] نلاحظ هنا أن الفواصل الطويلة جاءت في اللفظتين (المُقَرَّبِينَ، الصالحين) منتهية بصوت النون المجهور ذي التردد السمعي العالي نتيجة لسبقه بصوت المد الطويل (الياء) مما زاد في انسجامه مع بقية الأصوات الأخرى المكوّنة للألفاظ الآيات، وساعد هذا الانسجام على تناسق سياقها اللفظي، نتج عنه اتضاح الدلالات الوظيفية في هذا النسق الصوتي، تتمثل في بشارة الملائكة لمريم عليها السلام بأنه سيوجد منها ولد عظيم له وجاهة ومكانة عند الله في الدنيا والآخرة، يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له في حال صغره معجزة، وآية، وحال كهولته حيث يوحى الله إليه بذلك، في قوله وعمله، له علم صحيح وعمل صالح¹.

د. الائتلاف السياقي للفواصل القرآنية مع المعنى في سورة آل عمران:

للفاصلة علاقة شديدة الارتباط بالنص القرآني في الآية، وقد يشير سياق الآية إلى فاصلتها إشارة لفظية واضحة وجزئية، وقد نتوصل إليها من خلال البحث والتأمل، ولذلك فإنّ علاقة الفاصلة بسياقها أنواع: منها ما يأتي عن طريق قرينتها (الآية) التي جاءت فيها، أو المقطع، أو السورة، حتّى الجزء الواحد من القرآن أو مجموع القرآن الكريم.

وأما علاقة الفاصلة بقرينتها، فقد أطلق عليه العلماء: لفظ ائتلاف الفواصل مع ما يدل عليه الكلام، وهذا ما يؤكده "الزركشي: "اعلم أنّ من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره، وإيقاع الشيء بما يشاكله، فلا بد أن تكون المناسبة للمعنى المذكور أولاً، وإلا خرج بعض الكلام عن بعض، وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك، لكن منه ما يظهر ومنه ما يستخرج بالتأمل اللبيب"². وقد حصر هذا الائتلاف في أربعة مواضع وهي: التمكن، والتصدير والتّوشيح والإيغال.

¹ ينظر: عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن الكريم، تح: مصطفى السيد محمد، محمد فاضل العجماي، محمد السيد رشاد، علي أحمد عبد الباقي، حسن عباس قطب، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ط:1، (1424هـ / 2000م)، ج3، ص 63.

² . أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهارد الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص: 78.

1. التَّمَكِين:

وهو أن يمهد قبل مجيء الفاصلة القرآنية، وأن تأتي الفاصلة متمكنة في مكانها مستقرة في قرارها مطمئنة في موضوعها، ويكون معناها متعلقا بمعنى الكلام كله تعلقاً تاماً، بحيث لو طرحت اختل المعنى العام، واضطرب فهمه¹، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 32]، "حيث جاءت الفاصلة مؤتلفة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ مع أول الآية ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾، وذلك لأن الطاعة هنا لله والرسول وليست للكافرين، وقد سبق هذه الآية قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 31]، أي أن الفاصلة هنا جاءت متمكنة في معناها لأن ما سبقها مهد لها ذلك المجال الواسع من التمكن.

2. التَّصْدِير:

"هو ردُّ أعجاز الكلام على ما تقدمها"²، ويأتي في الفواصل القرآنية أن تكون اللفظة نفسها تقدّمت في أول الآية، ويكون على ثلاثة أقسام³:

- الأول: أن توافق مؤخرة الفاصلة أول الكلمة في صدرها، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 54]، فقد جاءت كلمة (المالكين) في نهاية الفاصلة موافقة للكلمة الأولى (مكروا) في بداية الآية، وبذلك أفادت المعنى المطلوب وهو أن مكر الله سبحانه وتعالى أقوى من مكر هؤلاء من بني إسرائيل .

¹ . ابن أبي الإصبع المصري، بديع القرآن، تح: حنفي محمد شرف، نهضة مصر للنشر، د ط، د ت، ص: 89.

² . ينظر: المرجع نفسه، ص: 36.

³ . ينظر: المرجع نفسه، ص: 36.

- الثاني: أن توافق مؤخرة الفاصلة آخر كلمة في صدرها، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 81]، لقد جاءت الفاصلة في كلمة (المشاهدين) موافقة للكلمة في صدر الآية وهي (اشهدوا) فأسهم التّواشج اللفظي إلى إظهار المعاني الدلالية للألفاظ في هذه الآية، والمتمثل في تذكير: "أهل الكتاب إذ أخذ الله ميثاق النبيين، ويعني حين أخذ ميثاق النبيين، وميثاقهم ما وثقوا به على أنفسهم طاعة الله فيما أمرهم ونهاهم"¹.

- الثالث: أن توافق بعض الكلمات الصدر، ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 106]، فقد جاءت الفاصلة في لفظة (تكفرون) موافقة للكلمة التي في صدر الآية وهي (أكفرتم) مما أدّى هذا التوافق إلى إظهار المعاني الدلالية للآية وهي: "إنّ جميع الكفار داخلون في فريق من سُود وجهه، وأنّ جميع المؤمنين داخلون في فريق من بُيَض وجهه"².

3. التّوشيح:

"وهو أن يكون في أول الكلام معنى إذا علِم علّمت منه القافية أن كان شعرا أو السجع أن كان نثرا، بشرط أن يكون المعنى المتقدّم بلفظه، من جنس معنى القافية، أو السجعة بلفظة، أو من لوازم لفظه"³، أي أن يكون في أول الآية ما يستلزم الفاصلة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 33]، لذلك نجد: "أنّ معنى اصطفاء المذكورين يُعلّم من الفاصلة، إذ المذكورين صنف من بعض أنواع العالمين".

¹. أبي جعفر محمد بن جرير الطّبري، تفسير الطّبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 4، ص: 330.

². المرجع نفسه، ج: 3، ص: 330.

³. ابن أبي الإصبع المصري، بديع القرآن، ص: 90.

4. الإيغال:

"وهو أن يستكمل المتكلم معنى كلامه قبل أن يأتي بمقطعه، فإذا أراد الاتيان بذلك أتى بما يفيد معنى زائدا على معنى ذلك الكلام"¹، ولهذا سمي بهذا المصطلح لأن المتكلم قد تجاوز المعنى الذي هو أخذ فيه، وبلغ فيه زيادة على الحد الممكن، ومما جاء منه في سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 04]، فإن الكلام هنا قد تم بقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ فجاء تأكيداً للقول الأول، وهو ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾.

وخلاصة القول، كان للفاصلة القرآنية بأنماطها المتعددة دوراً مهماً في توليد الطاقة الإيقاعية في سورة "آل عمران" ساهمت في إحداث انسجام موسيقي وتلوين صوتي وتوافقها مع معاني الآيات، وكان لاتفاق أغلب الفواصل للسورة بحسب أصواتها ووزنها ونوعها تأثير كبير في الانسجام الصوتي والوضوح السمعي فيها.

وجاءت مخارج الأصوات في النظام الصوتي على مبدأ المزاوجة متباينة مع المقاصد الدلالية للآيات فخلق نغمات جديدة وأحدث إيقاعات متجددة أثرت النص إيقاعياً ودلالياً. كما ساهم التكرار الصوتي للحروف والأسماء والأفعال والصيغ والعبارات والاشتقاقات في زيادة الإيقاع الجميل، لما يحتويه من إيقاع واضح يلفت الانتباه ويؤدي إلى تناغم الجرس ويقويه ويرسخه في الذهن، جاء لغرض بلاغي يقتضيه سياق الآية.

¹. ابن أبي الإصبع المصري، بديع القرآن، ص: 91.

الفصل الثاني:

المستوى الصرفي في سورة آل عمران

- 1- تعريف علم الصرف
- 2- علاقة علم الصرف بالنحو
- 3- بنية الأسماء
- 4- أبنية الأفعال

تركز دراسة جماليات المستوى الصرفي في سورة "آل عمران" على بيان وظيفة الجمالية والفعالية التركيبية للصيغة، ودور التشكيلات الصيغ، وتشكيلات العناصر الأخرى من نظام الصرفي في التركيب"، والتي تعنى بدراسة الصيغ الصرفية على أبنية الأسماء والأفعال في صورتها المفردة والمركبة وتبيان أثرهما على مستوى التعبير القرآني.

1-تعريف علم الصرف:

أ. لغة:

عرف الصرف ردُّ الشيء من حالٍ إلى حالٍ، أو هو التغيير والتقليب من حال إلى حال، وهو مصدر (صَرَفَ) من صروف الزمان، وتصاريفه، أي تقلُّباته، ويقال: تصرَّفت بصاحبي الأحوال أي تغيَّرت حياته من غنى إلى فقرٍ، ومن عملٍ إلى بطالةٍ، ومن سعادةٍ إلى شقاءٍ ... أو العكس¹.

وقد جاءت كلمة (صَرَفَ) و(تصريف) في القرآن الكريم ثلاثين مرّة تفيد كلها معنى التغيير والتحويل، على صورة مصدر، نحو، قوله تعالى: ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ [سورة الفرقان، الآية: 19]، وقوله تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: 164].

كما وردت على صورة فعل ماضي، نحو، قوله تعالى: ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [سورة التوبة، الآية: 127]، وعلى صورة ماضي مضعف العين، نحو، قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: 89]، وعلى صورة المضارع، نحو: قوله تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: 85].

¹ . ينظر: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، أساس البلاغة، ص 253 مادة (ص ر ف) ص: 253، وابن منظور، لسان العرب ، ج: 11، ص: 90 / 91 . مادة (ص ر ف)

ب. اصطلاحًا:

وفي الاصطلاح: فله معنيان:

- عملي: وهو تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعان مقصودة لا تحصل إلاّ بها، كتحويل المصدر إلى اسمي الفاعل، والمفعول، واسم التفضيل، واسمي المكان والزمان، والجمع، والتصغير، والآلة.
- والثاني علمي: وهو علم بأصول تعرف به أحوال بنية الكلمة، التي ليست بإعراب، ولا بناء¹.
- والأبنية: جمع بناء، والمراد بالبناء هيئة الكلمة التي يمكن أن يشاركها فيها غيرها، وهذه الهيئة عبارة عن:
- عدد حروف الكلمة، وترتيبها، وحركاتها المعينة وسكونها، مع اعتبار الحروف الزائدة والأصلية كل في موضعه والمراد التي ليست بإعراب ولا بناء: الابتداء، والإمالة، وتخفيف الهمزة، والإعلال والإبدال، والحذف والإدغام، وكون الحروف أصلية، أو مشتملة على بعض حروف الزيادة².

2-علاقة علم الصرف بالنحو:

من المعلوم أنّ علمي النحو والصرف لم يظهر من الفراغ، بل كانت ضرورة حتمية نتيجة تفشي ظاهرة اللحن في القرآن الكريم، وخوفا من اختلاط العرب بالأعاجم بعد دخولهم للدين الإسلامي، كان لزاما وضع قواعد تضبط اللغة العربية وتصونها من الأخطاء، تمثلت تلك القواعد في علمي الصرف والنحو.

¹. ينظر، خديجة الحديثي، أبنية الصرف في كتاب سيبويه معجم ودراسة، منشورات مكتبة النهضة بغداد، بغداد، ط:01، (1385هـ/1965م)، ص:19.

². ينظر: علي محمود النابي، الكامل في النحو والصرف الكتاب الثاني الصّرف، دار الفكر العربي، القاهرة، ط:01، (1425هـ/2004م)، ج2، ص:05.

وكان الصرف في طور نشوئه مندمجا في النّحو واللغة والأدب تحت اسم (علم العربية) ولم تحدد فصوله ومباحثه، وبعد أن نشطت حياة التّأليف، والحركة العلمية عند العرب، اتجهت الدراسات نحو التخصص، فأخذت علوم العربية تنفصل بعضها عن الآخر، وتستقل عن غيره، فنشأت الدراسات النّحوية الصّرفية¹، فالكتب التي أرخت لهذه العلوم ولكبار أعلامها، لم تُبدِ تمييزا واضحا بين النّحو والتّصريف كما يجب، وعندنا أنّ أول من ألّف فيه تأليفا ذا قيمة هو "سيبويه" (135/ 180هـ) في كتابه الشهير فقد عالج فيه موضوعات كثيرة من الصرف لكنّها جاءت مختلطة بموضوعات النّحو، من ذلك حديثه في المجرد والمزيد من الأسماء الثلاثية والرّباعية والخماسية والأفعال بأنواعها المجردة والمزيدة، ومواضيع الزيادة، وكيفية معرفة الحروف المزيدة، وفي الكتاب مباحث النّسب والتّصغير والمعتل، ومن الأفعال تحدّث "سيبويه" عن معتل الفاء، والعين، واللام بالواو والياء، وتكلّم عن قلب الواو ياءً والياء واواً وعن المضعف، وغير ذلك من مسائل الصرف².

ولعل ما جاء في كتاب سيبويه (ت180هـ) يؤيد رأي من ذهب إلى أنّ النّحو كان اسم يطلق على هذين العلمين معا، وقد صرّح بهذا الرضي الاستربادي في شرح شافية ابن الحاجب، قال: "واعلم أنّ التّصريف جزء من أجزاء النّحو بلا خلاف من أهل هذه الصّناعة، والتّصريف على ما حكى سيبويه هو أن تنبني من الكلمة بناءً لم تبنيه العرب على وزن ما بنته، ثمّ تعمل في البناء الذي بنته ما يقتضيه قياس كلامهم كما يتبيّن في مسائل التمرين، إن شاء الله تعالى"³.

¹ خديجة الحديثي، أبنية الصرف في كتاب سيبويه معجم ودراسة، ص: 28.

² ينظر: هادي نهر، الصرف الوافي (دراسات وصفية تطبيقية)، عالم الكتب الحديث . إربد .الأردن، ط: 01، 2010م، ص: 12/ 13، نقلا عن: سيبويه، الكتاب، ج 4، ص 243- 485.

³ عبد اللطيف محمد الخطيب، المستقصى في علم التصريف، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط: 1، (1434هـ / 2003م)، ص: 19.

فعرفوا النَّحو يومذاك بأنه: "علم يبحث عن أحوال الكلم العربي أفرادا وتركيبا فيجعلون الصرف جزءا من أجزاء النَّحو، لا علما قائما برأسه"، وهذا التعريف شامل للنَّحو والصرف.

لكن سرعان مع تطورت النظرة وتغيرت على يد "أبو عثمان المازني" (ت 249هـ) فقد سجّل خطوة جديدة في تاريخ الدرس الصرفي، تمكن فيه من أن ينظم قواعد هذا العلم وأصوله، ويفرزها عن العلوم الأخرى، ليقيمه بأبنيته وأقيسته وأصوله وأمثله كثيرة التي ذلّل بها شوارده، وسهّل ما كان صعبا، وجمع ما كان متفرقا، وأودعها في كتابه "التصريف"، على الرغم ما رددته كتب الفهارس والتراجم من ظهور مصنفات متعدّدة، وجهود مختلطة تحت هذا العنوان، إلا أنّ فقدانها وعدم وصولها إلينا جعلنا يعدّ هذا العالم أول من وضع تأليفا مستقلا في علم الصرف¹.

وقد شرحه "ابن جني" (ت 391م) في كتاب سماه المنصف ومدح في بداية شرحه المازني وأثنى عليه، ورأى كتابه هذا من أنفس كتب التصريف، فهو عارٍ من الحشو، مخلص من كزازة ألفاظ المتقدمين، مرتفع عن تخليط كثير من المتأخرين، وقد عني "ابن جني" بتفسير مشكل هذا الكتاب، وكشف غامضه، وزاد في شرحه ما رأى فيه إضافة إلى هذا العلم.

و"ابن جني" لم يكتفي بهذا القدر، بل وجدت كثير من المسائل الصّرفية في الخصائص وسر الصنّاعة وغيرهما مما انتهى به الأمر إلى وضع كتاب مستقل سماه بـ "التصريف الملوكي"²، ويعد هذا الكتاب قفزة نوعية في تطور الصرف، لأنّ "ابن جني" ربّب موضوعاته ترتيبا أدق من ترتيب سيبويه والمازني وغيرهما، وذلك بأن جمع القواعد

¹. ينظر: كمال الدين محمد بن معين الدين الفسوي (ت 1134م)، شرح شافية ابن الحاجب، تح: محمد محمود

محمد صبري الجبّة، دار الكتب العربية. بيروت. لبنان، ط1، دت، ج: 01، ص: 31.

². ينظر: عبد اللطيف محمد الخطيب، المستقصى في علم التصريف، ص: 22 / 21.

والقوانين الصرفية التي ذكرها سيبويه وقسمها واضعاً لكل قسم عنواناً جديداً يضم ما تفرق من المسائل المتشابهة في فصل واحد، أو في باب واحد¹.

ولسنا هنا بصدد التعرّيج لنشأة الصرف والنحو، فهذه المسألة معروفة عند الباحثين، وإنما لنبيّن قمة الإدراك ووعي علماء القدامى بوجود علاقة تداخل بين العلمين، فإذا كان علم الصّرف يعنى بالكلمة المفردة من حيث: بنيتها، واشتقاقها، وتجردها أو زيادتها، وتثنيها أو جمعها إلى آخر أحوال الكلمة، وإذا كان النّحو يعنى بالكلمة في إطار التركيب اللغوي، من حيث العلاقات بين مكونات التركيب، فإنّ النّحو لم يتخذ لمعانيه مباني من أي نوع إلا ما يقدمه له الصرف من النّحاة، وهذا هو السبب جعل النّحاة يجدون في أغلب الأحيان أنّه من الصعب أن يفصلوا بين الصرف والنّحو فيعالجون كلا منهما علاج منفصلاً ومن هنا جاءت متون القواعد مشتملة على مزيج من هذا وذاك يصعب معه إعطاء للنّحو النّحو وللصرف الصرف².

يقول ابن عصفور: "كان ينبغي أن يقدم علم التّصريف على غيره من العلوم العربية، إذ هو معرفة ذوات الكلم في أنفسها من غير تركيب، ومعرفة الشيء في نفسه قبل أن يتركب، ينبغي أن تكون مقدمة ضرورية على معرفة أحواله التي تكون بعد التركيب، إلّا أنّه أُخِرَ لِلطُّفْهِ وَدِقَّتِهِ فَجُعِلَ مَا قَدَّمَ عَلَيْهِ مِنْ ذِكْرِ الْعَوَامِلِ تَوَظُّعًا لَهُ، حَتَّى لَا يَصِلَ إِلَيْهِ الطَّالِبُ إِلَّا وَقَدْ تَدَرَّبَ وَارْتَضَى لِلْقِيَاسِ"³.

ويقول أيضاً: "التّصريف أشرف شطري العربيّة، وأغمضهما: فالذي يبين شرفه، احتياج جميع المشتغلين باللغة العربية: من نحويّ ولغويّ إليه أيما حاجة، لأنّ ميزان العربية، ألا ترى أنّه قد يؤخذ جزء كبير من اللغة بالقياس ولا يوصل إلى ذلك إلى عن طريق

¹. ينظر: هادي نهر، الصرف الوافي (دراسات وصفية تطبيقية)، ص: 13.

². ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 178.

³. ابن عصفور الأشبيلي، الممتع في التّصريف، تح: فخر الدين قباد، دار المعرفة، بيروت. لبنان، ط: 01، (1407هـ/ 1987م)، ج: 1، ص: 31/30.

التصريف...¹، ف "ابن عصفور" يثني على هذا العلم، ويجعله شرطاً للنحو، بل هو عنده أشرف الشطرين، ثم يذكر حاجة جميع المنشغلين بهذه اللغة إليه، وَحَسْبُكَ وحسبي عنده ميزان العربي²، ومذهب "ابن عصفور" هذا تابع فيه "لابني جني" وهو أن تقديم النحو إنما كان ارتياضاً للعقول، وتهيئة للدخول في علم الصرف، وكان الأولى تقديم علم الصرف على غيره، لأنه يتناول الكلمة نفسها، قبل أن تكون في سياق التركيب مع غيرها³. قائلاً: "فالتصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلمة الثابتة، والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة، ألا ترى أنك إذا قلت: قام بكر، ورأيت بكرًا، ومررت ب بكرٍ، فإنك إذا خالفت بين حركات حروف الإعراب لاختلال العامل، وقد تعرض لباقي الكلمة، وإن كان كذلك فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف لأن معرفة ذات الشيء الثابت ينبغي أن يكون أصلًا لمعرفة حالة المتنقلة"⁴.

ويقّر "كمال بشر" بصحة النظر لابن جني بتأخير المسائل الصرفية في الكتب التراثية التي جمعت بين الصرف والنحو، فالمتصفح لكثير من الأعمال النحوية القديمة والمتأخرة على سواء سيجد بعض الأبواب الصرفية التي لاقت عناية ودرسا وتركت منعزلة دون ربط بينهما وبين قضيتها الممتدة إلى الفرع الثاني (وهو النحو) ومباحثه، ولا نعدم أن نجد أحيانا بعض مسائل الصرف محشوة حشوا أو مدسوسة في ثنايا الكلام على النحو دون أي مناسبة واضحة، إذ يقول: "إنّ الخطأ في بنية الكلمات وتصريفها قد ظهر متأخرا عن الخطأ في الإعراب، أي أنّ اللحن في النحو، وبالأحرى في الإعراب تجلّى في اللسان قبل الخطأ في بنية اللفظ، ومن ثمّ كان من الطبيعي إعطاء الصرف منزلة متأخرة عن النحو عن معنى التصريف، وإنما يرجعه إلى شيئين:

¹ ابن عصفور الأشبيلي، الممتع في التصريف، ج: 01، ص: 27، 28.

² ينظر: عبد اللطيف محمد الخطيب، المستقصى في علم التصريف، ص: 26.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص: 26.

⁴ أبي الفتح عثمان ابن جني، المنصف في شرح كتاب التصريف، تح: ابراهيم مصطفى، عبد الله أمين، القاهرة،

1954، ج: 1، ص: 04.

- أولهما: أنهم لاحظوا الخطأ في الإعراب قبل ملاحظتهم الخطأ الواقع على الصرف كما أسلفنا.
- وثانيهما: إن تأخير الصرف على النحو يذهب بالغرض الأساسي من دراسته، وذلك أن الصرف خادم للنحو وممهّد له، ويرى من ضرورة البدء من الصرف، والانتقال مباشرة إلى النحو، أو التمهيد لمناقشة النحوية بدراسة صرفية متصلة اتصالاً مباشراً بما هو بسبيله من قضايا النحو، وذلك لتجنّب الخلط، وللوصول إلى نتائج علمية صحيحة¹.

وكذلك تعترف البحوث العلمية الحديثة بأن علم الصرف يشكل مقدمة ضرورية وهامة لدراسة النحو²، ومن مظاهر احتياج دراسة النحو إلى علم الصرف، أن الموقع الإعرابي لبعض الكلمات، لا يمكن معرفته إلا إذا عرفنا الصيغ الصرفية للألفاظ، مثال ذلك، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [سورة البقرة، الآية: 20]. ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [سورة هود، الآية: 103]، فكلية (خليفة والناس) لا يمكن معرفة محلها الإعرابي إلا عرفت البنية الصرفية لكلية (جاعل و مجموع)، وكذلك من دلائل احتياج اللغوي إلى علم الصرف، حاجته إلى التمييز بين المعاني التي تتغير بتصريف صيغها من الضد إلى الضد، مثال ذلك القاسط اسم الفاعل من المقسط، وهو فعل ثلاثي مجرد، ومعناه الجائر، ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [سورة الجن، الآية: 15]

إذن فالغاية من علم التصريف خدمة اللغة العربية، بجميع علومها، لأنها ميزانها وقوام ألفاظها، وفي هذا المعنى يقول "ابن جني" الغرض من علم التصريف "وهذا القبيل من هذا العلم أعني التصريف، يحتاج إليه جميع أهل العربية، أتم حاجة وبهم إليه أشد فاقة، لأنه ميزان العربية وبه يعرف به أصول الكلام العرب من الزوائد الدخلة عليها، ولا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلاّ به"³.

¹. ينظر: كمال بشر، الدراسات في علم اللغة، دار المعارف، القاهرة. مصر، ط: 9، 1986 م، ص: 224/223.

². ينظر: كمال محمد زرندي، أسس الدرس الصرفي في العربية، دار المقداد، فلسطين، ط: 04، (1428هـ/2007م)، ص: 16.

³. أبي الفتح عثمان ابن جني، المنصف في شرح كتاب التصريف، ج: 1، ص: 02.

3-بنية الأسماء:

تمثل البنية في الأسماء شكلها أو هيئتها التي تأتي عليها، سواء أكانت بعلامة مميزة أو صيغة محدّدة، كالنكرة أو المعرفة، والمذكر والمؤنث، والمفرد والمثنى والجمع، وكالأسماء المشتقة، أم كانت بصيغة غير محددة لا اشتقاق لها، كالضمائر والأسماء الموصولة وأسماء الإشارة والظروف¹.

وجميع هذه الألفاظ لها دلالتها المعجمية أو الاجتماعية تشترك جميعها في أنّ لها دلالة صرفية تستمد من بنيتها إذ تدل على المعنى وظيفي صرفي خاص، بجانب معناها الوظيفي العام، فالشيوع والإبهام هو المعنى الوظيفي الخاص للنكرة، والتحديد والتعريف هو ما تدل عليه المعرف، والتذكير هو ما يستفاد من الألفاظ المذكرة، والتأنيث هو ما تدل عليه بنية المؤنث، والإفراد والتثنية والجمع هي المعاني الوظيفية الخاصة لمباني الألفاظ الدالة عليها، خلا النوع الثاني وإن لم تخضع لصيغ صرفية معينة، فإنّها تدل على معان صرفية عامة²، والمعنى الصرفي العام الذي تدل عليه الضمير هو عموم الحاضر أو الغائب، والدلالة على العموم والحاضر أو الغائب هي وظيفة الضمائر بشكل عام، ومن هنا كان معناها وظيفيا لا معجميا ، وينقسم الحضور إلى:

- أ- حضور تكلم: ويعبر عنه بالضميرين (أنا ونحن) وبقية ضمائر التكلم المتصلة.
- ب- حضور الخطاب: ويعبر عنه بالضمير (أنت) وبقية ضمائر الخطاب المنفصلة والمتصلة.
- ج- حضور إشارة: ويعبر عنه بـ (هذا) وبقية أسماء الإشارة، وتنقسم الغيبة إلى:
 - شخصية: ويعبر عنها بالضمير (هو) وبقية ضمائر الغائب المنفصلة والمتصلة.
 - موصولية: ويعبر عنها بـ (الذي) وبقية الموصولات.

¹. ينظر: مصطفى شعبان المصري، من الإعجاز اللغوي في القرآن (دراسة لغوية أسلوبية في مناسبة اللفظ لسياق

الحال)، تقديم: عبده الراجحي، الكتب الجامعي الحديث، القاهرة، ط:1، 2012م، ص:117.

² ينظر: المرجع نفسه، ص: 118.

ومثل ذلك الظروف، فهي وإن لم يكن لها صيغ صرفية معينة شأنها في ذلك شأن الضمائر والموصولات وأسماء الإشارة، فإنّها تدل على معنى صرفي عام، وهو الظرفية الزمانية أو المكانية، فالدلالة على الظرفية هي وظيفة الظروف، أو هي معناها المعبر عن العلاقات الزمانية والمكانية بالوظيفة¹.

وهكذا نرى أن كل نوع من الأسماء له وظيفة صرفية معينة، تدل عليه بنيته، يراعي فيها سياق المقام سواء كانت بصيغتها المحددة أو غير محددة، وفيما يلي سنحاول النظر إلى بنية هذه الأسماء في سورة آل عمران وتتبع أثرها الدلالية والجمالية.

3-1- التَّنْكِير والتَّعْرِيف:

يشيع استخدام أسلوب التعريف والتنكير في سورة آل عمران، فتارة يأتي بالفاظ معرفة، وتارة أخرى منكورة لحكمة يعلمها الله، وسر تقتضيه اللغة، وهدف يقصده المعنى، ومناسبة يتطلبها السياق وإذا ما حاولنا وضع أحد اللفظين مكان الآخر لاختل تناسق الآية، وزال الترابط في صياغة ألفاظها.

كذلك لو جاء التعبير القرآني بمعرفة من نوع معيّن ولفظ خاص، وخطر بالذهن تغييره بمعرفة أخرى، ولفظ مغاير، لحصل تبديل في المعنى، وانحراف في النّظم، وتبدّل للغرض المقصود، وضياح للهدف المنشود². إذن فمجيئهما ليس من قبيل العبث والصدفة، إنّما هو مقصود في كل حالة وجيء به على تلك الحالة لينسجم مع السياق الذي ورد فيه ويتناسق معه.

فما المقصود بالتعريف والتنكير؟

¹ ينظر: فاضل مصطفى الساقى، أقسام الكلام العربي (من حيث الشكل والوظيفة)، تقديم: تمام حسان، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، (1397هـ/1977م)، ص: 205/206.

² ينظر: عبد الفتاح لاشين، من أسرار التعبير في القرآن (صفاء الكلمة)، دار المريخ للنشر، الرياض، ط: 03، 1983م، ص: 43.

3-1-1-التنكير:

أ. مفهوم التنكير لغة:

لقد جاء في لسان العرب: "النَّكْرَةُ إنكارُ الشيء، وهو نقيض المعرفة، والنكرة: خلاف للمعرفة، ونكر الأمر نكيرا وأنكره إنكارا ونكراً: جهله"¹.

ب. اصطلاحاً:

النَّكْرَةُ هي "ما دلت على شيء لا بعينه"²، أو بتعبير آخر: "اسم يطلق على القليل والكثير، أو على مفرد، أو على أكثر، ومعناه شائع في جنس، أو نوع، أو صنف، أو نحو ذلك وهذا يصدق بالثنى والجمع"³.

فالنَّكْرَةُ عبارة عن اسم لا يدل على شيء معروف معين، كما أنه اسم يطلق على القليل أو الكثير، ويدل على الجمع والمفرد، وهو بهذا يختلف في مفهومه عما عليه في التعريف، فالاختلاف لا ينشأ من بنيته فحسب في كثير من الأحوال، إنما ينشأ من دلالتها واختلاف أسلوب استعمالها، فالفارق الأساسي بينهما هو أن التنكير لا يعرف بأداة معينة، وإنما يكون اللفظ مطلقاً من قيود التعريف، فالتنكير مطلق والتعريف يأتي ليقيد ذلك الإطلاق ويحدد وجوه اللفظ في دلالاته واستعماله⁴.

¹ ابن منظور، لسان العرب، مادة (ن ك ر).

² يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم اليمنى العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، راجعه وضبطه ودققه محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: 1، (1415هـ/ 1995م)، ص: 208.

³ عبد الرحمن حسن الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، بيروت، ط: 1، (1416هـ/ 1996م)، ج: 1، ص: 396.

⁴ ينظر: حسين جمعة، في جمالية الكلمة (دراسة جمالية بلاغية نقدية)، دار مؤسسة رسلان - دمشق - سوريا، دط، 2011م، ص: 181.

وهذا الكلام يوحى بأن المتلقي أو قد "يظن أنّ المعرفة أجلى ومن النكرة أولى، ويخفي عليه أنّ الإيهام في مواطن خليق، وأنّ سلوك الإيضاح ليست بسلوك للطريق، خصوصا في موارد الوعد والوعيد والمدح والذم ... والنكرة متكررة الأشخاص يتقاذف الذهن في مطالعها إلى مغاربها، وينظرها بالبصيرة من منسما إلى غاربها فيحصل في النفس لها فخامة وتكتسي منها وسامة"¹.

فالتنكير يقع لفوائد، ويستعمل لمقاصد لا يمكن للتعريف أن يقوم بها لا من الوجهة اللغوية ولا من الوجهة البلاغية والدلالية... وكلها تستقي من السياق ومن مطابقته لمقتضى الحال والمقام، فالوظيفة التي يقوم عليها الاسم النكرة بها سواء وقع مسندا إليه أو مسندا في الجملة أو النص اللغوي لا يمكن أن يقوم بها الاسم المعرفة، فهي تنفرد بخصائص تنبثق من مفهوم التنكير ذاته... ومن طبيعته الجمالية²، وتطالعنا في سورة آل عمران آيات وردت التنكير فيها في مواطن حساسة، تحمل دلالات معينة في سياقات مختلفة، تعطي للنص زيادة في المعنى وجمالا في المبنى، ولعل أبرزها:

1- التعميم:

لقد ارتبط موضوع التعميم في السورة بموضوع العقيدة والتوحيد، كقول الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 05].

فاللفظة المنكرة (شيء) فأكسبت للآية قيمة صرفية أفادت معنى هيمنة الله على الكون ومخلوقاته، وإثبات الألوهية لله وحده بأنه لا تخفى عليه خافية، فالنكرة هنا أفادت معنى الكلية، لأنها اعتمدت على وحدات صرفية لتفيد معنى التعميم لا التخصيص، فالمقام يقتضي هذه الصيغ الصرفية فضلا عن بعض القرائن التي أفادت العموم

¹ . حسين جمعة، في جمالية الكلمة (دراسة جمالية بلاغية نقدية)، ص: 181.

² ينظر: المرجع نفسه، ص: 181.

ك(السموات، والأرض)، بحيث "النكرة يراد بها واحد من أفراد الجنس ويؤتي بها عندما لا يراد تعيين هذا المفرد... والنكرة بعدئذ تفيد معناها مطلقاً من كل قيد، أما يذكره علماء البلاغة من معان استفيدت من النكرة فإنّها لم تفدها بطبيعتها، وإنّما استفادت من المقام الذي وردت فيه فكأنّما المقام هو الذي يصف النكرة ويحددها"¹. فالصيغ الصرفية على حد قول "أحمد بدوي" تكتسي دلالتها الأسلوبية من موقع الكلمة في سياقها التعبيري.

والملاحظ على التنكير الذي أفاد التعميم التزامه في أغلب الأعم بنمط معين في نظامها الصرفي، حيث تسبق بأداة نفي، وهذا النمط "التركيب عام لوقوع النكرة في حيز النفي"². كقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 67]. فالتنكير لكلمتي "يهوديا، نصرانيا" في الآية أفاد معنى عموم النفي بأن يكون سيدنا ابراهيم يهودياً أو نصرانياً، وإثبات اعتناقه للدين الإسلامي.

ومنه قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 108]. فالمتأمل لكلمة "ظلمًا" وقعت في هذا السياق نكرة وهي في سياق النفي تفيد العموم، تدل على انتقاء نفي جنس الظلم عن الله تعالى وتوجه النفي إلى الإرادة الواقعة على النفي يدل على أنه لا يريد فرداً من أفراد الظلم الواقعة على الناس واللام في العالمين زائدة لا تعلق لها بشيء.

وقد يدق التفريق بين النكرة والمعرف بأل في بعض التعبيرات، فيحتاج إلى فضل نظر وزيادة تأمل وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 61]. وقوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 21].

¹. أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 2005م، ص: 128.

². محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار المعرفة، بيروت، د ط، د ت، ص: 162.

إنّ كلمة حق المعرفة في آية البقرة، تدلّ على أنهم كانوا يقتلون الأنبياء بغير الحق الذي يدعو إلى القتل، والحق الذي يدعو إلى القتل معروف معلوم، وأما النكرة فمعناها أنهم كانوا يقتلون الأنبياء بغير حق أصلاً، لا حق يدعو إلى قتل ولا غيره، أي ليس هناك وجه من وجوه الحق يدعو إلى إيذاء الأنبياء، فضلاً عن قتلهم، فإطلاق لفظة (حق) بتنكيرها أفادت "التشنيع عليهم والعيب على فعلهم وذمهم في سورة آل عمران أشد". ومن هنا يتبين أن التعريف في الآية البقرة اليق والتذكير في آية آل عمران اليق¹.

2-المبالغة:

ومن الدلالات التمييزية التي كانت لها حظ الاستعمال في سورة آل عمران، المبالغة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 04]، فالكلمات المنكرة (عذاب، شديد، عزيز) أفادت معنى المبالغة في الوعد، فسياق الآية أشار إلى جزاء الذي أعدّه الله للمشركين، ليلحق بهذه الفئة عذاب شديد، وجملة (لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) اعتراضٌ تذييليٌّ مقررٌ للوعيد ومؤكد له².

وكذلك في قوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة البقرة، الآية: 31]، فقد تم اعتماد على النكرات الدالة على المبالغة، فهي أساس البروز الأسلوبية نتيجة توالي النكرات وتلاحقها، لأن المقام مقام مغفرة ورحمة لأولئك الذين يتبعون محمد صلى الله عليه وسلم.

وفي قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 59]، فالكلمتان (عذاباً، شديداً) منكرة، تدل على معنى المبالغة ما يحل بهم من العذاب، فسياق الآية يشير إلا جزاء الكفار الذين جحدوا

¹ ينظر: فاضل صالح السامرائي، معاني التحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . عمان. الأردن، ط: 1، (1420هـ/ 2000م)، ص: 111-112.

² ينظر: أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج: 03، ص: 35.

نبوة عيسى عليه السلام، وخالفوا ملته من اليهود والنصارى، وسائر أصناف الأديان، إمّا في الدنيا فبالقتل والسّباء والذّلة والمسكنة، وأمّا في الآخرة فبنار جهنم خالدين فيها أبداً¹.

3-التعظيم:

يعتبر التعظيم سمة أسلوبية في التعبير القرآني، وخير مثال السورة التي بين أيدينا، التي تميل إلى اختيار النكرة تحمل دلالة التعظيم أو التفخيم، في قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [سورة آل عمران، الآية: 37].

ولأنّ مقام الآية الرّد على تحسر امرأة عمران بوضعها أنثى وكانت تتأمل أن توضع ذكراً لخدمة بيت المقدس، فإنّ التّعظيم حريّ بدفع هذا التحسر الذي أصاب أم مريم، فجاءت النّكرة متضمنة لدلالة التفخيم (نباتا) وهو مصدر منصوب على المفعول المطلق، فجاء التنكير ليدلّ على التّعظيم شأن مريم فصار المصدر مبيناً لنوع الإنبات.

وكذا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 33].

لقد تضمنت الآية دلالة التعظيم والتفخيم بتنكير اسم "مباركا"، فلفظ "مباركا" اسم مفعول من بارك الشيء إذ جعل له بركة، وهي زيادة في الخبر، إذ جعله الله البركة فيه ولمجاوبيه ولسكان بلده، وما زاد في بركته أنّ حجارته وصعت بيد ابراهيم واسماعيل ومحمد عليهم السلام، لذلك جاء بالتنكير ليفيد معنى التعظيم لبيت الله الحرام.

وقد يأتي التنكير للتفخيم مع التهويل، في قوله تعالى: ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 96]، فاللفظة المنكرة "غضب" في هذا الموضع على حسب رأي المفسر "أبو السعود" له دالتان: الأولى: تفيد التفخيم، والثانية تفيد التهويل، وهذا يتناسب

¹. ينظر: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 5، ص:

والحديث عن طائفة الفاسقين من أهل الكتاب، فقد ضربت عليهم الدّلة ورجعوا بما رجعوا به من غضب الله، وغضب الله من أشد أنواع العذاب، إذ قرنه الله بلعنته في سورة النساء بأعظم الكبائر، وهي قتل النفس المؤمنة، إذ يقول: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء، الآية: 93].

4-التقليل أو التكثير:

وقد يأتي التنكير في بعض المواضع ليقصد به التكثير، كما جاء ذلك في قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 106]، فالتأمل في تنكير لكلمة (وجوه) في الآية . يفهم من أنها تدلّ على التكثير بدلالة قرينة صيغة فعول التي هي من صيغ جموع التفسير الموضوعية للكثرة ، قال الشوكاني: "التنكير في وجوه للتكثير، أي وجوه كثيرة¹، ومناسبة لسياق المقام، فيوم القيامة تبيض وجوه أهل السنة والصحابة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة.

في قوله تعالى: ﴿فَأَتَابَكُمْ غَمًّا بِغَمِّ﴾ فالتنكير هنا للدلالة على التكثير، وهذا يتناسب مع سياق الموقف، فالحديث كان عن المؤمنين الذين خالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد، وأي غم أعظم من غم القتل والجرح وظفر المشركين وإرجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم وفوات الغنيمة.

ومن بديع استعمال اللفظ منكرًا في قول الله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالرُّبْرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 184/183].

¹. ينظر: محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ج:1، ص: 499.

فالتنكير (رسل) هنا يناسب التكثر، أي ذوو عدد كثير، فأفاد كثرة عدد الرسل، ويناسب التعظيم أيضا، أي وذو آيات عظام، فإنَّ عظم آية الرسالة مما يدل على عظمة شأن الرسول في رسالته، فالأول ينظر إلى التكثر، والثاني ينظر إلى التعظيم، والغرض تسليية النبي -صلى الله عليه وسلم- في عدم إيمان الكفرة وأمره بالتأسي بمن قبله في عدم المبالاة بهم، والأسف عليهم، ولا يقتضي هذا كون من قبله أعظم منه، ولا أن الآية لمن قبله أعظم من آيته، لأن المراد هذا الذي فعل معك من الإنكار وعدم التصديق شأن الكفرة مع الأنبياء، فتأس بهم بالصبر، حتى يأتي الفتح¹.

ومما جاء التنكير فيه لأجل التقليل، قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 24]، جاءت النكرتان (أيامًا، معدوداتٍ) للدلالة على جمع القلة، فسياق الآية يشير إلى التولي والإعراض الذي صدر للأخبار اليهوديين وأعوامهم في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم وعدم سماعهم كلمة الحق، فهم يزعمون أنهم في أمان من العذاب إلا أياما قليلا، "وهي أربعون يوما، وهنَّ الأيام التي عبدوا فيها العجل، ثم يُخْرِجنا منها ربُّنا، اعتراضا منهم بما كانوا يفترون، يعني: بما كانوا يختلفون من الأكاذيب والأباطيل، في ادّعاءهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنه قد وعد أباهم يعقوب أن لا يدخ أحدا من ولده النار إلا تجلَّة القسم، فأكذبهم الله على ذلك كله من أقوالهم، وأخبر نبيّه محمدا صلى الله عليه وسلم أنهم هم أهل النار، هم فيها خالدون، دون المؤمنين بالله ورسله وما جاءوا به من عند الله"².

وأفرد الله سبحانه وتعالى لفظة (متاع) ونكرها، في قوله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّتْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ، مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَاؤَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [سورة آل عمران، الآية:

¹ . ينظر: مصطفى شعبان المصري، من الإعجاز اللغوي في القرآن . دراسة لغوية أسلوبية في مناسبة اللفظ لسياق الحال، ص: 123.

² . أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري جامع البيان في تأويل آي القرآن، ص: 297.

[198/197]، لتدلّ على القلة، فالله تعالى لا ينظر ما هؤلاء الكفار مترفون فيه من النعمة والغبطة والسرور، فإنّ متاع قليل يزول هذا كله عنهم، ويصبحون مرتين بأعمالهم السيئة، فإنّما نمد لهم فيما هم فيه استدراجاً¹، فالقليل من الجنة التي وعدت للمؤمنين خير من الدنيا بأكملها، وإذا كان الكفرة في رخاء العيش فمرجعهم الآخرة، وسيتحاسبون على شرّ أعمالهم. في قال الله تعالى: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [سورة لقمان، الآية: 24].

5- التّحقيق:

فالتنكير في لفظة (كفار)، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 91]، أفادت التّحقيق، لأنّ سياق الآية أشار إلى جزاء الذي ماتوا وهم كفار، ولو كان قد أنفق مثل الأرض ذهباً، ولو افتدى نفسه من الله بملء الأرض ذهباً بوزن جبالها وتلاتها وتراها ورمالها وسهلها ووعرها وبرها وبحرها²، فكان جزاءهم أنّ ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وقد جاء الجزاء مؤكداً حينما استعمل أداة "لن" التي تفيد نفي الحدث في المستقبل، وليؤكد أنّ عذابهم واقع لامحالة.

كما يظهر معنى التّحقيق، في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 162]، فالتنكير لللفظة (سخط) دلّت على التّحقيق، فسياق الآية عقد موازنة، فأشار إلى بيان حال من اتبع رضوان الله تعالى فاستحقّ جزيل ثوابه، وفي الجهة المقابلة بيان حال من باء بسخط الله عليه، فاستحقّ غضب الله ومأواه جهنم وبئس المصير، بدليل قول "ابن عاشور": "والاستفهام

¹. ينظر: عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن الكريم، ص: 308.

². ينظر: المرجع نفسه، ص: 107.

إنكار للمماثلة المستفادة من كاف التشبيه فهو بمعنى لا يستوون، والإتباع هنا بمعنى التّطلب: شبه حال المتوخي بأفعاله رضي الله عنه بحال المتطلب لطلبه فهو يتبعها حيث حلّ ليقتنصها، وفي هذا التشبيه حسن التنبيه على أنّ التحصيل على رضوان الله تعالى محتاج إلى فرط اهتمام، وفي فعل (باء) من قوله "كمن باء بسخط من الله" تمثيل لحال صاحب المعاصي بالذي خرج يطلب ما ينفعه فرجع بما يضرّه، أوجع بالخيبة"¹.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 90]. تمثل التنكير في لفظة (كفرا)، فالمقام مقام تحقير وتهويل، لأعداء الله اليهود، الذين كفروا بالإنجيل وبعبسى، ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والفرقان²، فلن تقبل توبتهم، إن أرادوا ذلك، جراء لما اقترفوه من ذنب في حياة الدنيا.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 108]، فإنّ "تنكير الظلم وتوجيه النفي إلى إرادته بصيغة المضارع دون نفسه، وتعليق الحكم بآحاد الجمع المعروف والالتفات إلى الاسم الجليل إشعار بعلة الحكم وبيان لكمال نزاهته عز وجل عن الظلم بما لا مزيد عليه، أي ما يريد فرد من أفراد الظلم لفرد من أفراد العالمين في وقت من الأوقات، فضلا عن أن يظلمهم"³، وهو المعنى نفسه أشار إليه الزمخشري في قوله: "ونكر" ظُلْمًا" وقال "للعالمين" على معنى ما يريد شيئاً من الظلم لأحد من خلقه"⁴.

¹ محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 4، ص: 157.

² ينظر: ابن جرير الطبري، تفسير الطبري جامع البيان في تأويل أي القرآن، ص: 565، 566.

³ أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج: 1، ص: 355.

⁴ أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج: 1، ص: 392.

3-1-2-التعريف:

3-1-2-1- مفهوم التعريف

أ. لغة:

جاء في لسان العرب: "التَّعْرِيفُ الإعلامُ، والتَّعْرِيفُ أيضاً: إنْشَادُ الضَّالَّةِ، وعَرَّفَ الضَّالَّةَ نَشَدَهَا"¹.

ب. اصطلاحاً:

وفي الاصطلاح التعريف ضد التنكير وهو الإعلام، يقصد بمدلولها تعييناً أو تخصيصاً أو تحديداً، سواء أكان هذا التعيين تعييناً لشيء واحد، أو تعييناً لمجموعة أشياء تشترك في صفة واحدة مقصودة، والمراد بها الحديث، ومن الأول: أحمد، وفاطمة والرجل... إلخ، ومن الثاني: المحمدون، والرجال، والمؤمنون... إلخ. وإلى جانب ما قد يحمله الاسم الدال على مفرد في دالته من دلالة على الجماعة، نحو: الإنسان في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ [سورة الإنسان، الآية: 01]، وهذه قد تكون:

أ- بلا أداة، أو بالوضع اللغوي، أو: بالأصل البنيوي: وهي الأسماء التي وضعت منذ بداية وضعها البنيوي لتدل على محدد أو معين، نحو الضمائر وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، والأعلام دون النظر إلى لفظها ولكن ينظر إلى مدلولها وهو التعيين، وما قد يضاف إلى أي من المجموعات الاسمية السابقة.

ب- بالأداة، أو: باستخدام الوحدة الصرفية الدالة، وهي الأسماء التي تكون نكرة في بداية وضعها اللغوي حيث يكون في مدلولها عدم تعيين أو عدم تحديد، وإنما وضع اللفظ ليعني به أي عضو أو وحدة واحدة أو مجموعة من أي منهما باستخدام الوحدة الصرفية الدالة، وهي في لغتنا العربية (أل).

¹. ابن منظور، لسان العرب، مادة (ع ر ف).

"فأل" تعرف الاسم في قولك "القوم، والرجل"، وأنه لا يعرى منكور منها إذا أردت تعريفه.

وعندما جعل النّحاة المعرفة فرعاً للنكرة فإنهم يتخذون من حاجة المعرفة إلى قرينة لأداء مدلولها المعرفي وفهمه دليلاً على ذلك، والتي تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

-أولاً: قرينة لفظية أو صرفية: ويمكن أن نجعلها قرينة بالصيغة وهذه تتفرع إلى فرعين:

أحدهما: الأسماء التي وضعت في بدايتها الصرفية دالة على المعرفة وهي: الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، فهذه المجموعات الاسمية قد اصطلح عليها في اللغة لتكون معارف وهي معارف بقرائن مقترنة باستخدامها اللغوي.

فمثلاً: الضمير معرفة لأنه لا يستعمل لغوياً إلا بعد ذكر اسم سابق عليه يعود إليه، وبهذا يصبح الضمير دالاً على مدلول معهود بين طرفي الحديث.

أما أسماء الإشارة فهي معارف بالعين والقلب.

والأسماء الموصولة معارف بصلتها . على الوجه الأرجح.

والآخر "أل" (التعريفية): أو ما يسميها النّحاة بالمؤثرة للتعريف، فهي وحدة صرفية موضوعة في اللغة العربية للترقية بين المعارف والنكرات، وسبقها للاسم يدل على معرفته، وتجريد الاسم منها يدل على تنكيره ما دام يقبلها.

-ثانياً: قرينة معنوية: وهذه تكون مصاحبة للأسماء التي تنقل من دلالتها على النكرة إلى دلالتها على المعرفة، وذلك يجعلها أعلاماً: للأشخاص أو الحيوان، أو المواضع والأماكن، أو الأشياء... أو غير ذلك من الموجودات.

ويدخل في هذه ما يكتسب التعريف من خلال العلمية، وهو في تركيب إسنادي، كتأبط شرّاً، وفتح الله، وفتح الباب وغيرها.

أو في تركيب مزجي، كما في: بعلبك، وحضر موت... وغيرهما.

أو في تركيب إضافي، كما في: نعمة الله، وأسد الله، وغيرهما.

-ثالثاً: قرينة تركيبية: وهي للأسماء التي تكتسب المعرفة من خلال إضافتها إلى معرفة كأن يكون الاسم مضافاً إلى ضمير أو اسم الإشارة، أو الاسم الموصول أو العلم.

3-2-2-1-أنواع المعرفة:

إنَّ التعريف متعدد الأنواع واسع الأغراض، فمنه الضمير وقد يكون للتكلم أو الخطاب أو الغيبة، ومنه العلم سواء كان اسماً أو كنية أو لقبا، ومنه اسم الإشارة قريباً كان أو متوسطاً أو بعيداً، ومنه اسم الموصول الذي يقتضي صلة يتفَنُّ المتكلم في التعبير عن مراده من خلالها، ومن التعريف ما يكون بالإضافة ومنه ما يكون بأل التي تفيد العهد والجنس، وكلاهما يتفرع منه أقسام تؤدي أغراضاً محدّدة وفق مراد المتحدث وعلى حسب غرضه من الحديث، فيجى بألفاظ المعرفة إذا اقتضى الأمر تحديداً أو تعريفاً أو إرادة شيء بعينه.

ولسورة آل عمران جملة من المعارف، سوف نتعرّف عليها ونقف على شيء من أغراضها في بعض الآيات:

1-الضمير:

لقد عرف الضمير في عرف النّحاة من المعارف بل من أعرف المعارف، لأنَّ محدد بدلالته على المتكلم أو المخاطب أو الغائب، تكمن قيمة استعماله في الاختصار والإيجاز في التعبير باستغناء عن إعادة ما سبق ذكره من الأسماء، فضمير الغيبة في قوله تعالى: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً﴾ [سورة الأحزاب، الآية: 37]، قام مقام عشرين ظاهراً¹، ولو تكرر الاسم لذهب جمال أسلوب وتماسك لغته "فالجملّة كالعقد الذي يجمع حباته سلك وثيقاً، ولا بد

¹ ينظر: جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي (849هـ/911م)، الأشباه والنظائر في النحو، دار الكتب العلمية - بيروت-لبنان، د ط، د ت، ج:1، ص 30.

أن يبقى السلك متصلاً، وإلا ما استطاع الرائي أن يفهم شكله معنى العقد، وهذا هو الارتباط، فإذا انقطع السلك، وكنا نريد له أن يتصل، وأن يفهم منه معنى العقد عالجتنا انقطاعه بطريق الربط¹، وإذا سعينا الحفاظ على اتصاله بأجمل صورة، لا نترك حبات العقد ثغرات تصيبه، ولا يكون ذلك إلا بوضع الضمير في محلة. فما هو الضمير؟

أ. الضمير لغة:

هو السر وداخل الخاطر فأضمّره، أي أخفاه، ويقال: أضمّر في نفسه شيئاً: أي عزم عليه بقلبه، والضمير الذي تخفيه في نفسك، ويصعب الوقوف عليه²، ويقال: أضمّرت صرف الحرف إذا كان متحركاً فأسكنته، والجمع الضمائر³.

ومنه قول الكفوي: "الضمير في اللغة المستور (فعيل) بمعنى (مفعول) أطلق على العقل لكونه مستورا عن الحواس"⁴.

ومن معانيها: الهزال، يقال فرس ضامر، لقوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [سورة الحج، الآية: 49]، أي الإبل المهازلة.

ومن هنا يتضح أن كلمة الضمير تدور حول معنى الخفاء والاستتار والضالة والهزال، وهي معاني متقاربة تعبر عن الخفاء في بعض أجزاء الشيء وزوالها عن حالها.

¹. ينظر: مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 1977، ص: 195.

². ينظر: أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، ج: 3، ص: 371.

³ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج: 6، ص: 163.

⁴. أيوب بن موسى الحسيني القزيمي الكفري أبو البقاء الحنفي، الكليات في معجم الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، د ط، د ت، ص: 571.

ب. اصطلاحًا:

وفي الاصطلاح: يعرف الضمير "بأنه اسم كني فيه عن متكلم أو مخاطب أو غائب تقدم ذكره بوجه ما"¹، ومن هنا تتضح أوجه العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي، وقد حدد "ابن هشام" هذه العلاقة قائلاً: "وإنما سمي مضمرًا من قولهم أضمرت الشيء إذا سترته وأخفيت، ومنه قولهم أضمرت الشيء في نفسي، أو من ضمور وهو الهزال، لأنه في الغالب قليل الحروف، ثم تلك الحروف الموضوع له أغلبها مهموسة وهي التاء، والكاف، والهاء، والهمس هو الصوت الخفي"²، فهو بهذا التحليل يختزل الخفاء في بنيته، تتمثل في قلة حروفه وصفة مخرجه، فهو يرى أن حروف الضمائر مهموسة، والهمس خفاء للصوت.

وتتعدد أنواع الضمير وتقسيماته، ومن ذلك تقسيمه بحسب استقلاله وعدمه، فمنه المتصل ومنه المنفصل، وصرح "شريف الرضي" أن الأول هو الأصل، في قوله: "اعلم أن الضمائر: المتصل المستتر، لأنه أخصر، ثم المتصل البارز عند خوف اللبس بالاستتار، لكونه أخصر من المنفصل، ثم المنفصل عند تعذر الاتصال فلا يقال: ضرب أنا، لأن (ضربت) مثله معنى وأخصر منه لفظاً"³.

فالمتصل غير مستقل نطقاً وكتابة ويجب اتصاله بالعامل ولا يتقدم عليه، ومنه البارز والمستتر، فالبارز هو ماله صورة في اللفظ حقيقة نحو التاء والهاء في (أكرمته)، أو حكماً كالضمير المتصل المحذوف من اللفظ جزواً، نحو (جاء الذي ضربت)، وأما المستتر فلا يمكن النطق به ولقصد التقريب على المتعلمين يستعيرون الضمير المنفصل جزواً فيقولون مستتر جزواً تقديره "هو"، أو مستتر وجوباً تقديره: أنا وأنت⁴.

¹ . محمد علي التَّهْنَاوي، كشف اصطلاحات العلوم والفنون، تقديم: رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط: 01، 1996م، ج: 1، ص: 219.

² . أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد الأنصاري، شرح شذوذ الذهب في معرفة كلام العرب، دار الطلائع. مدينة نصر. القاهرة، د ط، د ت، ص: 168.

³ . محمد بن الحسن الرضي الاسترابادي، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، تح: يوسف حسن عمر، جامعة فار يونس، د ط، 1978م، ج: 2، ص: 427.

⁴ . ينظر: عباس حسن، النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، دار المعارف، مصر، ط: 03، د ت، ج: 1، ص: 219.

والمنفصل هو المستقل نطقاً وكتابة ولا يتصل بالعامل¹، ويأتي دالا على المفرد والمثنى والجمع المذكر والمؤنث المتكلم والمخاطب والغائب.

ولا داعي للتفصيل فيه، ما يهمنا في هذا المقام، استعراض كيفية مجيء الضمائر في سورة آل عمران التي خرجت في أغلب آياتها عن عرف قواعد اللغة العربية، ومن هذا القواعد: أن الاسم إذا تم ذكره أولاً فلا يعاد ثانية وإنما يذكر مضمراً، وهو ما اصطلاح عليه "اضمار الاسم لتقدم ذكره"، غير أنهم سوغوا إعادته اسم الظاهر ثانية لمعنى ما.

وهذا يخالف الكلام البليغ مقتضى الظاهر، فيصرح بالاسم في الموضع الذي يقتضي اضمماره، ويضمّر في مواضع الذي يقتض إظهاره، ليبين أصالته وسمو بلاغته، وإلا ما كان ليكثر منه.

ولاشك أن شيوع هذا الأسلوب في القرآن الكريم أو بالأحرى في سورة آل عمران أكثر من شيوعه في كلام العرب لأنه أسلوب بليغ له فوائد عظيمة، تدرك بالذوق وتدل عليه القرائن²، فالباحث لمكانم البلاغة في استعمال القرآن له أن يفتأ للكشف عن الجديد التي تمخضت عنه معاني وأغراض بلاغية وطرائق متجددة أشار إليها المفسرون وأصحاب اللغة ولا يكاد يخلو موضع منها من عدة أغراض للتعبير عن بعض المقاصد المعنوية، تحتاج إلى جهد يسير للوصول إليه، أو إلى التأمل الملي حتى يسير في أغواره ويكشف أسرارها، فمن هذه الجهة كانت جمالياته داعية إلى تواتر استعماله، وكثرة طريقة، التي أضفت لأسلوبية نوعاً من التفرد والتمايز مقارنة بالأساليب الأخرى.

¹ . ينظر: عباس حسن، النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، ج: 01، ص: 219.

² . ينظر: فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، دار الفرقان للطباعة والنشر، مصر، ط: 1، (1409هـ / 1989)، ص: 504.

1. إضمار الاسم لتقدم ذكره:

يميل التعبير القرآني في سورة آل عمران إلى حذف الاسم المعاد أو سبق السياق الإشارة إليها، "وذلك لأنك لا تضمّر الاسم إلى بعد تقدم ذكره ومعرفة المخاطب على من يعود ومن يعني أو تفسير يقوم مقام الذكر لذلك استغنى عن الوصف"¹، راجع ذلك لعلّة دلالية يقتضيها المقام أو سياق الحال، حقق بذلك قيمة أسلوبية ما لا يحققها الاسم الظاهر، ومن أبرز استعمالاته قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 10].

فمن الواضح، أنّ الآية تشير إلى مصير من كفروا بالله وبالرسل، فلا تنفعهم أموالهم ولا أولادهم لا في دفع مضاره ولا في جلب منفعه، ونظرا لكفرهم وشركهم استبعد الله عن ذكرهم لتحقيرهم ولبيان بشاعة بما جاءوا به، والتهويل من أمر مصيرهم لما سيجدوا به من عقاب أليم، "أي أولئك المتّصفون بالكفر هم حطب النار وحطبها الذي تسعر به فقد أريد بيان حالهم عند التسعير"²، والملاحظ حذف الاسم المعاد لدلالة يقتضيها سياق الحال أو المقام، فضمير (كفروا) الواو الجماعة عائد إلى المشركين، فلم يُعد ذكرهم بل فهم في سياق الحديث ومثله، في قول الله تعالى: ﴿كَذَّابٍ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 11]، لقد اكتفت الآية بذكر الضمير الغائب "هم" في أخذهم"، التي تعود على (آل فرعون) وعلى الذين من قبلهم.

¹ . موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي الموصلي ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري، قدّمه ووضع هوامشه وفهارسه: ايميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان، د ط، 1971، ج: 02، ص: 247.

² . أبي السعود محمد بن محمّد بن مصطفى العمادي الحنفي، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج: 03، ص: 30.

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ الآية: 107، عبرت الآية في هذا الموضع بالضمير المستتر الدال على أهل السنة الذين آمنوا بالله ورسوله وامتلأوا لأوامره واجتناب نواهيه في الفعل (ابيضت) دون ذكرها بصراحة لأن المعنى يقتضيها، وفي قوله: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ الآية: 49، وقد عاد الضمير "فيه" على اسم مفعول غير مذكور في الآية وهو "المخلوق" لوجود في الكلام قبله لفظ آخر يتضمن مرجعه يرشده ويشترك معه في الاشتقاق مدلول عليه باللفظ (أخلق) أو هو راجع إلى اسم المفعول "المهيأ" الذي دلّ عليه مصدر الهيئة.

2. ضمير الشأن:

تعتمد سورة آل عمران إلى استعمال نوع الآخر من الضمائر، يخالف مع سبق ذكره، لا يعود على الأشخاص أو الأشياء بعينها، بل له دلالة أخرى هي دلالة الشأن أو الأمر أو الحكاية.

وسمي ضمير الشأن بهذا الاسم لأنه يرمز إلى الشأن أي: الحال الذي يراد منها الكلام¹، فقد قال "ابن يعيش" في تعريفه: "اعلم أنهم إذا أرادوا ذكر جملة من الجمل الاسمية أو الفعلية، فقد يقدمون قبلها ضمير يكون كناية على تلك الجملة، وتكون الجملة خبرا عن ذلك الضمير وتفسيرا له، ويوحدون الضمير، لأنهم يريدون الأمر والحديث"².

وقد يأتي بالضمير للدلالة على المبالغة في مواضع التفخيم والتنبيه، قال "صاحب الطراز": "اعلم أن ضمير الشأن والقصة على اختلاف أحواله إنما يرد على جهة المبالغة في تعظيم تلك القصة وتفخيم شأنها وتحصيل البلاغة فيه، من جهة الإضمار أولاً وتفسيره ثانياً، لأنّ الشيء إذا كان مهماً، فالنفوس متطلعة إلى فهمه، ولها نشوق إليه، لأجل هذا حصلت فيه البلاغة، ولأجل ما فيه من الاختصاص بالإبهام لا يكاد يرد إلا في المواضع البليغة المختصة بالفخامة"³.

¹ ينظر: عزيز فوال بابتي، المعجم المفصل في النحو العربي، دار الكتب العلمية . بيروت، لبنان، ج: 1، د ط، د ت، ص: 594.

² موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي الموصلي ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري، ج: 3، ص: 114.

³ يعي بن حمزة بن علي بن ابراهيم اليمنى العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ص: 270.

ومن بديع استعمال هذا الضمير في السورة، ما نلمحه في قوله تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 170]. اكتفى سياق الآية بحذف ضمير الشأن، تعظيماً لهذه الفئة التي قتلت في سبيل الله بأنهم فرحين بما آتاهم الله من فضلة، ذلك لغرض التوكيد من جهة، ومن جهة أخرى إثارة نفس السامع ليدفعها إلى معرفة ما يأتي ذلك من ناحية أخرى، فلم نجد غير مثال واحد في هذه السورة.

3. الإظهار في مقام الإضمار:

1. زيادة التمكن والتقرير:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُوءُونَ آلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 78].

فقد وضع الظاهر موضع الضمير في موضعين:

- الأول: قوله: ﴿وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ بدل الضمير "وما هو منه".

- الثاني: قوله: ﴿وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ بدل الضمير "وما هو من عنده".

فالسر في ذلك زيادة التمكن والتقرير في نفس المخاطب وإشعاره بمنزلة المنزل والمنزل وهكذا جاء بالظاهر بدل الضمير¹، يقول "ابن عاشور": "وتكرير (الكتاب) في الآية مرتين، واسم الجلالة أيضاً مرتين، لقصد الاهتمام بالاسمين، وذلك يجر إلى الاهتمام بالخبر المتعلق بهما والمتعلقين به"².

2. التعظيم:

قال الله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 73].

¹ ينظر: عبد الرزاق حسين أحمد، الإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم (مفهومه، أغراضه، عناية المفسرين له)، مجلة كويتية شهرية، ع32، (1433هـ/2012م)، ص: 31/30.

² محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج:3، ص: 292.

أظهر اسم (زكريّا) هنا بدل الاتيان بالضمير يعود عليه، ولكن بهذا الإظهار في موضع الإضممار فائدة جليّة، ألا وهي دلالة التعظيم ورفع من شأن مريم برعايتها خير الرعاية¹، من قبل سيدنا زكريا، وذلك لصلة القرابة بين مريم وزوجة زكريا من جانب، ومن جانب آخر سمعة زكريا الطيبة.

3. إزالة الإبهام والغموض:

قال الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 26].

تأمل تكرار كلمة (المملك) في قوله تعالى: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ﴾ لأنه لو قال "تؤتيه" لعاد الضمير إلى المملك في قوله تعالى: ﴿مَالِكَ الْمُلْكَ﴾، ولأوهم ذلك أن الله تعالى يعطي ملكه كله من يشاء وهذا غير المراد، مما دفعه إلى اتيان باسم ظاهر بدل المضمّر ليزيل الغموض واللبس، فالمقصود أن الله يعطي ملكه لبعض عباده².

4. التهويل والتخويف:

قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 159].

فالتأمل لسياق الآية، يجد أن المقام هنا مقام التهويل والتخويف، لو رعي مقتضى الظاهر، لقال "إِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ إِنَّهُ يَحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ، ولكن وضع الاسم الظاهر، وهو لفظ الجلالة "الله" موقع الضمير لإدخال الروعة والمهابة في نفوس المخاطبين، وذلك مما يزيد الحفز في التوكل على الله وحينما نتدبر الأوامر المذكورة في الآية نجد أنها رتبت ترتيباً

¹ ينظر: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهار الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج:2، ص:486.

² ينظر: عبد الرزاق حسين أحمد، الإظهار في مقام الإضممار في القرآن الكريم (مفهومه، أغراضه، عناية المفسرين له)، ص:43.

تدريجياً¹ وذلك أنه أمره بأن يعفو عليه السلام عنهم ماله في خاصته عليهم من تبعة وحق فإذا صاروا في هذه الدرجة أمره أن يستغفر لهم فيما الله عليهم من تبعة، فإذا صاروا في هذه الدرجة كانوا أهلاً للاستشارة في الأمور"².

5. تربية المهابة:

قال الله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 54]. لقد تم إظهار لفظ الجلالة مرتين في الآية مرتين، في موضع يستلزم فيه إضمماره، فيقال: "وهو خير الماكرين"، وذلك لما للفظ الجلالة من إدخال المهابة والروعة في قلب السامع، يقول "ابن عاشور" رحمه الله: "وإظهار اسم الجلالة في مقام الإضممار لتربية المهابة"³.

6. إشارة إلى استقلال الجملة:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ تُخْشَوْا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَوُهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 29].

أظهر لفظ الجلالة هنا، ولو جرى على مقتضى الظاهر لقال: "وهو على كل شيء قدير" ولكنه عدل عنه إلى الإظهار للإشارة إلى استقلالية الجملة، يقول "ابن عاشور" في تفسيره لهذه الآية: "أظهر اسم الله دون الضمير، فلم يقل: وهو على كل شيء قدير، لتكون جملة مستقلة، فتجرى مجرى المثل"⁴.

2- العدد:

تلجأ سورة آل عمران إلى وسائل خاصة بها للتعبير عن مفهوم العدد الصرفي وقد اتخذت المفرد والجمع بمختلف أنواعه وسيلة للقيام ببعض الوظائف الصرفية.

¹ . ينظر: عبد الرزاق حسين أحمد، الإظهار في مقام الإضممار في القرآن الكريم (مفهومه، أغراضه، عناية المفسرين له)، ص: 52.

² . عبد الحق بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير كتاب العزيز، تج: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية . بيروت، لبنان، ط: 01، 2002م، ج: 3، ص: 280.

³ . محمد طاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 3، ص: 44.

⁴ . المرجع نفسه، ج: 3، ص: 222.

فقد كشف الجرد الإحصائي الذي قمنا به، إلى وجود 435 اسما مفردا، و 86 اسما جمع مذكر سالم و 26 اسما جمع مؤنث سالم و 118 اسما جمع تكسير منها 15 وزنا.

وبعد الجرد الإحصائي، أشرنا إلى أنّ مفهوم العدد الصرفي في سورة آل عمران يرتكز أساسًا على استخدام اسم جمع التكسير، إذ قدّر عدده تقريبا (118) اسما، وهي نسبة ذات دلالة عالية تحتاج إلى دراسة وتحليل، ويرجع غلبة هذه الجموع نتيجة ارتباطها بعالمي الإيمان والجحود، ومن الجموع المتعلقة بعالم الإيمان نحو (الأرحام، الألباب، الرسل...)، أما يرتبط بعالم الجحود والانكار نحو (وقود، الذنوب، أعقابكم...).

ويكمن سر طغيان جمع التكسير دون بقية الجموع الأخرى، راجع إلى تعدده وتكاثره في اللغة العربية وتنوع أوزانه التي تراوحت أوجه دلالاته في السورة، بين القلة والكثرة ومنتهى الجموع وجمع الجمع، مما أكسبها أغلب الظن هذا التنوع والتعدد اختصاصا دلاليا لا يمكن أن نجده في جمع المذكر السالم أو جمع المؤنث السالم، منها:

1- جمع التّكسير:

هو ما تغير فيه بناء مفرده، وهذا التغير إما أن يكون بزيادة على المفرد نحو "رجا" أو بنقص فيه نحو "رُسُلٌ" أو بتبديل حركاته نحو "أُسْدٌ" جمع أُسْدٌ.

وإن تبديل الحركات إما أن يكون لفظا كما رأيت، أو يكون تقديرا كالهجان وهي البيض الكرام من النوق، فإنّ مفردها هِجان أيضا غير أنهم يقدرّون أنّ حركة الجمع في ذلك غير حركة المفرد كما أنّ كسرة اللام في عِلِمَ مجهولا غير كسرة المعلوم¹.

¹ ينظر: جورج شاهين عطية، سلم اللسان في الصرف والنحو والبيان، دارريحاني للطباعة والنشر، بيروت، ط: 04،

سمي جمع التّكسير على التشبيه بتكسير الآنية، لأنّ تكسيرها يزيل التّئام أجزاءها، فلما تغير نظمه وبنائه انفصل بعض أجزائه من بعض¹. وهو أعمّ الجموع وأشملها فيشترك فيه المؤنث والمذكر، ويدل على ذلك أنّ كل ما يجمع بالواو والنون فلك أن تجمعه بالتّكسير، فكما تقول "زيدون لك" أن تقول "أزيد وزيد"، وكما تقول "هندات" فتجمعه بالألف والتاء، فلك أن تجمعه: أهناد وهنود فتكسره، وقد يجمع التّكسير ما لا يصح جمعه بالواو والنون، ولا بالألف والتاء، ألا ترى أنّ درهما يجمع دراهم، ولا يجوز أن تجمع بالألف والتاء لأنّه مذكر، ولا يجمع بالواو والنون بأنّه ليس بمذكر عاقل، فدلّ على استغناء جمع التّكسير على جمعي السلامة وأنّ كل ما يجمع على بالسلامة يصح أن يجمع بالتّكسير².

وتنقسم جموع التّكسير من حيث دلالتها إلى قسمان:

أ- جموع القلة:

هو ما دلّ من ثلاثة إلى عشرة وله أربعة أوزان: أفْعُل، أفْعَال، أفْعِلَة، وفِعْلَة³، ومعنى اختصاص هذه الصيغ بالقلة: أن المدلول الحقيقي (لا المجازي) لكل واحد منها هو عدد مهم. أي لا تحديد ولا تعيين له. ولكنّه لا يقل عن ثلاثة ولا يزيد على عشرة، بشرط ألا توجد قرينة تدل على أنّ المراد الكثرة لا القلة، فعند القرينة تتعين القلّة حتما، اعتمادا على أنّ الصيغة موضوعة في أصلها للقلة، ومختصة بها، فلا يجوز إبعادها إلى الكثرة بغير قرينة، وإلا كان هذا إبعادا لها عن أصلها، وإخراجا منه إلى غيره مما لا تصلح له في حقيقة ولا مجاز (يشترط في المجاز وجود قرينة التي تمنع من إرادة المعنى الأصلي). ومن نماذج صيغ جموع القلة التي وظفت في السورة توظيفاً فنياً نذكر صيغة:

¹ ينظر: كمال الدين أبي البركات عبد الرحمان بن أبي سعيد الأنباري، أسرار العربية، تح: بركات يوسف هُبُود، شركة دار الأرقم أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، ط: 01، (1420هـ / 1999م)، ص: 63.

² ينظر: عبد المنعم سيد عبد العال، جموع التّصحيح والتّكسير في اللغة العربية، مكتبة الخانجي بالقاهرة، د ط، دت، ص: 130.

³ ينظر: جورجي شاهين عطية، سلم اللسان في الصرف والنحو والبيان، ص: 108.

1. أفْعِلَة: وردت هذه الصيغة مرّة واحدة في السورة، بلفظ (أَذَلَّة) من ذلل الدّل ونقيض العز، ذَلَّ يَذِلُّ ذَلًّا وذَلَالَة ومذَلَّةً فهو ذليل بَيْنَ الذِّلِّ والمذَلَّةِ، من قوم أَذَلَّاء وأَذَلَّة وذِلَال، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 123]، استعملت لفظ (أَذَلَّة) في الآية الكريمة بوزن القلة مع وجود وزن الكثرة له (ذلال على فعال)، حيث بلغ عدد المسلمين يوم ذاك في المعركة ثلاثة مائة وبضعة ثلاثة عشر رجلاً، لذا فمدلول اللفظ هنا يدل على الكثرة لا القلة، وإذا ما قارناها بعدد المسلمين بالكفار، فهم قليلون بعدد الكفار الذي كان عددهم ألف وزيادة.

2. أَفْعُل: ورد هذا الوزن في سورة آل عمران أربعة عشر مرّة في آيات متفرقة، وانحصرت في كلمتين اثنتين هما:

*أَنْفُس: والنفس هي الروح وجمعه أنفس على القلة، ونفوس على الكثرة على وزن فعول، وردت هذه الكلمة ثلاثة عشر مرة في الآيات الكريمة للسورة، كقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 61]، وقوله أيضاً: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 69]، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 154] وغيرها.

وكلها تحت بمعنى الكثرة في استعمالاتها، وإن وظفت وزن من أوزان القلة لأن سياق الكلام في الآيات المذكورة أو غير مذكورة يدل على ذلك.

أما كلمة (أيد) جمع يد، استعملت في الآية الكريمة مرّة واحدة فقط، في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 182]، فيما قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ: تعود على الكفرة كلهم بسبب ما اقترفوه من ذنوب ومعاصي في دنياهم، لا الكف.

3. أَفْعَال: وردت صيغة أفعال في سورة آل عمران في إحدى وأربعين موضعاً، على ستة وعشرون لفظ بعضها مكرر، وبعضها الآخر ورد لفظاً، على سبيل المثال:

- (الأولاد): الوليد هو الصبي حين يولد، وتدعى الصبية أيضاً وليداً، ويقال غلام مولود وجارية مولودة. أي حين ولدته أمه.

- الولد: اسم يجمع الواحد والكثير والذكر والأنثى، والوَلَدُ، والوُلْدُ بالضمّ ما ولد أيّاً كان، وهو يقع على الواحد والجمع، والذكر والأنثى، وقد جمعوا فقالوا أولاد وولدة وإلدة، وقد يجوز أن يكون الولد جمع كوشن ووثن¹، وقد تم ذكر كلمة (أولاد) على وزن (أفعال) في السورة الكريمة مرتين في مواقع مختلفة، والغرض منها الكثرة على الرغم أنها من أوزان القلة، لأنّ الله يخاطب الكفار وليس هناك سبب يدفعه إلى عدم عذابهم لا المال ولا الأولاد، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 10]، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 116].

¹ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج:3، ص: 467. مادة (ول د)

- الأرحام: مفردة الرَّحِم، والرَّحِم بيت مُنَبَّت الولد ووعاؤه في البطن، والجمع أرحام، لا يكسّر على غير ذلك¹، وجيء هذا اللفظ في السورة مرّة واحدة، إلاّ أنّه استعمله للكثرة مع أنّ الصيغة من الصيغ جموع القلة، لأن الخطاب موجه إلى مخلوقاته جميعا، وهم كثيرون، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 06].

- أصحاب: من صَحَبَ يَصْحَبُهُ صُحْبَةً، بالضم، والصحابة بالفتح، وصاحبه عاشره، والصاحب المعاصر، والصَّحْب جمع الصاحب مثل: راكب وَرَكَبَ والأصحاب جماعة الصَّحْب، مثل فَرَحَ أَفْرَاحَ، ويجمع على أصحاب وأصحاب وصحبان، مثل شاب شَبَّانَ، وصحاب مثل جائع جِيعاً²، استعملت بمعنى الكثرة، وهم الذين أسلموا وعاصروا النبي صلى الله عليه وسلم ووقفوا إلى جانبه في المصائب والشدائد، حتى يستطيع نشر دين التوحيد، وفي الحديث "...أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا لِلزُّبَيْرِ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ أَلَا تَشُدُّ فَتَشُدُّ مَعَكَ..."³.

ب- جموع الكثرة:

هو ما دلّ من ثلاثة إلى مالا نهاية له، وله (ماعدا صيغ منتهى الجموع) سبعة عشر وزناً⁴، وتم توظيفها هي الأخرى في السورة توظيفا فنيا، تنوعت في أوزانها وصيغها، لقد تم توظيف جموع الكثرة في السورة هي أخرى توظيفا فنيا، تراوحت أوزانها وصيغها، وسوف نستعرض كل نوع بمثال.

¹ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج: 12، ص: 130. مادة (رح م)

² ينظر: المرجع نفسه، ج: 1، ص: 519. مادة (ص ح ب)

³ . أبي عبد الله محمد بن اسماعيل ابن ابراهيم الجعفي البخاري، صحيح البخاري، ج: 05، ص: 94، رقم الحديث (3975).

⁴ ينظر: جورج شاهين عطية، سلم اللسان في الصرف والنحو والبيان، ص: 108.

1.فُعِلُّ: انحصر وزن (فُعِلُّ) في سورة آل عمران في كلمتين اثنتين (رُسُلٌ، زُبُرٌ)، الأولى استعملت خمس مرات، والثانية مرّة واحدة، وهما:

- رُسُلٌ: من رَسَلَ يَرْسِلُ رِسَالَةً وهو رسول، وكلمة رسول على وزن فعول، يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع مثله مثل: عدو، صديق. وقد تم استعمالها في الآيات الكريمة على سبيل الكثرة، لأنّ عدد الرسل عليهم السلام كثيرون، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 144]، وقوله أيضاً: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَمِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُنْصِرَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 183]. وغيرها.

- زُبُرٌ: الزُّبُرُ (الكتابة)، يقال: زَبَرَ الكتابَ ويَزْبُرُهُ، ويَزْبُرُهُ زَبْرًا: كتبه، وقال بعضهم: زَبَرَتِ الكتابَ، إذا أَتَقَنَت كتابته، و(الزُّبُور) بالفتح: (الكتاب بمعنى مزبور، ج. زُبُرٌ) بضميتين كرسول ورسول، وإنّما مثل به لأنّ زبورًا ورسولًا على وزن مفعول، وقد غلب الزبور على (كتاب داوود عليه السلام) وكل كتاب زبورٌ¹، وقد وردت في السورة الكريمة مرّة واحدة فقط، في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 184]، وتدل على صيغة جمع الكثرة، إلا أنّ كان يراد بها كتاب واحد وهو الزُّبُور، ولكن حسب ما جاء في التفسير "الصابوني" قوله تعالى: ﴿وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ أي بالكتب السماوية المملوءة بالحكم والمواعظ والكتاب الواضح الجلي كالتوراة والانجيل².

¹ ينظر: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، الكويت، ط1، 2001، ج: 11، ص: 399.

² ينظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الصابوني للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1997، ج: 1، ص:

2. **فُعِلْ**: ثبت استعمال هذه الصيغة في سورة آل عمران، وانحصرت كلها في لفظين، هما: - **أُخِرَ**: وهو جمع المؤنث (أخرى) الذي ذكره (آخر)، وقد يجمع بالألف والتاء (أخريات)، وأُخِرَ اسم لا ينصرف، لأنَّ واحده لا ينصرف، وهو أخرى وأُخِرَ، وكل جمع على وزن فُعِل جمعًا لِفِعْلِهِ فإنه ينصرف نحو: سُنَّةٌ وَسُنَنٌ وَسُنَنًا وَسُنَنِ، وَسُتْرَةٌ وَسُتْرَتَانِ وَسُتْرًا وَسُتْرَيْنِ، وَحُفْرَةٌ وَحُفْرَتَانِ وَحُفْرًا وَحُفْرَيْنِ.

وتمّ ذكرها في السورة الكريمة مرّة واحدة، في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 07]. أما (سُنَنٌ) والسُنَّةُ الكريمة حسنة كانت أو قبيحة، والسنة: الطريقة، والسيرَةُ، وإذا أُطْلِقَتْ في الشرع فإنّما يراد بها ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم، ونهى عنه، وندب إليه قولاً وفعلاً مما لا ينطق به الكتاب العزيز¹.

وقد وردت في السورة الكريمة مرّة واحدة، في قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 137].

3. **فَعُول**: هي من أكثر الصيغ شيوعاً، فقد وظفت في السورة الكريمة سبعاً وعشرين مرة على ثلاثة عشر لفظاً، حيث وردت تسعة ألفاظ فكَرَّر بعضها حتى بلغت ثلاثة وثلاثين لفظاً في مواضع مختلفة، نذكر على سبيل المثال:

- **(قُلُوب)**: ومفرده قلب، ويُجمع على أَقْلُبٍ وَقُلُوبٍ، وقد استعملت هذه الكلمة في السورة ثماني وعشرون مرّة وفي آيات مختلفة، يقول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 07]، وقوله أيضاً: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 103].

¹ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج: 13، ص: 220. مادة (س ن ن)

- (الأجور): الأجرُ: الجزاء على العمل، والجمع أجور، والإجارة من أجرٍ يأجرُ وهو ما أُعْطِيََتْ من أجرٍ في عمل والأجرُ الثَّواب¹. وذكرت في السورة الكريمة مرتين في موضعين مختلفين، ويقصد بها الثواب، فالجمع فيهما جمع كثرة وزنا أو معنًا، يقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 57]، وقوله أيضًا: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 158].

4. فُعَلَاء، فعلى: تعتبر من الصيغ التي ظهرت في السورة الكريمة بصورة أقل جدا، فاستعملت كل صيغة مرة واحدة، الأولى في كلمة الشهداء، وهذه الكلمة وردت مرتين في آيتين مختلفتين. أما الأخرى فحضورها كان مرة واحدة في كلمة (موتى) مفردة ميت، في قوله تعالى: ﴿وَأُبْرِئِ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 49].

- (الشهداء): من شَهِدَ، يَشْهَدُ، شَهَادَةً، ومفرده شاهد على فاعل بمعنى حاضر، وشهيد على وزن فاعل للمبالغة، والشهيد هو من فدى بحياته في سبيل الله وجمع شهداء، وعن جار قال: ﴿صَبَّحَ أَنَاسٌ غَدَاةَ أَحَدِ الْخَمْرِ فَقَتَلُوا مِنْ يَوْمِهِمْ جَمِيعًا شُهَدَاءَ، وَذَلِكَ قَبْلَ تَحْرِيمِهَا﴾². يقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُوهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 99]، ويقول أيضًا: ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 104].

¹ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج: 04، ص: 10. مادة (أ ج ر)

² ينظر: أبي عبد الله محمد بن اسماعيل ابن ابراهيم الجعفي البخاري، صحيح البخاري، ج: 8، ص: 277، رقم الحديث (4618).

5.أفعلاء: لقد تم استخدام صيغة أفعلاء في سورة آل عمران على ثلاث كلمات، كلمتان

استعملتا فيها مرتين، والأخرى مرة واحدة، وإجمالاً بلغ عددها خمس كلمات، منها:

- (أولياء): ومفرده وليٌّ، وهو كل من وليّ أمراً أو قام به، والنصير، والمحِب، والصديق، ذكراً، وقد يؤنث بالتاء، والحليف، والصهر، والجار، والعقيد، والتابع، والمعتق، والمطيع، يقال للمؤمن ولي الله، والمطر يسقط بعد المطر، و(ولي العهد) وارث للملك، و(ولي المرأة) من يلي عقد النكاح عليها ولا يدعها تستبد بعقد النكاح من دونه، وفي الحديث عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما المرأة نكحت بغير إذن ولها فنكاحها باطل"¹.

- (ولي اليتيم): الذي يلي أمره ويقوم بكفايته، وفي الاقتصاد السياسي من يتحمل مخاطر الإنتاج فله الغنم وعليه العزم والجمع أولياء وجمع ولي بمعنى المطر بعد المطر أوليَّة².

وذكرت في السورة مرتين في آيتين مختلفتين، يقول الله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ الآية: 128، ويقول أيضاً: ﴿إِنَّمَا ذِكُّمُ الشَّيْطَانِ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 157].

- (الأنبياء): من أنبأ يُنبئ، والأنبياء جمع ومفرده النبي والأصل فيه (النبيء) بالهمز مكّية، على وزن فَعِيل بمعنى مَفْعَل، فهو المخبر عن الله تعالى، بأنَّ الله أخبره بتوحيده، وأطلعه على غيبية وأعلمه أنَّه نبيّه، والنبيء بالهمز من النبأ، أي الخبر لأنَّه أنبأ عن الله أي أخبر، ويجوز فيه تحقيق الهمز وتخفيفه، يقال: نَبَأٌ، وَنَبَأٌ، وَأَنْبَأٌ، قال سيبويه: "ليس أحد من العرب إلا ويقول تنبأً مُسَيَّلَمَةً، بالهمز، غير أنهم تركوه في الذرية، والبرية، والخابية، إلا أهل مكة، فإنهم يهمزون هذه الأحرف ولا يهمزون في غيرها، ويخالفون العرب في ذلك، وقال الهمز النَّبِيُّ لُغَةً رَدِيئَةً، أي لقلّة استعمالها، لا لكون القياس يمنع ذلك وترك الهمز هو المختار عند العرب سوى أهل مكة"³.

¹. أحمد بن حنبل، الحديث في مسند إمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، القاهرة، دط، دت، ج: 6، ص: 66، رقم الحديث: 24417.

². مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط1، 1976، ج2، ص 1058، مادة (ول ي).

³. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج: 01، ص: 443 / 445. مادة (ن ب أ).

وكذلك استعملت مرتين في مواضعين مختلفين في السورة الكريمة، يقول الله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 28]، ويقول أيضا: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 181].

6. شبه فعاليل: هذا الوزن يندرج ضمنه مجموعة من الصيغ (مفاعل، مفاعيل، فعاليل، فاعل، أفاعيل، تفاعيل، فاعل)، ونستعرض فقط ما يهمننا منها ونسبة ورودها في سورة آل عمران:

1. مفاعل: هي إحدى أوزان شبه فعاليل، وردت هذه الصيغة مرة واحدة بلفظ (مقاعد)، من قَعَدَ يَقْعُدُ قَعُودًا وَمَقْعَدًا، أي الجلوس، والمقاعد موضع جلوس الناس، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 121].

وكلمة (ملائكة): من أَلَكَ بَأْلَكُ، والألوك والملائكة الرسالة، والملك مشتق منه، وأصل مَأْلَكٌ ثُمَّ قَلِبَتِ الهمزة إلى موضع اللام فقليل مَأْلَكٌ، ثُمَّ خُفِضَتِ الهمزة بأن أَلْقَيْتَ حَرَكَتَهَا عَلَى السَّاكِنِ الَّذِي قَبْلَهَا فَقِيلَ مَلَكٌ، والجمع ملائكة على وزن مفاعلٍ دخلت فيها الهاء لا لعجمة ولا لنسب ولكن على حدود دخولها في القشاعة والصياقلة¹.

وقد ذكرت في السورة الكريمة في ثماني مواضع منها، يقول الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ الآية: 18، ويقول أيضا: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 42]، وغيرها.

فأريدت بكلمة (ملائكة) في الآيتين الكريمتين المفرد لا جمع القلة ولا جمع الكثرة، ففي التفسير: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾، أطلق الملائكة وأريد به جبريل، فهو من باب تسمية الخاص، باسم العام تعظيما له، ويسمى هذا المجاز المرسل².

¹ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج: 10، ص: 392. مادة (أ ل ك)

² ينظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج: 01، ص 129.

2. فعاليل: وردت صيغة فعاليل في سورة آل عمران مرة واحدة بلفظ (القناطير) من قنطر: ترك البدو، وأقام بالأمصار والقرى، وملك مالا كثير يوزن بالقنطار، والقنطار: معيار مختلف المقدار عند الناس، وهو بمصر في زماننا مائة ورطل وهو 928 044 من الكيلوجرامات، والمال الكثير (ج) قناطير، والقنطرة: جسر متقوس مبني فوق النهر يعبر عليه (ج) قناطر، والمقنطر بناء مقنطر، متقوس كالقنطرة الكثيرة المكسدة¹، يقول الله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 14].

3. أفاعل: تعد صيغة أفاعل من الصيغ الأقل ورودا في سورة آل عمران بل تكاد تنعدم، حيث وجدت لفظا واحد (أنامل) يطابق وزن أفاعل، ومفرده أنملة، وهي رؤوس الأصابع، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 19].

الآية تنهي المؤمنين إلى عدم اتخاذ الكفار، أولياء وأحباء، فالكفار كثيرون، لهذا الآية تدل على ذلك، وتفسير الآية يؤكد ذلك: "هَا أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ تَحَبَّوْنَهُمْ، يَقُولُ: تَحَبُّونَ هَؤُلَاءِ الْكَافِرَ الَّذِينَ نَهَيْتُكُمْ عَنْ اتِّخَاذِهِمْ بَطَانَةً مِنَ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ"².

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 124].

فالآلف واللام في (المؤمنين) قصد بها التعريف الحضورى، فالمؤمنون الذين وُجه لهم ذلك القول هم الذين حضروا غزوة بدر وليس كل المؤمنين زمن النبي عليه الصلاة والسلام، فإنّ منهم من كان في المدينة من الرجال والنساء لم يخرجوا لملاقاة العير مع النبي صلى الله عليه وسلم، لكونهم لم يُسْتَنْفَزُوا، أو لكون الخروج لم يقصد به القتال في البداية، ولكنه آل إليه في النهاية³.

¹ ينظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ج: 2، ص: 7629. مادة (ق ن ط ر)،

² أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 5، ص: 716.

³ ينظر: ناصر بن عبد الرحمان بن ناصر الحنين، النظم القرآني في آيات الجهاد، مكتبة التوبة، الرياض ط: 10، 1996 م، ص: 104.

2- جمع المذكر السالم:

هو كل جمع يزداد على آخر المفرد واو والنون في حالة الرفع وياء والنون في حالتي النصب والجر، وإذا كان الاسم المراد جمعه صحيح الآخر أو شبهه زيدت عليه الواو والنون أو الياء والنون بلا تغيير فيه نحو (مؤمنون) وإذا كان منقوصا تحذف ياءه ويضم ما يقبل واو الجمع إن جمع بالواو والنون، وتبقى الكسرة إن جمع بالياء والنون نحو (قاضون وقاضين) جمع قاضٍ، وإذا كان مقصورا تحذف ألفه وتبقى الفتحة بعد حذفها دلالة عليها نحو (أَعْلَوْنَ ومَصْطَفَوْنَ) جمع أعلى ومصطفى، وإذا كان ممدودا تعامل همزته معاملتها في التثنية¹.

ولا يصح فيها الجمع إلى لشيئين²:

- الأول: العلم لمذكر عاقل بشرط أن يكون خاليا من تاء التأنيث.
- والثاني الصفة لمذكر عاقل بشرط أن تكون خالية من تاء التأنيث، وليست من باب أفعل الذي مؤنثه فعلاء كأحمر، ولا من باب فعلان الذي مؤنثه فعلى كسكران، ولا مما يستوي فيه المذكر كصبور وجريح.

ودلالة الجمع المذكر السالم على أكثر من اثنين، أمر اصطلاح النحاة عليه، أما اللغويون فقد يطلقون كلمة الجمع على المثنى لأن الجمع في اصطلاحهم يطلق على الاثنين كما يطلق على ما زاد على الاثنين، ويؤيد هذا شواهد كثيرة فصيحة في مقدمتها القرآن الكريم، فقد قال الله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: 78]. وقوله تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [سورة التحريم، الآية: 04]. وقول "أبو ذؤيب الهذلي" في رثاء أبنائه الخمسة الذين ماتوا بالطاعون:

الْعَيْنُ بَعْدَهُمُوكَانَ حِدَاقَهَا سُمِلَتْ بِشَوْكِ فَيَّ عَوْرًا تَدْمَعُ

فأطلق الجمع في قوله (حِدَاقَهَا)، وهي جمع حدقة، وأرادا الاثنين³.

¹ ينظر: جوري شاهين عطية، سلم اللسان في الصرف والنحو والبيان، ص: 104/103.

² ينظر: المرجع نفسه، ص: 105.

³ ينظر: عبد المنعم سيد عبد العال، جموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية، ص: 08

وإذا كان جمع المذكر السالم دالا عند النحاة على أكثر من اثنين، فما هي حدود الزيادة؟ أتنحصر في ثلاثة وعشرة وما بينهما، ولا تزيد على عشرة؟ أم تزيد؟ يقول "سيبويه": "إنّ جمع المذكر السالم وجمع المؤنث السالم يدلان . في الغالب . على عدد قليل لا ينقص عن ثلاثة، ولا يزيد على عشرة، فهما كجموع القلة التي للتكسير، ينحصر مدلولها في ثلاثة عشر وما بينهما¹، وقال آخرون . ورأيهم الصحيح . أنهما صالحان للأميرين، مالم توجد قرينة تعين أحد الأمرين كالتي تعين القلة في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ [سورة البقرة، الآية: 203]، فالمراد بالأيام هنا "أيام التشاريق" وهي قلة، والتي تعين الزيادة في قوله تعالى عن الصالحين ﴿وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سورة سبأ، الآية: 37]، فلا يجوز أن تكون الغرف كلها التي في الجنة من ثلاث إلى عشر².

ولقد وجدنا سورة آل عمران حافلة بطائفة كثيرة من الآيات القرآنية التي لها علاقة بهذا النوع من الجموع، وقد اقترن حضوره بعالم الإيمان على عالم الجحود، وهذا يتناسب مع موضوع السورة في إثبات عقيدة التوحيد بكل أنواعه "الألوهية، الربوبية، ذكر الأسماء، وصفات الله تعالى"، وبيان أنّ لجميع الديانات السماوية مصدرها الواحد هو الله تعالى، وتحذير أهل الكفر والشرك وتوعددهم بأن مصيرهم النار لا تغني عنهم قوتهم ولا جاههم ولا سلطانهم من الله شيئا، فاقتضى الأمر استدعاء الجمع بصورة مكثفة مقارنة بجمع المؤنث السالم لخدمة الغرض المراد بيان ، فضلا عما أداه التقليل في جمع بين عالمين، مما أثار تساؤل في أذن السامع، هل هو في صف الكافرين واعتقاداتهم الباطلة أو في صف المؤمنين وصفاتهم الكاملة فيجره إلى تحريك عقله ودفعه للتفكير للوصول إلى الطريق المستقيم.

ومن الدلالات الأسلوبية لجمع المذكر السالم منها: التّكلم والتشنيع بالكفار، كقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 90].

¹ ينظر: عباس حسن، النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، ج: 1، ص: 137.

² ينظر: عبد المنعم سيد عبد العال، جموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية، ص: 09.

إنّ جمع المذكر السالم قوله "الظالمون" له دلالة عميقة بحيث وصف الكفار بالظلم بصيغة الجمع بالتبكيك والتعريض ما لا يخفى على أحد ف (الظالمون) هم المشركون فغير عنوانهم الأول إلى عنوان الظلم على أنّ في هذا القول اعتداء على الله عزّ وجل، ذلك لأنّ بني اسرائيل كانت تحرف ما جاء بالتوراة وينسبون هذا التحريف لله عزّ وجل، فقد ارتكزت الآية السابقة على صيغة جمع المذكر السالم لإبراز الظلم وغلطة بني اسرائيل وتجاوزهم حدود الله، وبيان شدة ظلمهم لله بافتراءهم عليه كثيرا.

وقوله أيضا: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 56].

فالجمع المذكر السالم في قوله: ناصرين" له دلالة عميقة في الدّم، حيث أقدم على وصف الكفار بالمفسد بصيغة جمع المذكر السالم، دون ذكر اسمهم بصريح العبارة، حتى يبعد الملل وتضفي لأسلوبه التميز عن طريق استنطاق كل مرة صفة دون معاودة الكر للفظ نفسه، فالناصرين هم النصارى الذي جحدوا نبوة عيسى وخالفوا ملّته، وكذبوا بما جاء به من الحق، وقالوا فيه الباطل، فيتوعددهم الله بعذاب في الدنيا في الآخرة، ولا يجدون ناصرين ينصرونهم في تسليط العقاب الذي قدره الله.

ومثل الآية السابقة، قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 104].

في مقابل عالم الشّرك والإنكار يستخدم النّظم القرآني جمع المذكر السالم للإشادة بالذين آمنوا بالرسول . صلى الله عليه وسلم . وتتجلى هذه الإشارة والتنويه من صيغة جمع المذكر السالم (المفلحون)، ولعل دلالة الجمع ساعدت على إبراز معنى الجماعة المؤمنة، كما أنّ صيغة الجمع في الآية أفادت معنى الفوز لأصحاب رسول الله . صلى الله عليه وسلم . لأنّهم يأمرّون بالمعروف وينهون عن المنكر، كذلك من دلالات جمع المذكر السالم بأن وصف المؤمنين بالفلاح في صيغة الجمع ليدل على التّجّاح والفوز ف (المفلحون) هم المؤمنون، فالآية ارتكزت على صيغة الجمع المذكر السالم لإبراز فوز المؤمنين.

وقوله أيضا: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 17]، لخصت الجموع المتواترة في الآية الكريمة مقترنة بـ (ال) العهدية دلالة عميقة في مدح المؤمنين والثناء عليهم، وذكر أصول فضائل صفات المتدينين، و"لا جرم أن تلك الصفات التي خص بها الله عز وجل عباده المؤمنين تتوافر جميعها فيهم، بالنظر إلى الربط بينها بوساطة الواو، غير أن كل صفة منها تتم عن تحقق الأخرى بكيفية يقينية، فاستحقاق الصدق لا يهيئه إلا الإخلاص في الصبر، والقنوت يقوّمه الصدق، وتتمخض عنه الأعمال الصالحة، ومن بينها الإنفاق الخير الذي يؤهل لنيل شرف الاستغفار بالأسحار".

ولم يكن هذا الانتظام الدلالي للأوصاف المدحية ليخلو من سمات الجمالية، حيث أنتج تراصا جماليا انتقائيا، ارتكز أساسا على اختيار صيغ جمع المذكر السالم¹.

3- الجمع المؤنث السالم:

هو كل جمع يزداد على آخر المفرد ألف وتاء نحو (هند: هندات) فإذا كان المفرد مختوما بتاء لتأنيث وجب حذفها فتقول (فاطمة: فاطمات) وإذا كان مقصورا أو ممدودا عومل معاملته التثنية فتقول في (رحى وعصا: رحيات وعصوات)، وفي (قراءة: قراءات) وفي (عذراء: عذروات)².

وينقسم هذا الجمع باعتبار لفظه إلى³:

أ- لفظي: وهو ما كان مشتملا على علامة تأنيث ظاهرة، سواء كان دالا على مؤنث أم مذكر، مثل: فاطمة، وحمزة، ومعاوية، وشجرة، وخضراء.

¹ ينظر: فتحة غلام، جماليات الدلالة والسياق في النص القرآني (المحاولة في التنظير والتطبيق)، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، ط: 01، 2024، ص: 73.

² ينظر: جورج شاهين عطية، سلم اللسان في الصرف والنحو والبيان، ص: 105.

³ ينظر: عبد المنعم سيد عبد العال، جموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية، ص: 20-21.

ب- وهو ما كان لفظه خاليا من علامة التأنيث مع دلالته على التأنيث نحو: زينب،
وشمس، وأرض.

ويطرّد هذا الجمع في سبعة مواضع¹.

- أعلام الإناث، كهند ومريم وفاطمة.
- ما ختم بعلامة التأنيث، نحو: شجرة وحمزة وحبل وعذراء.
- صفة لمذكر غير عاقل، نحو جبال شاهقات.
- المصدر المجاوز لثلاثة أحرف غير المؤكد بفعله، كاحسانات وتعريفات.
- مصغر ما لا يعقل نحو: دريهمات.
- ما صدر مما لا يعقل، فيقال في "ابن آوى وذى القعدة: بنات آوى وذوات القعدة".
- الأسماء الأعجمية التي لا يعهد لها جمع آخر فتقول في "تلغراف وبرنامج: تلغرافات وبرنامجات".

ولقد كان هذا النوع أقل الجموع ورودا في سورة آل عمران، حيث وردت في خمسة عشر موضعا مختلفا، واقتربت في غالب الأمر بعالم الإيمان والتوحيد، ومن الدلالات الأسلوبية لهذا النوع من الجموع، قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾. [سورة آل عمران، الآية: 07].

فأريد الله تعالى أن يخبرنا أن في القرآن "آيات" بصيغة الجمع المؤنث السالم غير آية، منها آيات محكمات، أي بينات، واضحات الدلالة، لا التباس فيها على أحد من الناس، وهنّ أم الكتاب، ومنها آيات أخرى فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم، فمن ردّ ما اشتبه عليه إلى الواضح منه، وحكم محكمه على متشابهة عنده فقد اهتدى، ومن عكس انعكس، ولهذا قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أي أصله الذي يرجع إليه عند الاشتباه ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ أي تحتل دلالتها موافقة المحكم، وقد تحتل شيئا آخر من حيث اللفظ والتركيب، لا من حيث المراد².

¹ عبد المنعم سيد عبد العال، جموع التصحيح والتفسير في اللغة العربية، ص: 106-107.

² ينظر: عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن الكريم، ص: 08.

وقوله أيضا: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 190].

لقد أجمع الله سبحانه وتعالى لفظ السماء وأفرد كلمة الأرض، فلفظ السماوات وردت بصيغة الجمع المؤنث السالم، لأنها سبع طبقات منفصلة عن بعضها البعض مثل القبة، واستندوا بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [سورة الطلاق، الآية: 12]، وعلى أن الأرض كرة واحدة منقسمة إلى سبعة أقاليم، لإثبات عظمتة وكمال قدرته في التصرف لسائر أصناف الخلق، فهو مالك السموات والأرض ومن فيهما.

وقوله أيضا: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 57].

وأول ما يلمح اقتران لفظة (الصالحات) بصيغة جمع المؤنث السالم بالإيمان، حيث أن الإيمان مرتبط عمله بجميع الأعمال الصالحة، فالألف واللام أفادت الشمول.

فالأعمال الصالحة انعكاس عملي وتطبيقي لما وقر في قلب العبد من جملة الإيمان كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، والتي تتحقق إلا بهذين الشرطين: الإخلاص والمتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم، والدليل: ما رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ"¹.

وفي قوله أيضا: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 86].

ذكرت لفظة "البينات" بصيغة جمع المؤنث السالم واتصالها بعالم الكفر والإنكار، لتظهر حقيقة نزول القرآن، وإقامته براهين عظيمة ودلائل قاطعة تفصل فيه بين الحق والباطل والشك واليقين، ويشهد بصدق ما جاءهم به الرسول صلى الله عليه وسلم، وتوضيح لهم الأمر، يرتدي إلى ظلمة الشرك، فكيف يستحق هؤلاء الهداية بعد ما تلبسوا به من العماية؟².

¹ محمد بن صالح العثيمين، تفسير ابن العثيمين (تفسير القرآن الكريم)، دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 2004، ص320.

² ينظر: عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن الكريم، ص: 105.

4- العلم:

جاء في لسان العرب أن "العَلَمَ والعَلَمَةَ والعُلْمَةَ: الشَّقُّ في الشَّقَّةِ العليا... ويقال للبعير أَعْلَمَ لِعِلْمٍ في مِشْفَرِهِ الأعلى... وَعَلَمُهُ يَعْلُمُهُ يَعْلُمُهُ عَلَمًا: وَسَمَهُ... وأعلم الفَرَس: عَلَّقَ عليه صوفًا أحمر أو أبيض في الحرب.. وقدح مَعْلَمٌ: فيه علامة... ويقال لما يبني في جوادٍ الطريق من المنازل يُسْتَدَلُّ بها على الطريق: أعلام، واحدها علمٌ... وقوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ الرحمن: 34، قالوا: الأعلام الجبال، والعَلَمُ: العلامة... والعَلَمُ: رسم الثوب... والعَلَمُ: الراية التي يجتمع إليها الجند"¹.

وهكذا نرى أن المعاني اللغوية التي تدور حول مادة (ع ل م) متعددة، كالجبل والراية ورسم الثوب، وعلامة، والظاهر أنه تم نقل معناه الاصطلاحي من الرابع . العلامة . بدليل قولهم لأنه علامة على مسمّاه، قوله "بعين المسمى"².

وفي الاصطلاح: له تعريفات عدّة، منها أنه "ما وضع لمَعَيْنٍ لا يتناول غيره"³، و"ما علق على شيء بعينه غير متناول ما أشبهه"⁴، و"ما وُضِعَ لشيء وهو العَلَمُ القَصْدِي، أو غلب، وهو العلم الاتفاقي الذي يصير علمًا لا بوضع واضح، بل بكثرة الاستعمال مع الإضافة، أو اللزوم لشيء بعينه خارجا أو ذهنا ولم تتناوله السببية"⁵.

و"اللفظ الذي يدلُّ على تعيين مسمّاه تعيينا مطلقا"⁶.

¹ . ابن منظور، لسان العرب، مادة (ع ل م)، ج: 12، ص: 430 / 419.

² . أبو العرفان محمد بن علي الصّبّان الشافعي، حاشية الصّبّان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، ضبطه وصحّحه وخرج شواهد: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان، دط، دت، ص: 182.

³ . محمد بن الحسن الرضي الاسترابادي، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، ج: 1، ص: 12.

⁴ . موفق الدين أبي البقاء يعيـش بن علي الموصلي ابن يعيـش، شرح المفصل للزمخشري، ج: 1، ص: 93.

⁵ . علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني (816/740هـ)، التعريفات، حققه وقَدّم له ووضع فهارسه: ابراهيم الأبياري، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1983، ص: 200.

⁶ . عباس حسن، النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، ج: 1، ص: 287.

وهذه التعريفات المتعدّدة تختلف في الشكل، لكنّها تتفق في المضمون وخاصّة في شيئين:

1. تعيين المقصود من العلم.

2. أن يُفهم هذا التعيين من اللفظ نفسه بمجرد النطق به¹.

ومن ناحية رتبة العلم بين المعارف، فإنّه أعرف المعارف بعد الضمائر، لكن الأعلام لا تستوي في درجة واحدة من التعريف، فأعرفها لفظ الجلالة. وهو أعرف المعارف أيضاً. ثمّ يليه أسماء الأماكن لقلة الاشتراك فيها، ثمّ أسماء النّاس، فأسماء الأجناس².

وينقسم باعتبارات مختلفة إلى أقسام متعددة³:

فينقسم . باعتبار تشخّص مُسمّاه وعدم تشخّصه . إلى قسمين⁴:

أولاً: العلم الشّخصي:

وهو اسم يعين مسماه تعييناً مطلقاً، ومسمى العلم الشّخصي أنواع منها:

1- أولو العلم من المذكورين والمؤنثات ومما ورد منها في القرآن الكريم:

أ- أعلام الأنبياء والرسل كمحمد ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [سورة الأحزاب، الآية: 40].

ب- أعلام الملائكة كجبريل وميكال، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية: 98].

¹ ينظر: حنا نصر الحقي، قاموس الأسماء العربية والمعربة وتفسير معانيها، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط3، 2003، ص: 131/132.

² ينظر: المرجع نفسه، ص: 132.

³ ينظر: أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد الأنصاري، شرح قطر الندى وبل الصدى، تج: ايميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان، ط: 08، (1439هـ/ 2024م)، ص: 99.

⁴ ينظر: جميل أحمد ظفر، النحو القرآني (قواعد وشواهد)، فهرسة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، مكة المكرمة، ط: 2، (1418هـ/ 1998م)، ص: 155/ 156.

- ج- أعلام الصحابة كزيد بن حارثة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [سورة الأحزاب، الآية: 37].
- د- أعلام النساء (كمريم ابنة عمران)، كما في قوله تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 43].
- 2- أسماء الكفار كقارون قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة القصص، الآية: 67]. أعلام القبائل: كعاد وثمود ومدين، قال تعالى: ﴿وَالِإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [سورة الأعراف، الآية: 65].
- 3- أعلام البلاد والأمكنة: كبكة ويثرب وبدر، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ﴾ [سورة الأحزاب، الآية: 13].
- 4- أعلام الأماكن الأخروية: كالفردوس وهو أعلى مكان في الجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [سورة الكهف، الآية: 37].
- 5- أعلام الكواكب: كالشمس والقمر والطارق، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: 33].
- 6- أعلام الطيور: كالجراد والهدهد، قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [سورة النمل، الآية: 20]. وغير ذلك من الأعلام كثير.

ثانيا: علم الجنس:

وهو اسم يعين مسماه بغير قيد تعيين ذي الأداة الجنسية أو الحضورية، ومسمى علم الجنس أنواع منها:

- أ- أعلام تؤلف كهيان بن بيان للمجهول العين والنسب وفرعون لكل من ملك مصر، قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: 104].

وقال أبو الحيان: "كل من ملك مصر يقال له فرعون كنمرود في اليونان وقيصر في الروم وكسرى في فارس والنجاشي في الحبشة وعلى هذا لا يكون فرعون وأمثاله علما شخصيا بل يكون علم جنس، كأسامة وثعاله"¹.

¹. أبو الحيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان، ط: 04، (1438هـ/ 2017م)، ج: 4، ص: 355.

ب- أمور معنوية كسبحان علما للتنزيه، قال تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [سورة الروم، الآية: 17].

وينقسم باعتبار ذاته إلى مفرد ومركب¹، فالمفرد: كزيد وأسامة، والمركب ثلاثة أقسام:

1. مركب إضافي: كعبد الله وعبد الرحمان.
2. مركب مزجي: كعبلبك وسيبويه.
3. مركب إسنادي: هو ما كان في الأصل جملة: كجاء الحق وتأبط شراً (علمين لرجلين)، وكشاب قرناها (علماً لامرأة).

وينقسم باعتبار دلالته إلى: اسم وكنية ولقب²

أ- العلم بالاسم: كما مرّ في أسماء الأعلام المختلفة.

ب- العلم بالكنية: كل مركب إضافي صدره أب أو أم أو ابن أو بنت كأبي بكر وأم كلثوم، ولم يرد من الكنى في القرآن الكريم غير (أبي لهب) في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [سورة المسد، الآية: 01]. واسمه عبد العزى ولم يذكر باسمه لأنه حرام شرعاً، أو لأن كنيته كانت أغلب عليه من الاسم أو لأن ماله إلى النار فوافقت حالته كنيته.

ج- واللقب: كل ما أشعر برفعة المسمى أو وضعته ومما ورد منه في القرآن الكريم

(إسرائيل) وهو لقب يعقوب، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ

عَلَيْكُمْ﴾ [سورة البقرة، الآية: 40]. معناه عبد الله وفيه لغات.

¹ . ينظر: مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية (موسوعة في ثلاثة أجزاء)، راجعه وحققه: عبد المنعم خفاجة، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ط: 30، (1414هـ/1994م)، ج: 1، ص: 84.

² ينظر: جميل أحمد ظفر، النحو القرآني (قواعد وشواهد)، ص: 157.

و(ذو القرنين) واسمه اسكندر، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ [سورة الكهف، الآية: 83]، قيل لقب بذلك لأنه بلغ قرني الأرض المشرق والمغرب وقيل غير ذلك.

وهو لقب لعيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى﴾ [سورة آل عمران، الآية: 45].

وينقسم باعتبار أصالته وعدمها إلى: مرتجل، ومنقول، وعلم بالغلبة¹.

- العلم المرتجل: ما لم يسبق له استعمال قبل العلمية في غيرها، بل استعمل من أول الأمر علما: كسعاد وعمر.

- العلم المنقول: ما نقل عن شيء سبق استعماله فيه قبل العلمي، إما عن مصدر كفضل، واسم جنس كأسد، أو عن صفة كحارث ومسعود، أو عن فعل كشمر وأبان، أو عن جملة: كجاذ الحق، وتأبط شراً.

- العلم بالغلبة: وقد يغلب المضاف إلى المعرفة والمقترن آل العهدية على ما يشاركما في الدلالة، فيصيران علمين بالغلبة، مختصين من بين سائر الشركاء بواحد، فلا ينصرفان إلى غيره، وذلك: كابن عباس، وابن عمر وابن مالك والعقبة والمدينة والألفية، فهي أعلام بغلبة الاستعمال، وليست أعلاما بحسب الوضع.

وقد لجأت بعض الآيات الكريمة لسورة آل عمران بإطلاق أسماء الأعلام بأصلها كذات الإلهية وأسماء الأنبياء والرسل، وأولوا العزم، وأعلام المكان، والملائكة... وعدلت عن البعض إلى بديله (كناية الأعلام ووصف الأعلام) حسب ما يقتضيها السياق تماشت مع الأغراض الأسلوبية ومقاصد دلالية للآيات:

1. التعظيم والتفخيم:

قال الله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 38]، فقد أثر القرآن الكريم دلالة زائدة على معنى العلمية وهو ذكر اسم الرب دون اسم الله تعالى للتعظيم وتفخيم شأنه، حيث ذكر وصف الرب دون اسم العلم للإشارة إلى استحقاق زكريا لولد صالح، فتضرع لله بالدعاء، لأن العبد لا يحق له الدعاء إلا بالله، فهو المجيب دعوة الداعي.

¹. ينظر: مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية (موسوعة في ثلاثة أجزاء)، ج: 1، ص: 87.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 42/43].

تكرر ذكر العلم للسيدة مريم، فهي المرأة الوحيدة التي ذكرت في القرآن باسمها، ولا يكاد يذكر اسم عيسى إلا منسوباً إليها، قصد التعظيم والتفخيم، والدليل لما لاقته من رعاية الله وعناية. فجاءت الملائكة لتخبر اصطفاء الله لها وتطهيرها واصطفاءها على نساء العالمين.

قال "القرطبي" (ت671هـ): "خصَّ الله مريم بما لم يؤته أحدًا من النساء، وذلك أن روح القدس كلمها وظهر لها ونفخ في درعها، ودنا منها للنفخة وليس هذا لأحد من النساء، وصدقت ربها، ولم تسأل آية عندما بُشِّرَتْ. كما سأل زكريا. من الآية، ولذلك سمّاها الله تعالى في تنزيله: صِدِّيقَةً، قال: "وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ"، وقال: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [سورة التحريم، الآية: 12]، فشهد الله بالصدقية وشهد لها بالتصديق بكلمات البشري، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 33].

تعرض هذه الآية نخبة المختارة من البشر التي اصطفاها الله وجعلها ذرية بعضها من بعض، وكيف ونبينا سيد العالمين من ذرية آل ابراهيم، وتم ذكرهم باسم صريح لغرض التعظيم وإعلاءه شرفهم وتفضيلهم على ممن خلق تفضيلاً، "فأخبر أنه اصطفى آدم، أي: اختاره على سائر المخلوقات، فخلقه بيده ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة بالسجود له، وأسكنه جنته، وأعطاه من العلم والحلم والفضل ما فاق به سائر المخلوقات، ولهذا فضّل بنيه، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: 70]. واصطفى نوحاً فجعله أول رسول إلى أهل الأرض حين عبدت الأوثان، ووفقه من الصبر والاحتمال والشكر والدعوة إلى الله في جميع الأوقات ما أوجب اصطفاؤه واجتباؤه، وأغرق الله أهل الأرض

بدعوته، ونجاه ومن معه في الفلك المشحون، وجعل ذريته هم الباقين، وترك عليه ثناء يذكر في جميع الأحيان والأزمان، واصطفى آل إبراهيم وهو إبراهيم الخليل الرحمن الذي اختصه الله بخلته، وبذل نفسه للنيران وولده القربان وماله للضيفان، ودعا إلى ربه ليلاً ونهاراً وسراً وجهراً، وجعله الله أسوة يقتدي به من بعده، وجعل في ذريته النبوة والكتاب، ويدخل في آل إبراهيم جميع الأنبياء الذين بعثوا من بعده لأنهم من ذريته، وقد خُصص بأنواع الفضائل ما كانوا به من صفوة على العالمين، ومنهم سيد ولد آدم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فإن الله تعالى جمع فيه من الكمال ما تفرّق في غيره، وفاق صلى الله عليه وسلم الأولين والآخرين، فكان سيد المرسلين من ولد إبراهيم، واصطفى الله آل عمران وهو والد مريم بنت عمران، أو والد موسى بن عمران، فهذه البيوت التي ذكرها الله هي صفوته من العالمين، وتسلسل الصلاح، والتوفيق بذرياتهم، فلماذا قال سبحانه وتعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾¹ [سورة آل عمران، الآية: 34]. ﴿وشهد لها القنوت﴾² [سورة آل عمران، الآية: 42].

2. التأكيد:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 144].

لقد ذكر النبي محمد اسمه الصريح المعروف به بين قومه، لغرض التأكيد وحصر رسالة الرسول الكريم الذي جاء على حين فترة من الرسل وإن كُتب له الموت ستبقى رسالته انسانية خالدة باقية بعده إلى يوم القيامة.

¹ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (1307هـ/1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، قدّم له فضيلة الشيخ عبد الله عبد العزيز بن عقيل، وفضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين، اعتنى به تحقيقاً ومقابلة عبد الرحمان بن معلاً اللويحق، مؤسسة الرسالة. بيروت. لبنان، ط: 1، (1423هـ/2002م)، ص: 128/129.

² أبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، تح وت: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان، ط: 1، (1419هـ/1998م)، ج: 5، ص: 216.

3. إزالة الإبهام والتباس:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 59]. فلو تأملنا سياق الحديث لوجد أن هناك تماثلاً وتناظراً عجيباً بين "عيسى وأدم" دون غيرهما من الرسل والأنبياء، فقد تم ذكرهما باسم صريح مخافة وقوع في اللبس للقارئ، فكلاهما خلق من دون أب، وكلاهما نبي، وكلاهما كانا معجزة في الطريقة التي خلقا فيها تختلف عن باقي البشر.

قال "ابن عاشور": "ومحل التمثيل كون كليهما خلق من دون أب، ويزيد آدم بكونه من دون أم أيضاً، فلذلك احتيج إلى ذكر الشبه بقوله "خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ" الآية أي خلقه دون أب ولا أم بل كلمة كُنْ، مع بيان كونه أقوى في المشبه به على ما هو الغالب، وإنما قال من عند الله أي نسبته إلا الله لا يزيد عن آدم شيئاً في كونه خلقاً غير معتاد لكم لأنهم جعلوا خلقه العجيب موجب للمسيح نسبة خاصة عند الله وهي النبوة، وقال "ابن عطية" بقوله "عند الله" نفس الأمر والواقع "والضمير في خلقه لآدم لا لعيسى، إذ قد علم الكل أن عيسى لم يخلق من تراب، فمحل التشبيه قوله ثُمَّ قَالَ: "كُنْ فَيَكُونُ"¹.

قال الله تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 124].

فالملائكة جمع ملك، وهي الاسم علم على خلق من خلق الله تعالى، وخير ما يقال للتعريف عنهم، قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ، لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: 28/26]. فهم جند الله فلا يعصونه في أمر، ويفعلون ما يأمرهم به، ومن هنا تأتي الحكمة ذكر هذا العلم بصيغة الجمع ومساءلتهم على لسان بينهم قبيل بداية غزوة بدر.

¹ محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 03، ص: 263.

والغرض من ذلك طمأنة قلوب المؤمنين وزوال الوسوسة عنهم، وتبشيرهم بالنصر الإلهي، والمدد الإلهي، ونوع هذا المدد هم الملائكة التي كانت أشد غلظة وقوة على أعداء الله بأمر منه لإلقاء الرعب في نفوس الكافرين.

كما لا تغفل السورة في استعمالاتها لأعلام المكان، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 96]، فكلمة "بكة" هي علم للمكان صفة لبلد الله الحرام.

يخبر تعالى أن أول بيت وُضِعَ للناس، أي: لعُموَمِ الناس، لعبادتهم ونسكهم، يطوفون به ويُصَلُّون إليه ويعتكفون عنده "لَلَّذِي بِبَكَّةَ" يُعْنِي: الكعبة التي بناها إبراهيم الخليل [عليه السلام] الذي يزعم كلٌّ مِنْ طائفتي النصارى واليهود أنهم على دينه ومنهجه، ولا يحجُّون إلى البيت الذي بناه عن أمر الله له في ذلك ونادى الناس إلى حجِّه، ولهذا قال "مُبَارَكًا" أي وضع مباركا "هُدًى لِلْعَالَمِينَ"¹، وأصل "البك" الزحم، يقال: منه: "بك فلان فلاناً" إذا زحمه وصدمه "فهو يَبْكُهُ بَكًّا، وهم يتباكون فيه"، يعني به: يتزاحمون ويتصادمون فيه، فكأنَّ "بَكَّةَ" "فَعْلَةٌ" من "بك فلان فلاناً" زحمه، سميت البقعة بفعل المزدحمين بها"²، وبذلك كان معلوماً أن يكون ما حوّل الكعبة من داخل المسجد، وأن ما كان خارج المسجد فمكة، لا "بكة"، لأنّه لا معنى خارجه يوجب على الناس التّبّاك فيه، وإذ كان ذلك كذلك، كان بيّنا بذلك فساد قول من قال "بكة" اسم لبطن "مكة"، ومكة اسم للحرم.³

¹ . عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن الكريم، ج: 3، ص: 114.

² . أبي جعفر محمد بن جرير أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 05، ص: 594.

³ . المرجع نفسه، ج: 05، ص: 594.

ولعل ذكره باسمها، قصد التعظيم والتفخيم شأنها، لذا حظيت بشرف الأولوية ومحل عناية من الله تعالى ودوام الحرمة على ممر العصور، دون غيرها من الهياكل الدينية التي نشأت بعدها. وقد تعدل بعض الآيات في السورة الكريمة عن ذكر أسماء الأعلام إلى ذكر صفاتهم لتحقيق أغراض بلاغية ومقاصد دلالية يقتضيها السياق، على سبيل:

1. التعظيم:

قال الله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمَ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 101].

فقد عدلت الآية الكريمة بعدم ذكر اسم العلم (محمد) إلى ذكر صفته (الرسول) بغرض التفخيم وإعلاء قدره بيان مهمته، بأنه رسول الله بعث لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، فجاءت الصفة في هذا المقام أجمل تعبير من ذكر علم وذلك لحاجة القياس إلى تلك الصفة لتكون حجة على المشركين.

وفي قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 35].

ما يذكر " امرأة عمران " باسمها الحقيقي، فأشار إليها باسم زوجها بسبب نبوته، " ولم يذكر عز وجل امرأة وسماها باسمها في كتابه إلا مريم ابنة عمران ، فإنه ذكر اسمها في نحو من ثلاثين موضعا، لحكمة ذكرها بعض الأشياء، فإن الملوك والأشراف لا يذكرون حرائرهم في الملاء، ولا يبتذلون أسماءهن، بل يكونون عن الزوجة بالعروس والأهل والعيال ونحو ذلك ، فإن ذكروا الإماء لم يكنوا عنهن ولم يصونوا أسماءهن عن الذكر والتّصريح بها، فلما قالت النصارى في مريم ما قالت وفي ابنها، صرح الله باسمها، ولم يكن عنها بالأموة والعبودية التي هي صفة لها، وأجرى الكلام على عادة العرب في ذكر إماءها"¹.

¹ . أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع الأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السّنة وآي الفرقان، ج: 06، ص: 22.

امرأة عمران هذه أم مريم [بنت عمران] عليها السلام، وهي حنة بنت فاقود، قال محمد بن إسحاق: وكانت امرأة لا تحمل، فرأت يوماً طائراً يزقُّ فرخه، فاشتته الولد، فدعت الله عز وجل أن يهبها ولداً، فاستجاب الله دعاءها، فواقعتها زوجها، فحملت منه، فلما تحقق الحلم نذرته أن يكون "محرراً" أي خالصاً مفرجاً للعبادة، ولخدمة بيت المقدس، فالمقصد من وراء ذلك تعظيم قدرة الله تعالى على فعل ما يشاء بعباده، فهي على رغم تقدم سنّها رزقها الله بمولود.

- المدح والثناء:

قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 45].
عبر عن العلم واللقب والوصف باسم، لأن لثلاثتها أثراً في تمييز المسمى عليه الصلاة والسلام عن سواه، قال "ابن سعود" (ت 972هـ): "والمسيح لقبه عليه الصلاة والسلام، وهو من الألقاب المشرفة كالصديق، وأصله بالعبرية مَشِيحًا، ومعناه المبارك، و"عيسى" معرّب من إيشوع والتّصدي لاشتقاقهما في المسح والعبس، وتعليه بأنّه عليه الصّلاة والسلام مُسَحّ بالبركة أو ما يطهره من الذّنوب أو مسحة جبريل عليها الصلاة والسلام أو مسح الأرض ولم يقم في موضع أو كان عليه الصلاة والسلام يمسح ذا العاهة فيبراً وبأنّه كان في لونه عيسٌ أي: بياضٌ يعلوه حُمْرَةٌ من قبيل الرّقم على الماء، وإنّما قيل (ابن مريم) مع كون الخطاب لها تنبيهاً على أنّه يولد من غير أبٍ فلا ينسب إلّا إلى أمّه، وبذلك فضّلت على نساء العالمين"¹.

¹. أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج: 02، ص: 21.

والمسيح هنا صفة مدح وثناء على المسيح سواء في طيب جسده إذا قلنا بأن المسيح الممسوح من كل عيب، أو ذكر معجزته لأنه كان يمسح على المرضى وأصحاب البلاء فيُشفون بإذن الله، أو صفة فعل لأنه كان يمسح الأرض يأكل من الشجر وبقل الليل وينام حيثما ستره الليل، ولذلك أقدم ذكر صفة الجمال الدالة على عظيم قدره قبل ذكر الاسم الدال على ذاته وخلقه¹.

2. تربية المهابة:

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 02].

ومن أجمل المقامات في التعبير القرآني فضل فيها العدول على اسم العلم، بذكر صفتين من صفات الله في الآية الواحدة، يقول "ابن عاشور" في تفسير الآية: "جيء بالاسم العلم لتربية المهابة عند سماعه، ثم ردف بجملة معترضة أو حالية رداً على المشركين وعلى النصارى خاصة وأتبع بالوصفين (الحي، القيوم) لنفي اللبس عن المسعى هذا الاسم والإيماء بوجه انفراده لأن غيره ليس حي ولا قيوم"²، فكان من المفروض اكتفاء بذكر اسم العلم في الآية، ولكن أريد زيادة في معنى العلمية بأسلوب الوصف (الحي، القيوم) نظراً لما تؤديه هاتين الصفتين في تعبير عن مضمون حقيقة وحدانية الله تعالى والإيمان به وحده، فهو الحي لا يموت، وقائم بشؤون الكون بأكمله.

3. التوبيخ:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ، يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 70/71].

¹. منير محمود المسيري، دلالات التقديم والأخير في القرآن الكريم (دراسة تحليلية)، مكتبة وهبة، القاهرة، ط: 01،

(1426هـ / 2005م)، ص: 264.

². محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 3، ص: 147.

فعلم الجنس "أهل الكتاب" قصد به التوبيخ وتسجيل كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وجحودهم نبوته وهم يجدونهم في كتبهم مع شهادتهم أن ما في كتبهم من حق، وأن من عند الله¹، فعدل عن ذكر "أهل اليهود والنصارى" لعدم جدوى بذكرها بلفظ صريح، فالمقام يتطلب "كنية الأعلام"، فسموا بأهل الكتاب لأن الله أنزل كتابان، الأول نزل التوراة على موسى على بني اسرائيل، والثاني الانجيل على عيسى.

5- أسماء الإشارة:

أ. الإشارة لغة:

الإيماء، يقال: أشار الرجل يشير إلى الشيء إشارة، إذا أومأ إليه، ويكون بالكف والعين والحاجب².

إذن فالإشارة هي الإيماء إلى شخص أو شيء بواحد من هذه الثلاثة، وقد تتحقق الإشارة من غير النطق على الإطلاق، كقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 41]، قال القرطبي رحمه الله: "الإشارة بمنزلة الكلام، وتفهم ما يفهم القول"³.

¹ ينظر: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 05، ص: 395.

² ينظر: موفق الدين أبي البقاء يعش بن علي الموصلي ابن يعش، شرح المفصل للزمخشري، ج: 3، ص: 348، ولسان العرب "ش ور".

³ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع الأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، ج: 11، 104.

ب. اصطلاحاً:

هو ما وضع لمشار إليه¹، ويرى "سيبويه أن ضمير الإشارة لا يعدُّ معرفة بمعزل عن قرينه التي تدلُّ عليه، وهي المشار إليه"².

فالأصل في أسماء الإشارة أن يشار بها إلى الأشياء المشاهدة المحسوسة، وتكون بأحد الأعضاء والجوارح، نحو (هذا الفتى أكبر من هذا)، واستعماله في غير المشاهد وفي غير ما يدركه الحس مجاز لتنزيله، منزلة المحسوس المشاهد، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 175]، فالشيطان غير محسوس ولا محسوس ولكن أشار إليه بقصد استحضار صفاته وعدواته للإنسان، ونحو: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 186]، فأشار إلى الصبر والتقوى وهما غير محسوسين³، ولا شك أن استعمال أسماء الإشارة في الأشياء المعنوية والعقلية يدل على زيادة التأثير والإيقاع في النفوس، لأن ذلك تصوير المعاني في صورة المحسوس⁴.

ومن المعلوم أن (أسماء الإشارة) من المعارف، قال سيبويه (ت796هـ): "وإنما صارت معرفة، لأنها صارت أسماء إشارة إلى الشيء دون سائر أمته"⁵، وكذلك قالوا: "إن اسم الإشارة أعرف المعارف، لأن المخاطب يعرف مدلول اسم الإشارة بالعين والقلب معاً، وما اجتمع فيه معرفة بالعين والقلب، أخص مما يعرف بأحدهما"⁶.

¹ محمد بن الحسن الرضي الاسترابادي، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، ص: 29.

² سيبويه، الكتاب، ج: 01، ص: 220.

³ ينظر: فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، ص: 88.

⁴ عبد الغفور زين الدين المليباري، النحو العربي (النواحي الوظيفية والدلالية)، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان، 2022م، ص: 102.

⁵ سيبويه، الكتاب، ج: 2، ص: 3.

⁶ محمد بن الحسن الرضي الاسترابادي، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، ص: 313.

وقيل: "إنَّ العلم أخص وأعرف من أسماء الإشارة، لأنَّ مدلولاته معينة مخصوصة بخلاف أسماء الإشارة، فمدلولها مقترن بالإشارة الحسية إليه، وكثيرا ما يقع اللبس في المشار إليه حسية، لذلك جاء أكثر أسماء الإشارة موصوفا في كلام العرب".¹

والمشار إليه طبعا يختلف في المفرد والتثنية والجمع والمذكر والمؤنث ولذا وضعت أسماء خاصة للدلالة على هذه الاختلافات أيضا، فللمفرد المذكر "ذا" وللمفردة المؤنثة "ذِه" و"تي" و"تا" ولتثنية المذكرين "ذان" رفعا و"ذَيْن" جرًّا ونصبًا، ولتثنية "تان" رفعا، و"تَيْن" جرًّا ونصبًا، ولجمع المذكر والمؤنث "أولاء"، وتستعمل "ثم" و"هنا" للدلالة على إشارة المكان خاصة.

وينقسم المشار إليه نظرا إلى مراتبه: قريب ومتوسط وبعيد، ويشار إلى هذه المراتب بالزيادة الحرف وإسقاطه، فقولك: "ذَا" يدل على القرب، فإذا دخلت فيه الكاف (كاف الخطاب) فقلت: "ذاك" دلّ على التّوسط، فإذا دخلت اللام أيضا فقلت "ذلك" دلّ على البعد، ومن قواعده الشائعة أن زيادة الحرف يدلّ على زيادة المعنى، فكلما يزداد الحرف في أسماء الإشارة دلّ على زيادة بعد المشار إليه²، وقد بين "الرضي" وجه دلالة "ذاك" على المتوسط و"ذلك" على البعيد فقال: "إنّ وضع أسماء الإشارة للحضور والقرب، إنّه للمشار إليه حسًّا، ولا يشار بالإشارة الحسيّة في الأغلب إلا إلى الحاضر الذي يصلح لكونه مخاطبا، وكان متضحا بالوضع للحضور بحيث صلح كونه مخاطبا، فلما اتصلت كاف الخطاب به، أخرجته من هذه الصلاحية، إذ لا يخاطب اثنان في كلام واحد إلا أن يجمعا في كلمة الخطاب، نحو: "يا زيدان فعلتما" و"أنتما فعلتما" أو بعطف أحدهما على الآخر، نحو: "أنت وأنت فعلتما"، مع أنّ خطاب المعطوف لا يكون بعد الإضراب عن خطاب المعطوف عليه، فصار "ذاك" مثل "غلامك"، فلا تقول "هذاك" كما لا تقول: "يا غلامك" ولا "غلامك قلت كذا"، فالكاف توجب كون ما وليته غائبا في التعبير عنه، نحو: "غلامك قال كذا"، وإذا لم

¹ محمد بن الحسن الرضي الاسترأبادي، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، ص: 313.

² عبد الغفور زين الدين المليباري، النحو العربي (النواحي الوظيفية والدلالية)، ص: 103.

يُمتنع حضوره، إذ ربما قلت هذا مع حضور غلام المخاطب، فلما أوردت الكاف في اسم الإشارة معنى الغيبة، وقد كان كالموضوع للحضور، من حيث كونه موضوعاً للمشار إليه القريب، صار مع الكاف بين الحضور والغيبة، وهذا هو حال المتوسط، فإذا أردت التنصيص على البعد جئت بعلامته وهو اللام: "ذلك"¹.

ويعد اسم إشارة سمة أسلوبية بارزة في التعبير القرآني في سورة آل عمران، وتتنوع في استعمالاتها بشكل ملفت للانتباه متضمناً دلالات تمييزية متنوعة وفق ما يمليه المقام، أكسبت للسورة قيم جمالية وأسلوبية للسياق القرآني. وقد استخدمت بكثرة للمشركين وهذا أمر طبيعي، فاقترض وضع إشارة بسبب إنكار الكفار لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم، كما أن الله تعالى أشار إلى جزاء الذي أعدّه للكفار والمشركين، وإلى الذين آمنوا بالرسول وهذا أحسن جزاء، تراوحت إشارته بين الحسية والمعنوية.

ومن الإشارات التي تضمنت، معنى التصغير والتحقير، كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 117].

احتوت هذه الآية على اسم إشارة بلفظ في سياق الحديث عن إنفاق المشركين في هذه الحياة، ولعل هذه الإشارة لهؤلاء المشار إليهم بإنفاقهم في الحياة الدنيا وهو إنفاق لا فائدة منه في الآخرة بسبب كفرهم بالله عز وجل، وجاء باسم الإشارة لغرض التحقير للذين كفروا وأشركوا بالله.

وقد تستعمل سورة آل عمران اسم إشارة القريب ويراد به التعظيم واستحضاره أمام القلوب والعيون، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 36].

¹ محمد بن الحسن الرضي الاسترابادي، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، ج:3، ص:80.

جاء سياق الآية عن أمر الله الناس بوجوب عبادته لأَنَّهُ الحق، فجاء باسم الإشارة لغرض تفخيم وتعظيم طريق الحق الذي فيه نجاة الناس من عذاب الله.

وعلى هذا النحو من استعمال الإشارة الدالة على القرب:

1. التعظيم والتفخيم:

قال الله تعالى: ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنِّي لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 36].

فأشار سياق الآية باسم الإشارة "هذا"، قال "الربيع بن أنس": "أَنَّ زكريا كان إذا خرج من عندها غلق عليها سبعة أبواب، فإذا دخل عليها غرفتها وجد عندها رزقا: أي فاكهة من غير حينها. فاكهة الصيف في الشَّتاء وفاكهة الشَّتاء في الصيف، فيقول: "أني لك هذا"¹.

فالشار إليه الرزق الذي لم يعرف مصدره ومكانه "زكريا" عليه الصلاة والسلام، فلذلك كان جواب استفهامه قولها: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ لدلالة تعظيم وتفخيم لرزق الله.

2. إرادة العموم: قال الله تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 160].

﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ جملة مستأنفة سيقت بطريق تلوين الخطاب تشريفا للمؤمنين لإيجاب التَّوَكُّل عليه والتَّوَكُّب في طاعته التي يستحق بها النَّصْرَة، والتَّخْذِير عن معصيته التي يستحق بها الخذلان، أي إن يرد نصركم كما أراد يوم بدر فلا أحد يغلبكم على طريق نفي الجنس المنتظم بجميع أفراد الغالب ذاتا وصفةً، فهو أبلغ من لا يغلبكم أحد، لدلالته على نفي الصِّفَة فقط.

¹. أبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدَّمَشَقِي الحنبلي، الباب في علوم الكتاب، ج: 05، ص: 185.

وقد أفاد الاسم الإشارة "ذا" معنى العموم لمن تأمله لأن يكون ناصرا لك من بعد خذلانه، ولا يمكن لأحد ولو اجتمع سائر الخلق في إعانته وأيده بجميع ما يملك من سلاح وقوة وعتاد والجنود فلن تستطع أن تنصر أمام قوة الله الخارقة.

وقد يقصد باسم الإشارة بعد المشار إليه، فيضاف إلى بنيته حينئذ حرف الكاف، فيقال: ذاك وأولئك، وإذا أريد به المزيد من البعد، جيء باللام إضافة إلى الكاف، نحو: ذلك وتلك، قال ابن يعيش: "فإن زاد بعد المشار إليه أتوا باللام مع الكاف، فقالوا ذلك واستفيد باجتماعهما زيادة في التباعد، لأن قوة اللفظ مشعرة بقوة المعنى"¹. وقد يوحي هذا البعد المقترن باللام والكاف:

1. التَّعْظِيم: قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيكُمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 182]، إذ جاء باسم الإشارة (ذلك) إشارة إلى تعظيم ما يشاهدونه من أهوال عذاب النار لما اقترفوه بقتلهم للأنبياء من غير حق، وذكر الأيدي لأن أكثر الأعمال تزاوّل بها، يقول صاحب اللباب في علوم القرآن: "وإنما جيء هنا بالإشارة البعيد تعظيما للمشار إليه".

2- التَّنْبِيهِ: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 77].

فقد أشير إلى مقام كفار ومنزلتهم باسم الإشارة الذي أفاد البعد، يقول "الطبري": "أي لاحظ لهم في خيرات الآخرة ولا نصيب لهم في الجنة لأنهم تركوا عهد الله ووصيته التي أوصاهم بها في الكتب التي أنزلها الله إلى أنبيائه باتباع محمد وتصديقه والإقرار لما جاء من عند الله وبإيمانهم الكاذبة الذين يستحقون لما حرم الله عليهم من أموال الناس"².

¹. موفق الدين أبي البقاء يعيـش بن علي الموصلي ابن يعيـش، شرح المفصل للزمخشري، ج: 3، ص: 135.

². أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 03، ص: 65.

وكذا في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 89].

وقد تضمنت الآية اسم إشارة ما يدل على بعد خطايا للتائبين الذين أصلحوا ليناولوا مغفرة ورحمة الله تعالى، يقول "ابن عاشور": "جاء في اسم الإشارة للتنبيه على أنهم أحرى بما يرد على بعد اسم الإشارة من الحكم عليهم"، ولعل بعد المشار إليهم يوحى بمغفرة ورحمة الله تعالى لهم.

4- التشويق:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 15].

وقد لجأ إلى استخدام اسم الإشارة الموضوع للبعد "ذلكم" لتنويه بعظمة النعم التي أمدها الله به عباده في الحياة الدنيا، وعلو مكانتها تنزيلا لبعد مكانة المنزلة بعد المكان، وفي هذا إلحاح إلى أعظم النعم إذ هو أعظم منزلة من نعم الدنيا المشار لتعظيمها بـ (ذلكم) وفي ذكر الضمير الجمع وهو الميم في (ذلكم) تأكيد لأهمية النبأ¹.

لغرض التشويق نفوس المخاطبين وتطلع إلى تلقي ما سيقص عليهم "لأن لذة بنين ولذة المال هنالك مفقودة، للاستغناء عنها، وكذلك الخيل والأنعام، إذ لا دواب في الجنة، فهي ما يقابل النساء والحرث، وهو الجنات والأزواج، لأن بهما تمام النعيم والتأنس، وزيد عليهم رضوان الله الذي حُرّمه من جعل حظّه لذات الدنيا وأعرض عن الآخرة"².

¹ ينظر: عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط: 03، (1432هـ/2011م)، ج: 03، ص: 154.

² محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 03، ص: 184.

4. التَّعْظِيمُ والتَّحْقِيرُ: قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 104/105].

وقد استعمل اسم الإشارة "أولئك" لكلتا الآيتين، فالأولى أشارت إلى جماعة المؤمنين تدعو الناس إلى الخير تأمرهم بالمعروف وتنههم عن المنكر وسيحظى هؤلاء بمنزلة رفيعة وعلو شأن فبشرهم بالفلاح، "ومفاده هذه الجملة جملة صفة الفلاح عليهم، فهو إما قصر إضافي بالنسبة لمن لم يقم بذلك مع المقدرة عليه، وإما قصر بها أريد به المبالغة لعدم الاعتداد في هذا المقام بفلاح غيرهم، وهو معنى قصد الدلالة على معنى الكمال"¹.

وأشير بالثانية استناداً لأكثر المفسرين: "هم اليهود والنصارى، وقال بعضهم هم المبتدعة من هذه الأمة"²، فسيحط الله من شأنهم نتيجة اختلافهم وتفرقهم في الدين ويسلط لهم العذاب الأليم.

6- الأسماء الموصولة:

أ. لغة

الموصول على وزن اسم مفعول من وَصَلَ يَصِلُ فهو موصول، قال الليث: "ومَوْصِلُ البعير ما بين العَجْزِ وفخذِهِ"³، وقال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 90]، وقال "ابن منظور": "والمَوْصِلُ ما يوصلُ من الحبل"⁴، وقال "خالد الأزهرى": "وهو في الأصل اسم مفعول، من وصل الشيء بغيره إذا جعله من تمامه"⁵.

¹ . محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 4، ص: 42.

² . أبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، ج: 5، ص: 451.

³ . أبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تهذيب اللغة، تح: أحمد عبد العليم البردوني، مر: علي محمد البجاوي، الدار

المصرية للتأليف والترجمة، د ط، د ت، ج: 12، ص: 230.

⁴ . ابن منظور، لسان العرب، ص: 485.

⁵ . خالد عبد الله الأزهرى، شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، تح: محمد باسل

عيون السود، دار الكب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2000، ج: 1، ص: 130.

ب. اصطلاحًا

يقول "ابن يعيش" (ت643هـ): "معنى الموصول أن لا يتم بنفسه ويفتقر إلى كلام بعده تصله به ليتم اسمًا... واعلم أن الموصولات ضرب من المهمات، وإنما كانت مهمة لوقوعها على كل شيء من حيوان أو جماد وغيرها..."¹.

ويضيف "خالد الأزهرى" (ت 905): "والموصول الاسمي كل اسم افتقر إلى الوصل بجملة خبرية، أو ظرفية، أو جار ومجرور تامين أو وصف صريح وإلى عائد وخلفه"².

فالأسماء الموصولة تنتهي إلى الألفاظ الكنائية، التي تتميز بالإيهام والغموض، فهي، من ثم تحتاج إلى ما يزيل إيهامها ويُفسر غموضها، ويتم ذلك بتعريف بصلتها، وهي تقوم بدور كبير ومهم في اتساق النصوص وسبكها و"تشارك بقية أدوات الإتساق الإحالية في عملية التعويض... وهي لا تحمل دلالة خاصة، وكأنها جاءت تعويضا عما تحيل إليه، وهي أيضا تقوم بالربط الإتساقى من خلال ذاتها ومرتبطة بما يأتي بعدها من صلة الموصول التي تصنع ربطا مفهوميًا بين ما قبل (الذي) وما بعده"³.

وقد أكد "عبد القاهر الجرجاني" (ت 471هـ) ذلك، في معرض حديثه عن اسم الموصول "الذي" من حيث وظيفته الجمالية وفائدته ضمن السياق اللغوي، "أعلم أن لك في "الذي" علما كثيرا، وأسرار جمّة، وخفايا إذا بحثت عنها، وتصورتها أطلّعت على فوائد تؤنس النفس، وتُثلج الصدر، بما يفضي بك إلى اليقين، ويؤديه إليك من حُسن التبيين... فمن ذلك قولهم: "إنّ" الذي "اجتلب ليكون وصلة إلى وصف المعارف بالجمال، كما اجتلب

¹ .موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي الموصلي ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري، ص: 130.

² . خالد عبد الله الأزهرى، شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، ج: 1، ص: 130/131.

³ .روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط: 01، (1418هـ/1998م)، ص: 32.

"ذُو" لِيُتَوَصَّلَ بِهِ إِلَى الْوَصْفِ بِالْأَسْمَاءِ الْأَجْنَاسِ، يَعْنُونَ بِذَلِكَ أَنْ تَقُولَ: "مَرَرْتُ بِزَيْدٍ الَّذِي أَبُوهَ مَنْطَلِقٌ" و"الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ عِنْدَنَا أُمِّي"، فَتَجِدُكَ قَدْ تَوَصَّلْتَ بِ"الَّذِي إِلَى أَنْ أَبْنَتْ زَيْدًا مِنْ غَيْرِهِ، بِالْجُمْلَةِ الَّتِي هُوَ قَوْلُكَ "أَبُوهَ مَنْطَلِقٌ"، وَلَوْلَا "الَّذِي لَمْ تَصِلْ إِلَى ذَلِكَ"¹.

لِذَا اشْتَرَطَ النَّحَاةُ فِي جُمْلَةِ الصَّلَةِ أَنْ تَكُونَ جُمْلَةٌ خَبَرِيَّةٌ تَحْتَمِلُ الصَّدَقَ وَالْكَذِبَ، فَلَا يَصِحُّ أَنْ تَجْعَلَ الصَّلَةَ أَمْرًا وَلَا نَهْيًا وَلَا اسْتِفْهَامًا، وَلَا بَدَ مِنْ جُمْلَةِ الصَّلَةِ ضَمِيرٌ يَعُودُ عَلَى الْمَوْصُولِ، يَرْبِطُهَا بِهِ، وَحَكْمُ الضَّمِيرِ الْمَطَابَقَةِ لِلْمَوْصُولِ فِي الْإِفْرَادِ وَالتَّذْكِيرِ وَالْحُضُورِ، وَفُرُوعِهَا، وَيَجُوزُ الْحُضُورُ وَالْغَيْبَةُ فِي ضَمِيرِ الْمَخْبَرِ بِهِ أَوْ بِمَوْصُوفِهِ عَنْ حَاضِرٍ مُقَدِّمٍ لَمْ يَقْصِدْ تَشْبِيهَهُ بِالْمَخْبَرِ بِهِ، وَالْحَاضِرُ يَشْمَلُ التَّكْلِمَ وَالْخُطَابَ، نَحْوُ: أَنَا الَّذِي فَعَلْتُ، وَأَنْتَ الَّذِي فَعَلْتَ، وَمَنْ أَمَثَلَةُ الْمَخْبَرِ بِوَصْفِهِ "أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ"، "وَأَنْتَ آدَمُ الَّذِي أَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ"، وَإِنَّمَا جَازَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْمَخْبَرَ عَنْهُ وَالْمَخْبَرُ بِهِ شَيْءٌ وَاحِدٌ².

وَيَنْقَسِمُ الْمَوْصُولُ الْأَسْمِي فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ إِلَى قَسْمَيْنِ: مُخْتَصٍّ، وَعَامٍّ وَيُسَمَّى (المشترك):

فَالْمُخْتَصِّصُ: مَا كَانَ نَصًّا فِي الدَّلَالَةِ عَلَى بَعْضِ الْأَنْوَاعِ دُونَ بَعْضٍ، مَقْصُورًا عَلَيْهَا وَحْدَهَا، وَهِيَ (الَّذِي) لِلْمَفْرَدِ الْمَذْكَرِ، وَ(الَّذَانِ وَاللَّذَيْنِ) لِلْمَثْنَى الْمَذْكَرِ، وَ(الَّذِينَ) لِلْجَمْعِ الْمَذْكَرِ الْعَاقِلِ، وَ(الَّتِي) لِلْمَفْرَدَةِ الْمؤنثة، وَ(الَّتَانِ وَاللَّتَيْنِ) لِلْمَثْنَى الْمؤنثة، وَ(الَّلَاتِي وَاللَّلَوَاتِي) وَاللَّلَاتِي). بِإِثْبَاتِ الْيَاءِ وَحَذْفِهَا- لِلْجَمْعِ الْمؤنثِ، وَ(الَّلَى) لِلْجَمْعِ مُطْلَقًا، سِوَاءِ أَكَانَ مَذْكَرًا أَوْ مؤنثًا، وَعَاقِلًا أَوْ غَيْرَ عَاقِلٍ.

¹ . عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 199

² ينظر: جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح وشر: عبد السلام محمد هارون وعبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، دط، (1413هـ / 1992م)، ص: 295 / 298.

والعامل (المشترك): ما ليس نصًّا في الدلالة على بعض هذه الأنواع دون بعض، وليس مقصوراً على بعضها، وإنما يصلح للأنواع كلّها وهي: "مَنْ، وما، وذا، وأيّ، وذو، وال"¹.

وعند استقراءنا لسورة آل عمران يتبين لنا أنّ الأسماء الموصولة التي وردت فيها هي على النحو الآتي: الذي الذين، التي، ما، من، ذو، ذا، تم استخدام الاسم الموصول في سورة "آل عمران" بصورة لافتة للنظر في كل موضوع من موضوعاته منه، وبدلالات مختلفة، وهذا التمييز يعتبر سمة أسلوبية واضحة، مما جعل بعض اللغويين يعترف بمكانة الأسلوبية للاسم الموصول في قوله: "والاسم الموصول عجيب الشأن بين أنواع المعرفة فهو معرفة غير محدّدة"².

فالمعول عليه في ذلك كله هو تحديد الغرض التي لأجلها ركب الكلام باستعمال التعريف بالموصولية، فإذا كان الغرض منه أمراً معهوداً للمخاطب جاءت صلته معهودة مفصلة، وإن أريد به التعظيم أو التهويل جاءت مهمة بمنزلة مفصلة³. فصلته توجي بكثير من المعاني السياقية، التي تلزم المخاطب التعرف عليها بوجه من الوجوه، ومن تلك الأغراض الأسلوبية التي أتى بها الاسم الموصول في التعبير القرآني "للسورة:

1. التّشويق:

تأتي سورة "آل عمران" بالاسم الموصول، عند ما تكون صلته هي التي عليها مدار الحكم، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 91].

¹ عباس حسن، النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، ص: 342 / 364.

² ينظر: شكري عياد، مبادئ علم الأسلوب العربي، در انترناشيونال للنشر والتوزيع، القاهرة، ط: 01، 1988م، ص: 135.

³ عباس حسن، النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، ص: 376.

للتعبير عن مواطن تثير في النفس الشوق إلى معرفة الخبر، وقد تكون الصلة نفسها ممهدة للخبر ودالة عليه، فاقراً قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ، وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 56/57].

فالاسمان الموصولان الواردان في سياق الآيتين يحمل شحنة التشويق والإثارة للقارئ، عندما يستوقفه قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فإنه يزداد شوقاً لمعرفة أخبار عن مصير هؤلاء الكفار والمؤمنين.

2. زيادة التقرير:

مما تستعمل له هذه الأسماء زيادة التقرير، نظراً لما تحتويه من جملة الصلة تساعد في ذلك، فقد يتصل سياق التعريف بالموصولية بحسب طبيعة الغرض المسوق له الكلام، نحو قوله تعالى: ﴿كَذَّابٍ آلٍ فِرْعَوْنُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 11]، ألا ترى في ذكر الاسم الموصول زيادة تقرير، فالمقام هنا مقام توعدهم الله الكفار بالعذاب والهلاك في الدنيا كما فعل بآل فرعون ومن كان من قبلهم من المكذبين بالرسول ما جاءوا به من آيات بينات.

3. الإظهار والإضمار:

وقد يساق الاسم الموصول مساق الإظهار والاهتمام، مثل ما ورد في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 06].

ولما كان الغرض الأسلوبى إبراز المصور في الأرحام والاهتمام به، اقتضت الحاجة لعدم ذكر لفظ الجلالة واكتفت الآية بالصلة، إذ في سياقها ما يدل على عظمة المصور من خلال القرائن التالية: "يصوركم، الأرحام، كيف يشاء" ولما كان الله مصدر هذه المعجزات استغنى السياق عن خالق هذه المعجزات إذ في ذكرها ما يدل على صانعها وهو الله تعالى.

4. إثارة التّعجب وتشنيع الحال:

وقد يستخدم لغرض إثارة التّعجب وتشنيع الحال، كقوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 188]، ألا ترى في ذكر الاسم الموصول تعريف بالاسم الذي تدل عليه بعينه، فالمقام هنا مقام إثارة التعجب وتشنيع الحال، وقد جاء في تفسير الطبري لهذه الآية أنّهم أهل الكتاب، أنزل عليهم الكتاب فحكموا بغير الحق، وحرفوا الكلم عن مواضعه، وفرحوا بذلك، وأحبوا أن يحمدا بما لم يفعلوا، فرحوا بأنهم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل الله، وهم يزعمون أنّهم يعبدون الله، ويصومون ويصلون، ويطيعون الله¹.

ولعل تفسير الطبري يلمح إلى التناقض العجيب المعبر عنه بالاسم الموصول وصلته، لما اتصفوا به أهل الكتاب من أفعال شنيعة تدعو إلى التعجب والمقت، حيث بدلوا وحرفوا وكذبوا، في مقابل ذلك يترقبون ثناء الناس على سوء صنعتهما لما أتوا به فيستحقون الحمد والرضا، فما جزاء هؤلاء إلا العذاب الأليم.

ولما فسر "أبي سعود" بين سبب اختيار الموصول في النظم القرآني، وصلته من جهة، وبين الدلالة المراد بها من جهة أخرى: "فالموصول عبارة عن المذكورين أو مشاهيرهم وضع موضع ضميرهم، والجملة المسوقة لبيان ما تستتبعه أعمالهم المحكية من العقاب الأخروي، إثر بيان قباحتها، وقد أدمج فيها بيان بعض آخر من شنائعهم، وهو إصرارهم على ما هم عليه من القبائح، وفرحهم بذلك، ومحبتهم لأن يوصفوا بما ليس فيهم من الأوصاف الجميلة، وقد نظم ذلك في سلك الصلة التي حقها أن تكون معلومة الثبوت للموصول عند مخاطب إيداناً بشهرة اتصافهم بذلك"².

¹. ينظر: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 7، ص: 468.

². أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج: 2، ص: 126.

5. الإيجاز والجمع:

وقد تلجأ التعبيرات القرآنية للسورة لتوظيف الموصول لغرض الإيجاز والجمع، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 04].

والدليل، قول "ابن عاشور": "وعبر عنهم بالموصول إيجازاً، لأنَّ الصلة تجمعهم، والإيماء إلى وجه بناء الخبر، وهو قوله تعالى: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾. وقد ذكر ثلاث أغراض للتعريف بالموصولية في هذه الجملة:

- الغرض الأول: الإيجاز: وقد حصل هذا الغرض في كون الموصول واقعا موقعا ثلاث فئات، فئة اليهود، وفئة النصارى، وفئة أخرى تشمل باقي المشركين، لأن هذه الفئات الثلاثة كفروا بالقرآن الكريم.
- الغرض الثاني: الشمول: وهو ظاهر جدا في كون صلة تجمع هذه الأقسام الثلاثة من الكفرة، وتشملهم جميعا.
- الغرض الثالث: وهو الإيماء إلى وجه بناء الخبر من كون الصلة، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، تدلُّ على أنَّ لخبر من جنس العقاب.

6. الشهرة في التَّعْيِين:

كما تعتمد التراكيب القرآنية لسورة لاختيار الموصولية، لغرض الشهرة في التَّعْيِين، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 96].

فخشية الوقوع الالتباس في ذهن السامع والمخاطب، وتقريب المعاني عنهم عمد إلى الموصول بدل ذكر اسم علم فأوتي بالمشهور عندهم في قوله: ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾، "تشريف يلحق هذه البلدة بأسرها، من كون هذا البيت الشريف بها، لأنَّ تشريفها نابع من تشريفه، وقدسيتها من قدسيتها"¹.

¹ إبراهيم عبد الجعيد، خصائص بناء الجملة القرآنية ودلالاتها البلاغية في تفسير التحرير والتَّنوير، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، (1419هـ / 1999م)، ص: 442.

قال علامة "ابن عاشور": "وقد عدل عن تعريف البيت باسم العلم للغلبة، وهو الكعبة، إلى تعريفه بالموصولية بأنَّ ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾. لأنَّ هذه الصلة صارت أشهر في تعيينه عند السامعين، إذ ليس في مكة يومئذ بيت للعبادة وغيره بخلاف اسم الكعبة، فقد أطلق ليس في مكة يومئذ بيت للعبادة وغيره، بخلاف اسم الكعبة، فقد أطلق اسم الكعبة على القليس الذي بناه الحبشة في صنعاء لدين النصرانية ولقبوه الكعبة اليمانية"¹.

7. إرادة العموم:

قال الله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 83].

من العقلاء من أسلم على اختيار لظهور الحق له، ومنهم من أسلم بالجبلية والفترة كالملائكة، أو الإسلام كَرَهًا هو الإسلام بعد الامتناع أي أكرهته الأدلة والآيات أو هي اسلام الكافرين عند الموت ورؤية سوء العاقبة، أو هو إكراه عن الإسلام قبل نزول الآية ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [سورة البقرة، الآية: 256] وأسلم في الآية بمعنى استسلم عند جمهور المفسرين، فـ "من" في هذه الآية تعم الملائكة والثقلين، ومن المتبين أن اسم الموصول (من) جيء لإرادة العموم، لأنها تشمل كل من في السموات وفي الأرض أسلموا إما بإرادتهم أو مجبرا بالأدلة والبراهين، ومن لم يسلم ولم ينقاد لأوامر الله عز وجل فمصييره أن يسلم بعد لقاء ربه ولا مناص من أوامر الله تعالى، حيث قال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّ اسْتِطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ [سورة الرحمن، الآية: 33]

¹ محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 03، ص: 15.

8- التَّبْعِيضُ: قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 179].

يجوز أنَّهُ استدراك على ما أفاده ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾، فيكون المعنى: وما كان الله ليطلعكم على الغيب إلا ما اطلع عليه الرسول ومن شأن الرسول أن لا يفشي ما أسره الله إليه كقوله: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [سورة الجن، الآية: 26]، ﴿إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ [سورة الجن، الآية: 27]، فيكون كاستثناء من العموم.

ويجوز أن يكون استدراك من انتفاء إطلاع أحد على علم الله تعالى فيكون كاستثناء من مفاد الغيب، أي: إلا الغيب راجع إلى إبلاغ الشريعة، وأما ما عداه فلم يضمن الله لرسله اطلاعهم عليه بل قد يطلعهم وقد لا يطلعهم¹.

و"من" للابتداء الغاية، وتعميم الإجتباء لسائر الرسل عليهم السلام على أن شأنه عليه الصلاة والسلام في هذا الباب أمر مبين، له أصل أصيل جار على سنة الله تعالى مسلوكة فيما بين الرسل صلوات الله تعالى وسلامه عليهم.

وقيل إنها للتبعيض، فإن الإطلاع على المغيبات مختص ببعض الرسل، وفي بعض الأوقات وحسبما تقتضيه مشيئته تعالى، ولا يخفى أن كون ذلك في بعض الأوقات مسلّم، وأما كونه مختصا ببعض الرسل ففي القلب منه شيء²، ومن المعروف أن الوحي السماوي الذي يهبط عليهم هو نوع من الغيب الذي أرادهم الله الإطلاع عليه، وشاء لهم التعرف ما في قلوب الناس وتمييز الخبيث من الطيب أو برسالته.

¹ ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 4، ص: 180.

² ينظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم السبع المثاني ج: 02، ص: 350.

9. التَّشْرِيفُ وعلو المنزلة:

قال الله تعالى: ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 20].

ف (من) اسم موصول عطف على ضمير المتصل في قوله (أَسْلَمْتُ) وحسن ذلك لمكان الفصل الجاري مجرى التأكيد بالمنفصل: أي أسلم من اتبعني وجوهم أيضاً¹، وخص الوجه بالانقياد، لأنه أشرف الأعضاء الظاهرة ومظهر القوى والمشاعر ومَجْمَع معظم ما يقع به العبادة من سجود والقراءة وبه يحصل التوجه إلى كل شيء²، وهذه هي حقيقة الإخلاص لرب العالمين.

حرصت الآية على توكيد المعنى بعطفه للتابعين، وحثهم على ضرورة اتباع دين محمد صلى الله عليه وسلم دون ما سواه في التشريع والطاعة والعبادة فقدوتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كلّفه الله بتبليغ رسالته وأقام عليهم الحجة، فإن أعرضوا فإن عليهم بالمرصاد، ولعل الغرض من استعمال الموصولية تشريف من اتبعوا في المؤمنين لدين التوحيد، وكان هذا التشريف عملاً ولغة على النبي صلى الله عليه وسلم.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 84].

فقد جاءت الآية تأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يخبر عن نفسه والمؤمنين كافة بوجوب الإيمان بالله عز وجل وبجميع ما أنزل على رسله والأنبياء دون التفريق بينهم، وخص الإسلام وحده.

¹ ينظر: اسماعيل حقي البروسوي، روح البيان في تفسير القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 2008، ج: 2، ص:

² ينظر: فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب التفسير الكبير، ج: 02، ص: 219.

فقدم الإيمان بالله لأنه الأصل وعماد الدين، وفضل ملة إبراهيم بعد الإجمال لتصديق الإسلام لجميع الأديان السماوية السالفة، ولكشف عوار التعصب أهل الكتاب (النصارى واليهود).

فقوله ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ ف (الواو) حرف عطف، (ما) الموصولة معطوف على لفظ الجلالة.

والتقدير: ﴿وَأَمَّا بِالَّذِي أُنْزِلْنَا إِلَيْنَا﴾، أي بالذي أنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من الوحي في الكتاب والسنة، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 113].

ثم كرّر الموصول في قوله: ﴿مَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾، والتقدير: وأما بالذي أنزل على إبراهيم، وهناك اختلاف في الصيغة بين "المنزل إلينا" و"المنزل إليه"، ولو لم يكررها فسيوقع المتلقي في التباس بأن المنزل إلينا هو نفسه المنزل إليه، وإلى من ذكر بعده، والذي أنزله الله على إبراهيم الصحف كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى، صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [سورة آل عمران، الآية: 118/119].

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ﴾، والتقدير: وأما بالذي أنزل على اسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط فكلهم أنبياء الله عز وجل وأوحى إليهم، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَىٰ وَيُوشَعَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآدَمَ دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [سورة النساء، الآية: 132].

﴿وَمَا أَوْتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَى﴾ والتقدير: وأما بالذي أوتي لموسى وعيسى عليهم السلام من الآيات الكونية وإنزال عليهما من الوحي العظيم التوراة والانجيل، ولم يفصل بينهما باسم موصول، لأنَّ شريعة جاءت عيسى مكملة لشريعة موسى عليهما السلام.

﴿وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَّبِّهِمْ﴾ جملة معطوفة على ما قبلها، والتقدير: وآمنا بالذي أنزله الله على النبيين جميعا من الآيات الكونية والآيات الشريعة.

ولعل الغرض المتوخى من استعمال الموصول وصلته تشريف الأنبياء والرسول وتقدير مكانتهم وتفصيلهم زيادة على أقوامهم، وجعل التصديق بهم ركنا من أركان الإيمان، وتفرد بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لأنه خير الرسل وخاتمهم، وأعلاهم منزلة، وسيد الأولين والآخرين.

10. التوبيخ والتحقيق:

قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 162].

في الآية نفي للمساواة ف (من) الموصولية تعظيم لمن اتبع رضوان الله من المؤمنين بالإيمان به ورسوله وطاعتهما بفعل الأمر واجتناب النهي، وجيء بالثانية ك ﴿مَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾ لغرض التحقير والإهانة المنافقين وذلك بتكذيبه تعالى وتكذيب رسوله ومعصيتهما بترك الواجبات وفعل المحرمات، فكانت جهنم مأواه، وبئس مصير جهنم¹.

وكذا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 29] قال "ابن مسعود" (ت972هـ) في تفسير هذه الآية ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ نزلت على اليهود والنصارى حيث تركوا الإسلام الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وأنكروا نبوته والتعبير عنهم بالموصول وجعل إيتاء الكتاب صلة له لزيادة تقييد حالهم، فإن الاختلاف ممن أوتي ما يزيله ويقطع شأفته في غاية القبح والسماحة. وقوله

¹ . ينظر: أبي بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الراسم للدعاية والإعلان، جدة، ط: 03، (1410هـ / 1990م)، ص: 404.

تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ استثناء مفزع من أَعَمَّ الأحوال أو أَعَمَّ الأوقات، أي: وما اختلفوا في حالٍ من الأحوال أو في وقت من الأوقات إلى بعد أن عَلِمُوا بآئهِ الْحَقُّ الَّذِي لَا مُحِيدَ عَنْهُ، أو بعد أن علموا حقيقة الأمر وتمكنوا من العلم بها بالحجج النيرة والآيات الباهرة وفي من الدلالة على ترامي حالهم في الضلالة، ما لا يزيد عليه، فإنَّ الاختلاف بعد حصول تلك المرتبة ممَّا لَا يصدر عن العاقل¹.

وقد ذهب "الرازي" (ت925هـ) في تحديد دلالات "ما" الموصولة التي أفسحتها صلته التركيبية وحصرها في ثلاث وجوه:

- الأول: المراد بهم اليهود، واختلافهم أنَّ موسى عليهم السلام لما قربت وفاته سلَّم التوراة إلى سبعين حبرا، وجعلهم أُمَنَاءَ عليها، واستخلف يوشع، فلما مضى قرن بعد قرن اختلف أبناء السبعين من بعد ما جاءهم من علم في التوراة بغيا بينهم، وتحاسدوا في طلب الدنيا.
- والثاني: المراد بالنصارى، واختلافهم في أمر عيسى عليهم السلام بعدما جاءهم العلم بآئهِ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ.
- والثالث: المراد باليهود والنصارى واختلافهم، هو أنَّ قالت اليهود عزيز ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله، وأنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وقالوا نحن أحق بالنبوة من قريش، لأنَّهم أُمَيُّون ونحن أهل الكتاب².

استدعى المقام هنا الكشف عن خصال ذميمة ومقيبة اتصف بها هؤلاء، عبرت عنه ما الموصولية لأن في إيهامها توبيخا وتحقيرا لشأن هؤلاء نتيجة ما اقترفوه، وحثهم على اجتماع على الدين واحد باتباع الحق وترك اختلاف، ومن يكفر بعد معرفته فيستحق عقاب الشديد والعذاب الأليم.

¹. اسماعيل حقي البروسوي، روح البيان في تفسير القرآن، ج: 02، ص: 15.

². ينظر: فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب التفسير الكبير، ج: 02، ص: 628.

7- المعرف بالأداة:

تعريف الاسم المعرف بـ (أل): هو من الأسماء المعرفة ويدلُّ على كل اسم نكرة أو صفة دخل عليه (أل) صار معرفة دالا على معين، وعادة ما تأتي بعده صفة معرفة بـ (أل)، مثل:

- سَيْفٌ يَمَانِيٌّ ← السَّيْفُ الْيَمَانِيُّ¹.

- و(أل): كلّها حرف تعريف، لا اللّام، وحدها على الأصح، وهمزتها همزة قطع، وصلت لكثرة الاستعمال على الأرجح².

وذهب علماء اللغة إلى ذكر عدّة معاني محصورة في (أل)، ومن أشهرها:

- أولا: أن تكون اسما موصولا بمعنى "الذي" و"التي"، ونحوها، وهي داخلة على أسماء الفاعلين والمفعولين، نحو: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ [سورة الأحزاب، الآية: 35]، ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ﴾ [سورة التوبة، الآية: 112]

- ثانيا: أن تكون حرف التّعريف، يفيد العهد: وهي ثلاثة أقسام:

أ- عهد الذكري: فيه تذكّر النكرة مرتين بلفظ واحد، تكون في الأول مجرد من (أل)

العهدية، وفي الثانية مقرونة بـ (أل) العهدية، التي تربط بين النكرتين وتحدد المراد من

الثانية بأن تحصره في فرد واحد، وهو الذي تدل عليه النكرة الأولى، ومن أمثلتها: قوله

تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ، فَعَصَىٰ

فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [سورة المزمل، الآية: 16/15]، وعلامتها أن يسد

الضمير مسدها مع مصحوبها.

¹ . عبد العزيز قاسم محمد الطائي، مبادئ اللغة العربية وأحكام علمي النحو والصرف (مرشد لغوي عربي ميسر لطلاب الدراسة الثانوية فما فوق)، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان، د ط، د ت، ص: 163.

² . مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية (موسوعة في ثلاثة أجزاء)، ج: 01، ص 150.

ب- عهد الذهني أو علمي: تعريف النكرة هنا يكون باقترانها بآل العهدية وهذا العهد ليس ذكريا كالسابق، بل هو عهد ذهني، أي: علم سابق في زمن انتهى قبل الكلام، ومعرفة قديمة في عهد مضى قبل النطق، مثل: قوله تعالى: ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ [سورة التوبة، الآية: 40]، وقوله تعالى: ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [سورة الفتح، الآية: 18]

ج- عهد حضوري: تتعرف النكرة فيه بحصول مدلولها، وتحققه في وقت الكلام، بأن يبدأ الكلام خلال وقوع المدلول وفي أثنائه، كأن يقول: اليوم تظهر النتيجة، الجو لطيف اليوم، ونحو قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [سورة المائدة، الآية: 03]، أي اليوم الحاضر وهو يوم عرفة.

وأكثر ما تقع (أل) التي للعهد الحضوري في صدر الكلمات التي بعدها أسماء الإشارة، نحو: جاءني هذا الطالب، أو بعد (أي) في النداء، نحو: يا أيها الطالب.

- ثالثا: أن تكون لاستغراق أفراد الجنس: وهي نوعان:

أ- (أل) التي لبيان الحقيقة والماهية: مثل قولك: الرجل أقوى من المرأة، إذا لم ترد رجلا بعينه، ولا امرأة بعينها، وإنما أردت أن هذا الجنس من حيث هو أقوى من هذا الجنس من حيث هو، أي: حقيقة الرجل وجنسه من حيث عنصره المتميز، لا من حيث أفراده أقوى من حقيقة المرأة وجنسها من حيث هي كذلك من غير أن تريد أن كل واحد من الرجال أقوى من كل واحدة من النساء، لك لو أردت هذا لخالفك الواقع، ومن أمثلتها: قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: 30]، أي: من حقيقة الماء المعروف، وقيل: المني.

ب- (أل) الاستغراقية: وهو نوعان:

1- الأول لشمول أفراد الجنس، وهي التي تخلفها (كل) حقيقة، نحو قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [سورة النساء، الآية: 28]. فإنه لو قيل: وخلق كل إنسان ضعيفا لكان صحيحا من جهة الحقيقة، ونحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [سورة العصر، الآية: 02]، أي: أن كل إنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا.

2- لشمول خصائص الجنس مبالغة: وهي التي تخلفها (كل) مجازا كلفظ الكتاب في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية: 02]، أي ذلك الكتاب هو الكتاب الكامل، كأن ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص، وأنه الذي يستأهل أن يسمى كتابا، كما تقول: وهو الرجل، أي: كامل في الرجولية، الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال¹.

- رابعا: أن تكون زائدة ولا تفيد أي معنى من المعاني السابقة: وهي نوعان:

1. لازمة، لا تنفك عن الكلمة ولا تفارقها، مثل "ال" في: "الذي" و"التي" وبقية الموصولات.

2. غير لازمة، مثل "ال" في: "الحارث" و"العباس" و"الضحاك"، ف "ال" هنا لا تفيد التعريف، ولكنها دخلت من لمح الأصل في تلك الأسماء.

وسنشرع في الحديث عن كيلهما في سورة آل عمران وسوف نتأملها ونسير معها قصد إبراز الملامح الأسلوبية التي انطوى عليها استعمالاتها وسنبداً بـ:

1 . (ال) العهدية: ومن الملاحظ كما أسلفنا على استعمال (أل) العهد أنها تأتي غالبا في سياق الحديث للتعبير على طائفة من الناس لهم تصور ذهني معهود سابقا في الأمر، قال الله تعالى: ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 03].

فالآية حملت في طياتها التعريف للكلمة (التوراة والانجيل)، وهي "أل" للعهد الذهني، لأنها تؤدي إلى تحديد معنى وحصره في فرد معين، فالتوراة والانجيل هما كتابان نزلا على رسولين عظيمين موسى وعيسى عليهما السلام في عصرين مختلفين، وعلى أمة واحدة (بني إسرائيل).

¹ ينظر: حمدي بخيث عمران، سورة الفاتحة دراسة تأصيلية في اللغة والتفسير، أصوات للدراسات والنشر، دط،

فالغرض من ذكره تعظيم الكتب السماوية ووجوب الإيمان بها ما أخبرنا بها ما لم يخبرنا القرآن، وقد تقدم ذكره بما هو نعت به ومدح من كونه تعظيماً لشأنه وإظهار لفظه بآيات الله من كتبه المنزلة والرسل، لإرشاد المتقين إلى الإيمان وصلاح دينهم، ولتفريق بين الحق والباطل، والذين كفروا بآياته المنزلة لهم عذاب أليم.

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَتَى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 40].

ف (أل) التي وجدت في كلمة (الكبر)، هي التعريف العهدي الذهني، فالصورة التي تدور في مخيلة زكريا بأنه لا يستطيع أن يولد ذرية وهو في هذا السن، وكذلك كانت زوجته عاقراً، فأفادت التعجب الصادر من قبل زكريا "أني يكون لي غلام وقد بلغني الكبر".

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 32].

والذي يظهر أن (أل) في الرسول هي للعهد للذهني، فالرسول معلوم لدى المخاطبين وهو محمد صلى الله عليه وسلم، وما يؤكد ذلك تنمة كلام البقاعي، حيث قال: "وهو إن كان اسماً كلياً لكنه كان حين إنزال هذا الخطاب مختصاً بأكمل الخلق محمد بن عبد الله بن عبد المطلب المرسل إلى الخلق كافة"¹، لذا وجب طاعته لكونه رسول بعث للأمة سواء اقترن بـ (ال) التعريف أو لم يقترن، وتشهد بعض المواضع التي جاء فيها كلمة (رسول) غير مقترنة بـ (أل)، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 81]، فنجد مكان الثراء الأسلوب في التعريف لكلمة (العلم) مصحوبها معهوداً ذهنياً، ينصرف إليه الفكر بمجرد النطق به.

¹ ينظر: برهان الدين أبو حسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج: 4، ص: 338.

وقال تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 124]، فالألف واللام التي اشتملت عليه (للمؤمنين) قصد بها التعريف الحضوري، فالمؤمنون الذين وجه لهم ذلك القول هم الذين حضروا غزوة بدر وليس كل المؤمنين زمن النبي عليه الصلاة والسلام، منهم من كان في المدينة من الرجال والنساء ولم يخرجوا لملاقاة العير مع النبي صلى الله عليه وسلم لكونهم لم يستقروا، أو لكون الخروج لم يقصد إليه في البداية ولكنه آل إليه في النهاية¹.

ولعل الغرض من استحضار هذا الوقت وذكره، تذكير المؤمنين نعمة الله عليهم حيث تمثلت معجزته الكبرى في نصرهم على عدوهم بعون الله ومدده المنزل من عنده، حتى يعتبرون هو وغيرهم من سلك سبيل الصبر والتقوى، فإن السنة الله ماضية في نصره وقهر عدوه².

قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَدَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 36/35].

ف (أل) التي تتواجد في (الذكر)، هي تعريف للعهد الذكري، رغم أنها لم تسبق لفظة "الذكر" صراحة، إلا أنها ذكرته مسبقا تلويحا أو كناية، كقوله تعالى: ﴿مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾، كانت امرأة عمران حررت الله ما في بطنها، وكانوا يحررون الذكور، فكان المحرر إذا حرر يكون في المسجد يقوم عليه ويكنسه ولا يبرح منه، وكانت امرأة لا يستطيع أن (يصنع) ذلك بها، لما يصيها من أذى³، ف (ما) حينئذ الكنائية تحيل عن مولود ذكر.

¹ ينظر: ناصر بن عبد الرحمن بن ناصر الحنين، النظم القرآني في آيات الجهاد، ص: 104.

² ينظر: المرجع نفسه، ص: 104.

³ ليهود بن محكم الهواري، تفسير كتاب الله العزيز، تح: الحاج بن سعيد شريقي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط1، 1990، ج: 01، ص: 279.

2. (ال) الجنسية:

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 02].

- "الله": اسم جامد غير مشتق من الشيء، لأنه علم والألف واللام لزمته ولا يجوز حذفها، قال "الرازي" (ت925هـ): "لا نطرح الألف من لفظ الجلالة فإنما هو الله عز وجل ذكره في التمام فليس هو من الأسماء التي يجوز الاشتقاق فعل منها، كما يجوز في الرحمان والرحيم¹. "والإله علم على الذات العلية، علم الرب وهو أعرف المعارف على الإطلاق، ومعناها "المعبود حباً وتعظيماً".

- و"أل" التي تتواجد في "الْحَيُّ" و"الْقَيُّومُ"، هي "أل" التعريف للجنسية للاستغراق في جميع خصائصه "لأنها استغراق لجميع ما يوصف الله به من الكمالات... الحيُّ كمال الصفات، والقيوم كمال الأفعال وباجتماعهما كمال الذات، فهو كامل الصفات والأفعال والذات"².

وذكره كبرهان لاستحقاقه للعبادة فله الألوهية وحده وما عداه فليس له ذلك فهو مربوب مرزوق، في كونه حيّ أزلي وأبدي الذي فيه جميع معاني الحياة بما يليق بجلالته وعظمته، القائم على نفسه وعلى خلقه بالتربية والرعاية والحفظ والتدبير والرزق.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا﴾ [سورة آل عمران، الآية: 19]، فالاستكشاف الدقيق والنفوذ العميق لمعنى الآية يظهر لنا "التعريف في (الدِّين) تعريف الجنس لا يستقيم معنى العهد الخارجي هنا"³، فعملت الأداة (ال) على إنماء النص وبعث الحيوية في دلالاته لتفسح المجال للمخاطب في تدبر هذا الدين وعظمته فلا يقبل الله تعالى عما سواه غير الإسلام، القائم على مبدأ الانقياد الكامل لله تعالى بعبادته وطاعته والابتعاد عن الشرك بأنواعه.

¹ . ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج: 13، ص: 467. مادة (أ ل ه)،

² محمد بن صالح العثيمين، تفسير ابن العثيمين (تفسير القرآن الكريم)، ج: 06، ص: 17.

³ . ابن عاشور، تحرير التفسير والتنوير، ج: 03، ص: 189.

وقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 18].

ف (ال) التي وجدت في (الملائكة) هي تعريف الجنسية للاستغراق لجميع أفراد الجنس، لأنها تفيد العموم والشمولية لجميع أفراد الملائكة، ويصلح أن يصاحبها لفظة "كل"، دون أن يطرأ لها تغيير في المعنى.

شهد الله وكفى بالله شهيد، وهو أصدقهم الشاهدين وأعدلهم، وأصدق القائلين ﴿اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي المتفرد بالإلهية لجميع الخلائق، وأنّ الجميع عبيده وخلقه والفقراء إليه، وهو الغني عما سواه كما قال الله تعالى: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [سورة النساء، الآية: 79]، ثم قرن شهادة أكابر الخلق وساداتهم الملائكة وأولو العلم بشهادته، وخصهم بالذكر قبل البشر لأنهم كلهم يشهدون بوحدانيته ودينه وجزاءه، وخير دليل قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 07]، لذا يكفهم فضلا وشرفا أن يحضوا بمكانة عالية لا يقادر قدرهم.

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 07].

ف (ال) التي تواجدت في (الكتاب)، هي التعريف الجنسي للاستغراق لجميع خصائصه، لأنّ استغراق لجميع ما يوصف الكتاب بجميع الكمالات، الكتاب الكامل الجامع لجميع الصفات جميع الكتب، أي القرآن.

فقد عبر عن القرآن بالكتاب، الذي هو اسم جنس إيدانا بكمال تفوقه على بقية الكتب السماوية كأنه هو الحقيقي بأن يطلق عليه اسم الكتاب.

وعُبر أيضا في قوله: ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ على سبيل الاستعارة ومعنى الآيات المحكمات الواضحات لا التباس فيها ولا غموض وهنَّ أصل القرآن وعموده، ومعنى بمنزلة الأم لسائر الآيات، وكأنَّ سائر القرآن يتبعها ويتعلق بها، إذ تسمي العرب كل أمر جامع يكون مرجعا (أُمًّا) يعني أصلا¹.

وقد أنزل الله هذه الآية لبيان أنَّ آيات الكتاب نوعان: ﴿آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ﴾ مفردها (آية)، وهي العلامة، وكل آية في القرآن هي علامة على منزلها لما لها من الإعجاز والتَّحدي، وقوله "مُحْكَمَاتٌ": أي متقنات في الدلالة والحكم والخبر، يعني أخبارها وأحكامها متقنة معلومة ما فيها إشكال، وآخر "مُتَشَابِهَاتٌ" يعني أنَّ أحكامها غير معلومة، فصار الحكم المتقن في الدلالة، سواء كان خبرًا أو حكمًا، المتشابه: الذي دلالته غير واضحة سواء أ كان خبرًا أو حكمًا².

والإنسان بطبيعة الحال ينقاد إلى المحكم ألا وهو الكتاب وفي ذلك تعظيم وتقديس لمكانته، حيث أتى بذكر المنزل إليه وهو الكتاب دون المنزل إليهم كالتوراة والإنجيل، تخصيصا للنبي صلى الله عليه وسلم وتشريفا له بالذكر. هكذا تبين المسلك الأسلوبى لهذا الاستعمال، وما دلّت عليه الأداة "أل" من إحياء جمالي للسياق القرآني.

¹ ينظر: آلاء محمد حسن، بلاغة الخطاب في الزهراوين (سورة البقرة وآل عمران)، دار غيداء للنشر والتوزيع . عمان-الأردن، ط: 01، 2015 م ، ص: 300.

² ينظر: محمد بن صالح العثيمين، تفسير ابن العثيمين (تفسير القرآن الكريم)، ج: 01، ص: 32.

8-المعرف بالإضافة:

التَّعْرِيفُ بالإضافة هو اسم أضيف إلى أحد المعارف الخمسة السابقة، ولا يتأكد التَّعْرِيفُ للاسم المنكر إلا إذا تمت إضافته، ويصبح المضاف والمضاف إليه كالكلمة الواحدة على الرغم من أنه يدخل في مصطلح التَّركيب الإضافي... وتنتج الإضافة معنى جديدا لم يكن قبل ذلك¹.

مثل: "كتاب" في قولك: "حملتُ كتابي".

وقد عدَّ أهل اللغة التعريف بالإضافة أقصر طريقة لإحضار المعنى في ذهن السامع وذلك لما تحقَّقه من قوة دلالية مكثَّفة وجمالية، تثير انفعالاته بشكل مطرد لما تبديها مواقع الكلمة وإيحاءاتها في تركيبها الإضافي. وبعد عملية الاستقرائية تبين أن لسورة آل عمران لطائف أسلوبية متعددة نتيجة اعتمادها اسم المعرف بالإضافة، ومن أغراض الدلالية، نذكر:

1. التَّفْخِيمُ والتَّعْظِيمُ:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 126].

فالمعنى العام للآية "لا تعتمدوا على ما معكم من الأسباب، بل الأسباب فيها الطمأنينة لقلوبكم، وأما النصر الحقيقي الذي لا معارض له، فهو مشيئة الله لنصر من يشاء من عباده، فإنه إن شاء نصر من معه الأسباب، كما هي سنته في خلقه، وإن شاء نصر المستضعفين الأذلين ليبين لعباده أن الأمر كله بيديه ومرجع الأمور إليه، ولهذا قال "عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ"².

¹ ينظر: حسين جمعة، في جمالية الكلمة (دراسة جمالية بلاغية نقدية)، ص: 165.

² عبد الرحمن بن ناصر السَّعْدِي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، ج4، ص 154.

فمقام التَّعْظِيم والتَّفْخِيم لا يخفى في هذه الآية، ويكفي شرفاً أن يضاف إلى الله عز وجل، فبإضافته المعنوية أخرجت الاسم المضاف من معنى التعريف إلى دلالة التَّعْظِيم بفخامته.

ومن ألطف مقامات الإضافة للدلالة على التَّعْظِيم والتَّفْخِيم حملت في ثناياها دلالات أخرى كالسُّخْرية والتَّهْكُمْ من الكفار الذين يرون آيات الله عز وجل ويستمرون في كفرهم، ذلك في قوله تعالى:

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 04].

- ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 98].

- ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 101].

- ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 108].

- ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 113].

2. التَّنْبِيهِ:

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْصَرَتْ وُجُوهُهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 107].

وقوله: ﴿فِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ أعني الجنة والنعيم المخلد، عبَّر عنها بالرحمة تنبيهاً على أنَّ المؤمن وإن استغرق عمره في طاعة الله تعالى، فإنَّه لا يدخل الجنة إلى برحمته¹.

¹ . ينظر: أبي السعود محمد بن محمَّد بن مصطفى العمادي الحنفي، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج: 2، ص: 69.

3. تأكيد الوصف أو المدح:

قال الله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية:

[154]

﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ اسم فاعل من مَكَرَ يَمْكُرُ مَكْرًا، وقد عدّه بعض العلماء في أسماء الله تعالى فيقول إذا دعا به: "يا خير الماكرين امكرلي"¹.

وذكر "الشوكاني" أن (وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) جاءت بمعنى أن الله أقوى مكرًا، وأنقذهم كيدا، وأقواهم على إيصال الضرر بمن يريد إيصاله من حيث لا يحتسب.²

وأجاب "الرازي" في تفسيره عن كيفية القول بـ ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ بالرغم من عدمية الخبر في مكرهم بقوله: "قلنا: فيه وجوه: أحدها أن يكون المراد أقوى الماكرين، فوضع (خير) موضع أقوى وأشد، لينبه على أن كل مكر فهو يبطل في مقابلته فعل الله تعالى، وثانيهما: أن يكون المراد خير الماكرين لو قدر في مكرهم ما يكون خيرا وحسنا، وثالثهما: أن يكون المراد من قوله ﴿خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ ليس هو التفضيل..."³.

وهو بهذه الإضافة يمدح بفضل ذلك ويثنى عليه، اقترنت مع اسم التفضيل "خير"، وهنا لا وجه للتفضيل والمقارنة والمقاربة، ولا يليق لجلالته وعظمته، و(المكر) من أوصاف الله تعالى وكما لا في حقه بإيقاع أهل الشر من الكافرين والمنافقين والكائدين... الذين يؤذون عباد الرحمان ويفسدون في الأرض. وبهذا يكون محمودا.

¹ . أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع الأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وأي الفرقان، ج: 2، ص: 99.

² . ينظر: محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين في الرواية والدراية من علم التفسير، ج: 1، ص: 281.

³ . فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب التفسير الكبير، ج: 8، ص: 160 / 161.

4. الدعاء:

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

[سورة آل عمران، الآية: 16]

أي: توسلوا بمنة الله عليهم بتوفيقهم للإيمان أن يغفر لهم ذنوبهم ويقمهم شرا آثارها وهو عذاب النار¹.

وقد جاء إضافة كلمة (عذاب) إلى (النار) باسمها الجامع الدال على كل أنواع العذاب كما دلّ عليها اسم (الجنسية، لغرض الدعاء والتضرع للنجاة من عذاب النار بكل أصنافه ودرجاته وأحوالها).

5. التخصيص:

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية:

82].

قال أبو جعفر: "يعني بذلك جلّ ثناؤه، فمن أعرض من الإيمان برسلي الذين أرسلتم بتصديق ما كان مع أنبيائي من الكتب والحكمة، وعن نصرتهم، فأدبر ولم يؤمن بعد ذلك، ولم ينصر ونكث عهده وميثاقه "بعد ذلك" يعني بعد العهد والميثاق الذي أخذه الله عليه (أولئك هم الفاسقون) يعني بذلك: أن المتولين عن الإيمان بالرسول الذين وصف أمرهم، ونصرتهم بعد العهد والميثاق اللذين أخذوا عليهم بذلك (هم الفاسقون).

يعني بذلك الخارجون من دين الله وطاعة ربهم².

¹ ينظر: البغوي، تفسير البغوي "معالم التنزيل"، ج: 01، 119.

² ينظر: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 06، ص:

استدعى المقام بعد إضافة اسم الإشارة لغرض التخصيص دون إرادة العموم، فالأمر يخص أهل الكتاب كل من اليهود والنصارى الذين نقضوا هذا الميثاق ولا يؤمنوا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم فكانوا بذلك قوما فاسقين.

6. تشنيع الحال:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 91].

أي من مات على كفر فلن يقبل منه خيرٌ أبدًا، ولو كان قد أنفق ملء الأرض ذهبًا فيما يراه قربة، كما سئل النبي صلى الله عليه وسلم بن جدعان، وكان يُقري الضيف، ويفكُّ العاني، ويطعم الطعام، هل ينفعه ذلك، فقال: "لا إنه لم يقل يوما من الدهر: "ربي اغفر لي خطيئتي يوم الدين"¹.

لقد خصت الآية بإضافة ضمير المتصل (هم) إلى المضاف فأكسبتها دلالة معرفية، وأريد بها الكفار الذين ماتوا على كفر، قلن يقبل توبتهم ولا شفاعاة منه، ولو افتدى كل واحد منهم ملء الأرض ذهبًا أملًا منه قبول التوبة، فمصيبرهم الهلاك والعذاب الشديد نتيجة ما اتصفوا به من أعمال شنيعة.

7. التَّسْلِيَةُ:

قال الله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 151].

¹. عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن الكريم، ج: 03، ص: 106.

"فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ" بسكون العين، وقرئ بضمة على الأصل وهو ما قُذِفَ في قلوبهم من الخوف يوم أُحُدَ حَتَّى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ولهم القوة والغلبة.

وقيل: ذهبوا إلى مكة فلمّا كانوا ببعض الطريق قالوا: ما صنعنا شيئاً قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون، ارجعوا فاستأصلهم فعند ذلك ألقى الله تعالى في قلوبهم الرعب فأمسكوا فلا بُدَّ من كون نزول الآية في تضاعيف الحرب أو عقيب انقضائه، وقيل "ما أُلْقِيَ" في قلوبهم الرعب يوم الأحزاب¹.

ومن خلال التأمل نلمس التعبير بإضافة اسم الموصول إلى المضاف بقوله "قُلُوبِ الَّذِينَ" لتقريب المعنى وزيادة تخصيصه والاختصار بدلا من المعرف (ال)، وأريد به الكفار والمشركين حيث زرع الله في قلوبهم الرعب، ورجعوا إلى ديارهم من غير استئصال المسلمين كما زعموا.

ولعل هذه الإضافة المقدمة أعطت ملمحا أسلوبيا أفاد بها تسليية المخاطب وتخفيف عن نفسه، فالله يطمئن المؤمنين بالإعانة والتأييد والنصرة لمن ثبت على دين الحق، فينصره الله ويحسن عاقبته في الدنيا والآخر، وما يؤكد الغرض قول "ابن عاشور"(ت1393هـ): رجوع إلى تسليية المؤمنين، ووعدهم بالنصر على العدو².

3-2- التذكير والتأنيث:

تعد ظاهرة التذكير والتأنيث في اللغة العربية من أهم المسائل اللغوية التي تنبه لها العلماء منذ زمن مبكر، فقد شغلت قسما غير يسير من اهتمام اللغويين والنحاة القدامى، بيد أنّ هذه الظاهرة ظلت شائكة الدراسة، متشعبة الجوانب، مضطربة الأفكار، يكتنفها الإبهام والغموض، وليس أدلّ على ذلك من قول "ابن التستري" الكاتب (361هـ): "ليس يجري أمر المذكر والمؤنث على قياس مطرد ولا لهما باب يحصرهما، كما يدّعي بعض الناس، لأنهم قالوا: أنّ علامات المؤنث ثلاث:

¹ ينظر: أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، تفسير أبي السعود المسعى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج: 02، ص: 170.

² محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 4، ص: 123.

-الهاء في قائمة وراكبة، الألف الممدودة في حمراء وخنفساء، والألف المقصورة في مثل حَبْلَى وَسُكْرَى.

وهذا العلامات بعينها موجودة في الذكر: أما الهاء ففي مثل قولك: رَجُلٌ بَائِعَةٌ ونَسَابَةٌ وَعَلَامَةٌ وَرَبْعَةٌ...، وأما الألف الممدودة مثل: رجل عيائاً وطَبَاقَاءٌ، وَبُسْرٌ قَرِيشَاءٌ...، وأما الألف المقصورة ففي مثل: رَجُلٌ خُنْثَى، وَزَيْعَرَى للشيء الخُلُق، والجمل قَعْبَثَرَى...¹.

ويضيف "برجشتراسر": "والتأنيث والتذكير من أغمض أبواب النحو، ومسائلهما عديدة مشكلة، ولم يوفق المستشرقون إلا حلّها حلّاً حازماً، مع الصرف الجهد الشديد في ذلك"².

والذي يدعو إلى هذا الاضطراب والتخالف هو عدم إدراك الضبط الدقيق في الجانبين³:

- أحدهما: لفظي: حيث لا يُستطاع إدراك النِّظام اللغوي الدقيق الفاصل بين المذكر والمؤنث، فنجد أنّ كثيراً من الأسماء لا تلحق بها علامة التأنيث: مثل: زينب، سعاد وهند، كما نلمس أنّ علامة التّأنيث ربما ألحقت بما يسمى به المذكر، مثل: حمزة، وعبيدة، ومعاوية، ولهذا يكون الالتباس اللفظي بين ما يسمى به المذكر والمؤنث في كثير من الأسماء

¹. ابن السُّكْرِي الكاتب، المذكر والمؤنث، تح: أحمد عبد الحميد هريري، مكتبة الخانجي بالقاهرة، دار الرفاعي الرياض، ط: 1، (1403هـ / 1983م)، ص: 47 / 48.

². رمضان عبد التواب، التّطور النحوي في اللغة العربية، محاضرات ألقاها في الجامعة المصرية سنة 1929م، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، 1982م، ص: 112.

³. ينظر: ابراهيم بركات، التأنيث في اللغة العربية، دارالوفاء، المنصورة، ط: 01، 1988م، ص: 6/5.

- وثانيهما: معنوي: حيث نلمس اضطرابا ثانيا في تصنيف الأشياء بين التذكير والتأنيث، فلا يوجد في الجمادات شواهد بيولوجية تدل على نوع جنسها، ومع ذلك فهي تذكر وتؤنث - في كثير من اللغات - دون معيار ضابط لهذه المسألة.

ولهذا فإن التمييز بين المذكر والمؤنث يعدُّ من القضايا الرئيسية التي لا يستهان بها، بل إنَّه يعدُّ من أهم الوسائل التي تساعد المرء على التَّمكُّن من اللغة، والأخذ بناصيتها، ويكفي أن نذكر لبيان ذلك أنَّ سلامة بعض التراكيب رهن بمعرفة المذكر والمؤنث والمطابقة بينهما، يقول "أبو بكر الأنباري" (328هـ): "إنَّ من تمام معرفة النحو والإعراب، معرفة المذكر والمؤنث، لأنَّ من ذكر مؤنثا أو أنث مذكرا، كان من العيب لازما له كلزومه من نصب مرفوعا، وخفض منصوبا أو نصب مخفوضا"¹، ولذلك عدَّ "ابن فارس" الخلط بين المذكر والمؤنث من العيوب المنقّرة، إذ يقول: "بل إنَّ الخطأ في التمييز بين المذكر والمؤنث قبيح جدا"².

ولا يعني هنا أن نفصل القول في هذه الظاهرة، أو نقف على جميع المسائل التي بذلت من طرف العلماء قديما أو حديثا ما قدموه من جهود قيمة في بحثها ومعالجتها، كما فعل "ابن حاجب"، و"ابن مالك" وغيرهما، مما توسعوا في عرضها وشرحها نثرا أو نظما، بل ما يهمننا كيفية مجيء هذه الظاهرة في السياق القرآني، وكيف خرجت عن قاعدتها الأصلية في تعاملها مع المذكر والمؤنث، فأحدث قيمة جمالية لأسلوب القرآني. ولكن قبل الشروع في عرض النماذج منه، ينبغي ضرورة تفصيل الحديث عن آراء العلماء حول ظاهرة التذكير والتأنيث في اللغة العربية.

¹ أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، المذكر والمؤنث، تح: طارق الجنابي، دار الرائد العربي، بيروت، ط: 02، 1986م، ص: 107.

² أحمد غالب النوري الخرشة، أسلوبية الانزياح في النص القرآني، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط: 1، (1435هـ / 2014م)، ص: 255.

لغة التذكير خلاف التأنيث والذكر خلاف الأنثى¹، قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ [سورة آل عمران، الآية: 36]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ [سورة الحجرات، الآية: 12]، أي من رجل وامرأة، يقال: امرأة مذكورة، إذا أشبهت بشمائلها الرجل لا في خلقها².

وأذكرت المرأة وغيرها فهي مذكر ولدت ذكرا وفي الدعاء للجبلى أذكرت وأيسرت أي ولدت ذكرا ويسر عليها وامرأة مذكر ولدت ذكرا فإذا كان ذلك لها عادة فهي مذكر، وأيضا يقال التذكير: بمعنى (الوعظ)³، قال الله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 21].

والأنثى خلاف الذكر من كل شيء والجمع إناث، وأنث جمع إناث كحمار وحمر، وفي التنزيل العزيز: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا﴾ [سورة النساء، الآية: 117]، وزعم ابن الأعرابي أن المرأة إنما سميت أنثى من البلد الأنثى قال لأن المرأة ألين من الرجل، وسميت أنثى للينها، وفي لسان العرب: الأنثى من السيوف: الذي من الحديد غير ذكر، وقيل: هو نحو من الكهام⁴.

وحسب الفهم العربي، فالتذكير في اللغة مأخوذ بمعنى الشدة والصلابة والمتانة والقوة والشجاعة والألفة، "فإن سمات التذكير التعظيم كما هو الحال عند القبائل العربية القديمة"⁵، أما التأنيث فمأخوذ من اللين والسهولة والإنتاج والإنبات.

¹ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص: 396. مادة (ذ ك ر)

² ينظر: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج: 03، ص: 227.

³ ينظر: المرجع نفسه، ج: 05، ص: 266.

⁴ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (أ ن ث).

⁵ . غالب فاضل المطليبي، لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، منشورات وزارة الثقافة والفنون العراقية، 1978م، ص: 284 / 278.

وقد قسم الاسم في اللغة العربية باعتبار الجنس إلى مذكر ومؤنث سواء أكان مفرد أو مثنى أو جمع، وقد أقدم علماء النحويين بإعطاء مفهوم التذكير والتأنيث أكثر شمولاً وتفصيلاً ودقّة، من هؤلاء:

يقول "الزمخشري" (ت538هـ): "أنّ المذكر ما خلا من العلامات الثلاث . التاء والألف والياء . في نحو غرفة وأرض وحبل وحمرأ وهذي، والمؤنث ما وجدت فيه إحداهنّ".

وهو قسمان: وهو ما دلّ على ذكر من الناس أو الحيوان كرجل وصبي وأسد وجمل، ومجازي: وهو ما يعامل معاملة الذكر من الناس أو الحيوان أو ليس منها: كَبَدْرٌ وَلَيْلٌ وباب¹.

وأضاف "الأنباري" (ت577هـ) في تعريفه للمؤنث بأنّه: "ما كانت فيه علامة التأنيث، لفظاً أو تقديراً، وهو على ضربين حقيقي وغير حقيقي، فأما الحقيقي فما كان له فرج الأنثى، نحو: "المرأة" و"الناقة" وأما غير الحقيقي فما لم يكن له ذلك، نحو: "القدر" و"النار"².

ويقول "ابن حاجب" (ت646هـ): "أنّ المؤنث ما فيه علامة التأنيث لفظاً وتقديراً، والمذكر بخلافه، وعلامة التأنيث: التاء، والألف المقصورة وممدودة"³.

وقد أصل النّحاة واللغويين الأوائل لظاهرة التذكير والتأنيث بالقول أنّ التذكير هو الأصل في اللغة العربية، بينما التأنيث فرع منه، وقد صرّح بذلك "سيبويه" في كتابه، فقال: "التذكير قبل وأشدّ تمكناً... وأنّ الأشياء كلّها أصلها التذكير، ثم تختص بعدد، فكل مؤنث شيء، والشيء يذكّر، فالتذكير أول"⁴.

¹ ينظر: مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية (موسوعة في ثلاثة أجزاء)، ص: 98.

² كمال الدين أبي البركات عبد الرحمان بن أبي سعيد الأنباري، البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، تح: رمضان عبد التواب، مطبعة دار الكتب، دط، 1970، ص 63.

³ محمد بن الحسن الرضي الاسترأبادي، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، ج: 3، ص: 390.

⁴ . سيبويه، الكتاب، ج: 01، ص: 22.

ومما يدل على تأصيل المذكر أنّ المؤنث يحتاج لعلامة تميزه عن المذكر، وأنّ المذكر يغلب عند اجتماعه مع المؤنث، فيقال: الأبوان: في الأب والأم عند تثنيتهما، والابنان في تثنية ابن وابنة، والأخوان في تثنية أخ والأخت، ولا يقال: الأمان والبنتان والأختان¹. ولما كانا معنيين من المعاني وجب ذلك وجوب علامة تميز هذا من ذاك غير أنهم اقتصرُوا على وضع علامة المؤنث، لأنّ الذكر هو الأصل، فالمشهور عند علماء أنّ التأنيث ثلاث علامات: الألف الممدودة، والألف المقصورة، والتاء، نحو: صحراء وذكرى وغرفة، فحين جعلها "ابن قاسم الأنباري" خمس عشر علامة: ثمان في الأسماء، وأربع في الأفعال، وثلاث في الأدوات.

فأما التي في الأسماء، فهي:

1. الألف المقصورة المائلة إلى الياء، كقولك: ليلي وسلمي وسعدى.
2. الألف الممدودة، كقولك: حمراء وصفراء، والسراء والضراء.
3. التاء كقولك: أخت وبنت.
4. والهاء كقولك: طلحة وحمزة، وقائمة، وقاعدة، وهي تكون التاء في الوقف.
5. الألف والتاء في الجمع، كقولك المسلمات والصالحات والهندات والجمالات.
6. النون، كقولك: هنّ وأنّ.
7. الكسرة، كقولك: أنت.
8. الياء، كقولك، هذي قامت.

أما التي في الأفعال، فهي:

1. التاء كقولك: قامت وقعدت، وتقوم وتقعّد.
2. الياء، كقولك: تضربين زيّداً، واضربي زيّداً.
3. الكسرة في الحرف المختلط بالفعل الذي قد صار كأنّه من الفعل، كقولك: قمت، وقعدت، وأعطيت، وأحسنيت، وأجملت، وذلك أنّ النحويين يُسمّون قمتُ، وبعثت ثلاثياً، لأنّ التاء اختلطت به، فصار معها ثلاثة أحرفٍ ويسمون قضيت، وسعيت، وغزوت، ودعوت، وعفوت رباعياً، لأنّ التاء اختلطت به، فصارت كأنّها حرف من الفعل، وصار بها أربعة أحرف.

¹. ينظر: إبراهيم عمر الجعبري، شرح (تدميث التذكير في التأنيث والتذكير)، شرحها وحققها محمد عامر أحمد حسن

ط:1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط:1، (1411هـ/1991م)، ص:41.

4. النون التي اختلطت بالفعل، فصارت كـبعض حروفه، كـقولك، قمن، قعدن.

أما التي في الأدوات:

1. التاء، كـقولك: ربت ضربت، وقمت ونمت قعدت.

2. الهاء، كـقولك: هيماء، كان عيسى ابن عمرو وأبو عمرو بن العلاء يقفان هيماء

بـالهاء، ومثله: (ولات حين مناص)، كان الكسائي يقف عليها ولاه.

3. الهاء والألف، كـقولك: إنها قامت هند، وإنها جلست جمل، قال الله تعالى ذكره:

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾، قال "الفراء": "والعرب تدخل الهاء مع إنَّ دلالة على الفعل الذي

يعده، فإذا قالوا: إنه قام عبد الله دلوا بـالهاء على أنَّ الفعل الذي بعدها مذكر، وإذا قالوا:

"إنَّها قامت هند دلوا بها على أنَّ الفعل يأتي بعدها مؤنث"¹.

وينقسم باعتبار الحقيقة إلى قسمين:

- الأول: المؤنث الحقيقي، وهو الذي يلد، ويتناسل، ولو كان تناسله عن طريق البيض

والتفريج، ولا بد من لفظ المؤنث الحقيقي من علامة تأنيث ظاهرة أو مقدرة، مثل:

ولادة، سعدى، هند، عصفورة، عقاب.

- الثاني: المؤنث المجازي، وهو الذي لا يلد ولا يتناسل، سواء أكان لفظه مختوما

بعلامة التأنيث ظاهرة كورقة، وسفينة... أو مقدرة، مثل: دار وشمس، ولا سبيل

لمعرفة المؤنث المجازي إلا عن طريق السماع الوارد عن العرب، ولا يمكن الحكم على

كلمة مؤنثة بأنها تدل على التأنيث مجازاً إلا من طريق اللغوي الذي يوضح أمر ذلك

السماع ويبينه².

فمن المعروف أنَّ لكل من الألفاظ المذكورة والمؤنثة مواضعها في اللغة العربية، فلا

يأتي أحدها في موضع الآخر إلا في مواضع معينة ولعلة ما، وقد يؤثر النظم الحكيم في بعض

الأحيان أن يغلب المذكر على المؤنث، لعلة دلالية يقتضيها السياق، وهو بهذا المعنى يرد

¹. ينظر: أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، المذكر والمؤنث، ج: 1، ص: 176، 181.

². فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، ج: 4، ص: 587.

الفرع إلى أصله، فيخرج الكلام عن القاعدة المطردة ويستقيم التركيب معنًا ومبنًاً، ويضطر أحيانا أخرى إلى تأنيث كثير من الألفاظ المذكرة ليبين أنه قسم من التذكير، ولعل هذا الخروج في استخدام اللغوي لم يكن عفوي في التعبير القرآني بل تختبئ وراء دلالات مقصودة ولمسات فنية مقبولة، وعلى هذا شرع العلماء والمفسرون في دراسته دراسة حثيثة قبل يشرع في إطلاق أحكام نحوية عامة. بكسر أفاق توقعه وتفاجئه بما لا يتوقعه إلى السير في أغوار هذه الظاهرة الفنية الفذة بحثا عن طاقات دلالية وقيم جمالية المظروفة بها، التي تظهر في صورتين:

3-2-1- تأنيث المذكر:

وما ورد من هذا القبيل في سورة آل عمران، وفي قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ﴾. [سورة آل عمران، الآية: 101]

قرأ الجمهور (تتلى) بالتاء، فعلا مضارعا مؤنثا مبنيا للمجهول، والتأنيث في الفعل مرده إلى التأنيث، ما أسند إليه وهو نائب الفاعل (آيات)، وقرأ الحسن والأعمش: (يتلى) بالياء على التذكير، وتوجيهه أنه قد تم الفصل بين الفعل ونائبه (آيات) بالجار والمجرور (عليكم)، وأن تأنيث (آيات) مجازي، كما أن المراد بالآيات القرآن الكريم، ومن ثم يتحقق التّطابق بين تذكير الفعل، وتأويل الآيات بالقرآن، وكأنّه قال: وأنتم يتلى عليكم قرآن الله¹. وقوله أيضا: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 185].

اعتمدت الآية على اسم المذكر (كل) لتستطرد بلفظة وردت في السياق مؤنثة وعوملت معاملة المذكر في (ذائقة الموت)، فخير المؤنث ذائقة الموت عن المبتدأ المذكر (الكل) وهو لفظ مبهم فربما اكتسب التأنيث من المضاف إليه²، فأصل القاعدة (ذائق الموت) على تذكير (كل)، ويرجع سبب عدول النظم القرآني من المذكر إلى المؤنث لغرض الإقرار وحتمية انتهاء مسير كل إنسان ذكراً أو أنثى على هذه الحياة.

¹ ينظر: عمر بوبقار، ظاهرة الجنس (التذكير والتأنيث) مقارنة لسانية، مجلة الأثر: جامعة قصدي مبراح . ورقلة- الجزائر، مج 11، ع 13، 2012، ص 32.

² ينظر: حسين الرفايعة، العدول عن المطابقة في العربية، دار جرير، عمان، ط1، 2011، ص: 135

وقوله أيضا: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 163].

اعتمدت الآية الكريمة على اسم مؤنث "درجات" وعاد بالضمير "هم" للإخبار بصيغة المذكر للعاقل، فالمقصود من الكلام "أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ"، وقد أولى "الزمخشري" أهمية بالغة لهذه المسألة، تمثل في تقدير حذف المضاف وإقامة المضاف إليه في مكانه، فأصلها "هم ذو درجات" فكانت الغاية منها الإقرار بمنازل المؤمنين عند الله بحسب كل عمله¹. وكذلك الأمر مع المفردة المؤنثة (العاقبة)، في قوله تعالى: ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 137]، التي حملت معنى التذكير، فالمقصود هنا بكلمة العاقبة هنا محل العذاب لذا طبيعي أن يأتي الفعل مذكرا، وعندما تأتي لا تكون إلا بمعنى الجنة، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة القصص، الآية: 37]، يقول "فاضل السماري" في هذا الظاهرة: "تذكير الفاعل المؤنث له أكثر من سبب وأكثر من خط في القرآن الكريم، فإذا قصدنا باللفظ المؤنث معنى المذكر جاز تذكيره وهو ما يعرف بحمل المعنى"².

وكذا في قوله تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾، فأجيز تذكير لفظ "البغضاء" حملا لها على المعنى، وقد ذكر أنها في قراءة عبد الله بن مسعود "وقد بدا البغضاء من أفواههم" على وجه التذكير، وإنما جاز ذلك بالتذكير ولفظه لفظ مؤنث، لأن مصادر تأنيثها ليس بالتأنيث اللازم، فيه من أمر الله ونهيه، أولى بعدواتكم إياهم وبغضائهم وغشهم، منهم بعداوتكم وبغضائكم مع جحودهم لبعض الكتب وتكذيبهم ببعضها"³.

¹ ينظر: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج: 03، ص: 393.

² فاضل صالح السامرائي، أسرار البيان في التعبير القرآني، محاضرة ألقاها ضمن فعاليات جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، 2002، ص: 15/14.

³ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 03، ص: 409/410.

وفي قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾ [سورة آل عمران، الآية: 39].

لقد اتصلت تاء التأنيث بالفعل (نادته)، لكون الملائكة جمعا، وإسناد الفعل للجمع يجوز فيه التأنيث وعلى تأويله بالجماعة أي نادته جماعة من الملائكة، ويجوز أن الذي ناده ملكا واحدا وهو جبريل بصيغة التأنيث، وقد ثبت التصريح هذا في انجيل لوقا، فيكون إسناد النداء إلى الملائكة من قبيل إسناد فعل الواحد إلى قبيلته.

وقراه حمزة، والكسائي، وخلف، فناده الملائكة على اعتبار المنادى واحد من الملائكة وهو جبريل¹.

وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 86].

وأجيز تذكير "البينات" في الآية الكريمة، والدليل مجيء الفعل مذكرا أي عاريا من تاء التأنيث، ولأن ما دلت عليه من قبل كلمة "البينات" كان مذكرا سواء أكان الكتاب أو الإسلام، أما بعض علماء أرجعها لأمر عقائدية، فإذا دلت البينات بمعنى الأمر والنهي وحد الله والذين ذكر الفعل، وإذا جاءت بمعنى العلامات الدالة على المعجزات والنبوءات أنث الفعل كما في قوله تعالى: ﴿مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [سورة البقرة، الآية: 216]، وهناك حكم نحوي مفاده يجوز أن يأتي جمع المذكر السالم ومفرده مؤنث غير حقيقي التأنيث في الآيات بتذكير الفعل أو تأنيثه، وفي أكثرها وجد فاصل بين الفعل وفاعله إما بالمفعول أو بغيره².

¹ ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 03، ص: 239.

² ينظر: عبد الله بن صالح الفوزان، دليل السالك إلى ألفية ابن مالك، دار المسلم للنشر والتوزيع، مصر، ط2، 1999، ج: 01، ص 329.

3-2-2-تذكير المؤنث:

يشير هذا المصطلح هنا إلى ظاهرة نقل الاسم أو الكلمة من التذكير إلى التأنيث، فيعامل معاملة المؤنث، إلا أن هذا التحول من التذكير إلى التأنيث إلا إذا رافقه تعليل وتأويل، لأنّ تأنيث المذكر هو انتقال من الأصل إلى الفرع، أو من القاعدة إلى الاستثناء، والذي يعدّ مخالفة لما استقر في الذاكرة الجماعية، الأمر الذي يصدم ناطق اللغة، فكان أن تطلب الموقف تعليلًا وتأويلًا، يخففان من صدمته ويوجدان قبولًا لديه¹.

وسنعترض جملة من الأسماء على سبيل المثال جاءت مذكرة في القراءة العامة، فحين جعلتها القراءة الشاذة مؤنثة، في قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 43]، فقال: مع الراكعين، وهي من الراكعات، فغلب المذكر على المؤنث، قال البقاعي في تعليل ذلك: "ولم يقل: مع الراكعات، لأنّ الاقتداء بالرجال أفضل وأشرف وأكمل"².

وهو تغليب ليس من شأنه أن يوضح العلاقة بين تغليب المذكر هنا وسياق الحال، ولعل ذلك يرجع إلى أنّ المقام مقام حث لمريم أن تجتهد في عبادتها وأن تكن من زمرة الطائعين لله، قال الزمخشري في معنى هذه الآية: ﴿وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ بمعنى: ولتكن صلاتك مع المصلين أي في الجماعة، أو انظمي نفسك في جملة المصلين وكوني معهم في عدادهم، ولا تكوني في عداد غيرهم، وليس المأمور بالصلاة نساء وحدهن، بل الرجال والنساء معا، وإذا اشتركا الجنس في أمر ما³، فالعادة الجارية في اللغة تغليب المذكر على التأنيث، ليتفق وسياق الحال من ناحية والاستعمال اللغوي من ناحية أخرى.

¹ ينظر: عمر بوبقار، ظاهرة الجنس (التذكير والتأنيث) مقارنة لسانية، ص: 29.

² عبد الرزاق غالب المهدي، برهان الدين أبو حسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج: 2، ص: 80.

³ أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج: 1، ص: 362.

ومثل هذا التخريج ما يدعمه، في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 13]، فمن حيث الحكم النحوي يجوز تذكير وتأنيث الفعل لكن يبقى السر البياني لهذا التذكير والتأنيث، فكلمة "آية" تأول هنا معنى الدليل والبرهان، فتكون بمعنى المذكر، لذا أتى الفعل بالتذكير، ولو أنث الفعل لسقط المعنى ودلت على معنى الآية القرآنية، على سبيل المثال: قوله تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: 04].

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 40].

والشاهد أنّ "عاقرة" من النعوت التي جاءت على وزن اسم فاعل صيغ من فعل ثلاثي "عقر"، أشار به التذكير وأريد به التأنيث ولو لم يدخلها علامات التأنيث، مثل امرأة حائض ونافس وموضع لاحتكام الأذهان للصورة الذهنية التي تحتملها اللفظة، ويوضح "خليل بن أحمد الفراهيدي" أنّ علّة سقوط علامة التأنيث من الصفات الخاصة بالموثث التي تكون على وزن "فاعل" هو عدم إجرائه على الفعل، فالكلمة تؤدي معنى النسب، إنهم قالوا: حائض فإنّه لم يخرجها على الفعل فإنما أراد ذات حيض، ولم يجيء على الفعل¹. ولكنّه تقبل التأنيث من غير اسم فاعل كقولهم: "عقري" وفي الحديث "عُقْرِى حَلَقَى" وكذلك "النفساء"²، ومعنى الآية الكريمة أنّ زكريا تقدم لسؤال ربه، "كيف يكون لي غلام والحال أنّي أدركني الكبر كامل الذي أضعفني، وفوق ذلك فإن امرأتي عاقرة عقيم لا تلد لشيخوختها وبلوغها العمر الذي ينقطع معه السن؟"³.

¹. سيبويه، الكتاب، ج: 2، ص: 173.

². محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 3، ص: 242.

³. المرجع نفسه، ص 243.

وفي وقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 125].

فالمُسَوِّمِينَ: جمع مُسَوِّم بكسر الواو، اسم فاعل من سَوَّمَ الرباعي المشدد بالعين، ووزنه مفعِل بضم الميم وكسر العين المشددة.

والملفت فيه أنَّ الألف مما يذكر في سائر الأشياء ولا يؤنث، وإدخال الهاء على عدده (خمسة آلاف) دليل على تذكيره، وقوله تعالى: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ كقوله: ﴿مُنْزِلِينَ﴾ وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بكسر الواو على اسم الفاعل، والباقون بفتحها على اسم المفعول، فأما القراءة الأولى فيحتمل أن تكون من السوم. وهو ترك الماشية ترعى. والمعنى: "أنهم سَوَّمُوا خَيْلَهُمْ، أي أعطوها سَوِّمَهَا من الجري والجولان، وتركها كذلك، كما يفعل من يسمي ماشيته في المرعى، ويحتمل أن تكون من السومة. وهي العلامة. على معنى أنهم سوموا أنفسهم، أو خيلهم، ففي التفسير أنهم كانوا بعمائم البيض إلّا جبريل فبعمامة صفراء، وروي أنهم كانوا على جبل بلق*.

أما القراءة الثانية، فواضحة بالمعنيين المذكورين، فعنى السوم فيها: أنَّ الله أرسلهم، إذ الملائكة كانوا مرسلين من عند الله لنصرة نبيه والمؤمنين، قال أبو زيد: سَوَّمَ الرجل خيله، أي أرسلها، وحكى بعضهم سومت غلامي، أي أرسلته، وبهذا قال الأخفش: معنى "مُسَوِّمِينَ" مُرْسِلِينَ، ومعنى السومة فيها: أنَّ الله تعالى سومهم، أي جعل عليهم علامة، وهي العمامة، أو أنَّ الملائكة جعلوا فيهم نوعا خاصا. وهي البلق. فقد سوموا خيلهم¹.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية:

[116]

*البلق: جمع أبلق، والبلق سواد بياض، ابن منظور، لسان العرب، مادة (ب ل ق).

¹. ينظر: أبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، الباب في علوم الكتاب، ص: 522، 523.

الأموال: من جموع التكسير يفيد القلة، على وزن أفعال ومفردا مال، والشاهد في أنَّ أموال "مذكر"، ويجوز تأنيثه إذا ألحق بتأنيث الفعل، والمعنى: "لن تدفع عنهم أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله شيئا"، وقرأ السلمي: "(لن يغني) بالياء في أول الفعل على التذكير، وكذلك قرأ الحسن، إلا أنه أسكن الياء الأخيرة لأجل التخفيف".

وعلة تذكير الفعل (يغني) مع كون الفاعل (الأموال) مؤنثا، وهي كون الفعل قد تقدم، وقد وجد حائل أو حاجز فصل بينه وبين الفاعل وهو: "عنهم"، أضف إلى ذلك أن تأنيث (الأموال) مجازي أو غير حقيقي.

ومما جاء من تأويل المشار إليه بلفظ المؤنث وأريد به لفظ مذكر في معناه، قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا﴾ [سورة آل عمران، الآية: 37]، قال "الشوكاني": "وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء"، فأشار بـ "هذا" للفاكهة على تأويلها بالرزق، لأنَّ الفاكهة رزق.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ أَصَابْتُكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 165]، فكان من المفروض القول: "أنَّى هذه المصيبة"، فأشير بـ (هذا) إلى ما حقه التأنيث، راجع ذلك لتخصيص عين المصيبة، وهو انهزام المسلمين بسبب مخالفة بعضهم لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم، وكلمة (المصيبة) عامة تقع على كل ما ينزل من الإنسان من بلاء وكارثة، والمضمر في قوله "قل هو من عند أنفسكم" عائد على هذا المعنى أيضا، أي هذا الانهزام الذي أصابكم من عند أنفسكم¹.

وفي قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ [سورة آل عمران، الآية: 134].

- شفا: أصله شفو، فتقلب الألف في المذكر، وتحذف في المؤنث ويضاف إليها التاء في قوله: "شفة".

¹. ينظر: أبو الحيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج:3، ص:112.

وأشار "ابن عجيبة": "إلى أنّ أصل لفظة (شفا) هي (شفو)، فلما تحركت الواو وفتح ما قبلها، قلبت إلى حرف يجانس حركة ما قبلها، فقلبت إلى الألف، وهذا هو حالة استخدامهما مع المذكر، ومع المؤنث حذف الواو عوض عنها التاء"¹.
والمرجح أنّ الله سبحانه وتعالى هو الذي ينقذهم من الحالة التي كانوا فيها، فكانوا على شفا حفرة، وشفا حفرة مذكر، فكيف قال: "مِنْهَا"؟ و(شفا) مذكر، ولعل في عود هذا الضمير وجوه:

- أحدها: أنّه عائد على حفرة.
- والثاني: أنّه عائد على النار. وقد قال "الزجاج: "وقوله: "مِنْهَا" الكناية راجعة إلى النار لا إلى الشفا لأنّ القصد الإنجاء من النار لا من شفا الحفرة"².
- والثالث: أنّه عائد على (الشّفا) وشفتها طرفها، فجاز أن يخبر عنه بالتذكير والتأنيث³، الشفا في الأصل مذكر، وقد عاد الضمير عليه في الآية مؤنثا، لأنّه اكتسب التأنيث بإضافته إلى الحفرة والقاعدة المطردة في أن المضاف المذكر قد يكتسب من المضاف إليه المؤنث تأنيثه وبالعكس، وشرط ذلك في الصورتين صلاحية المضاف للاستغناء عنه بالمضاف إليه مع صحة المعنى⁴.

4-أبنية الأفعال:

إنّ فهم أي لغة من اللغات العالم يتطلب دراسة أفعالها بأصولها وأبنيتها وصياغتها، لما لها من مكانة مهمة في المادة اللغوية، فهي الركن الأساسي التي تنبني عليه الجملة الفعلية.

¹ ابن عجيبة الحسني، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (دراسة لغوية نحوية)، تح: محمد ضياء الدين خليل إبراهيم، دارالكتب العلمية . بيروت . لبنان، دط، دت، ص: 153.

² أبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، الباب في علوم الكتاب، ج: 5، ص: 448/447.

³ ينظر: فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب التفسير الكبير، ج: 8، ص: 308.

⁴ ينظر: محي الدين درويش، إعراب القرآن وبيان معانيه، دارالإرشاد للشؤون الجامعية، سوريا، ط4، 1415هـ، ج: 2، ص: 11.

ولا شك أنّ الفعل احتل مكانة عظمى في القرآن الكريم، نظرا لما يؤديه من دلالة زمنية ولغوية، أداء ينسجم والأساليب الرائعة والتراكيب الدقيقة للقرآن الكريم كتاب العربية الأكبر، تلك الأساليب التي تعد أداة للتعبير الأدبي المؤثر البليغ¹.

الفعل مصطلح نحوي يراد به الكلمة الدالة بمادتها على معنى المصدر، أي الحدث وبصيغتها على زمان وقوع ذلك الحدث، من أجل ذلك كانت تعريفات النحويين تحوم حول هذه الدلالة على المعنى المركب من الحدث والزمن، فقد عرفه "ابن يعيش" بأنه: "كل كلمة تدل على معنى في نفسها مقترنة بزمان"².

والظاهر أنّ كون زمان الفعل هو مدلول الصيغة لا المادة، أمر واضح من كلام "سيبويه" نفسه: "وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن ولم ينقطع، فأما بناء ما مضى: فَذَهَبَ، وَسَمِعَ، وَمَكَثَ، وَحَمَدَ، وَأما بناء ما لم يقع فإنّه قولك أمرا: اذهب، واقتل، واضرب، ومخبرا: يقتل، ويذهب، ويضرب... إلخ"³، فهو يقصد بـ (بناء ما مضى) و(بناء ما لم يقع) تلك الأبنية والصيغ مأخوذة من أحداث الأسماء أي المصادر، فالمأخوذ منه لا يدل على غير الحدث (الذهاب) مثلا، أما المأخوذ وهو صيغة (ذهب ويذهب واذهب) فهي الدالة على أنّ ذلك الذهاب وقع فيما مضى، أو يقع مستقبلا، أو أنّه مطلوب وقوع فيما يأتي⁴.

وبمقتضى الظاهر يتضح أنّ الفعل تدلّ صيغته على أمرين هما: الحدث والزمن، ومعنى ذلك أنّ "المعنى الصرفي للأفعال عامة هو الدلالة على الحدث والزمن معا، ودلالة الفعل على الزمن دلالة ضمنية، ومعنى الزمن أو الحدث هو جزء من معنى الصيغة

¹ ينظر: أحلام ماهر محمد حميد، أبنية الأفعال المجردة في القرآن الكريم ومعانيها (دراسة صرفية دلالية)، دار الكتب العربية، بيروت - لبنان، ط1، 2009، ص: 09.

² موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي الموصلي ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري، ج7، ص: 2.

³ سيبويه، الكتاب، ج: 1، ص: 02.

⁴ ينظر: مصطفى جمال الدين، البحث النحوي عند الأصوليين، دار الهجرة، إيران، ط: 2، 1405هـ، ص143.

الفعلية، وهما بلا شك وظيفتا الفعل الصرفية"¹، غير أنّ أحد المحدثين اعترض على دلالة الفعل على الزمن سواء كان ذلك الزمن حالا أو مستقبلا، حيث ذكر أنّ الزمن الذي يقترن به الفعل لا يدل على فسحة زمنية محددة ولا نعرف كل طول هذه الفسحة، علما أنّ هناك أفعالا وردت جامدة، وهي تدل على معنى غير مقتزنة بزمن معين، نحو بئس ونعم، وليس²، وقد أقدم "تمام حسان" تعريفا جامعاً للفعل، قائلا: "الفعل في أصله أن يكون ثلاثيا مجردا، صحيحا مبنيا، متصرفا، عربي الوضع، مصوغا للمعلوم، مسند إلى المفرد الغائب، دالا على الحدث واشتقاقه، وعلى الزمن بصيغته"³.

على أنّ دلالة صيغة الفعل على الحدث والزمن ليست وظيفة صرفية الوحيدة لبنية الفعل، بل تتعدى وظائفها إلى أكثر من ذلك عندما تتصل بها مورفيمات، هي ما يسمى بالزوائد "بمعنى أنّ الوظائف الصرفية الفرعية للأفعال تتعدد بتعدد الحالات التي تتقبل فيها الأفعال المجردة أحرف الزيادة واللواصق الأخرى، فالتعددية والصيرورة والمشاركة والموالة والإزالة والمطاوعة والاتخاذ والطلب والتحول والتحرك، وغير ذلك كلها وظائف صرفية معينة يؤديها الفعل عند اتصاله بالمختار من اللواصق والزوائد لكل وظيفة من هذه الوظائف، ولهذا قال علماء اللغة الأقدمون إنّ زيادة المبنى تدلّ على زيادة المعنى"⁴. وبناء على هذا فإنّ بنية الفعل تتمثل في أمرين:

1. بنية الفعل من حيث دلالتها على الزمن:

تنقسم الأفعال من حيث دلالتها على الزمن إلى ماضٍ ومستقبل وحال، وهذا التقسيم ينظر إلى بنية الفعل، وما تدل عليه من زمن صرفي، قد يختلف عن الزمن النحوي أو الزمن الكوني، فبنية الماضي تدل على ما مضى من الزمان، وبنية المضارع تدل على الحال والمستقبل، ولا يتحدد أحدهما إلا بقريئة السياق⁵.

¹ .فاضل مصطفى الساقى، أقسام الكلام العربي (من حيث الشكل والوظيفة)، ص: 204.

² ينظر: أحلام ماهر محمد حميد، أبنية الأفعال المجردة في القرآن الكريم ومعانيها (دراسة صرفية دلالية)، ص: 19.

³ .تمام حسان، الأصول دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب النحو- فقه اللغة - البلاغة، عالم الكتب، مصر، ط1، 2000، ص: 153.

⁴ .فاضل مصطفى الساقى، أقسام الكلام العربي (من حيث الشكل والوظيفة)، ص: 207.

⁵ مصطفى شعبان المصري، من الإعجاز اللغوي للقرآن (دراسة لغوية أسلوبية في مناسبة اللفظ لسياق الحال)، ص:

ويرى البلاغيون أنّ هذا الزمن في جميع صوره يدل على التّجدد، مع اختلاف معناه باختلاف بنية الفعل، قال بهاء الدين السبكي (763هـ) في توضيح ذلك: "الفعل يدلّ على التّجدد ماضيا كان أم مضارعا أم أمرا، غير أنّ التّجدد الذي يدلّ عليه الماضي المراد به الحصول، والمضارع يدلّ على التّجدد، بمعنى أنّه يتكرر ويقع مرة بعد الأخرى"¹، ويضاف إلى هذه الدلالة التي يدلّ عليها الفعل المضارع دلالة الاستمرار، وهي خاصية بالمستقبل دون الحال، وقد أوضح صاحب عروس الأفراح ذلك، إذ يقول: "واعلم أنّه يستثنى من قولنا المضارع دال على الاستمرار ما إذا أريد به زمن الحال خاصة، فإنّ الاستمرار مع إرادة زمن الحال فقط لا يجتمعان إلا أن يقال يدل على وقوع الحدث في الحال، وأنّه يستمر في المستقبل"².

ولا تقتصر دلالة بنية الفعل على ما سبق، بل قد تؤدي معنى آخر، وهو استحضار صورة الشيء المراد في الذهن، قال صاحب الطراز (749هـ): "الفعل المستقبل يوضح الحال، ويستحضر تلك الصورة حتّى كأنّ الإنسان يشاهدها، وليس كذلك الفعل الماضي إذا عطف، لأنّه لا يعطى هذا المعنى، ولا يدلّ عليه"³.

وإذا ما حاولنا استقراء سورة آل عمران، لا لحظنا أنّ الأفعال احتلت الصدارة اختلفت في أزممتها وصياغتها في ثنايا التعبير القرآن حيث بلغت الأفعال تقريبا 362 فعلا، موزعة، منها: 149 فعلا ماضيا، و155 فعلا مضارعا، و58 فعل أمر، ولعل هذه النسب تؤكد على مدى التقارب بين الفعل الماضي والمضارع، فالفعل الماضي يدلّ على الثبوت والإقرار والإخبار، فكثرة الأفعال الماضية لدلالة على تحقق الفعل وثباته، فحين الفعل

¹ أبو حامد بهاء الدين أحمد بن علي السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ضمن شروح التلخيص، دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان، د ت، ج: 2، ص: 28.

² المرجع نفسه، ج: 02، ص: 29.

³ يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم اليمنى العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ص: 267/

المضارع يدلُّ في غالبته على التَّجديد والاستمرار، ولربما راجع الأمر لإثبات رسالة عيسى عليه السلام، والإقرار برسالة الجديدة لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم ليكون حجّة على النَّصارى، وهذا ما فسّره التّقارب بين الزمنين الماضي والمضارع، فالمصدر واحد لكلا النبيين والمشرع هو الله وباعث الرّسل واحد، فمن يؤمن بعيسى عليه السلام وجب الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم .

2. بنية الفعل من حيث التّجرد والمزيد: (وهو محل دراستنا باعتبار دراستنا صرفية)

قسم علماء الصرف الأفعال إلى أفعال مجردة وأفعال مزيدة، وكل زيادة في مبنائها تقابلها زيادة في معناها، والمقصود بالزيادة زيادة الحروف المجموعة في عبارة (سألتمونها) على الحروف الأصلية، والنّظم الحكيم بأسلوبه المتفرد يختار كل بنية من هذه المباني المختلفة في المقام الذي يليق بها ويقتضي معناها الدقيق، فعندما يأتي بصيغة مثل (فعل) المجردة في موضع، ثم يأتي بصيغة (أفعل) الدالة على المعنى نفسه في موضع آخر، لا شك أن ذلك يكون لعلّة ما¹.

وعليه سنحاول في هذا المبحث التّعرف على الدلالات المكتسبة من الجملة المسندة لصيغة الفعل الثلاثي وغير الثلاثي (المزيد) سواء أكان بصيغة البسيطة المفردة أو المركبة في سورة آل عمران.

4-1-الصيغ الصرفية البسيطة:

لقد استخدمت سورة آل عمران الأفعال المجردة والمزيدة استخداما واسعا، ومن

أهم هذه الصيغ:

¹ ينظر: مصطفى شعبان المصري، من الإعجاز اللغوي (دراسة لغوية أسلوبية في مناسبة اللفظ لسياق الحال)، ص:

1. صيغة (فَعَلَ):

لقد احتل صيغة (فَعَلَ) مرتبة الصدارة في تواتره في سورة آل عمران، حيث بلغت نسبة تواتره تقريباً 327 مرةً اختلفت في بناءها ما بين المضعف والمعتل والصحيح، وسبب كثرتِه راجع إلى كونه أخف الأبنية وأعدلها، مما أدى إلى عدم اختصاصه بمعنى من المعاني، بل شملت معاني جملة لا تضبطه سعة ولا تكاد تحصى، فقد قال "الرّضي": "إعلم أنّ باب فَعَلَ لخفته لم يختص بمعنى من المعاني، بل استعمل في جميعها لأنّ اللفظ إذا خفَّ كُثِر استعماله واتسع التّصرف فيه"¹.

وبالإضافة إلى هذه الخاصية، فإن أغلب أفعاله متعدية، والأفعال التي وردت على منواله دلّ فيها على القيام أو العمل اطلاقاً "فالبنية المورفولوجية التي تطغى على ما عداها في الدلالة على الأحداث الحركية هي بنية (فَعَلَ)، وذلك لتناسيها مع طبيعة الحركة لكونها أخف البنى تلفظاً"²، لذلك فهو أكثر تصرّفاً إذ تقابله ثلاث صيغ في المضارع³، ومثل هذه الأفعال (كَفَرَ، وَهَبَ، دَعَا، ظَلَمَ، رَأَى، شَاءَ، جَرَى، حَكَمَ، كَتَبَ، نَظَرَ، قَالَ، قَضَى، غَفَرَ، قَتَلَ، أَمَرَ، وَضَعَ، دَخَلَ....).

وقد ارتبط البناء الصرفي لصيغة (فَعَلَ) بالأفعال الدالة على الأعمال المرئية المشاهدة مثل (قال، ضرب، رأى...)، واقتربها بالعالمي الإيمان والجحود والإنكار في السورة الكريمة، وقد أشار القدماء أنّ صيغة (فَعَلَ) ترتبط أساساً بالأفعال المشاهدة، إذ يقول "ابن يعيش" في معرض حديثه عن معاني (فَعَلَ) فعل مفتوح العين يقع على معاني كثيرة لا تكاد تنحصر توسعاً فيه لخفة البناء واللفظ، واللفظ إذا خفَّ كثر استعماله واسع التّصرف فيه فهو يقع على ما كان عملاً مرئياً والمراد بالمرئي ما كان متعدياً فيه علاج من الذي يوقعه بالذي يوقع فيه فيشاهد ويرى وذلك نحو ضَرَبَ، وَقَتَلَ ونحوهما مما كان علاجاً مرئياً"⁴.

¹ محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، تج: محمد نور الحسن وآخرون، دار الفكر العربي، بيروت-لبنان، ط1، 1975، ج: 01، ص: 70.

² أحمد حساني، المكون الدلالي للفعل في اللسان العربي، دارالمطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1993م، ص: 95.

³ ينظر: الطيب بكوش، التّصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، تج: صالح القرمادي، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، ط03، 1992م، ص: 89.

⁴ موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي الموصلي ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري، ج: 7، ص: 156/157.

وقد لوحظ تكرار الصيغة الواحدة في نفس الآية أكثر من مرة خاصة الفعل "قال" الآيات الذي يكون فيها الحوار والمجادلة كقوله: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلِمَهَا زَكْرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 37].

فقد تكرر الفعل (قال) مرتين في هذه المناظرة التي كانت بين السيدة مريم وزكريا عليهما السلام للتقصي عن مصدر الرزق الذي لم يرى له مثل، فعقب الآية على جواب مريم للتذكير بالحقيقة إِنَّ الرزق من الله، وهو يرزق من يشاء بغير حساب.

وتكرر الفعل نفسه في الآيات بصيغة الجمع التي جاء لتبين مجادلة أهل الكتاب للدين الإسلامي وزرع اعتقادات باطلة لزعزعة نفوس أهل الإيمان بأقوال صريحة، كقوله: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 181]. لقد أثبت الله صفة السمع والغنى لنفسه فتوعد أهل الكتاب لما صدر عنهم من قول شنيع وسيثبت في صفائح الحفظ.

وفي قوله: ﴿هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 119]، في هذه الآية، ينبه الله المؤمنين بعد اتخاذ اليهود والنصارى أولياء لما يكتونه من غيظ وخنق وغضب حيال أهل الإيمان، فيتظاهرون بأفواههم للإسلام نفاقا لإدراك مقاصدهم الخبيثة.

وقد خرجت هذه الصيغة إلى معاني مختلفة منها فعل (خَلَقَ) ورد في معظم الآيات يدل على الخلق، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 59]، أي أن الله قادر على نشأة الخلق وتكوينه من العدم بكلمة منه "كُنْ فَيَكُونُ".

كما جاءت بمعنى أٌصَوِّرَ وأَقْدَرُ، نحو قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 49].

ومنه الفعل (عَبَدَ) جاء ضمن هذا الباب بمعنى "التَّوْحِيدَ" كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ [سورة آل عمران، الآية: 64].

كما أنه جاء بمعنى (الطاعة) كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 51].

ومنه فعل (نَظَرَ) قد ورد في السورة آل عمران بدلالات متعددة وفق يقتضيه سياق الآية، منها ما دلَّ على معنى (التأمل الشيء بالبصيرة والبصر) كقوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 137].

وجاء بمعنى (انتظر) كقوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 88]، أي يمهلون¹.

كما جاء بمعنى (عدم الرحمة والعطف) كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 77] "أي لا يعطف عليهم ولا يرحمهم كما يقول القائل أنظر إليَّ يريدُ ارحمني، وجعله "الزَّمْخَشَرِي" مجازاً عن الاستهانة بهم والسَّخَطَ عليهم"².

¹ ينظر: أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، تفسير أبي السعود المسعى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج: 02، ص: 174.

² الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم السبع المثاني، ج: 03، ص: 294.

ومنه فعل (ضَرَبَ) فقد دلَّ على وضع الشيء في غير موضعه كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 99]، فالفعل الوارد "ضربوا" جيء بالمعنى "خرجوا" من بلادهم، والمعنى ذاته أورده القرطبي في تفسيره للآية: ﴿إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾ خرجوا من بلادهم سفراً في التجارة، أو كانوا غزًى، يقول: أو كان خرجهم من بلادهم غزاة فهلكوا وماتوا في سفرهم، أو قتلوا في غزوهم¹.

وكذلك فعل (خَرَجَ) فقد دلَّ على وضع في غير موضعه كقوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفِّرُوا بَخَرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 72]، فالفعل الوارد "يَرْجِعُونَ" دلَّ فيها على معنى "ينقلبون" عن دين الاسلام².

ونكتفي بهذا القدر من الأمثلة لأنَّ هناك كثير من هذا البناء (فَعَلَ) قد خرج إلى معانٍ مختلفة.

2. صيغة (فَعَلَ):

تتكون هذه الصيغة من ثلاثة مقاطع وسطها محركٌ بالكسر، ويحيى متعدياً ولازماً على حد سواء، غير أننا نجد بعض العلماء ومنهم ابن الحاجب³، قد ذكر اللزوم منه دون المتعدي مثل سَقِمَ وَمَرَضَ وَحَزَنَ وَفَرِحَ. أما سيبويه فقد ذكرهما معاً ولكنه يقول "وقد يرد متعدياً" وذلك مثل شَرِبَ وَفَهِمَ، عَلِمَ، وَلَعَلَّ قوله يوحي بأن اللزوم فيه أكثر من المتعدي وهذا ما على جَعَلَ ابن الحاجب مثلاً يقصر حديثه على اللزوم لكثرتِه في الكلام⁴.

¹ . أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 07، ص: 231.

² ينظر: المرجع نفسه، ج: 6، ص: 510.

³ ينظر: محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، ص: 71.

⁴ ينظر: صفية مطهري، الدلالة الإيحائية للصيغة الإفرادية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2003م، ص: 72.

وقد ورد هذا الفعل في سورة آل عمران 114 مرة معبرة عن حالة وقتية في الغالب، فهو يكثر في الأعراض من العلل والأحزان وأضدادها، وهو بناء متوسط من حيث الكم، يقول "طيب بكوش": "فهو متوسط من حيث الأهمية ومن حيث الكم، ولئن كان هذا الوزن خاصاً بالحالات بالنسبة لفعل الخاص بالصفات، فإنَّ تفوقه الكبير على فَعَلَ يرجع إلى أنَّ الحالات متغيرة، فهي أكثر حركية من الصفات الثابتة لذلك كانت بعض الصيغ (فَعَلَ) لازمة كالصفات مثل: فَرِحَ، يَسَّ، حَزَنَ، شَهِدَ، والبعض الآخر متعدية مثل: عَلِمَ، حَسِبَ، كَفَلَ، وهذا النوع الثاني أقرب إلى الفعلية لأنه يتضمن معنى الفعل والحركة والمجهود الجسمي أو العقلي فالفاعل بالنسبة لهذه الطاقة من الأفعال يقوم بالفعل ويتلقى الفعل فتعود عليه نتائجه أو يقوم به لنفسه ولفائدته، وهو ما يجعل فَعَلَ وسطاً بين فَعَلَ وفَعَلَ فكان أيضاً وسطاً من الأهمية الكمية"¹، ومن أمثلته:

قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ [سورة آل عمران، الآية: 120].
فالفعل (فَرِحَ) ورد بمعنى (المسرَّة) بنزول المصائد والشدائد بالمؤمنين.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ [سورة آل عمران، الآية: 122]، فالفعل (فَشِلَ) اللازم في الحركة والمشاهد، وقوله: "أَنْ تَفْشَلَا" فإنه يعني: همّا أن يضعفا ويجبنا على لقاء عدوهم².

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 180]. فالفعل (بَخَلَ) يدلّ على فالبخل عيب وصفة مذمومة في الشرع وهو الامتناع عن أداء ما أوجب الله تعالى عليه، وفي كلام العرب منع السائل من فضل ما لديه³.

¹ الطيب بكوش، التصريف العربي من خلال الأصوات الحديث، ص: 87.

² ينظر: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 03، ص: 45.

³ ينظر: المرجع نفسه، ج: 07، ص: 429. وينظر: البغوي، تفسير البغوي "معالم التنزيل"، ج: 02، ص: 69.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 139]، فالفعل (حَزَنَ) ورد بمعنى عدم اليأس، أي: أي لا تأسوا فَتَجَزَعُوا على ما أصابكم من المصيبة يومئذ¹.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 05]، فالفعل (خَفِيَ) يدلُّ على كمال العلم، أي يعلم ما يحيط من حوله من معلومات وإن كانت في أقصى غايات الخفية².

ومنه قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 170]، فالفعل (لَحِقَ) يدلُّ على الإلتباع، أي: أي لم يتبعوا من ظفروا بالشهادة ومازالوا على قيد الحياة.

والملاحظ أنَّ الفاعل لهذه الصيغة في السورة الكريمة موقفه سلبى يتلقى الفعل بدون إرادة.

3. صيغة (فَعُلَ):

يقابل فَعُلَ في المضارع يَفْعُلُ دائما.

ويرجع ذلك إلى أنَّ فَعُلَ ليس فعلا بآتم معنى الكلمة، وإنَّما يدلُّ على الاتصاف بصفة، لذلك فهو قليل العدد نسبيا، قليل التصرف، يلزم حركة واحدة في المضارع هي حركة عين الماضي ذاتها مثل حَسُنَ، قُبِحَ، كَرُمَ³، وهي كما يقول "ابن جني": "ضَرْبُ قَائِمٍ فِي الثَّلَاثِي بِرَأْسِهِ غَيْرَ مُتَعَدِّ الْبَتَّةِ، وَأَكْثَرُ بَابِ فَعَلَ وَفَعِلَ مُتَعَدِّ - وهما أقوى وأكثر منه خولف بينهما وبينه، فَوُفِقَ بَيْنَ حَرَكَتَيْ عَيْنَيْهِ، وَخُولِفَ بَيْنَ حَرَكَتَيْ عَيْنَيْهِمَا"⁴.

¹ ينظر: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 03، ص: 446.

² ينظر: أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج: 02، ص: 09.

³ ينظر: الطيب بكوش، التَّصْرِيفُ الْعَرَبِيُّ من خلال علم الأصوات الحديث، ص: 86.

⁴ أبي الفتح عثمان ابن جني (ت392هـ)، الخصائص، ج: 01، ص: 376.

وإن كانت بعض الأفعال تبدو دالة على الحركة في ظاهر الأمر مثل قَرُبَ، بَعُدَ... فإنَّهما في الحقيقة تدلُّ على صفة القرب أو البعد الناتجة عن الحركة، ولا تدلُّ وحدها على الفعل لذلك يعوضها في هذه الأحوال أحد مشتقاتها للدلالة على الفعلية مثل ابتعد، اقترب...¹.

ودلالته هذه جعلته لا يكون إلا لازماً، لأنَّ الغريزة تكون لازمة لصاحبها ولا تتعداه إلى غيره، وهذا ما أكده "سيبويه" حين عدّه "ضَرْباً رابعاً لا يشركه فيه ولا يتعداك ... وليس الكلام فعلته متعدياً"².

ولا شك أن جميع هذه الأفعال قياسية أكثر من المستعملة، وقد لوحظ صيغة (فَعُلَ) لم تكن بالقدر الكافي في سورة آل عمران ليدل على قلة أهمية هذا الصنف من الأفعال، وعدم مقدرتها على التواصل الكبير لأنَّها محدودة الأفعال، فقد استعملت في ثلاث مواضع منه فقط مثل (ضَعُفَ، حَسُنَ، صَلَحَ) وهي صيغة تفيد الثبات في غالب العموم، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 172].

فبناء (فَعُلَ) في الآية يأتي ليدل على اتصاف بصفة ثابتة طبع عليها الإنسان فصارت غريزة فيه مخلوقة معه ولا تتغير، ألا وهي: العمل الحسن، الذي كان جزاؤهم بأنَّ لهم أجر عظيم.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 146]، فبناء (فَعُلَ) يدلُّ على الاتصاف بصفة ثابتة ومتلاصقة، أي: ما كان عليه المؤمنون في غزوة أحد في غاية القوة، وقوة الأبدان، ولم يصدر عنهم فعل الضعف وعمل الضعفاء الذي يكون بسبب المصيبة والألم والهزيمة.

¹. الطيب بكوش، التَّصْرِيفُ العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ص: 86.

². مطهري صفية، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، ص: 49. وينظر: الكتاب، سيبويه، ج: 04، ص: 38.

4. صيغة (فَعَّلَ):

إنَّ دلالة صيغة "فَعَّلَ" متأتية من دلالة اللفظ نفسه وتبعاً للسياق الآية التي ترد فيه، فهي تدل على القوة والمبالغة والزيادة في الشيء نتيجة توالي حروفها من جنس واحد، وذلك لأنَّ "لغة القرآن تتخذ من الصوت المتكرر وسيلة بلاغية لتصوير الموقف وتجسيمه، والإيحاء بما يدل عليه، معتمدة في ذلك على ما تمتاز به الألفاظ من خصائص صوتية، وما تشعبه بجرسها الصوتي من نغم يسهم في إبراز المعنى"¹.

ونحن في هذا البحث استقرأنا فعل رباعي مجرد "زُحِرِحَ" على صيغة "فُعِّلَ"، في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ زُحِرِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 180].

معنى الزحزحة البعد والتنحية، يقال: "زحه يزحه إذا نحا عن موضعه وباعده عنه"²، وحمل معنى تكرير الزح وهو الجذب بعجلة³، ومجيء صيغة الزحزحة بالتضعيف تدلُّ على التدرج والتكرير، إذ تدل الآية الكريمة على أنَّ الفوز والسعادة طريق واحد، وهو الزحزحة عن النَّار للوصول إلى الجنة⁴، وطريق الوصول ليس أمراً سهلاً، بل أنَّه صعب، لأنَّ المسير يكون ببطء، وهذا المعنى أكده "ابن عثيمين" في تفسيره: "زحزح أي دفع ببطء، وذلك لأنَّ النار أعاذني الله وإياكم منها محفوفة بالشهوات، والشهوات تميل إليها النفوس فلا يكاد الإنسان ينصرف عن هذه الشهوات إلا بزحزحة، لأنَّها مقبل عليها بالقوة ولهذا قال (زُحِرِحَ عَنِ النَّارِ) أي دفع عنها بمشقة وشدة"⁵.

¹. محمود أحمد نحلة، دراسة قرآنية في جزء عم، ص: 99/98.

² أبو النصر اسماعيل بن حماد الفارابي الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ص: 448.

³ ينظر: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج: 03، ص: 258.

⁴ ينظر: حسن مصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، إيران، ط1، 2000، ج: 4، ص: 332/330.

⁵ محمد بن صالح العثيمين، تفسير ابن العثيمين (تفسير القرآن الكريم)، ص 94.

5. صيغة (فَعَّلَ):

لقد وضّح "سيبويه" أنَّ تكرار الصوتين من جنس واحد في عين الكلمة يثقل اللسان، ولو كان مختلفين لكان النطق بهما أخف، حيث قال: "أعلم أنَّ التّضعيف يثقل على ألسنتهم، وأنَّ اختلاف الحروف أخف عليهما من أن يكون في موضع واحد"، فإدغام الصوتين متماثلين يخفف عليهما شرط أن يكون الأول ساكنا والآخر متحركاً¹. وقد وردت هذه الصيغة في (44) موضعاً، والغالب على هذه الأفعال أنَّها تفيد المبالغة والتّكثير، ومن أمثلة هذه الصيغة قوله تعالى:

- ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا﴾ [سورة آل عمران، الآية: 03]
 - ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 06].
 - ﴿كَذَّابٍ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [سورة آل عمران، الآية: 11].
 - ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [سورة آل عمران، الآية: 37].
 - ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 20].
- حيث نلاحظ إفادتها لتكثير القيام بالفعل.

6. صيغة (أَفْعَلَ):

يعد من الأبنية المزيدة بحرف ألا وهو: الهمزة في أوله. يقول ابن الحاجب أن "أفعل للتعدية غالباً نحو أجلسته"².

¹ ينظر: سيبويه، الكتاب، ج: 04، ص: 417.

² محمد بن الحسن الرضي الإسترابادي، شرح شافية ابن الحاجب، ص: 83.

والتَّعدية كما يرى الجاربردي هي: "أن تضمن الفعل معنى التصيير فيصير الفاعل في المعنى مفعولاً للتصيير فاعلاً لأصل الفعل في المعنى"¹ وذلك بأن "تجعل ما كان فاعلاً لل لازم مفعولاً لمعنى الجعل فاعلاً لأصل الحدث على ما كان"² لأن المكون الدلالي للفعل هو "جَعَلَ" ومادة الفعل.

والصيرورة: ويحيى أفعال "لصيرورته ذا كذا"³ أي أن زيادة الهمزة قد تكون سبباً في أن ينتسب الشيء إلى ما اشتق منه الفعل.

ورد هذا البناء في سورة آل عمران (104) مرة فقد ورد ماضياً ومضارعاً وأمرًا ومبنيًا للمعلوم والمجهول أي ورد بكل الصيغ، وقد دلّ على معنى الصيرورة والجعل، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 110]، فأصل البناء الفعل (آمن) هو (أأمن) فاجتمعت همزتان الأولى متحركة والثانية ساكنة، فوجبت القاعدة النحوية قلب الثانية حرف المد للثقل ليجانس الحركة الأولى، ليحصل تناسب بين الحرف والحركة فيصبح الفعل (آمن) وأصل الألف في الآخر ياء مفتوحة قلبت ألف لتحركها وانفتاح ما قبلها، فأصل (أأمن) الهمزة أول همزة قطع زائدة، والثانية همزة أصلية للكلمة فأدغمت الهمزتان وقلبنا مد، ونجده قد أفاد صيرورة الفاعل مؤمناً، ومنه فعل "فعل آتى" قوله تعالى: ﴿فَاتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 148]، وقد أفاد الفعل الماضي (آتى) في الآيات جعل المفعول به صاحب العطاء.

والملاحظ على هذه الصيغتين وردت في سورة آل عمران بأكثر من صيغة.

¹ عز الدين بن أبي بكر بن عبد العزيز ابن جماعة، حاشية على شرح الجاربردي على الشافية في الصرف، دار الطباعة العامرة، لبنان، ط1، 1310هـ، ص: 45.

² محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، ص: 83.

³ المرجع نفسه، ص: 83.

ومن الأفعال المزيدة على وزن (أفعل) بصيغة المضارع الفعل "يُطْلِعُ" قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 179]، وهو فعل الصحيح السالم خالٍ من التضعيف والهمزة والعلّة، وكذلك أفادت الهمزة في (أطلع) التعدية، والمجرد منه (طلّع) فهما مختلفان في المعنى: "والأصل من طلع، تقول: طلع - كعلم - وطلع - كفتح - رقا الشيء وعلاه، وطلعت الشمس - كالتصر - تطلع، وكل باد من علو طالع والمصد الطلوع... وأما - أطلع - فمعناه: أعلم، تقول أطلعه على الأمر، أعلمه به، وأراه إياه"¹.

ومنه فعل "أعاذ" في قوله: ﴿مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 36]، والهمزة . أفعل . صيرته متعديا لمفعول واحد، فأعاذه: ألجأه ومنعه².

ومنه فعل " أحسن " جاء للمخاطبين " في قوله: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 172]، أفادت الهمزة في (أحسن) التعدية ، والمجرد منه هو - حسّ - فهما معًا متعديان، يقول: "ابن منظور": "حسّ بالشيء يحسّ حسًا وحسًا وحسيسًا وأحسّ به وأحسّه، شعر به"³.

والفعل " أثاب " في قوله: ﴿فَأَنَابَكُمْ غَمًّا بِغَمِّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 153]، والأصل في الفعل بعد زيادة الألف أنثوب على وزن (أفعل)، نقلت الحركة الواو إلى الساكن قبلها، فتحرّكت الواو بحسب الأصل، وتحرك ما قبلها فقلبت ألفا كما هي القاعدة الصرفية فصار (أثاب)، والأصل في دلالته: مطلق الجزاء، وهو ما يرجع إلى الإنسان من جزاء أعماله⁴.

¹ أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، أدب الكاتب، تح: محمد الدالي، دار صادر، بيروت-لبنان، دط، (1387هـ/ 1967م)، ص: 491، وينظر: الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص: 94، وابن منظور، لسان العرب مادة (ط و ع).

² ينظر: الراغب الأصفهاني، معجم ألفاظ القرآن الكريم، ص: 394.

³ ابن منظور، لسان العرب، ج: 06، ص: 49 / 50.

⁴ ينظر: توفيق أسعد، صيغة أفعال ودلالاتها في القرآن الكريم، منشأة المعارف، الإسكندرية، الكويت، 1990م، ص: 17.

والفعل (أثاب) بمعنى أعطى، أي أعطاهم الله إثابة¹، وأفاد التعدية إلى مفعولين بضمير الجمع المخاطب (كم) والاسم الظاهر (غَمًّا)، أي جزاهم غمًّا على غم، قال "ابن عباس": "الغم الأول بسبب الهزيمة وحين قيل قتل محمد صلى الله عليه وسلم، والثاني حين علاهم المشركون فوق الجبل، وعن عبد الرحمن بن عوف الغم الأول بسبب الهزيمة والثاني حيث قتل محمد صلى الله عليه وسلم"².

ومنه فعل "أنبت" جاء للمخاطبة في قوله: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [سورة آل عمران، الآية: 37]، وقد لعب المجاز دورا بارزا في هذا البناء فقد أسند الإنبات إلى التربة أي: نشأها ورباها³.

وقد اشتمل تكرار الصيغة "أفعل" في موضع الواحد، فشكّل ظهورا أسلوبيا، ومنه فعل "أسلم" في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 20]، لعل لدلالة التكتيف في هذه الصيغة في سياق الحديث لاستفسار عن بقاء مجادلة أهل الكتاب بعد بيان لدلائل التوحيد والحق والإقرار بحقيقة الإسلام والإذعان والانقياد للرب المعبود فما عداه باطل.

ومنه فعل "أنزل" الذي ورد (10) مرات في سورة آل عمران في أكثر من موضع بكل الصيغ، فقد جاء بصيغة الماضي المبني للمعلوم في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 07]، وورد بصيغة المضارع المجزوم في قوله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 151].

¹ ينظر: أبو مسجل الأعرابي، النوادر، تح: عزة حسن، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1961م، ص: 45، وأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، أدب الكاتب، ص: 492.

² عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن الكريم، ج: 01، ص: 417.

³ الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص: 535.

وبصيغة المبني للمجهول كقوله تعالى: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 84].

والأصل في النزول: الانحطاط من علو، يقال: نزل على دابته ونزل في مكان كذا: حط رحله فيه، فهو بهذا فعل لازم، وهمزة أفعل فيه للتعدية، تقول: أنزله، ونزله: جعله ينزل، فالمفعول هنا هو المعنى الجعل المستوحى من الهمزة. يقول "ابن عاشور": "وعَدَى فعل أنزل هنا على اعتبار أنَّ الإنزال يقتضي علوًا فوصول الشيء المنزل وصول استعلاء"¹، ويقصد به: الدلائل والحجج أو القرآن الكريم والكتاب والوحي المنزل من رب السماء.

7. صيغة (استفعل):

إنَّ الحروف الزائدة في صيغة (استفعل) هيَّ الهمزة والسين والتاء، زيدت السين فالتاء، ثُمَّ سكنت السين فلزمتها همزة وصل، يقول "سيبويه": "وتلحق (السين) أولاً والتاء بعدها، ثُمَّ تسكن السين فتلزمها ألف الوصل في الابتداء، ويكون الحرف على استفعل ويستفعل"².

ورد هذا البناء في سورة آل عمران ثمانية (09) مرات، دالا على تكلف الفعل وتحمل الصيغة دلالة الطلب والمبالغة فيه، يقول "زمخشري": "واستفعل لطلب الفعل استخفه واستعمله واستعجله إذا طلب عمله وخفته وعجلته، مر مستعجلا، أي مر طالبا ذلك في نفسه مكلفا إيَّاه ومنه استخرجته أي لم أزل أتطف به وأطلبه حتى خرج"³، ومن أمثلته:

¹ محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 03، ص: 302.

² سيبويه، الكتاب، ج: 04، ص: 283.

³ أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، المفصل في صناعة الإعراب، تح: محمد وحسن محمد عبد المقصود، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط: 01، (1421هـ/2001م)، ص: 390.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 135].

لما أراد سبحانه تصوير استتابة لبعض المؤمنين يتجاوزهم الحدود الإلهية، اختار النظم الحكيم صيغة (استفعل) للدلالة على الطلب والمبالغة في طلب المغفرة من الله تعالى. ومما يدعم دلالة المبالغة في الطلب في السياق، استحضار مكونات لغوية أخرى غير الصيغة الصرفية، فجاء التأكيد على التوبة باستعمال أداة الجزم في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا﴾ وكذلك صوتيًا فحرف السين في صيغة (استغفروا) حرف همس فالدعاء من العبد لربه يكون بالرفقة والخشوع، وسمة الرأ التكرارية التي تدل على المبالغة في طلب الاستغفار.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 155]. لقد اختلف العلماء في تفسير معنى (اسْتَزَلَّهُمُ) فذهب البعض¹ إلى أنها بمعنى الطلب، أي طلب منهم الزلل ودعاهم إليه، ورأى البعض الآخر² لا معنى للطلب هنا، لأنه لا يلزم من الطلب حصوله، وإنما هي بمعنى (أفعل) أي أزلهم الشيطان.

وما نراه أن معنى طلب هنا وارد، فزيادة السين والتاء توحى بإلحاح بطلبه والمبالغة فيه بمحاولته في إزلالهم، موظفا كل السبل والأساليب الوسوسة والضلال بالترغيب تارة، والترهيب تارة أخرى كتذكير بشبح الموت وضياع الذرية، وتفويت لملذات الحياة من نعم وأموال وشهوات، وبقي ينفخ أمانيه ووعوده الكاذبة حتى استطاع أن يجعلهم ينفرون من ساحة المعركة.

¹ ينظر: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج: 01، ص: 645.

² أبو الحيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج: 03، ص: 398.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 170].

فالمعنى الأقرب للسياق هو المبالغة، فجرس الكلمة يوحي بأن لفظة (يَسْتَبْشِرُونَ) استئناف أو معطوف على (فرحين) لتأويله بـ (يفرحون)، يقول "الألوسي": "وأصل الاستبشار طلب البشارة وهو الخبر السار إلى أنّ المعنى هنا على السرور، استعمالاً للفظ في لازم معناه، وهو استئناف أو معطوف على (فرحين) لتأويله بـ (يفرحون)"¹، وإنّ جمعه للفظين مترادفين في المعنى لدليل على المبالغة وكأنّه قيل: (فرحين مستبشرين) والله أعلم.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 195].

فسياق الآية يتحدّث عن صنف مميّز من المؤمنين، اختصّ بصفات جليلة كقيام الليل، وذكر الله بتعظيمه وتنزيهه، ثمّ التجاء إليه بدعاء خاشع بأن يدخلهم الجنة ويجنّبهم النّار، وإتيان بالفعل "استجاب" زيادة ومبالغة على مجرد الإجابة كالامتثال لأوامر الله للطاعات والواجبات وإلزام، والمعاندة لها، وحمله على طاعة المأمور فيما يحب ويكره، يقول "ابن عاشور": "السين والتّاء في استجابوا للمبالغة في الإجابة"².

والنتيجة استجابة سبحانه لهذه الفئة، وذكرهم للأعمال التي اهتمّ لذلك، وهي أنّهم هاجروا وأخرجوا من ديارهم وتحملوا الأذى في سبيل الله، فدلالة الفعل توحى بكمال العناية بالداعي وإجابة دعوته في أحسن صورة.

¹ الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم السبع المثاني، ج: 02، ص: 123.

² محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 25، ص: 131.

8. صيغة الفعل المبني للمجهول:

ذكر النحاة تعريفات عدّة تبين لنا مفهوم الفعل صيغة المبني للمجهول وطريقة بناء فعله وإلى التغيرات التي تطرأ على الجملة الفعلية التي يبني عليها الفعل، فتباينت وجهاتهم وتعريفاتهم له ومسمياته.

فهذا "سيبويه" يسميه "فعل المفعول"¹، إشارة إلى وجود علاقة اسنادية بين الفعل ومفعوله"، وعرف نائب الفاعل في قوله: "المفعول الذي لم يتعدى إليه فاعل ولم يتعد فعله إلى مفعول آخر، والفاعل والمفعول في هذا سواء، يرتفع المفعول كما يرتفع الفاعل، لأنك لم تشغل الفعل بغيره وفرغته، كما فعلت ذلك بالفاعل فقولك: ضُربَ زيدٌ ويُضربُ عمرو"²، وهو بهذا المفهوم قام بوصف وصفا دقيقا لكيفية بناء الفعل المجهول في قوله: "فقولك: ضُربَ زيدٌ ويُضربُ عمرو" بضم أوله في كسر ما قبل آخره في الماضي، وضم أوله وفتح ما قبل آخر في المضارع، وبين علّة إقامة المفعول مقام الفاعل في قوله كذلك: "لأنك لم تشغل الفعل بغيره وفرغته".

وسمّاه "المبرد" "بناء ما لم يسم فاعله"³ وسبب التسمية عدم وجود في بناءها الفاعل، ومن المعروف أنّ لكل فعل فاعله وهما ركنان أساسيان في الجملة الفعلية ولا يستغني أحدهما عن الآخر، كما قال "الرجاني":

لأنّه لا يتصور أن يتعلق الفكر بمعاني الكلم أفرادا ومجردة من معاني التحو، فلا يقوم في وهم ولا يصح في عقل، أن يتفكر متفكر في معنى (فعل) من غير أن يريد إعماله في (اسم)، ولا أن يتفكر في معنى (اسم) من غير أن يريد إعمال (فعل) فيه، وجعله فاعلا له أو مفعولا"⁴.

¹ ينظر: سيبويه، الكتاب، ج: 01، ص: 42.

² المرجع نفسه، ج: 01، ص: 33.

³ أبي العباس محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1994، ج: 01، ص: 179.

⁴ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 410.

أما تسمية "البناء المجهول" أول ما ذكرت في كتاب المنصف "لابن جني"¹، وكتب لها الشيوخ والانتشار عند الكثير من علماء اللغة، وصار مصطلحا غير محددا في تعريفه، اكتفوا فقط بذكر أمثلة التي ترد على هذا البناء إلا أن جاء "الزمخشري" ضبط المصطلح ووضع تعريفا جامعا مانعا لهذا البناء وطريقة صوغه وتسميته، قائلا: "ما استغنى عن فاعله فأقيم المفعول مقامه وأسند إليه معدولا عن صيغة (فَعَلَ) إلى (فُعِلَ) ويسمى الفعل ما لم يسم فاعله"².

وبالتالي فكل فعل يبنى لما لم يسم فاعله، فلا بد من عمل ثلاثة أشياء: حذف الفاعل، وإقامة المفعول مقامه، وتغيير الفعل إلى صيغة "فُعِلَ"³.

ولكن لماذا غيروا صيغة الفعل إذ بُنى للمفعول فضموا الأول وكسروا الثاني في الماضي الثلاثي الصحيح وكسروا أول المعتل ولم يَضُمُّوه كالصحيح؟

قال "كمال الأنباري": "فإن قيل فَلِمَ ضَمُّوا الأول وكسروا الثاني نحو ضُرب زيد وما أشبه ذلك؟ قيل إنّما ضَمُّوا الأول ليكون دلالة على المحذوف الذي هو الفاعل إذا كان من علاماته وإنّما كسروا الثاني لأنّهم لما حذفوا الفاعل الذي لا يجوز حذفه أرادوا أن يصوغوه على بناء لا يشركه فيه شيء من الأبنية فبنوه على هذه الصيغة، فكسروا الثاني"⁴، وقال أيضا عن سبب كسر أول المعتل:

"فإن قيل: فَلِمَ كسروا أول المعتل، نحو قيل، وبيع، ولم يَضُمُّوه كالصحيح؟ قيل: كان القياس يقتضي أن يُجرى المعتل مجرى الصحيح في ضَمِّ أوله، وكسر ثانيه، إلا أنّهم استثقلوا الكسرة على حذف العلة فنقلوها إلى القاف، فانقلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها، كما قلبوها في ميعاد وميقات وميزان، وأصلها موعاد، وموقات، وموزان، لأنّها من الوعد، والوقت، والوزن، أما الياء فتثبت لانكسار ما قبلها"⁵.

¹. ينظر: أبي الفتح عثمان ابن جني، المنصف في شرح كتاب التصريف، ص: 292.

². أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، المفصل في صناعة الإعراب، ص: 343.

³. موفق الدين أبي البقاء يعيـش بن علي الموصلي ابن يعيـش، شرح المفصل للزمخشري، ج: 04، ص: 306.

⁴. كمال الدين أبي البركات عبد الرحمان بن أبي سعيد الأنباري، أسرار العربية، ص: 95.

⁵. المرجع نفسه، ص: 96.

ولهذا تسعى دراستنا بالبحث عن وظيفة الدلالية الفعل المبني للمجهول في سورة آل عمران بالتركيز على بنيته الصرفية ووظيفته النحوية التي يؤديها داخل التركيب، فالبناء المجهول يفتح أفقا واسعة في المعاني لا يؤديها البناء المعلوم ويتبين من خلال ما تشيعه من دلالات تتكشف في التركيب النحوي¹. مما أعطى دلالة أقوى للتركيبة بجعل طاقة الفعل حدثية تركز على المفعول به لقرب العلاقة الاسنادية بينهما، والمتأمل للسورة يجد أنّ فاعلها محذوف لأغراض أسلوبية مقصودة إما للعلم أو الجهل به، التعظيم أو التحقير، أو إثارة السامع، أو لغرض الإيجاز في الكلام وغيره حسب ما يمليه السياق يضيفي للعبارة القرآنية أسلوبا راقيا وجمالية للغة، ومن أمثلته:

- قال الله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَاَبِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 14].

أتى التركيب (زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ) والقائم مقام الفاعل (حُبُّ) مسبوق بشبه جملة.

قال "أبو السعود": "كلام مستأنف سيق لبيان حقارة شأن الحظوظ الدنيوية بأصنافها وتزهيد الناس فيها وتوجيه رغباتهم إلى ما عنده تعالى أثر بيان عدم نفعها للكفرة الذين كانوا يتعزّزون بها والمراد بالناس الجنس، و(حب الشهوات) المراد هنا المشتريات عبّر بالشهوات مبالغة في كونها مشتهاة مرغوبة فيها كأنها نفس الشهوات أو إيداناً بانهماكهم في حبها بحيث أحبوا شهواتها، وإيثار صيغة المبني للمفعول للجري على سنن الكبرياء"².

¹ ينظر: حسين إرشيد العظامات، فلسفة المبني للمجهول في العربية، مجلة المنارة، الرباط-المغرب، مج 17، ع 07، 2011، ص: 119.

² أبي السعود محمد بن محمّد بن مصطفى العمادي الحنفي، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج 01، ص: 337/336.

حذف الفاعل وإن تعلق الغرض به فقصد تجاهله، فتزيين حب الشهوات والنساء والقناطر المكنطرة من الذهب والفضة وخيل المسومة وأنعام والحرث، ولعل هذا التزيين يحتاج إلى مزين، والمزين هو الله سبحانه وتعالى لأجل ابتلاء عباده، ومعرفة المؤمن من الكافر، لذا عدلت الآية بفعل المبني للمجهول بدل المبني للمعلوم، قصد إبراز تجاهل الكافرين لمصدر التزيين واشتغالهم بمتاع حياة الدنيا وشهواتها، وتناسوا خالق هذه النعم وما يترتب عنها من شكر وانقياد لطاعة الله، فمن أدرك أن هذه الحياة زائلة وأطاع الله، فالله عنده حسن المثاب.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 90].

استشكل جماعة من المفسرين قوله تعالى: ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ مع كون التوبة مقبولة التي قبلها، في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 89]، وقيل: المعنى لن تقبل الله توبتهم من مات كافرا غير تائب¹.

وقد تجسد فعل "يُقْبَل" وهو فعل مبني للمجهول مع أن فاعله معلوم وبني للمفعول لغرض تعظيم فاعله، وهو الله سبحانه وتعالى وللعلم به، بأن لا يقوم بهذا الفعل دون سواه، وتفرد به بقبول التوبة لعباده وعدمها، لا شريك له في ذلك.

وقال تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 112].

جاء التركيبان وقد بني الفعل للمفعول فيهما ونائب فاعل (الذِّل) و(المسكنة) مسبوقان بجار ومجرور.

¹. ينظر: شرف الدين الراجحي، المبني للمجهول وتراكيبه ودلالاته في القرآن العظيم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، 1999م، ص: 49/48.

قيل.. ومعنى ضُرِبَتْ أي ألزموها وقضى عليهم بها من ضرب القباب والدَّلَّة الصغار، والدَّل بالضم ما كان عن قهر، وبالكسر ما كان بعد شماس من غير قهر، والمسكنة مفعلة من السكون، لأن المسكين قليل الحركة والنهوض، لما به من الفقر¹.

فبنى الفعل هنا للمجهول لأن فاعله معلوم، فالله هو الذي يُضْرَبُ عليهم ذلك، وجعل الدَّل والهوان والفقر يلازمهم أينما وجدوا ولا يفارقهم أبداً، لهذا الغرض خفي الفاعل إخفاء ولم يصرح به تعظيماً له ولمكانته.

وقال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 12].

أتى التركيب (سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ) مبنيًا للمفعول، وحلّ الضمير المتصل محل الفاعل وأصله المفعول به، وقد قرئ الفعلان (بالتاء والياء) سَتُغْلَبُونَ - سَيُغْلَبُونَ، وأدى ذلك إلى اختلاف في الدلالة.

قال أبو على الفارسي: "اختلفوا في الياء والتاء من قوله عز وجل (سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ) فقرأ ابن كثير وعاصم وابن عامر (ستغلبون وتحشرون) بالتاء، وقرأ حمزة والكسائي بالياء².

وقال "ابن خلويه": (سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ).

يقرأ بالتاء والياء فالحجة لمن قرأهن بالتاء أنه أراد قل لهم يا محمد مواجهًا بالخطاب سَتُغْلَبُونَ وهذا من أدل دليل على نبوته - صلى الله عليه وسلم - لأنهم أخبرهم عن الغيب بما لم يكن أنه سيكون، فكان كما قال: والحجة لمن قرأ بالياء أنه خاطب نبيّه بذلك وهم غُيَّبُ فكانت الياء أولى لمكان الغيبة³.

¹ ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح، محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1994، ج: 01، ص: 396.

² ينظر: شرف الدين الراجحي، المبني للمجهول وتراكيبه ودلالاته في القرآن العظيم، ص: 114.

³ ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، تح وشرح: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، القاهرة، ط: 03، (1399هـ / 1979م)، ص: 106.

والتقدير: "سيغلبهم الله ويحشرهم الله"، فالآية بمكوناتها اللغوية استغنى عن الفاعل لعدم التعلق الغرض به، وإن كان معلوم، ليعكس صورة غلبة الكفار وحشرهم يوم القيامة في نار جهنم، وكان لهم بئس مستقر نتيجة عنادهم وجحودهم للحق بعد معرفته، فاكتفاء الآية بالفعل المبني المجهول فتح أفاق للفعل نفسه ليحمل في طياته تحقير وذل وخساسة لمن يستحقها من الكفار.

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 115].

أتى التركيب (فَلَنْ يُكْفَرُوهُ) مبنيًا للمفعول وحلَّ الضمير المتصل الأزل (واو الجماعة) محل الفاعل وبقي المفعول الثاني (الضمير المتصل الثاني هاء الغيبة) ونلاحظ هنا أنَّ الفعل كُفِّرَ لا يتعدى إلى مفعول واحد تقول كفر النعمة وكفر بالنعمة فلم تعدى هنا إلى مفعولين، قال الزمخشري: "فإن قلت لم عدَّى كفر إلى المفعولين وشكر وكفر لا يتعديان إلا إلى واحد تقول شكر النعمة وكفرها، قلت ضمن معنى الحرمان فكأنه قيل فلن يحرموه بمعنى فلن يحرموا جزاءه"¹، وفي ذلك تعظيما وتنزيها للفاعل المحذوف سبحانه وتعالى بعدم جحوده واعترافه بهم ويجازيه بأتم الجزاء، لأنَّ الله عليم بالمتقين.

قال "ابن سعود" عن دلالة التركيب "وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ" أي لن يُعْدَمُوا ثوابه البتة عبَّر عنه بذلك كما عبَّر عن توفية الثواب بالشكر إظهار الكمال تنزهه سبحانه وتعالى عن ترك إثباتهم بتصويره بصورة يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وتعديته إلى مفعولين بتضمين معنى الحرمان وإيثار صيغة البناء للمفعول للجري على سنن الكبرياء وقرئ الفعلان على صيغة الخطاب"².

¹ أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج: 01، ص: 456.

² أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، تفسير أبي السعود المسى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج 01، ص: 403.

وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 131].

أتى التركيب (أُعِدَّتْ) مبنيًا للمفعول والقائم مقام الفاعل ضمير (النار).

قال "ابن مسعود" في دلالة التركيب: "أي هُيئت للذين كفروا والمخاطبون داخلون فيها تقديرًا أوليًا وإمّا هم خاصة ووضع الكافرين موضع الضمير لدمهم وتعليل الحكم بكفرهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة وفيه دلالة على أنّ النار مخلوقة موجودة الآن والجملة استئناف لا محل له من الإعراب مقررّة لمضمون ما قبلها ومؤكدة لإيجاب العمل به ومُبيّنة لمن أريد بالناس واقعة لاحتمال العموم وقيل حال بإضمار قد من النار لا من ضميرها في وقودها وهذا ضعيف لما في ذلك من الفصل بالخبر"¹.

والدافع حذف الفاعل، وبناء الفعل المبني للمجهول، حث المخاطبين على الأخذ بالفائدة وضرورة التمسك ما يوجب دخولها من الكفر والمعاصي التي تجرهم إلى الكفر، تؤدي بهم دخول إلى النار التي أعدها الله للكافرين، وعلى الرغم أنّه محذوف إلا أننا نعلم بتفرده بإعداد النار لمن يستحق ذلك دون غيره، وعدل عن ذكره حتّى لا يساوي بين مكانته العظيمة وبين جماعة الموجه إلى الخطاب المنحطين.

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [سورة آل عمران، الآية:

185].

فقد تم تركيز الاهتمام على ما هو أهم وهو هنا نتيجة هذا العبد من تلك النار، ودخوله الجنة بصرف النظر عن فاعل ذلك له، وعلى هذا النحو جاء التعبير بصيغة البناء المجهول، لأنه مناسب لجو التهيب الذي اقتضاها مقام الآية وسياقها.

¹ أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج: 01، ص: 68.

2-4-الصيغ الصرفية المركبة:

إنَّ النِّظام الصرفي في سورة آل عمران نظام حركي متنوع الأنظمة الصرفية فلم يقتصر على الصيغ الصرفية ذات الجزء الواحد أو ما يسمى بالصيغ الصرفية البسيطة، وإنَّما إلى التجأ إلى استحداث أبنية صرفية ذات الجزئين أو ما يسمى بالصيغ الصرفية المركبة، والمقصود بالصيغ المركبة في المفهوم الصرفي، هو تركيب الصيغة الصرفية من طرفين لبيان الدلالة الواحدة للجزئين.

وقد نبه عدد من الباحثين إلى أنَّ الصيغ المركبة وقعت في كثير من النصوص الموثوق بصحتها وفصاحتها، وإن كانت غير معروفة في البحث العربي القديم لما تضيفه من دلالات زمنية إضافية للفعل إذا اقترن ببعض القرائن، وقد أشار "مهدي المخزومي" عدم معرفة العلماء بتفرعات الزمن الماضي والمضارع في قوله: "شاعت في الاستعمال، ووردها ألسنة المتكلمين، وحفظتها النصوص التي انحدرت إلينا عنهم: قد فعل، كان قد فعل، كان فعل، ومَرَّ النَّحَاةُ بها في عجل، ولم يطيلوا الوقوف عندها أو يلاحظوا جدواها أو يلتفتوا إلى ما كانت العربية ترمي إليه من استحداث مثل هذه الأبنية الزمنية ولم يدركوا ما كان بين صيغة (فعل) وما اتَّصل بها في الاستعمال من تلازم جعل من الصيغة وسابقتها مركبا بمنزلة الكلمة الواحدة ذات الدلالة الواحدة فإذا مرَّ بهم مثل قول المتنبي:

قد كان شاهد دَفَنِي قيل قولهم جماعة، ثُمَّ مَاتُوا قبل مَن دفنوا.

ظنوا أنَّ في قوله (كان شاهد) فعلين مستقلين أحدهما هن الآخر، وربما ذهبوا إلى تحميل هذا المركب ما لا يحتمل، وربما تناولوا الجزء الأول (كان) كما يتناولونها بالدَّرس حين يعرضون لنواسخ أحكام المبتدأ والخبر، وربما سمحوا قليلا فذهبوا إلى زيادة كان توكيدا وتقرير لدلالة (فعل) على الزمان الماضي، ولم يلحظوا أثر الاستعمال في تلازمها وجعلها مركبا له دلالة واحدة ويعبر جزآه معا عن وقوع الحدث، وهو هنا (المشاهدة) في الماضي البعيد"¹.

¹. مهدي المخزومي، في النحو العربي (نقد وتوجيه)، دار الرائد العربي، بيروت، ط: 02، (1406هـ / 1986م)، ص: 156.

بينما نظر اللغويون المحدثون أنَّ هذه الصيغ المركبة "ينبغي أن تناقش ضمن أبواب الصرف، لأنَّ هذه الصيغ المركبة من كان - أو إحدى أخواتها - والفعل تدل بتركيبها على معنى لا يتحقق "بكان" وحدها أو بالفعل وحده، ومن هذه الوجهة يجوز فيما نرى أن تناقش ضمن مسائل الصرف وصيغه، أما الأحكام النحوية لكان وأخواتها وأنواع خبرها فمكانها كتب النحو"¹.

ومن صيغ المركبة في سورة آل عمران صورتان:

- الصورة الأولى: قد + فعل الماضي.

- الصورة الثانية: كان + فعل مضارع.

1. الصورة الأولى: (قد + فعل):

لقد وردت هذه الصيغة المركبة في سورة آل عمران في خمسة وعشرين موضعاً متضمنة فعل ماضي مثبتاً، "وتدل على حدوث الفعل الماضي إما في وقت قريب، وإمّا على سبيل التأكيد"²، ومن أمثلته قول الله تعالى:

- ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 13].

- ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 49].

- ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 101].

¹. محمود أحمد نحلة، دراسات قرآنية في جزء عم، ص: 230.

². عبد القادر حامد، معاني الماضي والمضارع في القرآن، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ع: 11، 1998م، ص: 66.

- ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَانْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 123].
- ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 140].
- ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 143].
- ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 155].
- ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 192].
- ﴿أَوَلَمَّْا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 165].

وفي ضوء ما سبق، نلاحظ أنّ الصيغة المركبة قد تضمنت معنى التأكيد في صيغتها فقد خرج الفعل الماضي من مجرد وقوع الحدث في الماضي إلى معنى زائد يقتضيه السياق، وأغلب الآيات السابقة وردت في سياق الحديث عن الذين آمنوا بالله ورسوله، كما أنّ الصيغة المركبة التزمت نمطاً صرفياً واحداً في عشر آيات في السورة على الشكل الآتي: (قد + فعل) والجملة مثبتة.

وجاء الصيغة في ثمانية آيات على الشكل: (لام القسم + قد + فعل الماضي) قصد زيادة التأكيد، إذ "تمتاز هذه اللغة الشريفة بأنه من الممكن زيادة هذا التأكيد إذا اقتضى الحال، وذلك بإضافة لام التأكيد قبل قد"¹، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَانْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 123].

¹. عبد القادر حامد، معاني الماضي والمضارع في القرآن، ص: 69.

وقد جاء الآية دالة على مكونات لغوية، كالصيغ الصرفية المركبة للتأكيد بنصرة الله تعالى للمؤمنين وحثهم بأن ثمره التوكل على الله والصبر والتقوى هو سبب النصر والمعونة والتأييد، ولزيادة التأكيد أضاف اللام لتعبر عن قسم محذوف والتقدير: "والله لقد نصركم الله ببدر" ليزكر معاشر المؤمنين بنصره المؤزر في غزوة بدر مع على المشركين على قلة عددهم وكثيرة عدوهم وانتصار القلة على الكثرة المشركة وقتل الصناديد المشركة في ذلك الوقت كأبي جهل ابن هشام .

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 155]. فمطلب المسلمين بعد فرارهم من معركة أحد ومخالفة أوامر للرسول صلى الله عليه وسلم أن يعفوا الله عنهم، فجاء السياق بالصيغة المركبة المقترنة باللام لقسم محذوف، والتقدير: أي والله لقد عفا الله عنكم" لتكثيف التأكيد لبعث الطمأنينة في نفوس المسيئين بتجاوزه أقصى العقوبة، واستبدالها بعقوبة أخف بإلحاق الهزيمة بكم وقتل بعضكم.

وجاء بالصيغة المركبة في سبع آيات في السورة على الشكل (الفاء + قد + فعل) بجملي كلاً ماثبة، ونجد آيات هذه الصيغة سقت مساق التأكيد وقد زاد معنى التأكيد في بعضها بأنه سبق بحرف التأكيد "إِنَّ" كقوله: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 192]، فالمقام مقام الدعاء، فقد تكرر ذكر "رَبَّنَا" في الآيات متوالية للتضرع وإظهار كمال الخضوع سائلين النجاة من النار والاعتراف بربوبيته مع الإيمان به، وعبر بـ (قد) التي تفيد التحقيق مع الفعل الماضي، والتحقيق هو التأكيد.

وبالتالي كثف التعبير القرآني دلالة التأكيد قصد إثبات له الخزي التام، وكلمة الخزي تدلُّ على الدُّل والفضيحة والمهانة لحال الكافر بإدخاله في نار جهنم، "ومما يحسن ذكره في هذا المقام أن استعمال (قد) في هذا المعنى من مميزات اللغة العربية، وأن هذه الأداة منقولة في رأي كثير من علماء اللغة عن الفعل "قد" بمعنى قطع، ثم أفادت القطع أو التأكيد"¹.

¹. عبد القادر حامد، معاني الماضي والمضارع في القرآن، ص: 69.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 140].

ولما كان المقام مقام تعزية المسلمين على ما أصابهم في غزوة أحد من قتل وجراح وأسر، فجاء بالصيغة ليؤكد إصابة أعداء بمثل ما أصيبوا به لغرض التعزية والحث على القتال أو لتخفيف الآلام.

والمأمل الآية الكريمة فيلمح أنها جاءت متضمنة تكثيف دلالي قوامه الفاء وقد المصاحبة للفعل الماضي قصد إثبات إصابة الأعداء بمثل ما أصيبوا به.

2. الصورة الثانية: كان + يفعل.

ورد هذه الصيغة في سورة آل عمران (03) مرة، ومن أمثلة التي وردت في سورة آل عمران (كان + يفعل) التي تتركب من فعل كينونة وهو (كان) والفعل المراد التعبير عنه بصيغة المضارع (كان + يفعل) يستعمل للتعبير عن " الماضي الاستمراري أو التّعودي أو النقلي، ويدل على حدوث الفعل في زمن على سبيل الاستمرار أو التّعود لمدة معيّنة"¹.

- ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الدِّلَّةُ أَيْنَ مَا تُثْقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 112].

نلاحظ في هذه الآية معنى الاستمرار في الصيغة المركبة (كان + يفعل) في قوله تعالى: ﴿كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ و﴿كَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ فقد تكررت الصيغة مرتين في هذه الآية، وهذا التكرار لإشارة لطيفة وإيماءة بديعة لبلاغة القرآن الكريم وجودة نظمه، إذ يمكن للسياق أن يكتفي بصيغة واحدة، ليبين مدى شدة كفر اليهود وتعنتهم وعدم الانصياع للقرآن الكريم على الرغم وجود أدلة وبراهين تثبت صدق نبوته وصحة رسالته، كما أضفى التعبير القرآني

¹. عبد القادر حامد، معاني الماضي والمضارع في القرآن، ص: 69.

بعد آخر بإضافة الصيغة ليعبر سياق الحديث بملازمة الدّلة لهم ،يقول "ابن مسعود":
 "وذلك إشارة إلى ما ذكر من ضرب الدّلة والمسكنة عليهم ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ
 إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 24].

فجاءت الصيغة المركبة من (كان + يفعل) فاتخذت الزّمن الماضي الاستمراري
 لصيغة (يفعل) لتؤدي معنى الاستمرار، ما كان يختلقونه أهل اليهود والنصارى من
 اعتقادات وأباطيل كاذبة بأنّ النار لم تمسهم إلا أربعين يوما وعدم اكترائهم لاتباع الحق،
 فأظهر الله افتراءهم الذي حملهم على هذا الإغترار بإيقاعهم في الضلال سوف يكون مستمرا.

في ضوء كل ما تقدّم نخلص أنّ البناء الصرفي في سورة "آل عمران" اتسم بالحركة
 والقابلية لاحتوائه على أكبر قدر ممكن من القوالب الصرفية التي اتخذت نموذج تغيير في
 وحداتها إلى تغيير في دلالاتها لغايات أسلوبية تتناسب ومقتضى السياق، مما جعل الجهاز
 الحركي للكلمة ثريا يتصف بحرية كبيرة، إلى أنها تبقى الكلمة قاصرة على تأدية حركتها بوجه
 عام إن لم يتم إدراجها ضمن السياق لتبرز تفرّده وجماليته.

الفصل الثالث:

المستوى التركيبي في سورة آل

عمران

1-التقديم والتأخير

2-الحذف

3-الاستفهام

4-الأمر

5-النداء

6-النفي والنهي

7-التوكيد

8-الوصل والفصل

تقوم دراستنا في سورة آل عمران على مبدأ التوسع والتحليل في دراسة التركيب اللغوي ضمن إطار الجملة العربية ونظامها البنائي بتشريع جزيئاته والغوص في أعماقه للوقوف عن التحولات الكلامية والأثر الدلالي الناتج من آيات سورة آل عمران، والخروج بتصوير شامل عن إطاره العام لكيفية نسج هذه العناصر في بنية الأسلوب لسورة آل عمران، ومحور دراستنا هنا قائم على المزاوجة بين تراثنا العربي واللسانيات الوصفية الحديثة من منظور البلاغي في تحليله للتراكيب مستندة على بعض المناهج اللسانية في إطار المبحث الأسلوبي كمحاولة دمج علم المعاني في دراسة البنية النحوية للتراكيب الأسلوبية من خلال النظر في تراكيبه من جهة الأسلوب وطرق التعبير به معتمدة على الجمل الاسمية والفعلية لكونهما الأساس في تركيب لغوي عربي، وما يطرأ عليها من تغيرات لمختلف أنماطها فشكّل بذلك ظاهرة أسلوبية على مستواه التركيبي.

1- التقديم والتأخير:

1-1- تعريفه:

أ. لغة:

-التقديم: مصدر وأصله مادته (ق د م)، يقول ابن فارس: "القاف والدال والميم أصل صحيح يدلُّ على سبق ورعف، ثم يفرَّع منه ما يقاربه: يقولون: القِدم: خلاف الحدث، ويقال: شيءٌ قديم إذا كان زمانه، وأصله قولهم مضى فلانٌ قُدُمًا: لم يعرج ولم ينثن... وقادم الإنسان: رأسه، والجمع قوادم... وقدمُ الإنسان معروفة، ولعلّها سميت بذلك لأنّها آلة للتقدّم والسَّبق"¹.

وجاء في "لسان العرب": "... مقدمة كل شيء أوله، ومقدم كل شيء نقيض مؤخره، ومقدم العين ما ولي الأنف، والمقدمة ما استقبلك في الجهة والجبين والناصية... ومن أسماء الله تعالى المقدم الذي يقدم الأشياء ويضعها في مواضعها"².

¹. أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، مادة (ق د م).

². ابن منظور، لسان العرب، مادة (ق د م).

-التأخير: مصدر أيضا وأصل مادته (أ خ ر)، يقول "ابن فارس": "الهمزة والخاء والراء أصل واحد ترجع فروعه وهو خلاف التّقدم، وهذا القياس أخذناه عن الخليل فإنه قال: "الآخر نقيض المتقدم، والآخر نقيض القُدّم، تقول مضى قُدّما وتأخّر أخْراً وقال: وآخره الرجل وقادمته ومؤخر الرّحل ومقدّمه، قال: ولم يجيء مؤخر مخففه في شيء في كلامهم إلا في مؤخر العين فقط، وابن دريد يقول: الآخر تالٍ للأوّل، وهو قريب ممّا مضى ذكره، إلا أنّ قولنا قال آخر الرّجلين، وقال الآخر، هو لقول ابن دريد أشدّ ملائمة وأحسن مطابقة، وآخر: جماعة أخرى"¹.

فالمعنى اللغوي يوحى: بأنّ التقديم في اللغة يدل على معنى جعل الشيء في المقدمة أو الصدارة، والتأخير يدل على عكسه.

ب. اصطلاحاً:

تعد مسألة التقديم والتأخير من المسائل الّتي عني بها النحويون، كجزء من اهتمامهم بالتركيب النحوي، وبرز هذا الاهتمام بالتحليل النحوي وبالتخرّج اللفظي واضحاً مع سيبويه، يحاول النحويون عادة أن يعللوا التقديم أجزاء من الجملة أو تأخيرها بالاعتماد على المعنى والتركيب، ولكنهم يميلون أحياناً إلى تجاهل المعنى من أجل تعليل الضرورة النحوية، وكان لسيبويه ملاحظات مهمة في مسألة التقديم والتأخير نثرها في كتابه "الكتاب"، منها على سبيل المثال: "في باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعول به"، فيقول: "إذا قدمت المفعول على وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأوّل، وذلك قولك: "ضرب زيداً عبداً لله" لأنّك إنّما أردت به مؤخراً ما أردت به مقدماً ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه وإن كان مؤخراً فمن ثمّ كان حد اللفظ أن يكون فيه مقدماً وهو عربي جيد كثير كأنّهم إنّما يقدمون الذي بيانه أهمّ لهم وهم ببيانه أغنى وإن كان جميعاً يهملّهم ويعنيانهم"².

¹. أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، مادة (أ خ ر).

² سيبويه، الكتاب، ج: 01، ص: 34.

فكلامه هنا أكبر دليل على عدم اهتمامه باللفظ على حساب المعنى، فهو يرى أنَّ العرب قد تقدم المفعول به على الفاعل مع احتفاظ كل منهما بالمعنى النَّحوي الذي كان قبل التَّقديم، وقد يتقدم أو يتأخر لعلَّة اقتضاها المتكلم، وهي العناية والاهتمام لشأنه، أي أنَّ المعنى أو التوكيد يكون مركزا بالمقدم، الذي يحظى بأهمية بالغة ما كانت لتتواجد قبل التَّقديم.

وقد بحث "ابن جني" (ت392هـ) التقديم والتأخير في باب "الشجاعة العربية" ما يجوز منه وما لا يجوز، وما يقبله القياس وما يسهله الاضطرار¹، ولم يلتفت شيء في دراسته عن البعد الجمالي، وإنما تميزت دراسته بطابع نحوي بحث، اكتفى في تبیان ما يجوز وما لا يجوز في التقديم والتأخير، ولا يهيمه إلى القياس وصحته وفساده، كتقديم المفعول به والظرف على الفاعل وتقديمها على الفعل وتقديم المستثنى على المستثنى منه...².

فحين جعل البلاغيون المعنى محورا في حالات التقديم والتأخير وكانت التركيز منصبا عن المعنى لذا لقي إقبالا وتفوقا في كتب البلاغة على الكتب النَّحوية في هذا المجال، فعَدَّ القانون الأساسي لعلم للبلاغة وأحد أساليبها أتوا به للدلالة على تمكّنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق³، وهو أصل من أصول علم المعاني التي ارتبطت مسائله بقضية النّظم، لكونه "بؤرة مباحث الأسلوب الدائرة حول التركيب"⁴، وأشهر من أوضح أهميته شيخ البلاغة العربية "الإمام عبد القاهر الجرجاني" في وصفه والإشادة به: "هو باب كثير الفوائد، جم محاسن، واسع التّصرف، بعيد

¹ ينظر: أبي الفتح عثمان ابن جني (ت392هـ)، الخصائص، ج: 02، ص: 382.

² ينظر: أحمد فرجي، التّقديم والتّأخير عند النُّحاة وشواهدهما في القرآن الكريم، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة تلمسان، معهد اللغة والأدب العربي، 1993م، ص: 33/32.

³ ينظر: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهار الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج: 03، ص: 233.

⁴ عبد الحكيم راضي، نظرية اللغة في النقد العربي (دراسة في خصائص اللغة الأدبية من منظور النقد العربي)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط: 01، 2002م، ص: 215.

الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا، يروك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر، فتجد سبب أن راقك، ولطف عندك أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ عن مكانه إلى مكان¹.

وقسم التقديم والتأخير إلى قسمين: (تقديم يقال أنه على نية التأخير، وذلك في كل ما أقرته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه وفي جنسه الذي كان فيه، كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ، والمفعول إذا قدمته على الفاعل، والتقديم لا على نية التأخير ولكن أن تنقل اللفظ عن حكم وتجعله في باب غير بابهِ وإعراب غير إعرابه، وذلك أن تجيء على اسمين يحتمل كل واحد منها أن يكون مبتدأ والآخر خبراً له، فتقدم تارة هذا على ذاك وأخرى ذاك على ذاك²).

فهو أسلوب عني بمخالفة لعناصر التركيب، وعن ترتيبها الأصلي في السياق فيتقدم ما الأصل فيه أن يتأخر، ويتأخر ما الأصل فيه أن يتقدم، والحاكم للترتيب الأصلي بين عنصرين يختلف إذا كان الترتيب لازماً أو غير لازم، فهو في الترتيب اللازم (الرتبة المحفوظة) حاكم صناعي نحوي، أما في غير اللازم (الرتبة غير المحفوظة) فيكاد يكون شيئاً غير محدد، ولكن هناك أسباب عامة قد تفسر ذلك الترتيب.

وهذا ما جعل البلاغيون يسرون على خطأ النحويين في هذا بحيث جعلوه الخلفية الوهمية وراء الصياغة الفنية التي يمكن أن يقيسوا عليها كمية العدول وكيفية التركيز مع الرتبة غير المحفوظة لما فيها من خروج عن الأصل وعدول عنه لدواع فنية وجمالية تضفي بعداً جمالياً في ترتيب الكلام، وهو مدار علم البلاغة³.

¹ . عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 72، وينظر: محمود السيد شيخون، أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، دت، ص: 04.

² . عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 154.

³ . ينظر: محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوب، ص: 269، 273.

فالتقديم والتأخير سمة أسلوبية لها عظيم الأثر في روعة الأسلوب وإبرازه في صورة حكيمة من الوفاء بالمعاني ومطابقتها لمقتضى الحال¹، والدراسة الأسلوبية تؤكد أن تحولات الصياغة ذات أثر مهم في تغيير المعنى أو اكتسابه دلالات جديدة، أو إحياءات جديدة، فالأصل أن يكون المقدم مقدما والمؤخر مؤخرا، ولكن هناك دواعي فكرية ونفسية كثيرة تطرأ على كيان المنشئ فتجعله يقدم مؤخرا، أو يؤخر مقدما، وليس ذلك من قبيل الترف أو تلوين الكلام وتزيينه²، يكسب الكلام جمالا وتأثيرا لأنه سبيل إلى نقل المعاني في ألفاظها إلى المخاطبين كما هي مرتبة في ذهن المتكلم حسب أهميتها عنده، فيكون الأسلوب صورة صادقة لإحساس المتكلم وصدق مشاعره³، يقول: "منير سلطان": حين نقدم مالا حق له في التقديم، نكون قد أحدثنا تغييرا في المواقع، وفي الصلاحيات، وفي الأضواء، وفي الأثر النفسي لأنه المقدم يحتل مركزا ممتازا، فهو أول ما تقع عليه العين، وأول ما تتأثر به، وأول ما تعجب به، وأول ما تقع النفس تحت أضوائه فتدشغل به، لأنه يستحق هذا، ولأنه في غير مكانه الذي تعودنا نراه فيه، ثم تأتي الألفاظ الأخرى، فتكون الشحنة التي استحوز عليها اللفظ المقدم قد قلت⁴. فكلما تعمقنا في بحرهما زاد إحساسنا بها وتأثرنا بجمالية ألوانه التعبيرية.

وتظهر أهميته الجلية في الأسلوب القرآني من خلال تكويناته التركيبية للجملة القرآنية، التي تحرص أن يكون التقديم، مشيرا إلى مغزى دالا على الهدف⁵، فكل تقديم وتأخير فيه كان لحكمة بالغة وقدرة فائقة، ليس هناك ما يفسد المعنى وإنما فيه الواضح الجلي البليغ، وليس هناك ما يقوم مقامه، وكأن المعنى يقتضي ما تقدم، أو تأخر اقتضاء

¹ ينظر: عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته الأسلوبية، ص: 79.

² ينظر: شلتاغ عبود، أسرار التشابه الأسلوبية في القرآن الكريم، دار الحجة البيضاء، بيروت. لبنان، ط: 01، (1424هـ/ 2003م)، ص: 84.

³ ينظر: عبد الفتاح لاشين، من أسرار التعبير في القرآن (صفاء الكلمة)، ص: 194.

⁴ ناصر بن عبد الرحمان بن ناصر الحنين، النظم القرآني في آيات الجهاد، ص: 298/297.

⁵ ينظر: أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، ص: 90.

طبيعياً بما يؤثر في المتلقي تأثيراً واضحاً¹، يقول الشيخ "عبد القاهر الجرجاني": "واعلم أنّه إذا كان بينا في الشيء أنّه لا يحتمل إلا الوجه الذي هو عليه، حتّى لا يشكل، وحتّى لا يحتاج في العلم أنّ ذلك حقه وأنّه الصواب، إلى الفكر وروية. فلا مزية وإنّما تكون المزية، ويكون الفضل إذا احتمل في ظاهر الحال غير الوجه الذي جاء عليه، وجهاً آخر، ثم رأيت النّفس تنبؤ عن ذلك الوجه الآخر ورأيت الذي جاء عليه حسناً وقبولها تعديماً، إذا أنت تركته إلى الثاني"².

1-2- صور التقديم والتأخير في سورة آل عمران

وسنتعرف على صوره في سورة آل عمران، بالوقوف عن أسباب وأسرار التي من أجلها تقدم اللفظ أو تأخر.

1. تقديم الخبر:

الأصل في المبتدأ أن يتقدم وأن يتأخر الخبر، لأن الخبر وصف للمبتدأ في المعنى فاستحق التأخير، إلا أنّ حالات توجب تقديمه فيها ولا يجوز تأخيرها، وهي:

- أن يكون المبتدأ نكرة ليس له مسوّغ للابتداء بها إلى بتقديم الخبر، والخبر يكون ظرفاً أو جاراً ومجروراً.
- إذا اشتمل المبتدأ على ضمير يعود على شيء في الخبر.
- إذا كان الخبر من الألفاظ التي تحتل الصدارة كالاستفهام، أو صلة من الموصول.
- إذا كان المبتدأ أنّ ومعمولها.
- إذا كان المبتدأ محصوراً في الخبر³.

وثمة حالات أخرى يقتضي فيها المقام الأسلوبى والدلالي تقديم الخبر على المبتدأ من غير إلزام قاعدي، أي جوازا، وهي:

¹ ينظر: محمد كريم الكوّاز، الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، ص: 309.

² عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 286.

³ ينظر: بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري، تسهيل شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك في النّحو، تقديم: حسني عبد الجليل يوسف، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع . القاهرة . مصر، ط: 01، (1421هـ / 2001م)، ص:

أ- إذا تساوى المبتدأ والخبر في التعريف، وأمن التباس أحدهما عن الآخر فلك أن تقول: محمد الليث بأسا، والليث محمد بأسا.

ب- إذا أردت إزالة الوهم وتحديد شيء من الأشياء، تقول: نجح محمد في مكان من كان يظن أنه راسب أو ناجح، وعلى هذا فهناك فرق بين قولنا: محمد ناجح، وناجح محمد، الأول اخبار ابتدائي لمخاطب لا يعلم ما الحدث، والثاني لمن يعلم الحدث دون تحديد طبيعته من النجاح أو الفشل.

ج- إذا أردت الافتخار: نحو: عربي أنا، للفخر بالنفس، بخلاف قولك: أنا عربي فيه إخبار عن النفس.

د- وقد يتقدم الظرف للتنبيه في أول الأمر على أنه خبر لا نعت، نحو: له صولة يشهد بها الأعداء، فلو قلت: صولة له يشهد بها الأعداء، لكان الجار والمجرور صفة لا خبرا، والخبر جملة: يشهد بها الأعداء¹.

ويجوز في (كان وليس) تقديم أخبارها على أسمائها، وذلك قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الروم، الآية: 47]، وقوله أيضا: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [سورة البقرة، الآية: 144]، مع مراعاة أحكام المبتدأ والخبر فيهما من حيث وجوب التقديم والتأخير أو جوازها، فالأحكام المعتمدة في الجملة الاسمية الخلية من الناسخ التي تعتمد عليها.

وإنَّ وأنَّ فلا يجوز تقديم الخبر على الاسم إلا إذا كان ظرفاً أو جاراً ومجروراً، وإنما جازوا تقديم الخبر إذا كان ظرفاً لاتساع العرب في الحروف والظروف²، ومثاله في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا﴾ [سورة الزمل، الآية: 12]، وقال أيضا: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ [سورة المائدة، الآية: 22].

¹ . عرض تقديمي منشور على عبر باور بونت من كلية المستقبل للجامعة.

² ينظر: أبي الحسن علي بن سليمان بن أسعد التميمي البكيلي، كشف مشكل في النحو، تح: يحي مراد، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان، د ط، 2004م، ص: 143/142.

وإذا نظرنا إلى تقديم الخبر في السورة الكريمة لوجدنا تستهدف أغراض دلالية ما كان أن تتحقق لو احتفظت بأصالة موقعها، ومن نماذجها:

- العناية والاهتمام:

قال الله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 13].

فبعد أن تقدّم بذرّ أهل الكتاب بصفة عامة ووصفهم بالصفات السيئة وغيرها من الأوصاف في قوله تعالى قبل هذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 24/23] استثنى من ذلك الفئة من أهل الكتاب واعتنى الكتاب بإنصافهم، واهتمام بأحقاق حقهم بواسطة "من" التبعية، فتقدمت ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ الواقعة خبراً عن المبتدأ "أُمَّةٌ قَائِمَةٌ"، لأجل "بيان أن أهل الكتاب ليسوا كذلك بل فيهم من يكون موصوفاً بالصفات الحميدة والخصال المرضية"¹، وهم قلة.

وقد جيء غرض الاهتمام أيضاً في ساقين متشابهين في نفس السورة، في قوله تعالى: ﴿أَتَى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 40]، وقوله أيضاً: ﴿أَتَى يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 47].

فتقديم الخبر كان (لي) على الاسمين (وَلَدٌ، وَغُلَامٌ) للاهتمام به ولكونه مصدر التعجب لكلا الآيتين، فزكريا كيف يرزقه الله بغلام وهو شيخ كبير وامرأته عاقرة؟، كيف لمريم أن ترزق ولداً وهي لم تتزوج بعد؟، فليست الغرابة في وجود غلام أو ولد، وإنما في استحالة وقوع ذلك.

¹. فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب التفسير الكبير، ج: 08، ص: 331.

- التخصيص:

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 189].
فقد تمّ تقديم الخبر "وَلِلَّهِ" على المبتدأ "مُلْكُ السَّمَاوَاتِ" للتخصيص، فملك
السموات والأرض مختص لله وحده دون غيره، أي: "مقصود عليه ومنحصر فيه، وبذلك
تحقق أفراد المولى عز وجل بهذه الملكية"¹.

وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ
أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرَ عَظِيمٍ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 172].

لقد خص الله بالأجر العظيم من استجابوا لدعوة الرسول للقتال على سبيل عقيدته
بدون وهن أو ضعف أو استكانة مع ما به من جراح شديدة وآلام مبرحة²، وذلك التخصيص
استفاد من تقديمه للخبر على المبتدأ، في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرَ
عَظِيمٍ﴾، كما أوجد تقديم الخبر على طول صلتته "تشويقاً للمسند إليه الذي قصر عليهم
،فهو جزاء الأوفى الذي يستحقونه لإجابتهم وإحسانهم وتقواهم"³.

ولا يخفى أثر التقديم في وقع الفاصلة وزيادة التناسق اللفظي بين الآيات، بخلاف لو
كانت الجملة خالية من التقديم والتأخير، وكانت على هذا النسق: أجر عظيم للذين أحسنوا
منهم واتقوا.

- التوكيد:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُوءُونَ آلْسِنَتَهُمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 178].

¹ عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط: 01، (1430هـ / 2009م)، ص: 120.

² ينظر: محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، تفسير سورة آل عمران، ج: 02، ص: 451.

³ علي أبي قاسم عون، بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2006م، ج: 02، ص:

تم تقديم الخبر "منهم" فأضفى تأكيداً على تأكيد أنّ بوجود ثلة من اليهود تحرف القرآن، ولام التأكيد المتصلة باسم إنّ مؤخر ضاعفته¹، وأن سبب تظافر المؤكدات لغرض رد الإنكار من المنكر وتوكيد التهمة لهم دون غيرهم كما يفهم من تقديم الخبر "التنبيه"² على عظم فعلهم الشنيع، وعلى "التبويض"³ تمثل في قوله "مِنْهُمْ لَفَرِيقًا" بإنصاف منه . سبحانه وتعالى للفرقة الذي لم يرتكب هذا الفعل وهو تحريف كلامه عز وجل، وتلك عادة القرآن في أحكامه لا يظلم أحداً، ولكنّه يمدح من يستحق المدح، ويذم من يستحق الذم⁴.
ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 190].

حيث تقدم الخبر. الجار والمجرور. وما عطف عليه مع "أنّ" لتوكيد مضمون الجملة وتحققه، أي: إنّ في إيجاد السماوات والأرض وإنشاءهما على ما هما عليه من عجائب، وما اشتملتا عليه من عجائب⁵.

وفي هذا تنبيه للمتلقى على عظم السماوات والأرض، وأهمية التأمل في ملكوت الله والتبصر بآياته وتدبر خلقه، لأنّ فيه ما ينبه العقول النيرة على جميع المطالب الإلهية⁶.

وإنّ تقديم الخبر على طوله فيه تشويق لذكر المتأخر، مما يجعل السامع في حالة تلهف واستعجال لمعرفة ما به خلق السماوات والأرض؟ فيجيبه بعد ذلك: ﴿لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾. فيتمكن بعدها الأمر في النفس.

¹ . ينظر: ابن الجوزي، زاد الميسر في علم التفسير، ص: 205.

² صبح سعيد خلدون، التقديم والتأخير في القرآن الكريم (بلاغ وإبلاغ)، دار الينابيع، مصر، دط، 2002م، ص: 153.

³ . الحسن بن قاسم المرادي، الجني الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، ط: 01، (1413هـ/1992م)، ص: 309.

⁴ ينظر: محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم. تفسير سورة آل عمران، ج: 02، ص: 208.

⁵ المرجع نفسه، ج: 02، ص: 490.

⁶ ينظر: ابن الجوزي، تيسير الكريم الرحمان، ج: 02، ص: 161.

-التعجيب:

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بَدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 75].

تم تقديم المسند (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) في الموضعين على الخبر للتعجيب من مضمون صلة المسند إليهما ففي الأول للتعجيب من قوة الأمانة مع إمكان الخيانة ووجود العذر له في عادة أهله دينه، وفي الثاني للتعجيب من أن يكون الخون خُلُقًا لمتبع كتاب من كتب الله، ثم يزيد التّعجب عند قوله في ختام الآية ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾ فيكسب المسند إليها زياد في التّعجب¹.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 101].

تم تقديم الظرف الواقع خبراً (وفيكلم) على المبتدأ (رَسُولُهُ) كان لتأكيد معنى الاستبعاد الكائن في الاستفهام قبله، ولكونه كينونته صلى الله عليه وسلم فيهم هي مناط التّعجب²، إذ لا ينبغي وقوع الكفر والرسول صلى الله عليه وسلم معهم، فالغرض منه التوبيخ كما تطرق إليه البعض، لأنّ الكفر لم يقع منهم، فيوبخوا عليه، بل الخطاب موجه للمؤمنين ولذلك قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [سورة آل عمران، الآية: 102]، كما يفهم من تقديم الخبر تعجيل

¹ ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 03، ص: 285.

² ينظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم السبع المثاني، ج: 04، ص: 233، وللتوضيح المسألة: يوجد في الواقع آية شبيهة تم تقديم فيها الخبر على المبتدأ الغرض منها الزجر والتوبيخ، في قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ سورة الحجرات: 07، (ينظر: المرجع نفسه، ج: 04، ص: 233) فغرض التوبيخ واضح مقارنة بسورة آل عمران، لكون آية الحجرات هذه نولت وقد صدرت من قوم ما يستحق التوبيخ والزجر وهو قول الباطل، وافتراء الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم، أما الآية آل عمران فقد بان أنّه كان تعجيباً من كفرهم. لو وقع. والرسول موجود بينهم. (ينظر: جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 05، ص: 634/ ج: 21، ص: 345).

تشريف المؤمنين بظرفية الحضور والمشاهدة الحقيقية للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤذنة بمنقبة عظيمة¹، ومنه جليلة، وهي وجود هذا الرسول العظيم بينهم، تلك المزية التي فاز بها أصحابه المخاطبون².

2. تقديم مفعول به:

إنَّ الأصل في ترتيب الجمل الفعلية البدء بالفعل يليه الفاعل، فالمفعول به، وهذا هو النمط التقليدي للجملة الفعلية، ولكن قد تلجأ سور القرآن إلى عدول عن ذلك، فتقدم المفعول وتجعله يحتل موقع الصدارة لأغراض جمالية، ولإبراز قيمة المفعول به ومكانته.

- الاهتمام:

قال الله تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 140].

فالآية تشير بوجود شاهدين في الآية خص فيها تقديم المفعول على الفاعل، فالأولى: قدّم المفعول على الفاعل في قوله: ﴿يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ لأنّه ضمير متصل والفاعل اسم ظاهر³، فالغرض من تقديمه اهتمام بشأن المخاطبين من صحابة الرسول الله وما مسّهم من قرح في غزوة أحد، والثاني: قدّم المفعول الظاهر (القوم) والمقصود به العدو، على فاعله (قرح)، فخص بالاعتناء بالمسلمين ومواساتهم لما أصابهم من قرح، وتخفيف حزنهم بأنّ الذين نالوا منكم قد مسهم قرح مثله، وليس المهم في هذا المعرض ذكر القرح، وإنّما المهم من أصابه القرح، فذلك يعجل التّسليّة العظيمة لهم بإيجاد مقابلة من خلال إخبارهم عن القوم المشركين الذين قد أصابهم يوم بدر من القرح ما أصابكم يوم أحد، والانسان إذا علّم عدوّه أصابه كرب النّفسي عيّنه، فإنّها تهون عليه مصيبتة⁴.

¹ عبد الحق بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير كتاب العزيز، ج: 01، ص: 482.

² ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 04، ص: 29.

³ ينظر: خالد عبد الله الأزهرى، شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، ج: 01، ص: 283.

⁴ ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 01، ص: 100.

كما أنّ في تقديم المفعول على الفاعل في موضع الثاني رعاية للفاصلة والتناسب مع المفعول المقدم على الفاعل في موضع الأول، وبذلك تحقق التوازن بينهما¹.

ومنه، قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 107].

تمّ تقديم المفعول "تأويل" على الفاعل هو لفظ الجلالة "الله وجوبا، وسبب في جعله يتقدم عن فاعلة هو الحصر، "فالآية تتحدث عن آيات القرآن الكريم، فمنها أم الكتاب، ومنها ما هو محكم، وهناك من يحاول تأويل هذه الآيات، ثم حصر الله تعالى علم التأويل القرآن على وجهه الصحيح بنفسه، فهو القادر على تأويل الكتاب العزيز"².

فبإضافة الحصر أدخل توكيدا للمعنى، ونحن نعلم أن الحصر والقصر أسلوبان من أساليب التوكيد المعنوي، بأنّ لله سبحانه على علم ودراية بتأويل كتابه من المحكم والمتشابه وأمّ الكتاب ولا أحد من غيره يعلم ذلك. وإنّ الغرض من تقديمه لبيان أهمية المفعول، فتأويل آيات القرآن أمر مهم لحياة الانسان ولرسالة الانسان الخالدة، ولبيان أهميته جاء القرآن بهذا التركيب.

3. تقديم الجار والمجرور:

يأتي تقديم شبه الجملة من الجار والمجرور لأغراض جمالية كثيرة منها العناية والاهتمام بالعنصر المقدم، ومن أمثلته في السورة:

1. تقديم الجار والمجرور على الفاعل:

جاءت كلّ شواهد هذه السورة وفق الغرض التالي:

¹. علي أبي قاسم عون، بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، ج: 02، ص: 635.

². أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 06، ص: 194.

- الاهتمام:

قال الله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 37].

ففي قوله: "كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا" تقدم الجار والمجرور "عَلَيْهَا" على الفاعل: زَكَرِيَّا. لإظهار كمال العناية بمریم والاهتمام بأمرها¹، وما حصل لها في ذلك المكان المقدس من كرامات²، فإنها هي ((المحور الذي تدور حوله الأحداث فهي التي تقصد، وهي التي يراعي ما يهمها))³.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 195]، فقد تقدم الجار والمجرور على فاعل الفعل في قوله: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ من باب الاهتمام بشأن الداعين الأخبار المتضرعين إلى الله - في الآيات السابقة لهذه الآية - وبشاركم برضاه عنهم وسرعة استجابته لدعائهم⁴ وتحقيق مطالبهم؛ لاستحقاقهم ذلك مقابل أعمالهم التي قدموها على الدعاء ، لا مجرد الدعاء فقط⁵.

¹ . ينظر: أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج: 02، ص: 30 ، الفتح القدير، ج: 01، ص: 274.

² . ينظر: ناصر الدين بن أبي سعيد عبد الله عمر بن محمد الشيرازي، أسرار التنزيل أسرار التأويل المسمى تفسير البضاوي، ج: 01 ، ص: 157، وعبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، ج: 01، ص: 129.

³ . محمد حسن باجودة، تأملات في سورة آل عمران، دار البلاد، مصر، دط، 1989، ص: 148.

⁴ . ينظر: محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم. تفسير سورة آل عمران، ص: 494- 495.

⁵ . ينظر: أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج: 2، ص: 133.

وفي قوله تعالى: ﴿لَا دُخْلَ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 195].

فقد تم تقديم الجار والمجرور "مِنْ تَحْتِهَا" على فاعل الفعل تجري وهو "الْأَنْهَارُ"، وذلك "لإظهار الاهتمام بالتحية التي تنساب فيها المياه إيذاناً بدوام الحياة وتشويقاً إلى هذا النعيم المقيم"¹.

2. تقديم الجار والمجرور على نائب الفاعل:

وكانت شواهد وفق الغرض التالي:

-الاهتمام:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 154].

تم تقديم الجار والمجرور على نائب الفاعل "الْقَتْلُ" ويفهم من ذلك الاهتمام بتأكيد نفاذ قضاء القتل المكتوب فيمن كتب عليه ذلك كتابة قدرية² والحذر لا يدفع القدر والتدبير لا يقاوم التقدير، فالذين قدر الله عليهم القتل في يوم أحد لأبد وأن يقتلوا على جميع التقديرات³، وإن هذا التأكيد يحمل مبالغة في الرد على المنافقين الذين قالوا: لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا" وإبطالا قويا لمقولتهم هذه حيث لم يقتصر سبحانه وتعالى على تحقيق القتل نفسه متى قدره، بل عين مكانه أيضا "إِلَى مَضَاجِعِهِمْ"⁴.

ومنه قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 112].

¹ . علي أبي قاسم عون، بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم ، ج: 2، ص: 792.

² . ينظر: محمد بن صالح العثيمين، تفسير ابن العثيمين (تفسير القرآن الكريم)، ج: 2، ص: 333، وقد أثرت هنا إلى أن لفظ ﴿كُتِبَ﴾ بمعنى فرض كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة 183] فالكتابة هنا كتابة شرعية لا قدرية). ينظر: المرجع نفسه، ج: 2، ص: 331.

³ . ينظر: فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب التفسير الكبير، ج: 09، ص: 51.

⁴ . ينظر: أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج: 02، ص: 102.

فقد جاء الجار والمجرور مقدما على نائب لفاعل في موضعين: الأول في "ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ" أي التحفت اليهود الذلة التحاف الخيمة بمن ضربت عليه¹، فأحاطت بهم كما أحاط البيت المضروب ساكنه من جميع جوانبه فهي محيطة بهم بجميع جوانبه²، وفي هذا تقرير لهم وتأنيب، فليس المهم معرفة ما الذي ضرب عليهم، بل المهم إعلان إحاطته بهم تمام الإحالة للإيغال في ذمهم³.

والثاني في "وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمُسْكَنَةُ" لقد اجتمع فيه غرض الاهتمام مع غرض رعاية النظم بناء على التقديم في الموضع الأول من الآية، ولو أنها في موضعها الثاني جاءت على الأصل من تقديم نائب الفاعل على الجار والمجرور لما وجدت في الآية الجريان والسلاسة التي هي عليه الآن.

4. تقديم العامل على المعمول:

قد يتقدم أحد المكملات على الجملة الاسمية أو الفعلية على أركانها، وتسمى متعلقات به أو معمولات له، كالفاعل والضمائر، والضمائر المتعلقة بالفعل والحال والظرف والجار والمجرور وغيرها، ومثلها الاسم المشتق لوجود معمول له.

ويتقدم العامل (فعل أو اسم مشتق) على المعمول، لأن ذلك هو الأصل، وقد يعكس الأمر فيتقدم المفعول كالمفعول به والجار والمجرور وظرف على العامل، وتزايد الأغراض الذي يحققها التقديم بين أن يكون غرض حقيقي، كرد الخطأ للمخاطب، كقولك لمن اعتقد أنك صدقت إنسانا وأنه غير عمر (عمرًا صدقت)، وإذا أردت تأكيد كلامك وتقديره في نفس سامعه قلت (عمرًا صدقت لا غير)، أو لتحقيق أغراض بلاغية وأسباب فنية يقتضيها سياق المقام.

¹. ينظر: الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص: 313/312.

². ينظر: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج1، ص: 393.

³. ينظر: عز الدين محمد الكردي، التقديم والتأخير في القرآن الكريم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، دط، 2007، ص: 191/192.

1. تقديم المتعلق عليه على الفعل:

من أسباب تقدم متعلق الفعل عليه:

- الاهتمام:

قال الله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 83]

إن سري في تقديم المفعول "أَفَغَيْرَ" على عامله "يَبْغُونَ" لأنه أهم منه، ولكونه محط إنكار على من أراد دينا غير دين الله، قال "الزمخشري": "قدم المفعول الذي هو (غير دين الله) على فعله لأنه الأهم من حيث الذي هو معنى الهمزة متوجه إلى المعبود بالباطل"¹، فلا بد أن يوبخوا عليه ويحذروا منه.²

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 117].

ففي الآية تقديم المفعول (أنفسهم) على فعله (يظلمون)، لاهتمام بتأكيد ظلمهم لأنفسهم فاستحقوا عقاب الله، فمقام التقديم ليس الحصر وإلا لا تتطابق الكلام، لأن مقتضاه وما ظلمهم الله ولكن هم يظلمون أنفسهم لا أنهم يظلمون أنفسهم لا غيرهم³، وفي هذا تسفيهه ضمني لعقولهم وتهكم واستهزاء، لأن الانسان العاقل لا يظلم نفسه بتعذيبها بهذا الظلم.⁴

وفي الآية الكريمة لطيفة بلاغية ردُّ العجز على الصدر، تمثلت في وجود لفظتين متجانستين تتكرران في أولها وآخر، وتتاُم ذلك بين "ظلم" وبين "يظلمون".⁵

¹ . أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل، ج1، ص: 372.

² . عبد العظيم ابراهيم محمد المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم، ج: 01، ص: 172.

³ . ينظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم السبع المثاني، ج: 04، ص: 253.

⁴ . ينظر: المرجع نفسه: ج: 04، ص: 253.

⁵ . ملك حسن عبد الرزاق، أسرار التنوع في تشبيهات القرآن الكريم، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في البلاغة، قسم الدراسات العليا العربية (فرع الآداب)، المملكة العربية السعودية، 1409هـ/1410هـ، ص: 152.

- الاختصاص:

قال الله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبِغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 83].

في الآية الكريمة شاهدان حيث: تمثل: في تقديم الجار والمجرور (ولهُ) على المتعلق به وهو الفعل (أَسْلَمَ) لإفادة الاختصاص، فهو تقديم "يفيد الحصر، وله أسلم جميع ما سواه لا لغيره. فهي الآية تفيد أنّ واجب الوجود واحد وأنّ كل ما سواه لا يوجد إلا بتكوينه، ولا يفنى إلا بفنائه"¹، ويفيد تأكيد الإنكار²، للجملة الواردة قبلها "أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبِغُونَ".

وتقديم المتعلق "إليه" على المتعلق به الفعل "يرجعون" لإفادة التخصيص "أي إليه وحده يرجع الخلق فيجازي كل مخلوق بما يستحقه من خير أو شر"³، وإليه وحده "تأخذهم قبضة... عظيمة لا يعرفون لها جهة ولا يستطيعون لها دفعا ولا لها ردًا"⁴. وجاء لغرض آخر رعاية الفواصل فما قبلها وما بعده ينتهي بفاصلة نونية.

2. تقديم متعلق الاسم المشتق عليه:

ومن أسباب تقدّم متعلق الاسم المشتق عليه:

- الاهتمام:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 120].

¹ . محي الدين زاده محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجاوي الحنفي، تفسير القاضي البيضاوي، ضبطه وصححه محمد عبد القاهر شاهين، دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان، ط: 01، (1419هـ/ 1999)، ص: 107.

² . ينظر: أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج: 02، ص: 54.

³ . محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم. تفسير سورة آل عمران، ج: 02، ص: 222.

⁴ . علي أبو قاسم عون، بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، ص: 637.

لقد تم تقديم متعلق الخبر إنَّ عليه ، ولم يقل :إن الله محيط بما يعلمون أصل الجملة لأنَّه يقدمون الأصل والذي هم بشأنه أولى¹ ، "لكونه السياق في ذكر أعمال الكافرين والمنافقين في حياتهم الدنيا ونهى المؤمنين عن التعلق بهم" ، فتقدم المتعلق لبيان اهتمام بأنَّ الله بما يعلم هؤلاء الكفار عبادته، وبلاده من الفساد وصدَّ عن سبيل الله، وعداوة لأهل دينه وغير ذلك من معاصي الله محيط بجميعه حافظ له لا يعرب عنه شيء حتى يوفيهم جزاءهم على ذلك كله ويذيقهم عقوبة الله² ، وليس المقصود هاهنا كونه تعالى عالماً ، فلذا قدّم ذكر العمل³.

- التّخصيص:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 84].

تم تقدّم المتعلق الجار والمجرور "وله" على المتعلق به الاسم "مسلمون" لإفادة الاختصاص، "ليُعلم أنّ هذا الإذعان والإيمان والاستسلام لا غرض فيه إلا وجه الله دون شيء آخر من طلب المال والجاه"⁴.

- فالتّقدير: "له أسلمنا لا لغرض آخر من سمعة ورياء وطب مالٍ، وهذا تنبيه على أنّ حالهم بالصدّ من ذلك فإنّهم لا يفعلون ولا يقولون إلاّ للسمعة والرياء وطلب الأموال"⁵.

¹ . فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب التفسير الكبير، ج: 08، ص: 222.

² . ينظر: جعفر محمد بن جرير الطّبري، تفسير الطّبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 05، ص: 726.

³ . فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب التفسير الكبير، ج: 08، ص: 222.

⁴ ينظر: عبد العظيم ابراهيم محمد المطعني وعلي جمعة، دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم (دراسة تحليلية)، مكتبة وهبة، القاهرة، ط: 01، (1462هـ/2005م)، ص: 271.

5 فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب التفسير الكبير، ج: 08، ص: 137.

- التأكيد والتقوية:

كان الغرض في عدة آيات¹، منها قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 165].

لقد تم تقديم المتعلق الخبر الآلية في آخر الآية، لبيان أن الله يرى ما تعلمون من خير وشر، فاتقوه أيها المؤمنون، إنه محصٍ ذلك كله، حتى يجازي كل عامل بعمله على قدر استحقاقه²، ولعل الغرض منه توكيد نهيم وتحذيرهم لما فيها في قوله تعالى: ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾، ولتقوية الوعيد لمن خالفه³.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 107].

تم تقديم الظرف "فيها" على الخبر "خالدون" لتأكيد المعنى وتقويته، فالجمله وقعت جوابا لما نشأ من سياق الآية كأنه قيل: "كيف يكونون فيها؟ فأجيب بما ترى بتقديم الظرف المكاني العائد على الجنة. لتأكيد كينونتها⁴.

2- الحذف:

2-1- تعريفه:

أ. لغة:

يدور الحذف في اللغة حول معانٍ ثلاث وهي (القطع، والقطف والإسقاط)، ومعنى (القطع) ورد في لسان العرب: "حذف الشيء يحذفه حذفاً، قطعه من طرفه"⁵.

¹ ينظر في آيات السورة.

² جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 05، ص: 281.

³ عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبو زيد الثعالبي المكي، تفسير الثعالبي المسعى الجواهر الحسان في تفسير القرآن، دار احياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط1، 1997، ج: 01، ص: 306.

⁴ ينظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم السبع المثاني، ج: 04، ص: 32، ينظر: أبو الحيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج: 03، ص: 28.

⁵ ابن منظور، لسان العرب، ج: 09، ص: 39.

والمعنى الثاني . القطف . قد أورده الخليل بن أحمد الفراهيدي في معجمه العين: "قطف الشيء من طرف كما يحذف طرف ذنب الشاة"¹، وهنا أطلق الحذف على عملية قطع طرف شيء، والقطف هو أخذ شيء من الشيء.

والمعاني الثالث (الإسقاط) جاء به الصحيح الجوهري: "حذفه الشيء: إسقاطه، يقال: حذف شعري والدابة، أي أخذته"².

ويبقى معنى الإسقاط المحور الموجه للمعنى الاصطلاحي الذي يعني بإسقاط حركة أو كلمة أكثر أو أقل، ولكن يبقى معناه عام غير مقيد بشرط، لم توضح الظاهرة لغويا ولم يشير إليها نحويا.

ب. اصطلاحا:

يعد الحذف من أهم صور العدول عن الأصل، اهتم بالحديث عنه علماء النحاة والمفسرين وأهل بلاغة، وقد تحدد وفق مجال أصحاب الفن وطريقة تناوله:

فقد عرّفه "ابن سراج" (ت 316هـ) بأنه: "إسقاط لصيغ موجودة في النص إما يحدث تغيير إعرابي للصيغ الباقية، وإما تثبت على ما كانت عليه"³.

وعرفه "الرّماني" (ت 284هـ) بأنه: "إسقاط كلمة بخلف منها يقوم مقامها"، أو هو "إسقاط كلمة للاجتزاء عنها، بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام"⁴.

وعرّفه الباقلاني (ت 403هـ) بأنه: "إسقاط للتخفيف كقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ يوسف: 62، وقوله: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ [سورة محمد، الآية: 21]، والتقدير: اسأل أهل القرية، وطاعتهم طاعة معروفة"⁵.

¹ . خليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، ص: 201، 202. مادة (ح ذ ف)

² . أبو النصر اسماعيل بن حماد الفارابي الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ص: 233.

³ . أبي بكر محمد بن السري بن شهل النحوي المعروف بابن السراج، الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 03، (1417هـ/ 1996م)، ج: 02، ص: 265 / 266.

⁴ . علي بن عيسى الرّماني، النكت في إعجاز القرآن - ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، ص: 76.

⁵ . أبو بكر بن الطيّب الباقلاني، إعجاز القرآن، ص: 262.

أما "علي أبو مكارم" عرفه: "هو إسقاط الصيغ داخل التراكيب في بعض المواقف اللغوية وهذه الصيغ يفترض وجودها نحويًا لسلامة التراكيب وتطبيقًا للقواعد هي مودودة أو يمكن أن توجد في مواقف لغوية مختلفة"¹.

وإذا ما تتبعنا تعاريف أخرى لظاهرة الحذف اصطلاحًا لوجدنا علماء اللغة يتفقون جميعًا على أنه إسقاط جزء منه لدليل، وأما قول النحويين: الحذف لغير دليل، ويسمى اقتصارًا، فلا تحرير فيه، لأنه لا حذف فيه بالكلية كما سنبينه فيما يلتبس به الإضمار والإيجاز.

وقد أقدم "الزركشي" (ت794هـ) في تحديد الفروق بين الإضمار والحذف في قوله: "أنَّ شرط المضمر بقاء الأثر المقدر في اللفظ، نحو ﴿وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 19]، أي اتقوا خيرا لكم، وهذا لا يشترط في الحذف، ويدل على أنه من إضمار من ملاحظة المقدر باب الاشتقاق، فإنه من أضمرت الشيء، أخفيته، وأما الحذف فمن حذفت الشيء: قطعته، وهو يشعر بالطرح بخلاف الإضمار، ولذلك قالوا: "أن" تنصب ظاهرة ومضمرة"².

وبين الإيجاز والحذف في قوله: "أن يكون في الحذف ثم مقدر، نحو: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [سورة يوسف، الآية: 82]، بخلاف الإيجاز، فإنه عبارة عن اللفظ القليل الجامع للمعاني الجملة بنفسه"³.

وقد ذهب "في تفريقه للمصطلحين، استنادًا إلى أصل الاشتقاق اللغوي: "فقولنا أضمرت الأمل من كذا في كذا، غير قولنا: قطعت الأمل، فكأنَّ الإضمار يشعرنا بأننا ننظر إلى المضمر من وراء ستر رقيق، فهو كالموجود الظاهر بخلاف المحذوف إذ نلاحظ خلة موضعه منه، وكذلك فإننا في الإضمار لا نحتاج إلى أي جهد في معرفة المضمر بخلاف الذي يحتاج تقديره في كثير من الأحيان إلى شيء من التأمل.

¹ . علي أبو المكارم، الحذف والتقدير في النحو العربي، دار غريب . مدينة نصر. القاهرة، دط، 2007م، ص: 200.

² . أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهار الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص: 102 / 103.

³ . علي أبو المكارم، الحذف والتقدير في النحو العربي، ج: 03، ص: 102/103.

فما جاء لغاية بلاغية، وكان له أثر في نسميه حذفاً وما كان لغير ذلك كالذي تقتضيه الصناعة النحوية فنسميه إضمار¹.

فالحذف ظاهرة تتصف بها جميع اللغات الانسانية، ولكنها أكثر وضوحاً وثباتاً في اللغة العرب، إذ يميل إليها العربي رغبة في الإيجاز، على أن لا تكون الألفاظ لفرط إيجازها قد ألبست المعنى وأغمضته، فتحتاج في استنباطه إلى طرف من التأمل ودقيق الفكر، وقد ذكّر أن "جعفر بن يحيى بن خالد" كان يقول لكتابه: "إن استطعتم أن يكون كلامكم مثل التوقيع فافعلوا"²، فالحذف هو نوع التأليف شريف لا يكاد يلجأ إلا فرسان البلاغة ومن ضرب فيها بالقدح المعلّى، وذلك لعلو منزلته، وبعد منا له³.

وبما أنّ القرآن نزل متحدياً اللغة العرب، فلا بد من أنّه فيه أعلى درجات الإيجاز وأعلى مما ألفوها في كتاباتهم، فيصبح العربي مذهولاً أمام معجزته، فينكب عليها دون أن يبدي عيباً في إيجازه أو إطنابه "فمن عادة العرب الإيجاز والاختصار والحذف طلب لتقصير الكلام واطرح فضوله، واستغناء بالقليل من الكلام عن الكثير مواضع كثيرة نزلت من الحسن في أعلى منازلها، ولو أفردنا لما في القرآن من الحذوف الغريبة، والاختصارات العجيبة لكان واجباً"⁴.

¹ . حيدر حسن عبيد، الحذف بين النحويين والبلاغيين (دراسة تطبيقية)، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان، دط، دت، ص: 18.

² . أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص: 244.

³ . ضياء الدين بن الأثير الجزري، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، تح: مصطفى جواد وجميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي، العراق، دط، (1956م / 1375هـ)، ص: 122.

⁴ . الشريف المرتضى بن الحسين الموساوي العلوي، آمالي غرر الفوائد ودرر القلائد، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، ط: 01، (1373هـ / 1954م)، ص: 309.

وقد كان لعلماء اللغة العربية دور كبير في رسم صورة واضحة الجمالية الحذف، وأول من تفتن من النّحاة "سيبويه" (لظاهرة الحذف في اللسان العربي ومما لها من أثر جمالية في الكلام، وأشار إلى بعض من أسرارها البلاغية كما تحدث عن قرائن الحذف وبين ما يكون مستحسنًا وما يكون مستهجنًا، في باب ما يكون في اللفظ من الأغراض¹، فيقرر أن العرب "يحذفون الكلم، وإن كان أصله في الكلام غير ذلك، ويحذفون ويعوضون، ويستغنون بالشيء عن الشيء الذي أصله في كلامهم أن يستعمل حتى يصير ساقطًا..."²، فالحذف المستحسن أو الحسن في كلام العرب إذا وضع في موضع مناسب، ويشترط أن يكون في الكلام المذكور ما يدلّ عليه وليتمكن من معرفته وإلا صار الكلام لغزا ومخلا بالفهم وبعيد عن الفصاحة، وهو ما يؤكده "ابن سراج": "واعلم أنّ جميع ما يحذف فإنّهم لا يحذفون شيئًا وإلا وفيما أبقوا دليل على ما ألقوا"³.

وقد تحدث "ابن جني" عن الحذف في باب مستقل سماه "باب الشجاعة العربية"⁴، وتعود سبب التسمية لأمرين: أولها أنّ الحذف إسقاط بعض أجزاء الكلام، ويستوجب ذلك التّشجيع في الكلام⁵.

وثانيهما: أن الأسلوب أسلوب بليغ من الكلام العرب يتكلم به من آتى بالفصاحة والبلاغة ولا يستطع سواه من العامة إتيان به، فالرجل الذي يوظف الحذف في كلامه كالرجل الشجاع الذي يقتحم الأشياء لا يستطيع غيره القيام بها⁶.

¹ ينظر: عبد العليم بوفاتح حسين أحمد كتانة، تراكيب اللغة بين النحو والدلالة (دراسة نحوية بلاغية لتراكيب اللغة العربية)، ص: 128.

² . الكتاب، سيبويه: ج: 02، ص: 128.

³ . أبي بكر محمد بن السري بن شهل النحوي المعروف بابن السراج، الأصول في النحو، ج: 02، ص: 254.

⁴ ينظر: أبي الفتح عثمان ابن جني (ت392هـ)، الخصائص، ج: 02، ص: 360.

⁵ ينظر: جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تج: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان، ط: 01، 1988م، ج: 01، ص: 234.

⁶ ينظر: يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم اليمنى العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج: 02، ص: 131/132.

وقد بين "ابن جني" الأقسام التي تحذف في أجزاء الكلام عند العرب، موضحاً كل

قسم منه بأمثلة وشرح، مع وضع شرط مهم في الحذف ألا وهو الدليل، إذ يقول: "قد حذفت العرب الجملة والمفرد، والحرف، والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته"¹.

لما كان الحذف اقتطاعاً لبعض أجزاء الجملة التي بها تتم المعنى، ينبغي توفر له شروط حتى لا يختل تركيب بنية الجملة وينقص من معناها، وقد حاول "ابن هشام الأنصاري" حصر هذه الشروط²، أهمها: وجود دليل حالي أو مقالي على المحذوف.. وإذا كان المحذوف فضلة لا يشترط وجود دليل، ولكن يشترط أن لا يكون في حذفه ضرر معنوي....، وأن يكون ما يحذف كالجزء، فلا يحذف الفاعل ولا نائبه، ولا مشبهه، أن لا يكون مؤكداً، لأن الحذف المبني على الاختصار والتأكيد مبني على الطول، وأن لا يؤدي حذفه إلى تهيئة العامل للعمل وقطعة عنه، ولا بإعمال العامل الضعيف مع إمكان إعمال العامل اللغوي... أن لا يؤدي حذفه إلى اختصار المختصر...، وأن لا يكون عاملاً ضعيفاً...، وأن لا يكون عوضاً عن شيء محذوف...، أن لا يؤدي حذفه إلى تهيئة العامل للعمل وقطعة منه، ولا إلى إعمال العامل الضعيف مع إمكان إعمال العامل قوي"³.

يشترط في واقع اللغة وجود دليل على المحذوف أي القرينة التي تعين على إدراك العنصر أو العناصر المحذوفة، ويليه في الأهمية أن لا يفضي الحذف إلى اللبس في المعنى، وهو ما ينبه عليه "عباس حسن" في قوله: "إنَّ الحذف الجائز في كل ما يدل الدليل عليه بشرط ألا يتأثر المعنى بحذفه ويريدون بالدليل: القرينة الحسية، ومنها اللفظية أو العقلية التي ترشد إلى لفظ المحذوف ومعناه، وإلى مكانته في جملته، ويردون بعدم تأثر المعنى بقاءه على حالة قبل الحذف، فلا ينقص ولا يصيبه لبس أو خفاء"⁴.

¹. أبي الفتح عثمان ابن جني (ت392هـ)، الخصائص، ج: 02، ص: 360.

² ينظر: ابن هشام الأنصاري جمال الدين، المغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تج: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط6، 1985، ج: 02، ص: 265 / 259.

³ المرجع نفسه، ج: 02، ص: 610.

⁴. عباس حسن، النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، ص: 46.

وبقية الشروط الأخرى فليس لها أهمية، فبعضها لا يصلح أن يذكر باعتباره شرطاً، والبعض الآخر لم يسلم من الخلاف في الأخذ به من قبل النّحاة¹.

والواقع أنّ البلاغيين لم يهتموا بظاهرة الحذف على إطلاقها في أساليبهم الفنية وإن كان تركيز النّحاة منصبا على لونين من الحذف واجب والآخر جائز فإنّ صور الحذف التي توقف عليها البلاغيين إزاءها لا تنتهي إلى هذا النمط الأخير (أي الحذف ما يجوز ذكره) ومغزى ذلك أنّ الحذف الفني في نظرهم ليس هو الحذف الحتمي الذي يكون فيه ذكر المحذوف من الخطأ الذي يقره نظام اللغة، بل مقصور على مواضع التي تكون فيها ترك الذكر كما يقول "عبد القاهر الجرجاني": "أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة، أزيد إفادة، وتجدر أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبين"². فالحذف في نظره وغير من البلاغيين هو الحذف المتخير الذي تتجلى قيمته الفنيّة في تخيّر، عن طريق مقارنته بالذكر الذي لا ينهض بما يقوم به في سياقه الخاص من وظائف فنيّة³.

وإن كان عبد القاهر الجرجاني اكتفى بهذا التعليل، إلى أنّ من جاءوا بعده ذهبوا إلى أبعد منه فأولوا العناية بالمتلقي وما يستحضره من معاني أوسع مدى من التأويلات الممكنة لا يمكن أن تجد لو ذكره، كقول "الخطابي" في تعليل حذف جواب الشرط: "إنّ الحذف في مثل هذا أبلغ من الذكر، لأنّ النفس تذهب في الحذف كل مذهب، ولو ذكر لكان مقصورا على الوجه الذي تناوله الذكر"⁴، ويقاربه في القول "ابن رشيق" في تعليقه بلاغة الحذف "إن كان... معدودا من نوع البلاغة لأنّ "نفس السامع تتسع في الظن والحساب، وكل معلوم فهو هين، لكونه محصور"⁵.

¹. ينظر: طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية، جامعة الإسكندرية، دط، 1998م، ص: 151.

². عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 111.

³. ينظر: حسن الطبل، المعنى في البلاغة العربية، دار الفكر العربي - مصر - القاهرة، ط: 01، (1412هـ / 1998م)، ص: 183.

⁴. أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطّاب البستي الخطابي، بيان إعجاز القرآن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، ص: 52.

⁵. أبي علي الحسن ابن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تح: النبوي عبد الواحد الشعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 01، (1420هـ / 2000م)، ج: 01، ص: 253.

وقد حددوا سياقات الحذف التي ينضوي تحتها شرطين للحذف ألا وهما:

- وجود ما يدلُّ على المحذوف.

- وجود السياق الذي يترجَّح فيه الحذف.

فالحذف تقنية أسلوبية تعكس جمالا على الإنتاج الأدبي، يستند إليها المبدع يرتقي بكلامه إلى مستواه الفني يزخر بشحنات دلالية، يتميز بحسن السبك وقوة التماسك، التي تساهم في إثراء النص الأدبي، تتمثل في إسقاطه عنصر من عناصر في البنية التركيبية، تتنوع صوره وأقسامه اللغوية بحسب تنوع اتجاهات المبدعين ومظاهر انجازاتهم اللغوية، "يثير القارئ، ويحفزه نحو استحضار النص الغائب، أو سد الفراغ، كما أنه يثير النص جماليا، ويبعده عن المتلقي السلبي، فهو أسلوب يعتمد إلى الإخفاء والاستبعاد بغية تعددية الدلالة، وانفتاحيه الخطاب على آفاق غير محدودة، وتصبح وظيفة الخطاب الإشارة وليس التحديد، فالتحديد يحمل بذور انغلاق النص على نفسه، ولا يبقى للقارئ فرصة المشاركة في إنتاج معرفة جديدة بالنص ودلالته"¹، وبهذا تشكل خرقا لقواعد اللغة وانحرافها عن نظام اللغة المؤلف للحصول على فنية القول. والمعلوم لدى الأسلوب "أنه كلما كان النمط مزاح عنه أكثر ثباتا ورسوخا وزادت إمكانية الانزياح والمغايرة في اللغة الأدبية"².

فمعيار الأدبية يتحقق إلى هذه الإجراءات الأسلوبية التي تطبع الأثر الأدبي بأسلوب خاص، وخلو النص منها يفقد أدبيته وجماله كلياً أو جزئياً، ومتى أظهر المحذوف صار الكلام غثاً لا يناسب ما كان عليه أولاً من الحلاوة والطلاوة³. وليس مكانتها في النصوص العلمية أو الأدبية كمكانته في القرآن الكريم، إذ هو مظهر من مظاهر الإعجاز ويكتنف على دلالتها بلاغية تؤثر في المعنى المقصود، على هذا الأساس انكب المفسرون والنحويون وعلماء اللغة على دراسته ليستخرجوا دقائقه ولطائفه البلاغية، لنقل معنى القرآن إلى لغة أخرى، التي توجب على الناقل أن يوصل الفقرة الفكرية المتروكة في النص القرآني، وإذا لم يقم بذلك فإن الجملة المعنية بالحذف تفقد حيويتها وفي كثير من الأحيان تفقد مفهومها أيضاً⁴.

¹ عبد الله خضر حمد، قراءات أسلوبية في الشعر الجاهلي، دار الأكاديميون. أربيل. العراق، دط، دت، ص: 43.

² مسعود بودوخة، الأسلوبية والبلاغة العربية: مقاربة جمالية، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، دط، 2016، ص: 156.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص: 156.

⁴ ينظر: أصغر شهبازي، أحمد أميد علي، أثر ظاهرة الحذف البلاغي في اختلاف الترجمات القرآنية، مجلة اللغة العربية وآدابها علمية، مج 14، ع2، 2018، ص: 192.

وقد أجمع علماء أئمة اللغة بين ما توصل إليه النحويون من شروط للحذف، وأدلته البلاغيين كالزركشي والسيوطي والباقلاني إلا أنهم أضافوا دليلاً مهماً للحذف في القرآن الكريم خصوصاً:

- الدليل العقائدي: وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [سورة الفجر، الآية: 22]، فبعض أئمة علم الكلام لا يرون أنّ هناك حذفاً، وأنّ الكلام على ظاهره، فحين يرى أكثر أهل السنة والأشاعرة، يرون أنّ على تقدير محذوف، أي جاء أمر ربك أو عذابه.
- الدليل الفقهي: وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [سورة البقرة، الآية: 185]، فيقدر بعض المفسرين فمن شهد منكم الشهر صحيحاً، فعلم الفقه هو الذي يدلُّنا على المحذوف، فإن قيل: قد دلّ العقل على ذلك إذ ليس أن يصوم الشهر، أو يكلف بصيامه غير صحيح، قلنا العقل ليس العقل هو مصدر التشريع، إذ قد كلّف العقل بالإيمان بالكثير من المغيبات، وهي خارجة على نطاقه، ثمّ إننا يمكن أن نرى الآية على ظاهرها من حيث الصناعة النحوية¹، ومرد هذا التّصور خصوصية النصّ القرآني بوصفه رسالة من رب العالمين، التي تستوجب فهمها حق الفهم والإيمان به والعمل على مقتضاها.

2-2- مظاهر الحذف في سورة آل عمران:

وعليه سنحاول في هذا المطلب إبراز مظاهر الحذف في سورة آل عمران، مستعينا بكتب التفسير واللغة للوصول إلى فهم الصحيح، ومن المواضع التي تطرقنا إليها ما يلي:

1. حذف المبتدأ:

إنّ المبتدأ والخبر جملة مفيدة تحصل الفائدة بمجموعها فالمبتدأ معتمد الفائدة والخبر محل الفائدة فلا بد منها إلى أن توجد قرينة لفظية حالية تغني عن النطق بأحدهما، فيحذف لدالتها عليه، لأنّ اللفظ إنّما جيء بها للدلالة على معنى، فإذا فهم المعنى بدون اللفظ جاز ألا تأتي به ويكون مراراً حكماً وتقديراً، وقد جاء ذلك مجيئاً صالحاً، فحذفوا المبتدأ مرة وحذفوا الخبر آخر، وهو ما أشار إليه "ابن يعيش"²، وقد جاء حذف المبتدأ في السورة في مواضع عدّة، منها:

¹ ينظر: حيدر حسن عبيد، الحذف بين النحويين والبلاغيين (دراسة تطبيقية)، ص: 49 / 50.

² موفق الدين أبي البقاء يعيـش بن علي الموصلي ابن يعيـش، شرح المفصل للزمخشري، ص: 239.

- المبالغة في الوصف:

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 22].

في الآية، يمكن تقدير المحذوف المبتدأ لوجود قرينة لفظية أو حالية وتحتل وصل الكلام بلا قطع فلا يقدّر المحذوف، فإذا وقفت الآية على "هو"، يكون "الحي" خبر لمبتدأ محذوف، تقديره "هو الحي القيوم" ومعناه أنه الحي الباقي الذي لا سبيل عليه الفناء، والقيوم الدائم القائم بتدبير الخلق وحفظه¹، حيث بالغ في وصفه كدليل استحقاق المعبودية به تعالى واستحالة تحققها من دونه.

فهي "عملية توحد بين الذات والصفة يكون فيها المسند إليه بلا انفصام، بالحذف تجسّد المسند فصارا مسند إليه، وعندئذ صار وجود المسند إليه بلا مبرر"².

وهو النوع يكثر وروده عند المبالغة في الاتصاف، أفاض "عبد القاهر الجرجاني" بالحديث عنه، حيث يرى: "من مواضع حذف الّتي يطرد فيها حذف المبتدأ" القطع والاستئناف، يبدوون بذكر الرجل ويقدمه بعض أمره، ثمّ يدعون الكلام الأول، ويستأنفون كلاما آخر، وإذا فعلوا ذلك أوتوا في أكثر الأمر بخبر من دون مبتدأ"³.

- الاختصاص:

قال الله تعالى: ﴿كَذَّابٍ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 11].

اسم بمعنى مثل في محل رفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، ولك أن تجعل الكاف حرف جر فيكون الجار والمجرور متعلقان بمحذوف لذلك المبتدأ المحذوف⁴.

¹ ينظر: عبد الله بن أحمد بن محمود النسقي (710هـ)، تفسير النسقي المسعى مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت، ج: 01، ص: 251.

² إبراهيم ابن منصور التركي، تيسر علم المعاني، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، بريدة، جامعة قصيم، دط، (1434هـ / 2013م)، ص: 36.

³ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 147.

⁴ ينظر: معي الدين درويش، إعراب القرآن وبيان معانيه، ص: 453.

وإن العرب إذا تحدثوا عن شيء ثم أتوا بخبر دون مبتدأ عليم أنّ المبتدأ محذوف فقدّر ما يدل عليه الكلام السابق، والتقدير: "دأبهم كدأب من قبلهم"، أي عاداتهم وشأنهم كشأن آل فرعون¹.

و"الدأب" العادة والشأن وأصله من دأب في الشيء دأبا ودؤباً إذا اجتهد وبالع فيه²، وأريد بآل فرعون فرعون وآله، لأنّ آل يطلق على أشد الناس بالمضاف إليه، والاختصاص هنا المتابعة والتواطأ على الكفر³.

- التّحقيق:

قوله تعالى: ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 196].

"مَتَاعٌ قَلِيلٌ" متاعٌ خبر لمبتدأ محذوف وقليل صفة، أي: هو متاع ضئيل لا يؤيه له، وهو مهما تطاول آل إلى الزوال⁴.

وقد أكدّ "الزمخشري" بأنّ تركيبة "مَتَاعٌ قَلِيلٌ" خبر لمبتدأ محذوف، ويكون التقدير أي: ذلك متاعٌ قليلٌ، وتشير كلمة "ذلك" إلى قلب الكفار في البلاد، وأراد قلته في جنب ما فإنهم في نعيم الآخرة، أو في جنب ما أعدّه الله للمؤمنين، وأفاد الحذف تحقير المبتدأ وإيحاء بأنّه شيء لا قيمة له بحيث يساوي ذكره وعدمه، فصرف النفوس عن تمني مثل "ما أوتي" بعض الكافرين من جاه ومال⁵.

¹ ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 03، ص: 134.

² ينظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم السبع المثاني، ج: 02، ص: 91.

³ ينظر: محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم. تفسير سورة آل عمران، ج: 02، ص: 40.

⁴ ينظر: محي الدين درويش، إعراب القرآن وبيان معانيه، ج: 02، ص: 427.

⁵ ينظر: مصطفى عبد السلام أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، دت، ص: 45.

- تصويب الخطأ أو تعجيل المسرة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 169].

- "أحياء" خبر لمبتدأ محذوف والمعنى: هم أحياء لدلالة الكلام عليها¹، ويعتقد "تمام حسان" أن الحذف في هذا الموضع تأكيد العكس، والتقدير: أي أنهم أحياء².

- والتقدير: هم أمواتا بل هم أحياء، ويرجع حذفه إلى سببين:

- تقديم ذكر المبتدأ، في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

- لتوجية العناية بالخبر وهو قوله: "أمواتا وأحياء" إذ أن الغرض هو تصويب الخطأ، وهي أن الشهداء ليسوا أمواتا بل أحياء عند ربهم³.

- أو لغرض آخر: تعجيل المسرة بالمسند وهو ما يناسب المقام الذي يتحدث عنه النص، يقول "ابن عاشور": "وإن كانوا أموات الأجسام فهم أحياء الأرواح، حياة زائدة على حقيقة بقاء الأرواح، غير مضمحلة، بل هي حياة بمعنى تحقق آثار الحياة لأرواحهم من حصول اللذات والمدرجات السارة لأنفسهم، ومسرتهم بإخوانهم"⁴.

- العظمة ورفع الشأن:

قال الله تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 97].

¹ ينظر: أبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، الباب في علوم الكتاب، ج: 02، ص: 45.

² ينظر، تمام حسان، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية في النص القرآني، ص: 72.

³ عبد الله خضر ثير داود، الانزياح التركيبي في النص القرآني (دراسة أسلوبية)، دروب للنشر والتوزيع، دط، دت، ص: 161.

⁴ ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 04، ص: 165.

ففي قوله تعالى: ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ نجد الحذف يحتمل وجهين: إما أن يكون مبتدأ محذوف الخبر وتقديره: منها مقام بينات، أو خبر محذوف المبتدأ تقديره "أحدها مقام ابراهيم"¹، حول هذه المسألة وقع خلاف بين النحويين والمفسرين، فيذكر "الزمخشري" (ت538هـ) في إعرابه "مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ" على أنه عطف بيان²، ورد ذلك لأن "آيات" نكرة و"مقام ابراهيم" معرفة، وفي نظر النحاة خرقاً بإجماع النحاة ولا يجوز، فالنكرة لا تبين بالمعرفة والجمع المذكر السالم لا يبين بالمفرد، وحكم عطف البيان عند الكوفيين حكم النعت، فتتبع النكرة، والمعرفة المعرفة، وعند البصريين فلا يجوز إلا أن يكونا معرفتين، ولا يجوز أن يكونا نكرتين³.

وفي هذا السياق يقول "أبو الحيان الأندلسي" (ت745هـ): "والأولى والأصوب في الإعراب مقام ابراهيم أن يكون خبر لمبتدأ محذوف تقديره: أحدها، أي أحد تلك الآيات البينات مقام ابراهيم أو مبتدأ محذوف تقديره: منها، أي: من الآيات البينات مقام ابراهيم"⁴، وذكر "المقام" هنا لعظمته وشهرته عندهم ولكونه مشهداً لهم لم يتغير ولتذكيرهم بدين أبيهم ابراهيم.

- المدح والذم:

قال الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ التَّافَتَا فِئَةٌ تَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 13].

¹ . ينظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم السبع المثاني، ج: 04، ص: 06، ينظر: محي الدين درويش، إعراب القرآن وبيان معانيه، ج: 04، ص: 484.

² ينظر: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج: 01، ص: 204.

³ . أبو الحيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج: 03، ص: 09.

⁴ . المرجع نفسه، ج: 03، ص: 09.

وقعت (فئة) خبر لمبتدأ محذوف على سبيل الاحتكاك. يتحقق هذا النوع بدلالة ما في الأول على محذوف من الآخر، ودلالة ما في الآخر على محذوف من الأول، باستثمار أقل ما يمكن من الألفاظ وأكثر ما يمكن من المعاني، وهو نوع من الأسلوب يأتي به كثيرا في القرآن لأجل إحكام النظم، والاختصار، وشد انتباه المتلقي والتأثير فيه...

قال "الزركشي" (ت794هـ): "وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان فيحذف من كل واحد منهما مقابلة لدلالة الآخر عليه"¹.

وقال "الأندلسي" (ت456هـ) في شرح البديعة: "من أنواع البديع الاحتباك وهو نوع غزير وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني ومن الثاني ما أثبت نظيره للأول"².

والفتتان المذكورة في الآية هما المسلمون ومشركوا مكة، حيث ذكر في جانب المسلمين إنهم يقاتلون (في سبيل الله)، وفي جانب المشركين أنها (كافرة)، والتقدير:

- قد كان لكم أية في فئتين التقتا فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله.
- وأخرى كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت يرونهم مثلهم رأي...³

وفي هذا الإيجاز تظهر بلاغة الاحتباك الآية، ففي الجملة الأولى ذكر من تمسك بالإيمان (فئة تُقاتل في سبيل الله) ولم يقل مؤمنة مدحا لهم لما يليق بالمقام ورمز إلى الاعتداد بقتالهم، ووصفت الأخرى بـ (الكافرة) ملزوم القتال، بغير الصفة التي وصفت بها الأولى إسقاطا لقتالهم عن درجة الاعتبار وتحقيرا لهم⁴.

¹. أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهارد الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج: 03، ص: 129.

². جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي (849هـ/911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تقديم وتعليق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق- بيروت، ط: 04، (1420هـ/2000م)، ج 3، ص: 204، وجلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ج: 1، ص: 242 وأيوب بن موسى الحسيني القزويني الكفري أبو البقاء الحنفي، الكليات في معجم الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص: 57.

³ ألاء محمد حسن، بلاغة الخطاب في الزهراوين (سورة البقرة وآل عمران)، ص: 347.

⁴ ينظر: أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج: 03، ص: 95.

وثمة غاية بلاغية أخرة وقعت في النظم الحكيم في (وأُخْرَى كافرة) ولم يقل (وفِئَةٌ كافرة)، لإشعار بأن الطائفتان غير متساويتين، على سبيل إهمالها وتصغير من شأنها أن تقرن أو تتساوى مع الفئة المؤمنة.

2. حذف الخبر:

وضع علماء النحو ضابطا لحذف الخبر جوازا، أن حذفه يكون واضح المعنى في السياق، وشرطه الأساسي إزالة اللبس الحاصل بوجود دليل عليه، ومن أمثله هذا النوع: "أن يقال: (من في الحقل)، فيجاب (علي)، فكلمة (علي) مبتدأ مرفوع، والخبر محذوف تقديره: (في الحقل)، وأصل الكلام (علي في الحقل)، حذف الخبر جوازا لوجود دليل عليه مع عدم تأثر المعنى والأسلوب بحذفه، ومثله (ماذا معك)، فيقال (القلم)، فكلمة (القلم) مبتدأ مرفوع، والخبر المحذوف تقديره: (معي) وأصل الكلام (القلم معي)¹.

وقد يحذف المبتدأ والخبر معا في سياق الكلام بوجود الشرط السابق، في قوله تعالى: ﴿وَاللَّائِي يَدُسُّنَ مِنَ الْمُحِيزِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضُنْ وَأُولَاتِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 04].

والتقدير واللّائي لم يحضن فعدتهم ثلاثة أشهر، محذوف الخبر والمبتدأ لدلالة ما قبلها عليه وفهمها في ضوء السياق، ومن ذلك: (من يخلص في واجبه فهو عظيم، ومن ينفع وطنه فهو عظيم، ومن يخدم الإنسانية...) أي: فهو عظيم، وقد حذف جوازا².

وأن ما يطالعنا في سورة آل عمران، انعدام هذا النوع لولا وجود واحدة تدلُّ عليه، لتؤدي غرضا معينا وهو:

- التوبيخ:

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 106].

¹ عباس حسن، النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، ج: 01، ص: 507.

² ينظر: المرجع نفسه، ص: 508.

فالمبتدأ اسم موصول (الذين) والخبر محذوف جوازا للعلم به، والتقدير: "فأما الذين اسودت وجوههم فيقال لهم أكفرتم".

وقوله (أَكْفَرْتُمْ) مقولة قول محذوف يحذف مثله في الكلام لظهوره، لأن الاستفهام لا يصدر إلا من مستفهم، وذلك قول هو جواب أمّا، ولذلك لم تدخل الفاء على أَكْفَرْتُمْ ليظهر بآته ليس الجواب، وإنّما الجواب حذف برمته¹.

والاستفهام في هذه الآية لا جواب له، بل إنّه استفهام عن طريق التوبيخ والتعجيب من حالهم وإرذال بهم². والظاهر حسب "صاحب الكشف" أنّهم أهل الكتاب، وكفرهم بعد إيمانهم تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعترافهم به قبل مجيئه، وقيل المقصود بتبييض الوجوه واسودادها وجوه المهاجرين والأنصار تبيض وجوه وتسود وجوه في قريضه والنّضير وقيل هم المرتدون، وقيل أهل البدع والأهواء، وهم الخوارج³.

3. حذف الفعل:

يحذف الفعل على سبيل الإيجاز عندما تكون قرائن تدل عليه، يرى "السكاكي" (ت626هـ) أنّ الحالة المقتضية لترك الفعل هي أن تغني قرائن الحال عن ذكر الفعل، ويكون المطلوب اختصارها أو استعمال الوارد على تركها⁴.

كما في قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 49].

"رَسُولًا" مفعول به لفعل محذوف أي: ويجعله رسولاً من باب الإخبار بالغيبات، ويعلّل

¹ ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 03، ص: 45.

² ينظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم السبع المثاني، ج: 04، ص: 25، أبو الحيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج: 03، ص: 24.

³ ينظر: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج: 01، ص: 209.

⁴ ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 225/224.

"الزمخشري" في نصب (رَسُولًا) و(مُصَدِّقًا) وجهين: أولاً: مجيء الفعل المضمر "أرسلت" في كلا الكلمتين ويعتبرهما مفعول به مقدم للمقدر، وثانياً: أنه تحمل الكلمتان (رَسُولًا) و(مُصَدِّقًا) على معنى النطق، وكأن قيل: (وناطقاً يأني قد جئتكم وناطقاً بأني أصدق ما بين يدي). وقال "الطبري" (ت310هـ) في حذف عامل (رَسُولًا) من الآية، بأن المراد من كلامه عز وجل (ونجعلهُ رسولاً إلى بين إسرائيل) فترك ذكره لدلالة الكلام عليه.¹

وقد يكون سبب الحذف عامل (رسولاً) لدلالة القرينة لأن الفعل يتعلق بأصل الكلمة من حيث الاشتقاق والمعنى، ولأجل احتراز من الحشو بتشكيل النص في سياق مهم حامل فجوات دلالية وإحياءات تضيفي جمالية لأسلوبه وتزداده بلاغة في القول.

وقد يحذف الإيجاز بالحذف للتخفيف لكثرة دورانه في الكلام، وهذا ما نجده في سبع مواضع للسورة آل عمران، كقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَدَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ الآية:35، فالعامل "إذ" متعلق بفعل مضمر تقديره: "أذكر"، قاله الأخفش والمبرد أو معنى الاصطفاء، والتقدير: واصطفى آل عمران.²

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية:42]، والتقدير: إذ اذكر قالت الملائكة.³

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ هَذَا الصَّلَافَ وَارْفَعْكَ إِلَى سَمَائِ السَّمَاوَاتِ﴾ [سورة آل عمران، الآية:55]، والتقدير: أذكر إذ قال الله أني متوافيك أي عاصمك من أن يقتلك من الكفار ومؤخرتك إلى أجل كتبته لك ومميتك حتف أنفك لا قتيلاً بأيديهم رافعك إلى سمائي ومقر ملائكتي ومطهرتك من الذين كفروا من سوء جوارهم وخبت صحبتهم.⁴ وقد حذف الفعل في سورة لكثرة تواتره، كما أن المقام دل عليه، ولو تم ذكره لضاع سر جماليته.

¹ . ينظر: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 03، ص: 190.

² أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج:02، ص: 455.

³ فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب التفسير الكبير، ج: 08، ص: 46.

⁴ ينظر: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج: 01، ص: 325.

وقد يستدعي الحذف تشويق القارئ لمتابعة تفاصيل الأحداث بعدم ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط فيكتفي بأحدهما عن الآخر لنكتة ويختص غالباً بالارتباط العاطفي مما يزيد لذة وتشويقاً لاستنباط المعنى المحذوف كقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُنْزِلُ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 26]، أي والشر، ولكن خص الخير بالذكر، لأنه مطلوب العباد ومرغوبهم أو لأنه الأكثر وجوداً، وأن إضافة الشر إلى الله لا يليق من باب الآداب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والشر ليس إليك"¹.

ويمكن هذا التشويق بدفع القارئ ليتساءل عن سر التمييز بين ذكر الخير على الرغم أن قوة الله مطلقة فيقوده للتأمل والتدبر عن كوامن حذفه، ولعل أقلها ما يتعلق بتعليم العباد الأخلاق الحسنة مع الله تعالى وعدم حشو الشر إليه، والنكتة في هذا التعبير أن الخير والشر بقضائه وقدره وخلقه، ويقع الفرق أن الخير يطلبك والشر أنت الذي تطلبه، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 78].

4. حذف الفاعل:

يعتبر الفاعل من الأركان الأساسية المشكلة للجملة، والأصل أن يلي الفعل مباشرة لأنه جزء منه، لكن في بعض الأحيان يحذف لغرض من الأغراض، وتكون دلالته واضحة خاصة في البناء المجهول.

وقد يحذف الفاعل لأسباب، إما للعلم به فلا حاجة إلى ذكره، وإما للجهل به فلا يمكنك تعيينه، وإما للرغبة في إخفائه للإيهام، وإما للخوف عليه أو منه، وإما لحفظ شرفه، وإما لأنه لا يتعلق لذكره فائدة²، لينوب عنه المفعول به، الجار والمجرور، والظرف المتصرف المختص، والمصدر المختص³، ومن أمثلته في سورة آل عمران:

¹ جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ج: 01، ص: 242.

² ينظر: مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية (موسوعة في ثلاثة أجزاء)، ج: 02، ص: 247.

³ ينظر: شرف الدين الراجحي، المبني للمجهول وتراكيبه ودلالته في القرآن الكريم، ص: 25.

- كون الفاعل معلوما:

قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 88].

يقول "الألوسي": "(وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ) والفعل إمّا من الإنظار بمعنى التأخير، أي لا يهملون عند العذاب ولا يؤخرون ساعة عنه، وإما من النَّظَر بمعنى الانتظار: أي لا ينتظرون ليعتذروا، وإما من النَّظَر بمعنى الرؤية، أي لا ينظر الله إليهم رحمة، والنظر بهذا المعنى يتعدى بنفسه أيضا كما في الأساس فيصاغ منه المجهول"¹.

فالسّر الكامن من وراء حذف الفاعل في الآية، فالنظر يكون من الله عز وجل إلى عباده يوم القيامة، وهؤلاء الكفار لا يقبل منهم ذلك اليوم الاعتذار، وسيسلط عليهم أشد العذاب دون تخفيف أو نظرفيهم، ومن هنا يمكن القول أن الفاعل حذف للعلم به. وقد يكون الفاعل زبانية جهنم، وذلك لأن الجملة معطوفة على (لا يخفف...)، وهم ملائكة شدائد رؤوسهم في السماء وأرجلهم في الأرض من تقوم بدفع الكفار في نار جهنم وتعدبهم، ومن هنا أيضا حذف الفاعل للعلم به.

فالسّر البلاغي في حذف الفاعل على هذا النحو بما يحدثه من ترك الخيال للعقل ليتصور جرم هؤلاء الكفرة وما اقترفوه من أعمال شنيعة، وهم ما يتفق والمقام الذي يمثل في طرد والإبعاد من رحمة الله، التي توجب عليهم لا محالة الدخول إلى النار، لأن ما أعدّه تعجز ألفاظ اللغة عن تصويره وما أخفاه عنهم تفوق حجم تصوراتهم.

ومنه، قوله تعالى: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 184].

¹ الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم السبع المثاني، ج: 01، ص: 428.

يقول "الطبري" (ت310هـ) في تفسير الآية: "وإن ابتغوا غير دين الله يا محمد"، فقل لهم: "آمنا بالله" فترك الذكر قوله "فإن قالوا: نعم"، أو أذكر قوله: "فإن ابتغوا غير دين الله، لدلالة على ما ظهر من الكلام عليه".

وقوله: "قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ" يعني: قل لهم يا محمد، صدّقنا بالله أنه ربنا وإلهنا، لإله غيره، ولا تعبد أحد سواه "وما أنزل علينا"، يقول: "وقل: وصدّقنا أيضا بما أنزل علينا من وحيه وتنزيله، فأقررنا به "وما أنزل على إبراهيم" يقول: وصدّقنا أيضا بما أنزل على إبراهيم خليل الله، وعلى نبيه اسحاق ويعقوب، وابن ابنه يعقوب، وبما "أنزل على الاسباط" وهم أولاد يعقوب الاثنا عشر".

فجاءت الكلمتان بلفظ الجماعة (آمَنَّا وَعَلَيْنَا) لتدلا على أنّ الخطاب موجه للرسول صلى الله عليه وسلم خاصة وللمؤمنين بصفة عامة، وما يعنينا في هذا المقام لما حذف الفاعل؟، ولما جيء بالفعل المبني للمجهول وأسند إليه مفعول به عوضا عنه؟

فالمأمل في سياق النص، أنّ المتكلمون هم جماعة المؤمنة، تعترف بأن الله تعالى مرسل كل الأنبياء، وهو الذي ينزل لهم آيات والكتب توحى بما يشرع إلهيا، وغيرها من المعجزات، وهذا الاعتراف يدل على العلم المسبق واليقين التام بأن الله أنزل الكتاب على محمد وإبراهيم وموسى وعيسى وكل الأنبياء عليهم السلام، فكان حذف الفاعل أكثر بلاغة وأشد فصاحة من ذكره، مادام أنه معلوم هو الله سبحانه وتعالى.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 115].

لقد أتى التركيب "فَلَنْ يُكْفَرُوهُ" مبنيا للمفعول، وحل الضمير المتصل (الواو الجماعة) محل الفاعل، وأبقى المفعول به الثاني (ضمير المتصل الثاني الهاء الغيبة) ونلاحظ هنا أن الفعل كفر لا يتعدى إلى مفعول واحد تقول كفر النعمة وكفر بالنعمة فلم تعدى إلى مفعولين.

يقول الزمخشري: "فإن قلت لم عدّ كفر إلى المفعولين وشكر وكفر لا يتعديان إلا إلى واحد تقول شكر النعمة وكفرها، قلت ضمن معنى الحركان فكأنه قيل فلن يحرّمه بمعنى فلن يحرّموا جزاءه"¹، وقد قرئ الفعل "يكفر" بالتاء أو بالياء.

يقول "ابن خلوويه" (ت370هـ): "من قرأهما بالتاء جعل الخطاب للحاضرين وأدخل الغيب في الجملة، ومن قرأ بالياء وجّه الخطاب إلى الغيب، وأدخل الحاضرين في الجملة، ولهذا المعنى كان أبو عمرو يخيّر بينهما"².

وعن دلالة التركيب يقول "ابن مسعود" (ت972هـ): "وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ" أي لن يعدموا ثوابه البتة عبّر عنه بذلك كما عبّر عن توفيه الثواب بالشكر إظهار الكمال تنزهه سبحانه وتعالى عن ترك إثابهم بتصويره بصورة يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وتعديته إلى مفعولين بتضمين معنى الحرمان وإيثار صيغة البناء للمفعول للجري على سنن الكبرياء وقرئ الفعلان على صيغة الخطاب"³.

- كون الفاعل مجهولاً:

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 105].

وقد استأنفت هذه الآية "ما" للدلالة على عمومية الموجودات في السماوات وكل ما في الأرض من جوهر، وعرض، وملكاً وملئاً لله سبحانه وتعالى، وبيان عظّمته أنّ كل هذه المخلوقات العظيمة مرجعها إلى الله تعالى.

¹. أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج: 01، ص: 456.

². ابن خلوويه، الحجة في القراءات السبع، ص: 113.

³. أبي السعود محمد بن محمّد بن مصطفى العمادي الحنفي، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج: 01، ص: 403.

وعليه فالفاعل حذف بعدم العلم نحن به وليس من قبل الله سبحانه، وعدم العلم هنا يأتي من كثرة خلق الله تعالى، وكل مخلوقاته عز وجل كلها ترد إليه، فالشمول هنا هو سبب الجهل بالفاعل، فكان من الأبلغ أن يحذف.

وقد يكون الغرض البلاغي من هذا النظم القرآني . حذف الفاعل . لبيان أن ملك كلّه لله تعالى الواحد القهار، وأنّ الأمور كلّها مآلها إليه سواء بكرهية أو بطواعيه، فمن كان عمله صالحا في الدنيا، وإيمانه صادق، خاضعا لعظمته وجلالته، فسيسارع إلى الله بحب وإرادة، والدليل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي، وَادْخُلِي جَنَّاتٍ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 30/27] ومن كان عمله خبيثا وعاصيا، فسيحاول الهروب الوقوف بين يدي الله والرجع إليه، ويتمنى أن يمر به الزمن الطويل ليعمل صالحا، ولكن هيهات، فسيرجعهم الله مقهورين رغما عنهم، والدليل قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ، لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ [سورة المؤمنون، الآية: 100/99].

ونلاحظ في نهاية الجزء أنّ أغلب الحالات التي حذف فيها الفاعل في السورة تعود إلى سبب العلم به، لذا دعت الحاجة لعدم ذكره.

5. حذف المفعول به:

- التعظيم:

قال الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 26].

فقد تم حذف المفعول به بعد فعل المشيئة، وتقديره: "من تشاء ايتاءه إياه، ومن تشاء نزعه منه، ومن تشاء أن تعزّه في الدنيا ومن تشاء إذلاله¹.

¹ . ينظر: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، معاني القرآن، تح: أحمد يوسف النجاتي وآخرون، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، ط1، دت، ج: 02، ص: 110.

وقد أشار "الفراء" بأنَّ المفعول به لفعل (تشاء) قد تم حذفه لدلالة الكلام عليه، وأنَّ العرب تكتفي بما ظهر في أول الكلام مما ينبغي أن يظهر بعد شئت، فيقولون: "خذ ما شئت وكن فيما شئت"، وتقديره: "فيما شئت أن تكون فيه" وهكذا يحذف الفعل بعدها، وكذا في القرآن لقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [سورة فصلت، الآية: 40]، وقوله أيضا: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [سورة الانفطار، الآية: 08] والتقدير: . والله أعلم . في أي صورة ما شاء يركبك ركبك¹.

كما نلمح في الأفعال الأربعة المذكورة تضادان متقابلان (تأتي تنزع، تعزّ تذلل) لتدل على قدرة وعظمته فالمتضادان لا يجتمعان في ذات واحدة.

ولعل الغرض البلاغي من حذفه هو التعميم والإيجاز، ولنتأمل روعة جمال الطباق بجمعه الصفات المتضادة في ذات الله تعالى، تتضح قدرته في الرسم القرآني بشكل جلي. ولإظهار عظمة الفاعل (الله) وقدرته الخارقة: الخلق، الملك، الرزق... وله ملكوت كل شيء. - التَّحْرِيزُ:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 175].

يرى "أبو الحيان" (ت745هـ) أنَّ التشديد في (يُخَوِّفُ) كان قبله يتعدى لواحد، فلمَّا ضَعُفَ صار يتعدى لاثنين، وهو من الأفعال الَّتِي يجوز حذف مفعولها، وأحدهما اقتصارًا واختصارًا، أو هنا يتعدى إلى واحد والآخر محذوف، فيجوز أن يكون الأول، ويكون تقديره: يَخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ، أي شَرَّ أَوْلِيَاءِهِ في هذا الوجه، لأنَّ الذوات لا تخاف، فيكون المخوَّفون إذ ذاك المؤمنون، ويجوز أن يكون المحذوف المفعول الثاني أي: يَخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ شَرَّ الكَفَّار، ويكون أَوْلِيَاءَهُ في هذا الوجه هم المنافقون².

¹. ينظر: المرجع نفسه، ج: 01، ص: 146.

² ينظر: أبو الحيان الأندلسي، تفسير الكبير، ج: 03، ص: 125.

يقول "ابن كثير" في شأن الآية: "أي يخوفكم أوليائه، ويوهمكم أنهم ذوو بأس وذوو شدة، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 175] إذ سؤل لكم وأوهمكم فتوكلوا عليّ والجأوا إليّ، فأنا كافيكم وناصركم عليهم"¹. فالمقام هنا مقام التحريض، وقد أفاد الحذف تهويل شأن الطغاة ومن يرضخ لهم وغضاً من أقدارهم.

- الإيجاز:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 180].

والمفعول به لفعل (يحسبن) محذوف دلّ عليه سياق الكلام، أي البخل.

ويرى "الزمخشري" من قرأ بالياء الفعل (وَلَا يَحْسَبَنَّ) وجعل الفاعل ضمير رسول الله، أو ضمير أحد، ومن جاعله فاعله الذين يبخلون، من الضروري تقدير مفعول به الأول، وتقديره: "ولا يحسبنّ الذين يبخلون بخلهم هو خير لهم، والذي سوّغ إلى حذفه دلالة (يبخلون) عليه، وهو ضمير الفصل راجع إليه"².

وطبقاً لهذا الرأي حذف مفعول به الأول وذكر فعله (يبخلون) ليدل عليه لأنه من جنسه، وبالتالي يتشاركان في المعنى والاشتقاق، ولو تم ذكره سيخل بشروط الحذف ألا وهو الإيجاز، وسيؤثر على جمالية النظم وموسيقى الآية.

- التشويق:

قال الله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 188].

¹ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن الكريم، ج: 01، ص: 164.

² ينظر: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج: 01، ص: 436.

قال "ابن عاشور" (ت1393هـ): "وقد جاء تركيب الآية على نظم البديع، إذ حذف المفعول به ثاني لفعل الحسبان الأول لدلالة ما يدل عليه وهو مفعول "لا تحسبهم" والتقدير: لا يحسب الذين يفرحون إلخ أنفسهم، وأعيد فعل الحسبان في قوله (تحسبهم) مسنداً إلى المخاطب على طريق الاعتراض بالفاء وأوتي بعده بالمفعول الثاني (وهو بمفازة من العذاب) فتنازعه كل الفعلين"¹.

ويؤكد "الزمخشري" (ت538هـ) في تفسيره بأن أحد المفعولين لفعل (لا تحسب) قد تم حذفه وهو يرى المفعول به الثاني محذوفا ولعل في فعل (لا تحسب) الأول يكون الغرض من الحذف المفعول الثاني، تنزيل الفعل بمفعولين بمنزلة المفعول واحد. وتم حذفه لتشويق السامع إلى سماع المنهي عن حسبان.

- التعميم:

قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 104].

وقد حذف المفعول به من الأفعال الثلاثة، لكونها متعينة ظاهرة لا يحيط به وصف ولا تحتاج إلى ذكر، أو للقصد إيقاع في نفس الفعل أي الكتابة.

يقول "أبو السعود": "وحذف المفعول الصريح من الأفعال الثلاثة إما للإيدان بظهوره، أي يدعون الناس ويأمرونهم وينهونهم، وإما القصد إلى إيجاد النفس كما في قولك: فلان يعطي ويمنع أي يفعلون الدُّعاء إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"².

¹ . محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 04، ص: 194.

² أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج: 01، ص: 529.

وهنا يجري الفعل المتعدي كغير متعدي، مما جاء بيانه في دلائل الإعجاز: "اعلم أنّ أغراض الناس تختلف في ذكر الأفعال المتعدية فهم يذكرونها تارة، ومرادهم أن يقتصروا على إثبات المعاني التي اشتقت منها للفاعلين، من غير أن يتعرضوا لذكر المفعولين، فإذا كان الأمر كذلك، كان الفعل المتعدي لكونه كغير المتعدي مثلاً، في أنك لا ترى له مفعولاً لا لفظاً ولا تقديراً وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى، وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ [سورة النجم، الآية: 44/43]، وقوله: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ [سورة النجم، الآية: 48]. المعنى هو الذي منه الإحياء والأمانة والعناء والغناء كل موضع كان القصد فيه أن تثبت المعنى في نفسه فعلاً وأن تخبر بأن من شأنه أن يكون منه، أو لا يكون إلا منه، فإنّ الفعل لا يعدي هناك، لأنّ تعديته تنقص الغرض وتغيّر المعنى"¹، فسِرُّ الحذف وبلاغته في هذا التعميم، يبيّن شمول الحكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكافة الناس دون اقتصار على أحد بعينه.

3- الاستفهام:

3-1- تعريفه:

أ. لغة:

طلب الفهم، ففي لسان العرب: "استفهمه: سأله أن يفهمه، وقد استفهمني الشيء فأفهمته وفهمته تفهيماً"²، ومن هذا القول نشير إلى أنّ السين والتاء في الاستفهام للطلب أي طلب الفهم، وأنّ الفهم هنا هو العلم، لأنّ الحصول هو الإدراك.

ب. اصطلاحاً:

أسلوب الاستفهام أحد أساليب نظم الجملة وبدخولها عليها ينقلها معنى الخبر إلى معنى الاستخبار أي طلب الخبر أو طلب الفهم، حيث عرّفه "عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ): "الاستفهام استعلام ما في ضمير المخاطب، وقيل: هو طلب الحصول صورة الشيء في الذهن فإن كانت وقوع نسبة بين شيئين أو لا وقوعها فحصولها هو التصديق وإلاّ هو التّصور"³.

¹ . عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ج: 01، ص: 155.

² . ابن منظور، لسان العرب، مادة (ف ه م).

³ . علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني، التعريفات، ص: 37.

فالسائل يكون في طلب التّصور مترددا في تبين أحد الشّئين ويكون في التّصديق مترددا في تعيين نسبة ترددها في الذهن بين إثباتها أو نفيها، والأصل في الاستفهام النسبة أن يكون إلا في الجمل الخبرية التي تكون جملته فعلية، وقد يعدّل عنها إلى الجملة الاسمية لضرب من الاتساع في الاستعمال، أو للمبالغة في إفادة المقصود¹، وله أدوات خاصة يتحقق بها الغرض من طلب الإفهام، يتصدر بها الجملة مثل: "الهمزة، هل، ما، من، أي، كم، كيف، أين، أنى، متى، إيان"، وتنقسم بحسب المستفهم عنه إلى ثلاثة أقسام:

1- ما يطلب التّصور تارة والتصديق تارة أخرى وهي (الهمزة) لأنّها أصل أدوات الاستفهام، ومن أمثلة التّصور نحو "أيسافر سعيد أم مقيم؟"، وإذا قيل "أيسافر سعيد؟" "أسعيد مسافر؟" كان الاستفهام تصديقا.

2- ما يطلب بها التّصديق فقط وهي (هل)، كقولك: "هل حصل الانطلاق؟"، و"هل زيد منطلق؟".

3- ما يطلب بها التّصور فقط وهو بقية أدوات الاستفهام، (التي) لا يكون السؤال بها إلّا عن المفرد التي يكنى بها عنه، فيستقيم بـ (من) عن الشخص، وبـ (أين) عن المكان، وبـ (كيف) عن الحال، وهكذا بقية أدوات الاستفهام².

ويرتبط الاستفهام بحال المتكلم (السائل) من أجل تحقيق المنفعة المعرفة من خلاله، لذا أولته الدراسات البلاغية اهتماما خاصا وبالأخص في مجال التفريق بين أدواته وكيفية

¹ ينظر: سيويه، الكتاب، ج: 1، ص: 98، موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي الموصلي ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري، ج: 08، ص: 151/150، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهار الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج: 02، ص: 327/326.

² ينظر: قيس اسماعيل الأوسي، أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، مكتبة الوطنية، بغداد، دط، 1988م، ص: 318، وينظر: أبي العباس أحمد بن محمد بن محمد ابن يعقوب المغربي (ت1128هـ)، مواهب المفتاح في شرح التلخيص، تح: خليل ابراهيم خليل، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان، دط، دت، ج: 01، ص: 473/466، (عرضت مفصلة).

استعمالها، وفي بناء تراكيبه وتراوح دلالتها، فالمتأمل في كتب البلاغة ما نقوم به من أجل التفرقة الدقيقة بين دلالة التّصور والتّصديق، وما تخرج به من دلالات مجازية تخفى على كثير من أهل اللغة، فيحتاج إدراك حاجة الاستفهام إلى مزيد من التأمل والتدبر للوصول بها المعنى التي قد تنفلت عن المتلقي في بعض الأحيان، فيقف حائراً متردداً أمام حقيقة المعنى المراد من الاستفهام، وهو ما يؤكدّه "محمد أبو موسى": "أنّها المعاني في كثير من صورها سوائح خفية أشبه بالأسرار الغامضة تجري في النفس جريانا خفياً تحسّها ولا تستطيع وصفها"، وبفضلها تؤدي إلى اتساع الفضاء الدلالي في أسلوب الاستفهامي ودخولها بذلك حيز الشعرية، ف "إذا صح القول أن للكلام قمة عليا في البلاغة، كان أسلوب الاستفهام محتلاً أعلى مكانة في تلك القمة"¹.

ومن ناحية أخرى يعدّ الاستفهام من خصائص أسلوب القرآن البارزة، الذي يعتمد إلى تفسير الوجود، وكشف المجهول، وإقامة التّصور على حقيقتها في ذهن المخاطب، كما يريدّها الخالق عزّ وجل، لذلك حاول بعض الباحثين الكشف عن سرّ استخدام أساليب الاستفهام في القرآن، فردّها أحياناً إلى أنّ السور المكيّة تحتاج إلى مزيد من إقناع الكافرين، ومحاقتهم، ودحض افتراءاتهم، والاستفهام من أقوى الأدوات اللغوية التي تستخدم في هذا السياق، وأحياناً أخرى إلى أنّ القرآن يتناول موضوعات بعينها أكثر ما تحتاج إلى الاستفهام، لاستظهارها وتجلية حقيقتها وتمكينها في النفوس، كالعقائد والمحاورة والمجادلة والبعث والحساب والامتنان بالنعم والتدبّر والتفكّر في ملكوت الله وقدرته وعظمته.

والملاحظ أن التركيب الاستفهامي في القرآن الكريم، قد استعمله في صورتيه الحقيقي والمجازي، وإن كانت صورته الثانية الغالبة والأكثر وضوحاً مقارنة بمثيلتها، ذلك لأنّه "كونه طلب ارتسام صورة ما في الخارج في الذهن لزم ألا يكون حقيقة إلّا إذا صدر من شاك مصدق بمكان الإعلام انتفت عنه فائدة الاستفهام، قال بعض الأئمة: وما جاء في القرآن على

¹ . عبد القادر حسين، فن البلاغة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط: 01، 1973 م، ج 1، ص: 148.

لفظ الاستفهام، فإنّما يقع في خطاب الله على معنى أنّ المخاطب عنده علم ذلك الإثبات أو النفي الحاصل، وقد تستعمل الصيغة الاستفهام في غيره مجازاً¹. أي أن القرآن الكريم كثيراً ما يستخدم الاستفهام في غير معناه الأصلي، "لأنّه واقع ممن يعلم ويستغني عن طلب الإفهام"²، فالله تعالى: "لا يستفهم خلقه عن شيء وإنما يستفهمهم ليقرّهم ويذكرهم أنهم قد علموا حقّ ذلك الشيء، فهذا أسلوب بديع انفرد به خطاب القرآن وهو في كلام البشر مختلف"³.

والمأمل في أساليب الاستفهام في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، سيدرك أنّ المعاني البلاغية أو المجازية للجملة الاستفهامية لا تتولد من بنية الجملة في حدّ ذاتها، وإنما لا بد من أخذ مجموعة من الاعتبارات أو القرائن اللغوية والسياقية التي تسهم في كشف الأبعاد الدلالية المترتبة عنها، لأنّ معاني هذه النصوص القرآنية لا تتقرر غالباً من داخلها ووفقاً لما تمليه لغتها مباشرة، وإنّما تتحكم في تحديد معنى النص الديني عديد من الملابسات والقرائن، كالسياق النصي، وأسباب النزول، وجهة السؤال، والمأثور من التفسير، إلى جانب المفردات، والتراكيب وغيرها⁴.

وقد اتخذت دراستنا للجملة الاستفهامية على اختلاف صورها وأنماطها من رصد البناء النحوي لسورة آل عمران بغية الوقوف عليها وتحليلها وتبيان قوانينها النحوية واستنباط أنظمتها.

وتمثل جملة الاستفهامية في التعبير القرآني انزياحاً أسلوبياً، وعلى الرغم أنّه استفهام حقيقي لكنّه يخرج عن نمطه المعروف من مجرد استعلام والاستخبار، إلى دلالات تمييزية مغلفة بجملة من المعاني يقصدها النظم القرآني، وقد بلغ إجمالاً عدد جمل في السورة آل عمران ثمانية وثلاثون جملة موزعة في النص لأغراض معينة.

¹ أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهار الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج: 02، ص: 327.

² المرجع نفسه، ص: 328.

³ المرجع نفسه، ج: 02، ص: 327.

⁴ ينظر: محمد سيد سليمان العبد، من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، ص: 05.

1. جملة استفهامية متضمنة لمعنى الإنكار:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 70].

جاء التركيب الاستفهامي موظفا اسم الاستفهام "ما" المتضمن معنى الإنكار، فالخطاب موجه لأهل الكتاب منكر عليهم كفرهم بآيات الله والحال أنهم يشهدون بأنها آيات الله ومعجزاته ويعلمون أنها الحق، فأنكر صدور الكفر منهم مع وجود أدلة والبراهين تثبت وحدانية الله والإيمان به، قال الألوسي معنى: "لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ" جميعا وأنتم تعلمون حَقِّيَّتَها بلا شبهة بمنزلة علم المشاهدة¹.

والملاحظ في التركيب اللغوي مجيء الجملة الاستفهامية بعد أداة النداء، ودخولها مع الجملة الفعلية المتضمنة معنى الإنكار المناسب لسياق المقام، وعليه يكون نمط الجملة وفق النسق الإنكاري مايلي:

- اسم الاستفهام "ما" + فعل المضارع + فاعل + مفعول به + متممات الجملة.

ومنه قوله تعالى: ﴿أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 80].

يتميز التركيب اللغوي بدخول الهمزة الاستفهامية على الجملة، التي أفادت الإنكار فالمستفهم منه إنكار أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأمر الناس بالعودة إلى الكفر وعبادة الطاغوت، واتخاذ الملائكة والأنبياء أربابا، لأن الآية نزلت "بسبب القوم الذين قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم: أتريد أن نعبدك؟"، فأخبرهم الله جل ثناؤه أنه ليس لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعو الناس إلى عبادة نفسه، ولا إلى اتخاذ الملائكة والتبيين أربابا².

¹ الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم السبع المثاني، ج: 03، ص: 199.

² ابن جرير أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 04، ص: 534.

وللتعبير عن الغرض استعمل الأسلوب الإنكاري الممزوج بالنفي قصد انكار اعتقادهم الكاذبة التي لا تخطر ببال عاقل، وبتوظيف الظرف "بعد" ما يؤكد إنكارهم وبقاء ارتكابهم هذه الحالة¹، وبالتالي يكون نمط الجملة الاستفهامية على النحو: أداة الاستفهام (الهمزة) + فعل مضارع + فاعل + مفعول به + جار ومجرور + ظرف.

2. الجملة الاستفهامية المتضمنة معنى التقرير:

قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُكُمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 20].

وقد تخرج (الهمزة) عن أداء وظيفة التعليق في الجملة الاستفهامية لتؤدي معنى وظيفيا آخر في السياق ضمن إطار التعليق لا يقصد منه الاستفهام الحقيقي²، بل القصد منه تقرير مبطنا بالأمر، جاء "الكشاف" أن المعنى: "زعم كل فريق من اليهود والنصارى أن إبراهيم عليه السلام - كان منهم وجادلوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين فيه، ف قيل لهم: أن اليهودية إنما حدثت بعد مجيء التوراة والنصرانية بعد نزول الانجيل، وبين إبراهيم وموسى . عليهما السلام . ألف سنة، وبينه وبين عيسى . عليهما السلام . ألفان، فكيف يكون إبراهيم على دين لم يحدث إلا بعد عهده بأزمة متطاولة"³.

تمثل ورده على صورة الاستفهام التقريري والمقصود منه الأمر: يعني أسلموا، وإنما جاء في صورة الاستفهام لإشعارهم بأن أدلة الإسلام ظاهرة وحججه واضحة، فالمفروض ممن له عقل أن يسارع إلى الدخول فيه لينجو من عذاب الله، فلا يتأخر عن دخول في الاسلام بعد هذه البراهين الساطعة والآيات القاطعة بأنه الدين الحق الذي لا يقبل الله من أحد دينا سواه، ولا يتردد في قبوله إلا بليد عنيد لأن المنصف إذا ظهرت له حجة سارع إلى قبولها واستمسك بالحق الذي دلّت عليه⁴، وبالتالي يكون نظام الجملة في الاستفهام التقريري على النحو التالي: أداة الاستفهام (أ) + فعل ماضي + فاعل.

¹ . ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 03، ص: 396.

² ينظر: فاضل محمد الساقى، أقسام الكلام العربي (من حيث الشكل والوظيفة)، ص: 330.

³ . أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعبون الأفاويل في وجوه التأويل، ج: 01، ص: 435.

⁴ ينظر: عبد القادر بن شعبة الحمد، تهذيب التفسير وتجريد التأويل، ممّا ألحق من الأباطيل وردىء الأفاويل، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1993، ج: 02، ص: 326/325.

ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 15].

تتميز البنية اللغوية بتوظيف اسم الاستفهام الهمزة في الجملة الاستفهامية، وهذا الاستفهام كما قال الأئمة: المراد منه التّقرير والتّغيب والتّشويق.

فجاء به ليقرّر ويثبت لما فهم من قبل من أنّ ثواب الله خير من مستلذات الدنيا¹، فالله تعالى وازن لعباده بين نعم الدنيا ونعيم الآخر، ونعم الدنيا هي المفضل عليه، ونعيم الآخرة هو المفضل، لأنّ الأول لا ينال إلى بعناء ومشقة، ولا يخلو من الأكدار وهو غير دائم لأنّه يخلو من أحد الأمرين: إما أن يفارق صاحبه، وإما أن يفارقه صاحبه، أما نعيم الآخرة تكريم لمستحقه بلا عناء، وخال من الأكدار ودائم لا ينقطع².

فأضفى بهذا عنصر التشويق للمخاطب وشدّ انتباهه لمعرفة ما سيذكر من نبأ هو خير كل الخير، ترغب إليه نفسيته فيتسارع في تحصيله لأنّ ما ذكر بعده فضل من الله تعالى، وبالتالي يكون نمط الجملة الاستفهامية على النحو:

- أداة الاستفهام (الهمزة) + فعل مضارع + مفعول به + فاعله (ضمير مستتر).

3. الجملة الاستفهامية المتضمنة معنى التنبيه:

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 23].

تضمن التركيب اللغوي دخول الهمزة على الجملة الاستفهامية، التي أفادت التقرير مبطنًا بالتنبيه، قصد حمل المخاطب على التفات أهل الكتاب واعتراضهم باحتكام كتاب الله والتكذيب في حكم حدّ الزنى.

¹ ينظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم السبع المثاني، ج: 03، 100.

² ينظر: عبد العظيم ابراهيم محمد المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم، ج: 01، ص: 154.

"وذلك أنهم أنكروا آية الرجم من التوراة وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حد المحصنين إذ زنا فحكم بالرجم، فقالوا، جرت يا محمد فقال بيني وبينكم التوراة فعندما قرأ ابن صوريا الأعور التوراة أتى على آية الرجم سترها بكفّه فقام ابن سلام فرفع كفه عنها، وقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اليهود فإذا فيها: "إنَّ المحصن والمحصنة إذ زينا، وقامت عليهم البيّنة... رُجما، وإن كانت المرأة حبلى تبرص حتى تضع ما في بطنها، فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم فرُجم، فغضب اليهود لذلك وانصرفوا"¹.

ويندرج هذا النوع من الاستفهام المراد به الإنشاء، ولأنّ التنبيه من أقسام الأمر، قال "أحمد البدوي": "وقد يكون الاستفهام مثاراً لتنبيه المخاطب على أمر يغفل عنه... وفي إirاده هذه المعاني بأسلوب الاستفهام وتشويق وإثارة للتفكير أن يهتدي إلى معرفة نيّة هؤلاء القوم المعرضون عن كتاب الله"².

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 114].

جاءت الجملة الاستفهامية متضمنة أداة الاستفهام الهمزة، وقد أراد الله سبحانه أن يبين للمسلمين بأنّ محمد ما هو إلاّ رسول يموت كما ماتت الرسل من قبل، وقد أثر السياق على معنى الاستفهام، ومن المعلوم حصر الاسم على صفة واحدة على سبيل المجاز، لأنه من غير الممكن حصر صفة واحدة للإنسان، فيمكن أن يكون رسولا ونبياً وشجاعاً وتقياً وبشراً وغيرهم من الصفات، غير أنّه اقتصره على الصفة المذكورة من أجل تنبيه الناس للاستفهام الذي سيأتي، بأنّ محمد إلا رسول وهم أعظم الأنبياء وسيدهم كلفه الله بتبليغ رسالة السماء، فلا ينبغي ارتياد عن دينه بمجرد موت الرسول، وخاصة إذا علمنا أنّه قد بلغ الرسالة السماوية على أكمل وجه.

¹ . محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلويّ الهريري الشافعي، تفسير حقائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، إشراف ومراجعة: هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة. بيروت. لبنان، ط: 01، (1421هـ / 2001م)، ص: 234.

² . ينظر: أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، ص: 128.

وإذا تأملنا سياق المتقدم "قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ" يعني "أَنَّ مُحَمَّدَ رَسُولِ كَمَنْ مَضَى مِنَ الرُّسُلِ، بَلَّغَ عَنْ اللَّهِ كَمَا بَلَّغُوا، وَلَيْسَ بَقَاءُ الرُّسُلِ فِي بَقَاءِ شُرَائِعِهِمْ، بَلْ هُمْ يَمُوتُونَ وَتَبْقَى شُرَائِعُهُمْ يَلْتَزِمُهَا أَتْبَاعُهُمْ، فَكَمَا مَضَتْ الرُّسُلُ وَاقْضُوا فَكَذَلِكَ هُوَ فِي ذَلِكَ وَاحِدٌ"¹.

ليجيء بالاستفهام "أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ"، فقد رُعيَ النص المتلقي وذكر احتمالين لرحيل محمد إما بالموت أو القتل، ونهيم بعد الانقلاب على الأعقاب، وكل من يرجع عن دينه سيضر نفسه فلن يضر الله شيئاً، ومن تمسك على دينه وبقي عليه سينال أفضل جزاء، وبالتالي يكون نظام الجملة على النحو: أداة الاستفهام + حرف شرط + فعل ماضي + حرف عطف + فعل ماضي مبني للمجهول.

4. الجملة الاستفهامية المتضمنة معنى التوبيخ:

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 106].

إنَّ المقصود باليوم يوم القيامة، والوجوه المبيضة هم المؤمنون والوجوه المسودة، ولكل عند الله درجات مما عملوا، وأتى بالجملة الاستفهامية ضمن الآية ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، لتؤدي غرضاً معيناً يقتضيها سياق المقام .

ويرى "ابن مسعود" (ت972هـ) أنَّ الهمزة قد أفادت التوبيخ والتعجب عن حالهم، والظاهر أنَّ أهل الكتابين وكفرهم بعد إيمانهم كفرهم برسول صلى الله عليه وسلم بعد إيمان أسلافهم أو إيمان أنفسهم به قبل مبعثه عليه الصلاة والسلام أو جميع الكفرة حيث كفروا بعدما أقروا بالتوحيد يوم الميثاق، أو بعد ما تمكنوا من الإيمان بالنظر الصحيح والدلائل الواضحة والآيات البينة، وقيل المرتدون، وقيل أهل البدع والأهواء"².

¹ . أبو الحيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج: 03، ص: 74.

² . أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج: 02، ص: 69.

فجاء بجملة الاستفهام في نصف السياق القرآني إذ ذكر فيه جزاء التي تسود وجوههم بعد عودتهم إلى الإيمان وهو عمل يستحق الإنكار والتوبيخ، فكان ينبغي منه الانتقال من حال إيجابية إلى حال أكثر إيجابية وليس العكس، فترتب عن كفرهم الأمر بذوق العذاب عن طريق الإهانة والتبكيك لهم، وبالتالي يكون نظام على الجملة كالآتي:

- أداة الاستفهام (أ) + فعل ماضي + فاعل + متممات الجملة.

ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 98].

إنّ كل استفهام كانت أدواته "لما" المركبة من (لام الجر وما الاستفهامية)، فإذا كان الاستفهام حقيقياً كان السؤال عن السبب، مثل: لِمَ قَدِمْتَ؟ فهو الاستفهام عن سبب الحامل على القدوم، وإن كانت مجازية كما في الآية الكريمة كان الإنكار لسبب الحدث¹.

جاء في معجم البيان أنّ معنى الآية: (أي: قل يا محمد لهم (لم تكفرون بآيات الله) أي: المعجزات التي أتاها محمد . صلى الله عليه وسلم . والعلامات التي وافقت في صفته ما تقدّمت البشارة به... فكأنّه قيل يا من يُقَرَّبُ أنّه من أهل الكتاب الله (لم تكفرون بآيات الله) ولللفظ لفظ الاستفهام والمراد به التوبيخ، وإنّما جاز التوبيخ على لفظ الاستفهام من حيث أنّه سؤال يعجز عن إقامة العذر، فكأنّهم قالوا لهم هاتوا العذر في ذلك إن أمكنكم².

فتميزت البنية اللغوية في هذا التركيب الاستفهامي، التي أفادت شدّة الإنكار والتوبيخ المراد من الاستفهام، أي: أنّ الله أنكر كفرهم بالحق وخلطه بالباطل وكتمانه، ثم وبخهم عليه، وبالتالي يخضع نظام الجملة في ترتيب عناصره على النّحو التّالي:

- حرف جر + (ما) الاستفهامية + فعل مضارع + فاعل + مفعول به + جار ومجرور.

¹ . ينظر: عبد العظيم ابراهيم المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم، ج: 01، ص: 168.

² . الفضل بن الحسن طبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار العلوم للتحقيق للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2005، ج: 02، ص: 609.

5. الجملة الاستفهامية المتضمنة معنى التعجب:

قال الله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 37].

وقد تخرج الهمزة عن أداء وظيفة تعليق الجملة الاستفهامية لتؤدي معنا وظيفيا آخر في السياق ضمن إطار التعليق، لا يقصد منه استفهام حقيقي، بل القصد منه التعجب¹، لمناسبته مقتضى المقام.

ذلك لأنّ زكريا يجد عندها ألوانا من الفاكهة في غير أوانها، وهي صغيرة ومنعزلة في محرابها لا تعمل ولا تتصل بسواه، وليس سؤال زكريا مجرد سؤال عن مصدر الرزق، ولكنه ممزوج بالدهشة والاستغراب، وأي عاقل لو كان مكان زكريا لشعر نفس الشعور، ولذلك نجزم بأنّ هذا الاستفهام حقيقي مشوب بالتعجب والدهشة².

أما عن السؤال المطروح من قبل "زكريا" كان بهذه الصيغة "أنى لك هذا" وهو استفهام يصدر بين عامة الناس فلا مجال لخروجه عن الأصل، وفي هذا الاستفهام يقول أهل التفسير:

يقول "الزمخشري": "{أَنَّى لَكَ هَذَا} من أين لك هذا؟"³.

يقول "أبو السعود": "{أَنَّى لَكَ هَذَا} من أين يجيء ذلك الرزق الذي لا يشبه الأرزاق الدنيا وهو آت في غير حينه والأبواب مغلقة لا سبيل للداخل به إليك"⁴.

¹ ينظر: فاضل مصطفى الساقى، أقسام الكلام العربي (من حيث الشكل والوظيفة)، ص: 331.

² ينظر: عبد العظيم ابراهيم المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم، ج: 01، ص: 160.

³ أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج: 01، ص: 424.

⁴ أبي السعود محمد بن محمّد بن مصطفى العمادي الحنفي، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج: 02، ص: 30.

ويتبعه "الألوسي": "{أَتَى لَكَ هَذَا}^1 أي من أي لك هذا الرزق الذي لا يشبه أرزاق الدنيا، والأبواب مغلقة دونك".

فجميعها تصرح بأنه استفهام حقيقي، فالمراد منه طلب فهم المكان ومصدر الذي يأتي منه الرزق دون إضافة معنى آخر، ولكن مناسبة المقام اقتضى أن يشوب في مضمونه التعجب.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ، أَوَلَمْ أَصَابْتَكُمْ مَصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنْتَى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 164/165] جاء التركيب الاستفهامي موظفا أداة الاستفهام "أَنْتَى" بمعنى "كيف" في السياق القرآني، صدر على لسان المسلمين بعد هزيمتهم من معركة أحد نتيجة التخلي عن وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم، فتعجبوا من وقوع هذا عليهم، إذ قالوا: "كيف أصابنا هذا؟ ونحن نقاتل في سبيل الله فردّ الله عليهم، إذا أصابتكم مصيبة يوم أحد وقُتل منكم سبعون رجلاً، فقد أصبتم ضعفها يوم (بدر) حيث قتلتم سبعين رجلاً وأسرتم سبعين... فكيف نسيتم نعيم (بدر) وذكرتم نقمة أحد" ².

يأتي الرد من الله بأنه من عند أنفسكم وجهتكم، والمعنى "قلتم كيف أصابنا، وقد وعدنا الله بالنصر وفينا رسول الله؟ فردّ الله عليهم قال يا أيها النبي: أنتم السبب فيما أصابكم من الفشل والخسران لأنكم قصرتم من حق أنفسكم لمعصيتكم الرسول صلى الله عليه وسلم وفراركم عنه" ³.

¹ .الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم السبع المثاني، ج: 02، ص: 140.

² .البيان في تفسير غرائب القرآن آيات القرآن، ص: 710.

³ .المرجع نفسه، ص: 710.

والملاحظ في السياق عرض الاستفهام التعجبي على شكل سؤال والجواب، حيث تم تأكيد الجواب بعد صدور التعجب بقولهم: (قلتم أن هذا) فردّ عليهم سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ وقد فصل بين الجمل الثلاث بين الأولى والثانية فيه شبه كمال الاتصال، لأنّ الأولى سؤال والثانية جواب والفصل بين الثانية والثالثة كمال الاتصال لأنّ الثانية مؤكدة والثالثة مؤكدة¹. والغالب أنّ هذا النوع من استفهام التعجبي ما يحتاج صاحبه إلى جواب، لذلك ردّ على كثير من الآيات اقترنت بهذه الصيغة والدلالة، وبالتالي يكون ترتيب عناصر في الجملة الاستفهامية وفق النمط التالي:

- جملة جواب الشرط (فعل + فاعل) + اسم الاستفهام (خبر مقدم) + مبتدأ مؤخر + متممات الجملة.

6. الجملة الاستفهامية المتضمنة معنى التهويل والتهديد:

ولهذا الغرض نوع واحد في سورة آل عمران:

قال الله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 25].

وهذا تعقيب من الله العليّ القدير على رفض اليهود للإسلام وهم ويعلمون أنّه الحق، وعلى افتراءاتهم المتكررة على الله عز وجل.

وقد تصدر الآية التركيب الاستفهامي بالأداة "كيف"، وكيف "معناه السؤال عن الحال، والحال المسؤولة عنهما محذوفة، وتقديره: فكيف حالكم إن جمعناكم، وتحذف الحال كثيرا مع كيف، لدلالته عليه"²، سواءً كان حقيقيا أو مجازيا، وهنا مجازي لأنّه صادر من الله تعالى، والله لا تخفى عنه خافية في الأرض ولا في السماء.

¹ ينظر: أحمد بطل وسيخ الموسوي، الاستفهام المجازي وأثره في السياق القرآني (سورة آل عمران أنموذجا)، مجلة الآداب، ع 113، م، 2015، ص: 97.

² أبو الحيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج: 05، ص: 126.

وعن تأويل الآية، يقول "الزمخشري": "{فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ}، فكيف يصنعون، فكيف تكون حالهم، وهو استعضامٌ لما أعدّه وتهويل لهم"¹.

يقول "أبو السعود" (ت972هـ): "فكيف" ردُّ لقولهم المذكور وإبطال لما غرَّهم باستعظام ما سيهدمهم وتهويل ما سيحقق بهم من الأهوال، أي فكيف يكون حالهم"².

ويتابعهما "الألوسي" (ت1263هـ): ".... استعظام وتهويل وهدم لما استندوا إليه"³.

أفاد الاستفهام لهذا الغرض التَّهْوِيل والتَّهْدِيد حسب ما نصه الأئمة، لهؤلاء الذين أعرضوا لاحتكام بالكتاب الله وحرفوه، ولم يهتدوا في حياة الدين، لذلك يتوعددهم الله عزَّ وجل بالعقاب الأليم.

فجاء تركيب الجملة على النّظام الآتي:

- اسم الاستفهام + ظرف + فعل ماضي + فاعل + جار ومجرور + متممات الجملة.

4-الأمر:

4-1-تعريفه:

أ. لغة:

مصدر بمعنى الطلب، وضدّه التَّهْي، وقد عرفه كثير من أهل اللغة بأنّه: ضدُّ التَّهْي، وذلك لكونه معروفا ضرورة، يقول "ابن منظور": "الأمر: معروف، نقيض النهي لأنَّ الأمر طلب لإيقاع الفعل، والنَّهْي طلب لترك إيقاعه"⁴.

¹ . أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج1، ص: 421.

² أبي السعود محمد بن محمّد بن مصطفى العمادي الحنفي، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج: 02، ص: 21.

³ الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم السبع المثاني، ج: 03، ص: 111.

⁴ . ابن منظور، لسان العرب، مادة (أ م ر).

ب. اصطلاحًا:

هو طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء حقيقيا كان ذلك الاستعلاء، أو ادعائيا: فالأول كقول السيد لعبده: افعل كذا، والثاني كقول العبد لسيد، افعل كذا، متعاضما لا متواضعا¹.

وقد صَنَّف علماء البلاغة الأمر في باب علم المعاني ضمن الإنشاء الطلبي الذي يشمل الأمر والنهي والنداء والاستفهام والتَّمني، ولم يكن معروفا هذا النوع إلا في الوقت متأخرا بعدما استفاد من علم الأصول والتَّحو، وأغلب تعريفات علم المعاني لم توضح أصولها إلا بعد القرن الخامس للهجري نظرا لانشغالهم بنظرية النُّظم، وقضية اللفظ والمعنى، وقضية الفصاحة والبلاغة، فهو عند البلاغيين: "طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء مع الإلزام"²، أو كما يعرفه "صاحب الطراز": "صفة تستدعي الفعل، أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء، فقولنا: صيغة تستدعي الفعل أو قول ينبئ ولم نقل (افعل) و(لتفعل) كما يقول المتكلمون والأصوليون لتدخل جميع الأقوال الدالة على استدعاء الفعل"³.

وتكاد تكون أغلب التعريفات المنتقاة متطابقة في المعنى مع اختلافهم في الصيغ التعبيرية التي يستخدمونها وخاصة في القيم المجازية التي يخرج فيها عن الأصل، حينما يأتي من الأسفل إلى الأعلى "تتولد حينئذ من قرائن الأحوال ما يناسب المقام"⁴.

¹ حامد عوني، المنهاج الواضح للبلاغة، مكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، دط، 2010م، ص: 92.

² جلال الدين محمد عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد الخطيب القزويني (ت739هـ)، الايضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، وضع حواشيه: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان، ط: 01، (2003م/ 1424هـ)، ج: 01، ص: 143.

³ . يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم اليمنى العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج: 03، ص: 281.

⁴ السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 319.

أما تعريف الأمر عند الأصوليين فهو اسم يقع على الأمر الحقيقي، وهو القائم بالنفس الذي يوجب كونه أمراً، ويقع على غيره، ومعنى اختصاص الأمر أنه الدال عليه دون غيره، وهذا باطل لأنّ القول قد يدل عليه وغير القول كالإشارة وغيرها، وأما الذي يقع على غير ذلك، فقد أجمعوا أنه يقع على القول المخصوص على الحقيقة، وهو قول القائل لمن دونه (افعل)، وقد ذهب أكثر الناس إلا أنه لا يقع على الفعل حقيقة، يقول أصحاب الشافعي: "إنه يقع على الفعل حتى قالوا: إن أفعال الرسول عليه السلام على الوجوب، لأنّها داخلة تحت قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ [سورة النور، الآية: 63]، وهذا ليس مقصورا على لفظ الأمر حسب رأي بعض الباحثين، بل يشمل الأساليب التي تعد طلب الفعل طلبا جازما (إيجابا) باعتبار أهم عنصر ذاتي في مفهوم الأمر الذي يدلّ على الوجوب والإلزام، وبعضها يستعمل الطلب على سبيل المجاز وبذلك يخرجها إلى طلب غير الجازم ما يسمى (بالندب)، الذي في الواقع ليس أمرا بمعناه الحقيقي ولو اقتضى إفراغه في قالب صيغة الأمر، وقد ذهب جمهور الأصوليين أنّ صيغة الأمر (افعل وما في معناها) مجردة من القرائن وضعت أصالة للوجوب والإلزام¹، وهذا يقودنا إلى طرح الإشكالية الآتية: هل تلزم الصيغة الأمرية الفورية الامتثال لها أم التراخي؟

يرى الجمهور أنّ مدلول الصيغة لا تقتضي الفور أو التراخي إلا بقرينة، لأنّ الفور والتراخي أمران زائدان عن صيغة الأمر المطلق لغة، إذ الأمر يقتضي طلب إيجاد المأمور به مستقبلا بقطع النظر عن الفورية والتراخي، فإذا اقترن بالصيغة ما يدلّ على الفورية، وجب إيجاد حقيقة المأمور به في الحال، وهذا بالإجماع بأن كان الأمر مقيّدا بوقت ضيق يفوت الأداء بفواته، لأنّه لا يسع غيره كصيام شهر رمضان مثلا، وإن كانت دلالة الحال تقتضي الفورية كالأمر بإنقاذ الغريق أو إطفاء الحريق على مبادرة إلى الامتثال المندوب إليها كقوله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [سورة البقرة، الآية: 148]، أي ابتدروها².

¹ ينظر: فتحي الديري، المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي التشريع الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 03، (1434هـ/2013)، ص: 704.

² ينظر: محمد أحمد زهير، أسلوب الأمر في سورة البقرة. دراسة أسلوبية، حويلات آداب عين الشمس، مج 38، 2010، ص: 110.

وإذا ما رجعنا كتب النحو متأخرة فلن نجد بحثاً مستقلاً بأسلوب الأمر بجميع صيغه وتراكيبه، ويبحث في طبيعته، وأصل معناه، والمعاني الإضافية التي يمكن أن يستعمل فيها، وإنّما نجد النّحاة قد تناولوا مباحثه في أبواب متفرقة فتناولوا صيغة أمر المخاطب (افعل) ضمن موضوع (المعرب والمبني)، وتناولوا صيغة الأمر غير المخاطب (ليفعل) ضمن موضوع (عوامل الجزم) وتناول صيغة الأمر بالمصدر ضمن موضوع (إعمال المصدر) وتناولوا الألفاظ الدالة للأمر، والتي أطلق النّحاة عليها اسم (أسماء الأفعال) ضمن موضوع خاص بها¹، ولم يختلف موقفهم من هذا الفعل إلا في بعض التفصيلات والشروح، فما قاله "ابن عقيل" قاله "سيبويه" من قبل².

وكان حديثهم يتّجه دائماً إلى صيغة المخصوصة من صيغ الأمر وهو (فعل الأمر) فانصب تركيزهم في بناءه وإعرابه وزمنه ودلالته دون وضع حدّ صريح جامع للأمر، يقول "ابن يعيش": "اعلم أنّ الأمر معناه الطلب الفعل بصيغة مخصوصة"³، ويقول: ابن حاجب (ت646هـ): "صيغة يطلب بها الفعل من الفاعل المخاطب بحذف حرف المضارعة"⁴، ويقول "ابن مالك" (ت672هـ): "والأمر مستقبل دائماً، لما كلن الأمر مطلوباً به حصول ما لم يحصل كقوله تعالى: ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [سورة المدثر، الآية: 02]"⁵، ولم يبق على حاله مع المحدثين النّحاة، فقد أعطوا للأمر حدّاً صريحاً أو مشتملاً على جميع صيغه التي تكتنفه سواء صريحة أو غير صريحة، وهو ما ذهب إليه الدكتور "أحمد عبد الستار الجوّاري" في قوله: "والأمر طلب وقوع الفعل، وليس معنى الزمن إثارة فيه، ودعواهم أنّه الاستقبال دعوى لا تقوم على أساس، لأنّهم يستندون فيها إلى أنّ الفعل لا يقع في الماضي، ولا يقع زمن المتكلم، وإنّما هو مطلوب وقوعه بعد أن يلفظ الفعل وينطق به"⁶.

¹ ينظر: قيس اسماعيل الأوسي، أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، ص: 82.

² ينظر: أبي العباس محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، ج: 02، ص: 130، وسيبويه، الكتاب، ج: 01، ص: 137.

³ موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي الموصلي ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري، ج: 04، ص: 289.

⁴ محمد بن الحسن الرضي الاسترابادي، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، ج: 02، ص: 267.

⁵ بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري، تسهيل شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك في النّحو، ج: 01، ص: 17.

⁶ أحمد عبد الستار الجوّاري، نحو التيسير (دراسة ونقد منهجي)، مطبعة المجمع العلمي، العراق، دط، (1404هـ/ 1984م)، ص: 103.

وقد وردت صيغ الأمر في سورة آل عمران بشكل ملفت للنظر على اختلاف صيغه واشتقاقه، إذ بلغ عدد الآيات التي احتوت الصيغة مائة وثلاثة وستون آية، حيث جاء الأمر في السورة بصورته الحقيقية في بعض الآيات، لأنَّ الله يوجب الخطاب إلى الأمة الإسلامية على سبيل الاستعلاء والإلزام، وخاصة كما أن هذه السورة تتحدث عن جوانب التشريع المختلفة التي تعمل على بناء مجتمع مسلم، والحفاظ على حقوق الفرد وكيانه، فالحقيقي يتضمن أربع صيغ مشهورة وهي:

1. فعل الأمر:

كقوله تعالى: ﴿قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ دَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [سورة آل عمران، الآية: 15]، وقوله: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 43].

فالأفعال الأمرية الآتية (اتَّقُوا، اقْنُتِي، اسْجُدِي، ارْكَعِي) حقيقية، تدلّ على القيام بهذا الفعل.

2. فعل المضارع المتصل بلام الأمر:

كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 81]، وقوله: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 104]، فالصيغة الفعل المضارع المجزوم بلام الأمر تدلّ على الوجوب لعدم وجود قرينة صارفة إلى غير ذلك، فهو أمر قائم على تأكيد الأوامر الشرعية على وجه الإلزام يثاب فاعلها ويذم تاركها.

كما يلمح تكرار الفعل المضارع المتصل بلام الأمر في الآية أكثر من مرة لتؤكد الأحكام الواردة في السورة وخاصة أنّ صيغتها تدلّ على الدوام والاستمرارية في الحدث.

3. اسم فعل الأمر:

كقوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 61]، وقوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ [سورة آل عمران، الآية: 61]، وهنا اسم الفعل (تَعَالَوْا) يدل على الوجوب، وهو أمر من النبي لأهل الكتاب، بناء على توجيه الله له بدعوتهم.

4. المصدر النائب عن فعل الأمر:

كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ﴾ [سورة البقرة، الآية: 83]، وهنا المصدر النائب عن الفعل يدل على وجوب الفعل، وهذا النوع منعدم في سورة آل عمران .

هناك مواقف استدعت خروج الأمر على حقيقته على سبيل المجاز إلى دلالات أخرى تفهم وفق ما يدل عليه قرائن الأحوال وسياق الكلام، ومن هذه المعاني التي تكون عليها الجملة الأمرية:

- الدعاء:

قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 08].

لقد خرج الأمر في قوله تعالى: ﴿وَهَبْ﴾ عن معناه حقيقي إلى معنى الدعاء، إذ المقام لا يقتضي صور معنى الأمر لكونه صادر من الأدنى إلى الأعلى، فالبشر مهما علت قدرتهم ومنزلتهم لا يصح ولا يقبل أن يأمر الله تعالى، حيث ابتدأ الله عز وجل خطابه بلفظ الربوبية، "وسر ذلك أن الله تعالى يسأل بربوبيته المتضمنة قدرته وإحسانه وتربيته عبده وإصلاح أمره ويثني عليه بإلهيته المتضمنة إثبات ما يجب له من الصفات العلى والأسماء الحسنى وتدبر طريقة القرآن تجدها كما ذكرت لك، فأما الدعاء فقد ذكرنا منه أمثلة وهو في القرآن حيث وقع لا يكاد يجيء إلا مصدرا باسم الرب"¹.

¹ ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، تج: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، دط، 1425هـ، ج: 02، ص: 293.

- الوجوب والإلزام:

قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 12].

ورد في الآية فعل الأمر (قل) التي تدل على معنى حقيقي تفيد في الأصل الوجوب والالتزام لعدم وجود قرينة صارفة لكون الأمر أو طالب الفعل أعلى منزلة من المأمور، فالخطاب بصيغته الأمرية موجّه للنبي صلى الله عليه وسلم بتبليغ الرسالة الواجب عليه، والتقدير: "قل أيها الرسول للذين كفروا من اليهود وغيرهم والذين استهانوا بنصرك (في بدر): أنهم ستهزمون في الدنيا وستموتون على الكفر، وتحشرون في نار جهنم، لتكون فراشا دائما لكم، وبئس الفراش"¹، وعلى الرغم أنه لم يخرج عن أصل معناه، غير أنّ السياق القرآني قد أضفى دلالات فرعية مجازية تجلّت في: الإخبار والتهديد والتّوعد.

وقد حظي فعل الأمر (قل) بأكثر الصيغ ورودا في الآية، حيث ورد أربعة وعشرين مرّة، وراجع لارتباط هذا الفعل بالأمر الإلهي الذي يقوم أساسا على التّكليف الشرعي وإلزام المكلف لما يمليه خطاب الشرعي، فكلمة (قل) وأمثالها بصفة عامة تدلّ دلالة واضحة عن النبي صلى الله عليه وسلم حيث أمر بتبليغ الرسالة القرآنية على أكمل وجه دون إحداث تغيير في أي حرف أو تصريح في القول، ليظهر للناس في إيجاز وصراحة على أن القرآن ليس من عند محمد، وإنّ محمد تلقّاه من عالم الغيب ونقله إلى عالم الشهادة، فكل لفظ فيه وكل حرف هو من عند من أوحى بالقرآن إلى رسوله ليبلّغه بنصّه وفصّحه للناس.²

كما نلاحظ حضور بعض مشتقات فعل الأمر كصيغة (قولوا) المقترنة بواو الجماعة الفاعلية، في قوله تعالى: ﴿فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 64]، للتأكيد أنّ الله سبحانه يخاطب الفرد والجماعية لأجل إصلاح المجتمع، على وجه الإلزام

¹ يعي العوماري، بدائع التفسير، ج: 02، ص: 51.

² محمد أحمد الغمراوي، كلمة (قل) في القرآن، مجلة النبوي، مج 15، ع 02، صفر (1370هـ)، (موقع التفسير).

والوجوب، بمطالبة النبي صلى الله عليه وسلم ومعاشر المؤمنين بالاعتراف بأنهم مسلمون منقادون لدين التوحيد وتعظيمه والإذعان لأوامره، ومخلصين لله رب العالمين، واعتراف بأنهم كفار. (اليهود والنصارى) بعد توليهم للدين وإعراضهم عن قبول الحق.

- التعريض:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 64]

استأنفت الآية بفعل أمر صريح (قل) وهو الوجوب والالتزام، فالخطاب في الآية للرسول صلى الله عليه وسلم مكلف بتبليغ الرسالة عن الله تعالى فهذه وظيفته، لأنه عبد مأمور لربه وخالقه، والمعنى: "قل يأيها الرسول لأهل الكتاب من اليهود والنصارى، تعالوا إلى كلمة عدل وحق نلتزم بها جميعا..."¹، وفي الأخيرة في قوله تعالى: ﴿اشْهَدُوا﴾، فقد أخرج الأمر إلى معنى المجازي وهو التعريض المشركين، أو طلب المؤكد بإقامة حجة دامغة عليهم، يقول "الزمخشري" (ت538هـ): "أي لزمتمكم الحجة فوجب عليكم أن تعترفوا وتسلموا بأن مسلمون دونكم، كما بقول الغالب للمغلوب في الجدل أو الصراع وغيرهما، اعترف بأنني الغالب وسلم لي الغلبة، ويجوز أن باب التعريض، ومعناه اشهدوا واعترفوا بأنهم كفرون حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره"².

- التّعجيز:

قال الله تعالى: ﴿قَاتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاَتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 93].

¹ . تفسير المسير، ج: 03، ص: 58.

² . أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج1، ص: 371.

قد خرج الأمر بالآية إلى معنى التعجيز، فاقتضى السياق العدول من معنى طلب الفعل إلى معنى يؤدي إشلال بحركتهم وإظهار عجزهم، فأثبت قصور حجتهم عن الإتيان بمثله، قال "أبو حيان" (ت745هـ): "وروي أنَّهم لما يتجاسروا على الإتيان بالتوراة لظهور اختصاصهم بالإتيانها، بل بهتوا وذلك كعادتهم في كثير من أحوالهم"¹.

- النصّ والإرشاد:

قال الله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 95].

والظاهر أنَّ فعل الأمر (اتَّبِعُوا) جاء على سبيل الوجوب والإلزام، لأنَّه أمر إلهي الصادر من الأعلى إلى الأسفل، فعلى الرغم لم يخرج عن أصل معناه، إلى أن السياق القرآني أضفى دلالة مجازية فرعية في غمار فعل الأمر الحقيقي الأصلي، ألا وهو: الإرشاد، حيث أرشد الله عباده باتباع ملة الإسلام التي هي في الأصل ملة إبراهيم، والتخلص من اليهودية التي اضطرت أهل الكتاب إلى التحريف والمكابرة وتلفيق الأكاذيب لتسوية الأغراض الدنيئة الدنيوية، وتحريم الطيبات محللة لإبراهيم عليه السلام وأتباعه².

- الإهانة:

قال الله تعالى: ﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 181].

اشتملت الآية على فعل الأمر (ذوقوا) وقد خرج من معناه الأصلي لا تكليف فيه ولا إلزام، وإنما هو طلب يحمل في طياته معنى الإهانة والإذلال والتوبيخ، وإلا فإنَّهم سيذوقون عذاب الحريق قيل لهم ذلك أو لم يقل لهم³ فهو ثابت في حقهم، وحسب رأي "القرطبي" هذا القول يقال لهم في جهنم، أو عند الموت، أو عند الحساب، فهو خارج عن دار التَّكْلِيفِ⁴.

¹. أبو الحيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج: 03، ص: 265.

². ينظر: أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج: 02، ص: 59.

³. محمد صالح عثيمين، الكثر الثمين في تفسير ابن عثيمين، ج: 03، ص: 492.

⁴. ينظر: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع الأحكام القرآن والمبين لما تضمَّنه من السنَّة وأي الفرقان، ج: 04، ص: 295.

- التكوين:

قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 47].
وهذا يدل على كمال القدرة على الخلق، وعلى رأي "الطبري" فإن الآية تتعلق بالأحكام
والحتمية للأمور، ف (كُنْ) تكون للأمور فيكون ذلك الأمر كما أراده الله¹.

- التهديد:

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [سورة آل عمران، الآية:
79].

فالمتمثل للسياق العام للآية سيجد بحد ذاتها تخويفاً، لاحتواء في ثناياها على الوعيد
والتهديد، لعدم رضا الأمر الإلهي لما ادّعته اليهود والنصارى في حقّ الأنبياء، فالله سبحانه
وتعالى ينفي افتراءاتهم الكاذبة عن أنبياء بعد ما آتاهم من الكتاب والحكمة والنبوة بأمر
العباد اتخاذه ربّاً من دون الله²، وتوعدهم الله بالزجر في ثنايا السياق بصيغة الأمر ليقبلوا
عن الإلحاد ويكفوا عن العناد.

5-النداء:

5-1-تعريفه :

أ. لغة:

أصل النداء هو (ن د ي) فهو مشتق من الندى، أي البلب والرطوبة، يقول "ابن منظور"
والندى: البلب... وما يسقط بالليل، والنداء والنداء: الصوت مثل الدعاء والرّخاء وقد ناداه
ونادى به وناداه مناداة ونداء أي صاح به، والندى: بعد الصوت (...) وفلان أندى صوتاً من
فلان أي أبعد مذهباً وأرفع صوتاً، وتنادوا: اجتمعوا³، وقد سعى ابن الشجري النداء دعاءً
فقال: "القول في النداء وهو الدعاء"⁴، فالنداء يدور معناه لغوياً بين الدعاء ورفع الصوت.

¹ . ينظر: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 02، ص:

544.

² . ينظر: المرجع نفسه، ج: 06، ص: 540.

³ . ابن منظور، لسان العرب، ج: 15، ص: 313/316. مادة (ن د ي).

⁴ . هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة العلوي (450هـ/542هـ)، أمالي ابن الشجري، مطبعة المدني . القاهرة . مصر،
ط: 01، (1413هـ/1992م)، ج 01، ص 417.

ب. اصطلاحاً:

وقد جعل النُّحاة النداء في باب المنصوبات من الأسماء، الذي يقصد به التنبيه والاستدعاء، وأوضح "ابن يعيش" أنَّ التنبيه لأجل الإقبال بقوله: "وأصل النداء تنبيه المخاطب ليقبل عليك"¹، وكذلك "حسن عباس" في قوله: "أنَّ النداء توجيه الدعوة إلى المخاطب لتنبيهه لسماع ما يلقي عليه"²، وتابعهم النُّحاة المحدثون.

وقد سار علماء البلاغة على نهج النُّحاة في مفهوم النداء الذي يقوم على أساس التخاطب، يقول "الخطيب القزويني" (ت739هـ): "طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف مخصوصة"³، ويبدو أنَّ التعريف الوظيفي هو السائد عند النحاة المتأخرين والمحدثين منهم فنجدته كثيراً ما يتردد في كتبهم مثل ما هو عند "المكودي"، و"أحمد الهاشمي"، و"حسن عباس" في قوله: "أنَّه طلب إقبال المخاطب بأحرف مخصوصة"⁴، إذن فتحديد المنادى يكمن بوضع أحد أحرف النداء، وهو أسلوب يكثر استعماله في الكلام العربي لأنَّه أحد أساليب التخاطب اليومية، ويضطر في بعض الأحيان إلى الاستغناء عنه عندما يكون المخاطب ماثلاً أمامك أو مقبلاً إليك، وقد أشار إلى هذا "سيبويه" في قوله: "إنَّما فعلوا هذا بالنداء لكثرة كلامهم، لأنَّ أول الكلام ابدأ النداء إلا أنَّ تدعه استغناء بإقبال المخاطب عليك، فهو أول كل كلام لك، به تعطف المكلَّم عليك، فلمَّا كثُر كان الأول في كل موضع حذفوا منه تخفيفاً لأنَّهم مما يعيرون الأكثر في كلامهم، حتَّى جعلوه بمنزلة الأصوات"⁵.

¹. موفق الدين أبي البقاء يعيِّش بن علي الموصلي ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري، ج: 08، ص: 120.

². ينظر: مهدي المخزومي، في النحو العربي (نقد وتوجيه)، ص: 301.

³. جلال الدين محمد عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد الخطيب القزويني، الايضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبدیع)، ج: 01، ص: 136.

⁴ درويش خطيب، علم المعاني، ص: 58، ينظر: عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص: 125، وينظر: محمد أبو موسى، دلالات التراكيب، ص: 278.

⁵. سيبويه، الكتاب، ج: 02، ص: 208.

وقد أشار "الجرجاني" (ت471هـ) إلى أحد مميزات أسلوب النداء في تراكييب الجملة وهو تعلق حرفه ظاهراً أو مضمراً بالاسم، "جملة الأمر أنه لا يكون كلام من حرف وفعل أصلاً، ولا من حرف واسم إلا في النداء، نحو: يا عبد الله وذلك أيضاً إذا حقق الأمر كان كلاماً بتقدير الفعل المضمّر الذي هو أعني، وأريدُ، وأدعُو، و(يا) دليل على قيام معناه في النفس"¹.

ويعتبر النداء من الجمل الأسلوبية غير الاسنادية لأن عباراته انفعالية غير خبرية، فهو أسلوب انشائي طلبی، وهو "من الجمل التي تعتمد على أداة النداء ومعناها"².

وقد أقدم "ابن جني" (ت392هـ) بعرض مثال في مجال النداء ليوضح الفرق بين الجملتين، فإحدهما إنشائية والأخرى خبرية، ففي "قولنا (يا زيد) غير قولنا (أنادي زيدا) أو (أدعو زيدا)، لأن في تقدير الفعل (أنادي) و(أدعو) إزالة غاية النداء وينقله من الإنشاء إلى الخبر، يقول "ابن جني": "ألا ترى لو تجشم إظهاره، فقل (ادعوا زيدا) و(أنادي زيد) لاستحال أمر النداء فصار إلى لفظ الخبر المحتمل الصدق والكذب والنداء مما لا نصنع منه تصديقا ولا تكديبا"³، ولم يذكر بتاتا عن العرب عوضت حرف النداء بالفعل (أدعو) و(أنادي)، ذلك أنهم أجازوا حذفه، يقول السيوطي: "إن العرب لم تقدر أحرف النداء عوضاً عن (أدعو) أو (أنادي) لإجازتهم حذفها"⁴.

2-5- أحرف النداء:

النداء لون من ألوان الخطاب له أدوات خاصة تميزه عن بقية الحروف اللغوية الأخرى، فهو ينطق بامتداد الصوت لبث كوامن النفس وجلب انتباه المخاطب، يأتي غالباً في

¹ . عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ج: 02، ص: 51.

² . تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 219، ينظر: مبارك تريك، النداء في القرآن سورة البقرة نموذجاً، أطروحة دكتوراه، جامعة يوسف خدة، الجزائر، كلية الآداب واللغات، 2007م، ص: 11.

³ . أبي الفتح عثمان ابن جني (ت392هـ)، الخصائص، ج: 01، ص: 186، ينظر: مبارك تريك، سورة البقرة نموذجاً، ص: 11.

⁴ . جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، ج: 01، ص: 138.

السياقات المليئة ذات الحس الطاعني والموقف المفعم، وترى الأداة في كثير منها كأنها صيحة أو صرخة تمثل في كثير من المواقف قمة الإحساس، والحاجة الملحة إلى لفت ما يسمع وإيقاظه¹، لذا طبيعى أن تصنف بمنزلة الأصوات على حد قول "سيبويه" أنفاً.

وقد اختلف النُّحاة في عدد أدوات النداء فقد ذكر "سيبويه" أنَّها خمسة وهي: "يا، أيا، هيا، أي، الهمزة"، وذكره الآخرون أنَّها ثمانية: "الهمزة، أي، أيا، هيا، آ، أي، وا"².

وقد تم تقسيم النُّحاة أدوات النداء إلى قسمين:

- القسم الأول: يضم (الهمزة، وأي) للنداء القريب، وعلة ذلك فلا يحتاج مد الصوت فيها عند ندائه لأنَّ المصغي قريب، وفي ذلك يقول "ابن يعيش": "ليس فيها ما يعين على مدّ الصوت، ولأنَّ الهمزة تفيد تنبيه المدعو ولم يرد فيها امتداد الصوت لقرب المدعو"³.

- القسم الثاني: يضم الأدوات التالية (يا، أيا، هيا، آ، أي، وا) وتستعمل للنداء البعيد، وتعد الأداة (يا) أشهر أحرف النداء وأكثرها استعمالاً، حتّى أنها سميت بأمر النداء أو أم الباب.

ثم يأتي (أيا، هيا) للنداء البعيد، لاشتغالها على الألف المد المناسب لمد الصوت، والذي لا يكون إلّا للبعيد، أما الأداة (وا) للندبة، يقول "الرماني": "أنها تختص بالمندوب للاستغاثة وطلب العون مثل قولنا: (واعتصماه) فلا ينادي بها إلّا للمندوب نحو: (وازيداه)، والندبة في نداء المتفجع عليه أو المتوجّع منه"⁴، إلّا أنّ هناك أسباب بلاغية ودقائق فنية

¹ . محمد أبو موسى، دلالة التركيب (دراسة بلاغية)، دارالعلم، القاهرة، ط: 01، 1979م، ج: 02، ص: 208.

² . بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، منشورات جامعة طرابلس، ط: 01، 1977م، ج: 02، ص: 871.

³ . موفق الدين أبي البقاء يعيـش بن علي الموصلي ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري، ج: 02، ص: 15.

⁴ . علي بن عيسى الرُّماني، معاني الحروف، حققه وخرج حديثه وعلّق عليه عرفان بن سليم العشا حسونة الدمشقي، المكتبة العصرية، بيروت . لبنان، دط، دت، ص: 91.

تقتضي خروج النداء عن إطاره المؤلف إلى معاني أخرى تعرف من دلالات السياق، كـ "تنزيل القريب منزلة البعيد، أو لاستبعاد الداعي نفسه عن حال المنادى كقولنا: يا الله، مع أنه أقرب إلينا من جبل الوريد، أو لاستعظام الأمر المدعوله، أو للحرص على إقباله... أو لبلادته فكأنه بعيد لا يسمع... أو لانحطاط شأنه"¹، لكن من الناحية النحوية يعد النداء بصرف النظر عن خروجه لأنه يحمل نفس الإعراب.

وإنّ المتمعن للجمل الندائية في السورة الكريمة، يكثر فيها النداء (يا) و(أيها)، وهي أعم الحروف النداء ولم يقع النداء بها، كقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 99].

لقد تميز السياق القرآني باختيار النمط للمكونات اللغوية للآية، تمثل استحضار ثلاث أساليب طلبية أضفت انسجاما تركيبيا بهذه الصيغ رتبها في سياق الواحد لخلق قيم خلافية بين التراكيب، أفرزت انسجاما وتداخليا أسلوبيا على صعيد الجمل.

ابتدأت الآية الكريمة بفعل الأمر (قل) وهو تكليف فيه وتشريف وبيان أهمية لما سيتعرض إليه لا حقا، وهو أمر حقيقي يقتضي الإلزام به، وجاء بأداة النداء (يا) بعده، وهي هنا للنداء البعيد توجي بغفلة المخاطبين و تميز المنادى بإضافته (أهل الكتاب) ليعلم المخاطبين بأنّ النداء خاص بهم وموجه إليهم، وأتهم المقصودين بالأمر ليزدادوا انتباها وتركيزا لما سيلقى إليهم، والملاحظ لم يصرح بالكفر لهذه الفئة من الناس ونسبهم إلى الكتاب لما فيها من تقريع وتوبيخ لهم وتذكيرهم بأنهم الأولى باعتناق لدين محمد صلى الله عليه وسلم والتّصديق به.

¹ أبي العباس أحمد بن محمد بن محمد ابن يعقوب المغربي، مواهب المفتاح في شرح تلخيص المفتاح، ج: 02، ص: 517.

والملاحظ أيضا أنّ الاستفهام الذي تلا هذا النوع من النداء قد أخرجه من معناه الحقيقي إلى معنى الإنكاري لما هم عليه من كفر وضلال وصدّ، في قوله تعالى: ﴿لَمْ تَكْفُرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 98]، ﴿لَمْ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 99]، ﴿لَمْ تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 71]، فهم على يقين بالدين الجديد الذي يتقاطع مع دينهم، وأنّه سيأتي نبي عربي اسمه محمد صلى الله عليه وسلم ووقفوا على بعض صفاتهم التي حثها الله بها في كتبهم، وعابوا بعض رهبانهم في الواقع، والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ ومع هذا يمنعهم كبرياءهم بالإيمان به، وتعتنهم بعدم التسليم بهذا الدين الجديد. وقد جاء نمطه على الصورة التالية:

- فعل الأمر + حرف النداء + منادى + مضاف إليه + اسم استفهام (جار ومجرور) + متممات الجملة.

والشيء الملفت للانتباه، نجد نداء المؤمنين (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) أكثر النداءات ترددا في السورة لتحقيق غاية أسلوبية، نذكر قوله تعالى: ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 200] وكما يرى علماء البلاغة في نداء (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) موصوف محذوف، على حد قول "ابن الأثير": "ولو تأملت حذف الموصوف في مواضع كثيرة، فوجدت أكثر وقوعه في النداء وفي المصدر، كقولهم "يا أيها الظريف"، تقديره يا أيها الرجل السّاحر، وكذا في قوله تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا" وتقديره: يا أيها القوم الذين آمنوا"¹.

وكان السر البلاغي لحذفه لغرض الإيجاز، تمثل في إثبات الصفات وإلباس الموصوف مما يوحي بعلو شأن المنادى تشريفا وتكريما له، يقول "عبد الواحد وافي": "زيادة إيناس وتكريمهم لأنهم أحب إلى الإنسان هو أن تناديه بما يدل على عظمته وسموه"².

¹ . ضياء الدين ابن أثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج: 02، ص: 349.

² . علي عبد الواحد وافي، نداء المخاطبين في القرآن وأسراره البلاغية، مجلة كلية اللغة العربية، السعودية، ع: 08، 1978م. ص: 85.

وقد ذكر "ابن مسعود" مكانة هذا النوع من النداءات للمؤمنين، وأهميتها في بيان التشريع الإسلامي وما ينطويه من أحكام خصهم الله به، فقال: "أن سمعت الله يقول (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) سمعك فإنه خيرٌ يُؤمر به أشرُّ يُنهى عنه"¹. والغاية من تلك الأوامر والنواهي بناء مجتمع مسلم يلقي الأحكام والتشريعات التي تنظم حياتهم، تعنى بـ "خلق عقلية جديدة وأفكار ومفاهيم في الإنسان العربي المسلم فالقرآن الكريم مدرسة مختلفة استطاعت أن تخرج وتصوغ نماذج من المسلمين ترفعوا عن البشرية في عقليتهم وسلوكهم"².

وقد تدرج نداء المؤمنين في السورة الكريمة من حرف (يا) التي هي للنداء البعيد وتوكيدها بـ (ها) تنبيه آخر للمخاطب لموضوع ذو أهمية ومكانة في حياتهم، واقتترانه الدائم مع فعل الأمر، لينتهي التركيب الجمع بين الحرف والفعل، الذي لعب دوراً في تقرير هذه الأحكام المشرعة والتخلي والعمل بما أمرنا به الله سبحانه المتعلقة بعلاقتهم بالله من إيمان وعبادة وتقوى وإخلاص، وبحياة الناس وتعاملاتهم اليومية، والدليل لما جاءت به خاتمة الآية للسورة، يقول "الرازي": "أنها مشتملة على جميع الآداب وذلك لأن أحوال الإنسان قسمان، منها ما يتعلق به وحده ومنها ما يكون مشتركاً بينه وبين غيره، أما القسم الأول لابد من صبر، وأما القسم الثاني لابد من مصابرة"³. وفي تقديمه للصبر عن بقية الأوامر الأخرى حكمة بلاغية اقتضاها سياق الحال، فكلمة الصبر جامعة لمعاني كثيرة طاعة الله فيما أمر ونهى، صعبها وشديدها، وسهله وخفيفها⁴ التي يقتدي بها المؤمن وتجعله يتحمل المحن والشدائد، وتقويه من الوقوع المحرمات ويترفع عن الشهوات، فهي تربية كاملة لنفس في سبيل الله، فتعطي القوة على مرابطة أعداءه ومحاربتة بالنفس والنفيس لإعلاء كلمة الحق.

¹. ابن مسعود، تفسير القرآن الكريم، ابن مسعود، ج: 01، ص: 149

². نعمة هادي الساعدي، القرآن الكريم والعقلية العربية، دار الهدى، إيران، ط1، 1424هـ، ص: 170.

³. فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب التفسير الكبير، ج: 09، ص: 155.

⁴ ينظر: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 03، ص:

وقد جاء نمطه بالصورة الآتية:

- أداة النداء (يا) + ها (مفعول به) + اسم موصول + فعل الأمر + فاعل (مستتر) + فعل الأمر + فاعل (مستتر) + متممات الجملة.

وقد ورد حرف النداء محذوفاً، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً

طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 33].

إن عدول الأسلوب القرآني إلى نمط التركيبي للنداء بحذف أدواته لتحقيق مقاصد دلالية اقتضاها سياق الآية، وخاصة في مواطن الدعاء يتم فيها حرف النداء (يا) لأنه أقرب إلى عبده من حبل الوريد، فقد جاء الكلام في سياق الحديث لما رآه زكريا لمريم من رزق وفضل أكرمهم الله بها، توجه إلى ربه أن يرزقه الله ولدا صالحا مباركا من عنده.

فالمقام مقام عجلة، وجاء الحذف تماشياً مع غرض الإسراع بقصد الإفراج عن الكلام بسرعة للحديث عن الغرض المطلوب والمهم فمقام الدعاء هنا يتطلب العجلة لما في ذلك إيجاز واختصار اتسم به السياق للآية.

ولعل هذا التوافق والانسجام بين النمط التركيبي والمقصد الدلالي يلمح بوجود علاقة بين المنادي من المنادى قرباً معنوياً فكأنه زكريا عليه السلام لقربه لا يحتاج لوساطة لمن يناديه ويناجيه أن يحقق له أمنيته، فقد جعله مضافاً، ويكون تقدير الكلام "يا ربي"، وبذلك أخرج النداء من دلالاته الأصلية إلى معاني جديدة كالتضرع والتوسل والاسترحام والاستعطاف تطلبه سياق المقام، وقد جاء نمطه بالصورة الآتية:

- أداة النداء محذوفة + منادى مضاف + مضاف إليه (محذوف) + متممات الجملة.

كما جاء النداء في الموجه للنبي عيسى عليه السلام لتثبيت وتأكيده معجزته الربانية

والتذكير لما منه من النعم يستحق بها الشكر، في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ هَذَا الصُّلْبَ مِنْ لَدُنْكَ وَمُطَهِّرْكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [سورة آل عمران، الآية: 55].

يعد هذا النداء من خطاب العين؛ يقول الزركشي: "خطاب العين نحو: (قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى) وهو نداءٌ للتَّعْظِيم والتَّشْرِيف وعلوُّ المنزلة فإن القرآن يكرم من يتوجه إليه النداء"¹، والخطاب هنا موجه للرسول صلى الله عليه وسلم، والتقدير: أذكركم يا محمد حيث خصه الله بالاطلاع على القصص الأولين وإعلامه بالأمور الغيبية لا يعلمها إلا الله، و"عبر عنها بصيغة الماضي دلالة على وقوعه لا محالة وهذا من أسرار الغيوب التي أطلع عليها نبيّه صلى الله عليه وسلم"².

وقد جاء نمطه على الصورة التالية:

- حرف النداء (يا) + منادى + حرف توكيد + اسم إنَّ + خبر إنَّ + متممات الجملة.

6- النفي والنهي:

1-6- الجملة المنفية:

أ. لغة:

تباين اللغويون في تعريف النفي، ويمكن إيجاز تعريفاتهم للنفي على النحو التالي: ذهب "الجوهري" إلى أنه الطرد³، وعند "ابن سيده" في مخصصه فمعناه السلب⁴، وعند "الزمخشري" في أساس البلاغة فمعناه التنحية والإخراج⁵، وفي لسان العرب "لابن منظور" فالنفي هو الجحد⁶.

¹. مبارك تريكي، النداء في القرآن سورة البقرة نموذجاً، ص 134.

². ابن أبي حاتم الرازي، تفسير القرآن العظيم مسنداً عن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، ج: 02، ص: 116.

³. أبو النصر اسماعيل بن حماد الفارابي الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج: 05، ص: 1995. مادة (ن ف ا)،

⁴ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى، المخصص، تح: ليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1996، ج: 13، ص: 248.

⁵. أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، ج: 02، ص: 468.

⁶. ابن منظور، لسان العرب، ج: 14، ص: 247.

ب. اصطلاحًا:

النفى أسلوب لغوي تحدّده مناسبة القول، وهو أسلوب نقض وإنكار يستخدم لدفع ما يتردد من ذهن المخاطب¹، وهو باب من أبواب المعنى يهدف به المتكلم إخراج الحكم من تركيب لغوي مثبت إلى ضده، وتحويل معنى ذهني فيه الإيجاب والقبول إلى حكم ما يخالفه إلى نقيضه، وذلك بصيغة تحتوي على عنصر يفيد ذلك، أو بصرف ذهن السامع إلى ذلك الحكم عن طريق غير مباشرة من المقابلة أو ذكر الضد، أو بتعبير يسود في مجتمع ما فيقترن بضد الإيجاب والإثبات².

تعرف الجملة المنفية به إذا تصدرت بأداة نفي، يقول "ابن جني": "اعلم أنّ كل فعل أو اسم مأخوذ من الفعل أو فيه معنى الفعل فإن وضع ذلك في كلامهم على إثبات معناه لا سليم إياه، وذلك قولك قام بهذا لإثبات القيام وجلس لإثبات الجلوس، وينطلق لإثبات الانطلاق، وكذلك الانطلاق ومنطلق جميع ذلك وما كان مثله، إنّما هو لإثبات هذه المعاني لا لنفيه، ألا ترى أنّك إذا أردت نفي شيء منها ألحقته حرف النفي فقلت: ما فعل، ولم يفعل، ولن يفعل، ولا يفعل ونحو ذلك"³.

وهو ليس الأصل في بناء الجملة العربية، وإنّما هو عارض من العوارض المهمة التي تعرض البناء الجملة فتفيد عدم ثبوت نسبة المسند للمسند إليه في الجملة الفعلية والاسمية على حد سواء⁴، فحقيقة النفي تتوجّه إلى المسند، وأما المسند إليه فلا ينفي، ولذلك يمكن في الجملة الاسميّة أن يتصدّر النفي الجملة، فيدخل المبتدأ والخبر معاً، ويمكن أن يتصدّر الخبر فحسب بوصفه المسند، وذلك إذا كان الخبر جملة أو تكون الجملة المنفية

¹. مهدي مخزومي، في النحو العربي (نقد وتوجيه)، ص: 246.

² ينظر: خليل أحمد عامرة، أسلوبا النفي والاستفهام في العربية في منهج في تحليل اللغوي، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1، 1987، ص: 56.

³. أبي الفتح عثمان ابن جني (ت392هـ)، الخصائص، ج: 03، ص: 77.

⁴. ينظر: محمد حماسة عبد اللطيف، في بناء الجملة العربية، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، دط، 2003م، ص:

خبراً عن المبتدأ، مثل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية: 235]، فالجملة الكبرى هنا مثبتة، لأن النفي لم يتصدر الجملة كلها ولكنه دخل على عنصر مكون منها هو الخبر (لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)، فعد هداية القوم الظالمين مخبره عن المبتدأ (الله) وهو ثابت له، وقد أخبر عن المبتدأ بالجملة المنفية¹، أما بالنسبة للجملة الفعلية فلا بد أن يتصدر النفي الفعل وحده لأن الفعل المسند فهو مقدم ضروري للفاعل، كقوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [سورة النساء، الآية: 149]، وقوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [سورة المجادلة، الآية: 21]، بقول "فخر الرازي": النفي إذا أدخلته على الفعل، فقلت: (ما ضرب زيداً)، كنت نفيت فعلاً لم يثبت أنه مفعول، لأنك نفيت عن نفسك ضرباً واقعاً، وذلك يقتضي كونه مضروب بل ربما لا يكون مضروباً أصلاً، وإذا دخلته على الاسم كقولك: (ما أنا ضربت زيداً) لم تقله إلا وزيد مضروب، وكان القصد أن تنفي أن تكون أنت الضارب، فإذا قلت: "ما ضربت زيداً"، فقدمت الفعل كان المعنى نفي وقوع ضرب منك، من غير تعرض لبيان كونك ضارباً لغير زيد، فإذا قلت (ما زيداً ضربت) كان المعنى أن ضرباً منك وقع على إنسان، فظن أن ذلك الإنسان هو زيد، فنفيت أن يكون إياه²، وهذا المعنى يفرق بين النفي في الجملة الفعلية وفي الجملة الاسمية إذا ما احتوى ذات الألفاظ، وإذا ما تأملنا التراكيب المنفية في اللغة العربية، أدركنا أن الأداة المستعملة فيها ليست مترادفة، فلا يمكن أن نستبدل بعضها من بعض في نفس السياق، فمثلاً جملة (لن يتزوج خالد هنداً) تختلف في دلالتها عن (شربت قهوة لا شايًا)، وإنما تخضع لتوزيع تكاملي تختص كل أداة منها بنمط معين من السياقات³.

¹ ينظر: محمد حماسة عبد اللطيف، في بناء الجملة العربية، ص: 375.

² فخر الدين الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تح: بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 02، 1985م، ص: 306/305.

³ ينظر: أحمد المتوكل، الوظيفة والبنية مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية، مطابع منشورات عكاظ، الرباط، دط، دت، ص: 80.

والنفي . كالإثبات . لا يكون إلاّ خبراً أي يحتمل الصدق والكذب لذاته، ولذلك تقبل الجملة الاسمية النفي دائماً، ولا تقبل الجملة الفعلية إلا إذا كان الفعل ماضياً أو مضارعاً، فإنّه إذا كان فعلها أمراً فإنّه لا ينفي مطلقاً، وإذا ريد طلب عدم الفعل عبر عنه بالنهي مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَةَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [سورة آل عمران، الآية: 32]، أو الدعاء، مثل قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ [سورة البقرة، الآية: 268]، وغير ذلك مما يفيد طلب الفعل، وهو ليس نفياً على أي حال¹، والمقصود بالحديث هنا عن النفي الذي يكون بالأداة التي اصطنعتها اللغة العربية لأداء هذا الغرض، ولن نتعرض للنفي الضمني الذي يفهم من دلالة الأفعال والأسماء ك (امتنع ورفض وأبى ونفى) مصادرها وما يشتق منها، والدليل لو قال مثلاً "أبى محمد أن يحضر" عدّت هذه جملة مثبتة، وإن كانت دلالتها السلب، وإنّما أريد التعبير عن هذا المعنى بجملة منفية: "ما قبل محمد أن يحضر" فالجملة الأولى أثبتت محمد أباة الحضور، والثانية عنه قبول الحضور²، وهذا يقودنا بالتالي إلى دراسة هذا الأسلوب في سورة آل عمران وما اعترته من دلالات يخرج به من مقتضى الظاهر بنسخ النفي إلى الإثبات حيث ورد نمطه التعبيري في ثلاثة وستين موضعاً موزعاً على المساحة اللفظية للسورة، ولنبدأ بالأداة النفي (لا) كانت لها نصيب أوفر من الحضور مقارنة بالأدوات الأخرى.

1. الجملة المنفية ب (لا):

إنّ أصل الأداة "لا" النفي، واستغرقت بهذا المعنى كأنّها علّمٌ له، تدخل على الجملة الاسمية فتعمل عمل (ليس)، وشرط إعمالها نفي الخبر وتأخيرها، وتعمل عمل "إنّ" لإفادة التنصيص على استغراق النفي للخبر كلّ، كما تستعمل في أسلوب العطف بعد الإثبات، وتدخل على الجملة الفعلية فتفيد نفي الماضي والحال والمستقبل³. ودخولها على الفعل

¹ ينظر: محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، ص: 281.

² ينظر: المرجع نفسه، ص: 181 / 182.

³ ينظر: نعمت مأمون نصري الشيخ البزورية، محل النفي وأثره في الاختلاف الفقهاء والأصوليين (دراسة تأصيلية مقارنة مقاصدية)، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، دط، 2020، ص: 58.

المضارع هو الغالب في استعمالها، فلا عمل لها حينئذ سوى النفي لوحده، وإن كان النّحاة يرون أنّه تخلصه للاستقبال، قال "سيبويه": "وإذ قال (هو يفعل) ولك يكن الفعل واقعا فنفيه لا يفعل، وإذ قال (ليفعلن) قنفيه لا يفعل، كأنّه قال (والله ليفعلن) فقلت والله لا يفعل"¹، ثم تبعه "المبرد" في ذلك، فقال: "ومنها (لا) وموضوعها في الكلام النفي، فإذا وقعت على فعل نفته مستقبلا، وحسن نفيها لما وقع موحيا للقسم، كقولك، ليقومنّ زيد، فنقول: لا تقوم يا فتى، كأنك قلت: والله ليقومنّ، فقال المجيب: والله لا يقوم"²، ومنهم أرجع البعض دلالة (لا) على معنى الحال أو الدوام³.

2. الجملة الفعلية المنفية بـ "لا":

لقد دخلت أداة النفي في السورة على الفعل المضارع ولم تدخل على الفعل الماضي، وبذلك تفيد الجملة الفعلية المضارعة المنفية بـ (لا) الاستقبال المتناول، كون آخرها ألف، وهو حرف يطول فيه النّفس، فناسب طول المدة⁴، علاوة عن نفيها عام مطلق مستغرق لجميع الأزمنة، وتمّ ذكرها في السورة في اثنين وثلاثين موطنا، اتخذ أنماطا مختلفة، منها:

قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 05].

كما نرى هذه جملة خبرية مؤكدة عن لفظ الجلالة، الذي جاء اسما بـ (إنّ)، وهي جملة استئنافية لبيان سعة علمه وإحاطته بالمعلومات، وعبر عنها معلوماته بالأرض والسماء مع كونها أوسع من ذلك، لقصور عبادته عن العلم بما سواهما من أمكنة مخلوقاته وسائر معلوماته⁵.

¹ سيبويه، الكتاب، ج: 03، ص: 117.

² أبي العباس محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، ج: 01، ص: 47.

³ ينظر: هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني العلوي، أمالي ابن الشجري، ص: 226.

⁴ ينظر: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهارد الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج: 2، ص 420-421.

⁵ ينظر: محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ج: 01، ص: 312.

فدلالة الزمن في الجملة الفعلية مجرد غير معين بزمان، تمثلت في نفيها الفعل المضارع الذي يرد منه نفي دائم، فعدم الخفاء شيء على الله ثابت في كل الأزمنة ومستمر، وقد جاء نظام الجملة في ترتيب عناصرها على الصورة:

- أداة النفي (لا) + جار ومجرور + فاعل + جار ومجرور.

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 32].

نجد التعبير القرآني قد استخدم أداة النفي (لا) متلوا بفعل مضارع، ارتبط السياق عموماً بعالم الكفر مناسبة للمقام أكثر من غيرها، توحى صيغتها الصوتية معنى التأييد بوجود ألفا في نهايتها، يتناسب ما صدر لأهل الكفار من ظلم وتوالي عن طاعة الله ورسوله كما هو وارد في الآية.

ففي قوله "لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ"، يقول "بروسوي" (ت1127هـ): "نفي المحبة كناية عن بغضه تعالى لهم وسخطه عليهم، أي لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم، ودلّت الآية على شرف النبي عليه السلام فإنه جعل متابعته متابعة حبيبه وقارن طاعته بطاعته فمن ادعى محبة الله وخالف سنة نبيه فهو كذاب بنص كتاب الله تعالى"¹.

فالله سبحانه وتعالى متّصف باللطف والرحمان والكرم، فهو لطيف بعباده رحيم بهم، كريم نحوهم، وكلّها صفات تستدعي الحب الذي هو في الأصل من الله سبحانه اتجاه خلقه، فإذا امتنع حبه اتجاه بعضهم كان معنى ذلك أنهم أتوا ما يستوجب عدم الحب، والجرم الذي ارتكبه من خصّتهم الآيتان، هو الكفر به تعالى، الذي هو في حقيقته أعظم الذنوب وأكبر الكبائر²، مما يستوجب لهم العقاب، ولما ارتبطت دلالة عدم الحب في معنى الآية بالعقاب، فإنّ زمن الجملة زمن المستقبل مقرون بيوم الحساب وما يترتب عنه، وقد اتخذ نظام الجملة في ترتيب عناصره على النحو التالي:

- أداة النفي (لا) + فعل + فاعل + مفعول به.

¹. اسماعيل حقي البروسوي، روح البيان في تفسير القرآن، ج: 02، ص: 24.

². حارث عادل محمد زيود، بناء الجملة الفعلية بين الإثبات والنفي في سورة آل عمران (دراسة نحوية دلالية)، أطروحة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس-فلسطين، 2008م، ص 49.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 175]، لقد قامت الآية بإحداث تقابل بين الأطراف المتضادة (لَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا) بمغايرة جرت بين الطرفين استندت إلى التمييز بين النفي (لَا تَخَافُوهُمْ)، والمثبت (خَافُوا) فعل أمر، أدت معنى في غاية الأهمية يجدر على المرء معرفته في طريق تعامله مع الله سبحانه، إنها مقابلة بين خوف من الخالق والخوف من المخلوق. وقد جاء الجملة المنفية بحرف النفي "لا" بشحنته السلبية، دون وجود أي رابط معه، ولعل اختفاء رابط طرفي الشرط وجوابه هو مكمّن بلاغة الآية وسر من أسرار جمالية أسلوبه، وقد تطرق إليه علماء البديع فسموه "نفي الشيء بإيجابه ومعناه على حد قول" ابن رشيق: "أن يكون الكلام ظاهرة ايجاب الشيء وباطنه نفيه بأن ينفي ما هو من سببه كوصفة وهو المنفي في الباطن، عبارة غيره. أن ينفي الشيء مقيداً والمراد نفيه مطلقاً مبالغة في النفي وتأكيد له"¹.

والظاهر أن الله يأمر المؤمنين بعدم الخوف من أولياء الشيطان لما يلقون في قلوبهم خواطر سيئة ووساوس، فيستندون إليهم فيعظمون شأنهم ويهيبون جمعهم، والنهي بهذا التركيب يدل على عموم، أي لا تخافوهم أبداً، والقرآن كعادته إذا نفى عن شيء فسيأتي بما يقابله، فالنهي لوحده لا يكفي، يقول الشيخ "ابن تيمية": "والنفوس خلقت لتعمل، لا لتترك، وإنما الترك مقصود لغيره"²، والله هو الأحق بالخوف والخشية منه التي توجب عدم عصيانه ومخالفة أوامره، لكل مصدّق بالرسول وما جاء به من رسالة الإسلام³، وبهذا يكون النهي في الآية، نهياً حقيقياً، والدليل بما ختمت به "إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" فالإيمان يقتضي أن يؤثر خوف الله على خوف النَّاس⁴، وقد خضع نظام الجملة المنفية على النحو الآتي:

¹ جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، ج: 02، ص: 100.

² أحمد ابن تيمية، اقتضاء صراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تح: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت-لبنان، ط7، 1999، ج: 02، ص: 620/ 621.

³ ينظر: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 03، ص: 526.

⁴ ينظر: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج: 01، ص: 481.

- أداة النهي (لا) + فعل + مفعول به + حال + صفة.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 139].

أشارت التركيبة القرآنية أداة النهي (لا) التي دخلت على الفعل المضارع (لَا تَهِنُوا)، تحت المؤمن بعدم الاتصاف في حال من الأحوال بالضعف والجبن أثناء مواجهة أعدائهم لما نالوه يوم أحد من قتل وقرح، فأهل الإيمان لا يتفق حالهم وإيمانهم بالذل والمهانة، (لَا تَحْزَنُوا) وهذا نهْيٌ آخر يدلُّ على العموم، "والعموم كما هو معروف في الأشخاص فهي مطلقة في الأزمنة والأمكنة والأحوال والمتعلقات"¹.

يقول "ابن عاشور" (ت1393هـ): "الوهن والحزن حالتان للنفس تنشآن على اعتقاد الخيبة والرُّزء، فيترتب عليهما الاستسلام وترك المقاومة، فالنهي عن الوهن والحزن في الحقيقة نهْي عن سببهما وهو الاعتقاد، كما يُنهى أحد من النسيان، وكما يُنهى أحدٌ على فعل غيره في نحو: "لا أرينَ فلانا في موضع كذا، أي لا تتركه يحل محله"².

فالظاهر أنَّ حقيقة النهي حسب رأي "الألوسي" غير مرادة هنا، بل التسلية والتشجيع، وإن أريدت الحقيقة فلعل ذلك بالنسبة إلى ما يترتب على الوهن والحزن من الآثار الاختيارية، أي: لا تفعلوا وما يترتب عن ذلك³، وقد جاء نظام الجملة المنفية في ترتيب عناصره على الصورة الآتية:

- أداة النهي (لا) + فاعل + حرف عطف + أداة النهي + فعل + فاعل + متممات الجملة.

¹ . محمد بن علي ابن نور الدين، كتاب الاستعداد لرتبة الاجتهاد، مؤسسة الرسالة العالمية، بيروت، ط1، 2007، ص: 351.

² محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 04، ص: 94.

³ . ينظر: محمد الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج: 04، ص: 281.

3. الجملة الاسمية المنفية بـ (لا):

وقد وردت في السورة بنسبة قليلة لم تتجاوز ثمانية مواطن، التزمت بالترتيب الأصلي للجملة في أربع مرات، كقوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 02].

تكررت مثل هذه الصيغة أربع مرات، تثبت نفرد الله سبحانه وتعالى بالألوهية وخلقه للسموات والأرض، افتتح السورة بتبرئة نفسه مما قالوا، ردًا على ما ابتدعوه من الكفر، وجعلوا معه من الأنداد، فجعل نفسه وحيداً لا شريك له في أمره¹.

وقد اجتمع تكرار الأداة والجملة في الآية واحدة، كقوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 18].

يرى "الزمخشري" أن سر تكرار النفي في قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ الأولى للدلالة على اختصاصه بالوحدانية، وأنه لا إله إلا الله تلك الذات المميزة، والثانية بعدما قرن بإثبات الوحدانية إثبات العدل، للدلالة على اختصاصه بأمرين، كأنه قال: لا إله إلا هذا الموصوف بالصفتين، ولذلك قرن به قوله تعالى "الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" لتضمنها معنى الوحدانية والعدل الذي أوتوا الكتاب أهل الكتاب من اليهود والنصارى².

يقول "الألوسي" (ت1270هـ): "تكرار للمشهود به للتأكيد، وفيه إشارة إلى مزيد الاعتناء بمعرفة أدلته لأن تثبت المدعى إنما يكون بالدليل والاعتناء به يقتضي الاعتناء بأدلته"³.

¹ . ينظر: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 03، ص: 164.

² أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج: 01، ص: 180.

³ الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم السبع المثاني، ج: 03، ص: 105.

وذكر في كتاب "البرهان" أنَّ "الأول جرى مجرى الشهادة فأعاده ليجري بالثانية مجرى الحكم بصحة ما شهد به المشهود"¹، أفاد تكرارها إثبات الدليل القطعي لوحداية وألوهية الله عز وجل التي لا تحتاج لمزيد من هذا الإقرار الذي حققه خاصة حضور الفاعل هو الله سبحانه وتعالى، وشهادات أخرى للملائكة أولوا العلم على سبيل الإعلام والبيان والأخبار والحكم والقضاء والإلزام حتى فلا يفتح له المجال للبحث والغوص في هذا، يقول "الرجاني": "وجملة القول إنَّه لا يكون ترتيب في شيء حتى يكون هناك قصد في صورة ووصفه، وإن لم يقدم ما يقدم، ولم يؤخر ما يؤخر، وبُدي بالذي ثني أو ثني بالذي ثلث به لم نحصل لتلك الصورة وتلك الصفة، وإن كان كذلك ينبغي أن ننظر إلى الذي يقصده واضح الكلام"². فالترتيب المختلف للتركيب واختيار تراكيب محدّدة مقصد أسلوبى للتأثير في المتلقي وإقناعه بواسطة ترديد الصوتي الذي يصدر من تكراره للأداة والتركيبة.

ومنه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾

[سورة آل عمران، الآية: 09].

وقد تضمنت الآية أداة النفي (لا)، وقد دخلت على نكرة (ريب) فأفادت انتفاء هذا الجنس لِعَدَم الاعتداد بارتياح المرتابين في إتيان يوم القيامة، ومعناها "رَبَّنَا إِنَّ جَامِعَ النَّاسِ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ" فاغفر لنا يومئذ واعف عنا، فَإِنَّكَ لَا تَخْلِفُ وَعْدَكَ: أَنَّ مَنْ آمَنَ بِكَ، وَاتَّبَعَ رَسُولَكَ، وَعَمِلَ بِالَّذِي أَمَرْتَهُ بِهِ فِي كِتَابِكَ، إِنَّكَ غَاثُ يَوْمئِذٍ.

تكررت في السورة مرتين بصفة واحدة مع الحفاظ على ترتيبها الأصلي، تنفي حصول الشك أو الريب لمن آمن بالله وتعالى، وبالأخص في مسألة البعث، فالله لا يخلف ميعاده فوعده متحقق إذا أوفى، وجيء بالشك المنفي بصفة العموم والشمول، لأنَّ اسم نكرة وبحد ذاتها تفيد العموم.

¹ محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى، البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص: 33.

² عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ج: 01، ص: 364.

وقد جاءت على سبيل المجاز لأجل الاستهانة بالكفرة والسخط عليهم، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 77]، وفي قوله أيضا: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 166]، أراد بهذه البنية تثبيت أن الأمر كله لله تعالى، التي توجب التوكل عليه والترغيب في طاعته التي يستحق بها النصرة والتحذير عن معصيته التي يستحق بها الخذلان، أي إن يرد نصرهم كما أراد يوم بدر فلا أحد يغلبكم على طريق نفي الجنس المنتظم بجميع أفراد الغالب ذاتا وصفة، فهو أبلغ من لا يغلبكم أحد، لدلالته على نفي الصفة فقط¹.

واللافت للنظر أن دلالة النفي الجنس في سورة آل عمران، ارتبطت بالأمور العقائدية شاملة كل أنواع الإيمان، وقد دخلت على جملة التوحيد، وأفادت نزع صفة الألوهية عن كل ما يدعى بها، ولتثبت هذه الصفة لله تعالى وحده.

4. الجملة الفعلية المنفية بـ "لن":

تختص (لن) بنفي الجملة الفعلية ذات الفعل المضارع لا غير، وهي تجعل الفعل خالصا في الدلالة على الاستقبال من حيث المعنى وإن كان اللفظ باقيا على احتماله للحال والاستقبال، وهي أكد في النفي من (لا) لأن (لا) تنفي المضارع إذ أريد به المستقبل، و(لن) تنفيه مستقبلا قد دخلت عليه السين وسوف وتقع جوابا لقوم القائل [سيقوم زيد] و[سوف يقوم زيد] والسين وسوف تفيدان التنفيس²، وقد وردت في السورة الكريمة ثلاثة عشرة مرة، متخذة أنماط عدة في الآيات، نذكر منها:

قوله الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [سورة آل عمران، الآية: 09].

¹. ينظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم السبع المثاني، ج: 04، ص: 108.

². ينظر: محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، ص: 288.

إن الآية تكررت مرتين في موضعين مختلفين لأجل تأكيد هذا المصير من الله تعالى، فجاءت الجملة المنفية خبر متمما لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، فهؤلاء الكافرون برسول الله¹ لن تنفعهم {أَمْوَالُهُمْ} التي أعدوها لدفع المضار وجلب المصالح و{وَلَا أَوْلَادُهُمْ} الذين يتناصرون بهم في الأمور المهمة ويقولون عليهم في الملمات المدلهمات، من عذاب الله تعالى².

والملاحظ في البنية التركيبية مجيء الفاعل مضافا فهو لم يقل "الأموال" وإنما أضاف ضمير الجماعة لهؤلاء الكفار زيادة في الجزع والحسرة التي يكون عليها يوم القيامة، ومجيء المفعول به اسما نكرة، والتنكير كما أسلفنا من دلالاته التقليل، فمهما بلغوا من الأموال والأولاد كثيرا أو قليلا، فلن تصرف عنهم أدنى الأشياء، لا في المجاعة، ولا في تخفيف العذاب أو تقليل مدّت، فوجودها كعدمها، وبعدها ختمت الآيتان بخاتمتين مخالفتين، الأولى بقوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 10]، والثانية ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 116]، ويرجع هذا التنوع إلى تنوع في مصير هؤلاء، جاء به ليزرع الرعب في القلوب، والتفكير في مصيرهم الذي يؤولون إليه وينتظرونه.

فجاء هنا بأقوى صيغة من صيغ النفي "لن"، فأفادت نفي الحدث في المستقبل، فالمصير الموعود سيكون في الآخرة، كما أنّها دلّت على تأبيد النفي، والدليل قوله تعالى: "هُم فِيهَا خَالِدُونَ"، والخلود دوام البقاء في دار لا يخرج منها³.

¹ ينظر: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، تج: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1998، ج: 01، ص: 242.

² ينظر: محمد الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج: 03، ص: 93.

³ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج: 04، ص: 143.

- ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 24].

تم تقديم المفعول به في هذا النمط على الفاعل وجوباً لأنه ضمير متصل، يعود على اسم الظاهر سبق ذكره وهو ﴿الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾، فالآية جاءت لتخبر عن اليهود والنصارى المتمسكين بكتابهم كما يزعمون، حيث دعاهم الرسول إلى احتكام إلى القرآن لما فيه من طاعة الله فيما أمرهم به باتباع دين محمد صلى الله عليه وسلم فتولى فريق منهم وأعرض، وهم معرضون، وما حملهم على التولي والإعراض اعتقادهم أن النار لن تمسهم إلا أربعين يوماً عبد فيها آبائهم العجل، وبعد الأربعين يوماً يسقط العذاب عنهم، فأعلم الله تعالى بأن ذلك فرية منهم، وأنه هو الذي غرهم¹.

وفي تركيب الجملة جاءت الجملة المنفية بـ "لن" الدال على تأييد النفي تأكيداً لانتفاء العذاب عنهم، ولدلالة "لن" على استغراق الأزمان تأتي الاستثناء في عموم الأزمنة²، بعد اشتماله على الظرف ليؤكد قلة الأيام المحدودة واعتقاداتهم الكاذبة بأن النار لن تمسهم إلا مدة يسيرة، وبعدها يسقط العذاب عنهم، وبهذا يكون زمن الجملة زمن المستقبل، وليس هناك ما يجعلها أربعين يوماً، وإنما سيكون مصيرهم الخلود الأبدي والمستمر في نار جهنم، والدليل قوله تعالى: ﴿وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 116] ومنه قوله تعالى: ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 90].

¹ ينظر: أبو اسحاق إبراهيم السري الزجاني، معاني القرآن وإعرابه، تج: عبد الجليل عبده الشلي، دار الحديث، القاهرة، ط: 02، 1997م، ج: 01، ص: 392.

² ينظر: عمران اسماعيل فينور، أساليب المحاور في القرآن الكريم، تج: طالب محمد اسماعيل، دار زهران للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط: 01، (1431هـ/2010م)، ص: 329.

- وجاء مثل هذا النمط . فعل + نائب فاعل . على صورتين في السورة:

- الصورة الأولى: الفعل + نائب فاعل (اسم ظاهر)، وجاء على فرعين:

- لن + الفعل + نائب فاعل + مضاف إليه، في قوله تعالى: ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبُهُمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 90].

- لن + فعل + جار ومجرور + نائب فاعل + مضاف إليه + تمييز، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 91].

- الصورة الثانية: الفعل + نائب فاعل (ضمير متصل)، وجاءت على فرع واحد وهي:

- لن + الفعل + نائب فاعل + جار ومجرور، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 85]

والملاحظ هذا النمط في كلتا الصورتين، مجيء صورته الأولى على فرعين واختلافهما في متعلقات الجملة، وجيء بالصورة الثانية مختلفة عن الأولى في شكل نائب الفاعل ومتعلقات الجملة، وما يميّز آيات مجيء أفعالها الثلاثة مضارعة مبنية للمجهول، وفعلها واحد متكرر وهو "يُقْبَلُ"، لذا اقتضت الحاجة استحضارهم فهم بمثابة وتيرة واحدة.

يقول "الزمخشري" في حقيقة الجملة الأولى: "قد عَلِمَ أَنَّ المرتد كيفما ازداد كفرًا فإنّه مقبول التوبة إذا تاب، فما معنى (لَنْ تُقْبَلَ) قلت: جعلت العبارة على الموت على الكفر لأنّ الذين لا تقبل توبته من الكفار هو الذي يموت على الكفر، كأنّه قيل: إنّ اليهود أو المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا مائتون على الكفر داخلون في جملة (لَنْ تقبل توبتهم)"¹.

¹ . أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل، ج: 01، ص: 374.

وبالنسبة للبيئة التركيبية في الآية الثانية، تقدم شبه الجملة (من أحدهم) على نائب الفاعل، وحقّه التّأخر، فأكسب الجملة ترابطاً وتماسكاً، وذلك لأنّ شبه الجملة يعود على قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وكلما كان الضمير قريباً من الاسم الظاهر عائد، كانت الجملة أكثر ترابطاً، كما جيء بالنائب الفاعل مضافاً إلى الأرض، فهذه الإضافة أفادت التّعظيم، لتختتم بعدها بتميز، وهو "ذهبا" للدلالة على الموقف العصيب الذي سيكون عليه الكفار يوم الحساب، ظناً منه مستعد لإنفاق ذهباً يمتد مساحة الأرض كلّها في انقاده من عذاب الله، وبالتالي يكون زمن الجملتين الخاضعتين للدراسة هو زمن المستقبل.

وقد جاء الجملة الثالثة مقترنة بالفاء في جواب شرط الجازم، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 85]، وكان محلّها الجزم. أما زمن الجملة هو زمن المستقبل، فعدم رضا الله على من اتّخذ ديناً غير الإسلام، فالإسلام يعني الاستسلام والانقياد إلى الله والتفويض إليه وهو مطلوب في كلّ زمان ومكان وشريعة، ومن تحرّى بعد مبعثه شريعة غير شريعة فهو غير مقبول وما الله بغافل، فسيدرك المرء يوم يرجع إليه وساعتها سيعلم المرء إنه من الخاسرين في تضييعه الثواب وحصوله على العقاب.

وما بين جمل فارق يسترعي الانتباه يتمثل في خلو الفاء في الجملة الأولى، ووجودها في الثانية والثالثة، فما سبب ذلك؟ وللإجابة عنه، يقول "الزمخشري": "قد أؤذن بالفاء أنّ الكلام بنيّ على الشرط والجزاء، وأن سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الحكم، ويترك الفاء أنّ الكلام مبتدأ أو خبر ودليل فيه على التّسبيب، كما نقول: الذي جاءني له درهم، لم تجعل المجيء سبباً في استحقاق الدرهم، بخلاف قولك: فله درهم"¹.

¹. القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ص: 374.

5. الجملة المنفية بـ "ما":

(ما) النافية: تتفرع إلى فرعين: عاملة وغير عاملة.

أ. (ما) العاملة: هي التي تدخل على الجملة الاسمية، فيعملها أهل الحجاز عمل ليس، وعند تميم غير عاملة فيرفعون المبتدأ والخبر بعدها، وقد جاءت في القرآن الكريم عاملة والدليل قوله تعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾¹ [سورة يوسف، الآية: 31].

وقد اشترط أهل الحجاز شروط لعملها²:

1. ألا يتقدم خبرها على اسمها.
2. ألا يتنفض نفي خبرها بإلا.
3. ألا يتقدم معمول خبرها غير ظرف أو جار ومجرور.
4. ألا يفصل بينها وبين اسمها بـ (إنَّ) الزائدة.

وإذا اختل شرط من هذه الشروط بطل عملها.

تكون لنفي الحال في الجملة الاسمية³، ويرى "ابن مالك" تخص بدخولها لجميع الأزمنة⁴.

ب. غير العاملة: تدخل على الفعل، إذا دخلت على فعل الماضي تبقيه على مضيه "وهي نفي لقولنا لقد فعل"⁵، وإذا دخلت على الفعل المضارع خلصته للحال و"أما ما نفي لقوله هو يفعل إذا كان في حال الفعل فتقول ما يفعل"⁶، وهذا رأي أغلب النحاة، فحين يرى "ابن مالك" أنها تدلُّ على الاستقبال مستعرضا شواهد من القرآن العزيز والشعر الفصيح⁷

¹. ينظر: ابن هشام الأنصاري جمال الدين، المغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج: 04، ص: 43

². المرجع نفسه، ج: 04، ص: 43.

³. سيبويه، الكتاب، ج: 01، ص: 61/60.

⁴. ينظر: بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري، تسهيل شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك في النحو، ج: 01، ص: 380.

⁵. سيبويه، الكتاب، ج: 03، ص: 117.

⁶. المرجع نفسه، ج: 04، ص: 221.

⁷. ينظر: بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري، تسهيل شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك في النحو، ج: 01، ص: 381.

6. الجملة الفعلية المنفية بـ "ما":

وردت في خمسة عشر موضعاً في السورة، وجاء أغلبها مقترناً مع الجمل الفعلية الماضية، وهي نسبة ضئيلة جداً مقارنة بالمجموع الكلي للنفي، وقد تجسّد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 19].

وردت هذه الصيغة المنفية بـ "ما"، وإذا دخلت على الجملة ذات فعل الماضي، فإنّه يبقى على معناه من الماضي، ولعل اختلاف أهل الكفار تمّ في زمن الماضي وانتهى، والمتبين أن دلالة الجملة لم تقتصر على ركني الإسناد وإنما كان في الجملة متعلق ومفعول لأجله¹، فكان الأمر واجباً أن يتعلق شبه الجملة "من بعد" بالفعل "اختلف" ومفعول لأجله "بغياً"، ذلك لأنّ فعل "اختلف" على صيغة "افتعل" ومن دلالات المبنى المشاركة²، وأتى بالمفعول لأجله ليبين سبب الخلاف ليزيل اللبس للقارئ أو السامع، ويكتمل كل ما يتعلق بمعنى الجملة.

وتجدر الإشارة أنّ "ما" لم تنف الاختلاف الموجود، وإنما لتحصر الاختلاف في زمن معين من الماضي دلّت عليه عندما اقترنت مع أداة الحصر، فالآية أشارت إلى أنّ أهل الكتاب من اليهود والنصارى ما اختلفوا في أمر الاسلام ونبوة محمد إلاّ بعد أن علموا بالحجج الآيات حقيقة الأمر، وكان اختلافهم بغضاً وحسداً بينهم³.

وفي ضوء هذا المثال "إثبات الحكم للمذكور ونفيه عمّا عداه"⁴، يقول "الرجاني": "اعلم أنّك إذا قلت: ما جاء إلاّ زيد احتمل أمرين، أحدهما: أن تزيد اختصاص زيد بالمجيء، وأن تنفيه عمّا عداه، وأن يكون كلاماً تقوله لا لأن المخاطب حاجة إلى أن يعلم أنّ زيدا قد

¹. ينظر: محي الدين درويش، إعراب القرآن وبيان معانيه، ج: 03، ص: 411.

². عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1999، ص: 37.

³. ينظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج: 02، ص: 12.

⁴. جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ج: 02، ص: 134.

جاءك ولكن لأنّ به حاجة إلى أن يعلم أنّ لم يحنّ إليك غيره والثاني أن تريد الذي ذكرناه في "إنّما" ويكون كلاً تقوله ليعلم أنّ الجائي زيدٌ لا غيره"¹، باعتبارها أقوى أدوات القصر استعمالاً وضوحاً للمعنى، يلجأ في استعمالاتها في بعض الأمور التي هي مجال للشك والإنكار، وتحتاج إلى تأكيد.

وقد جاء النظم القرآني بعد توزيع للبينة مع حرف النفي في غاية الروعة والجمال، "للتعبير عن اليهود والنصارى بقوله أوتوا الكتاب لزيادة التشنيع والتقبيح عليهم، فإنّ الاختلاف مع علمهم بالكتاب في غاية القبح والشناعة"²، احتاج نمطها أن يخرجها بصورة:

- أداة النفي (ما) + الفعل + الفاعل (اسم موصول) + صلة الموصول + إلاّ + جار ومجرور.

ومنه قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 191].

جاءت الآية تخاطب أناس ذوي العقول يتفكرون في خلق الله للسموات والأرض، باختراعه هذه الأجرام العظام، وإبداعه صنعتهما، وما دبّر فيها، مما تكلّف الأفهام عن إدراك بعض عجائبه، على عظم شأن الصانع، وكبرياء سلطانه³، فكان لزاماً بعد هذا التفكر أن ينفوا عن الخالق ما تفكروا به صفة العبث، وقد اختار التعبير القرآني أن ينفي الجملة "ما"، ولعل السؤال المطروح: كيف نفيت الجملة بـ "ما"؟ وهو حرف موضوع لنفي ما قُرب من الحال، ولم تنف بـ "لم" هي تنفي الماضي مطلقاً؟

¹. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 337.

². محمد حسين سلامة، الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، دارالأفاق العربية. مدينة نصر. القاهرة، ط: 01، (1423هـ/2002م)، ص: 59.

³. ينظر: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، ج: 01، ص: 319.

وذلك راجع إلى أَنَّ كلام الله له خصوصية ليست لغيره، وهذه الخصوصية تزداد إذا تعلق الأمر بشيء مما يختص بعلم الغيب، فالخلق لا يعرف كنهه إلا الله، فليس لنا أن نقول إنَّ عملية الخلق حدثت في الماضي وانتهت، وإنَّما القضية تتعلق بالماضي المستمر، هي قضية أزلية، ولو كانت عملية الخلق عملية تتعلق بالماضي لما جاز أن ننفيها بـ "لم"، ذلك أنَّ "لم" إذا نفت شيئاً في الماضي كان متوقعاً نفي تحول هذا النفي إلى الإثبات¹.

وقد جاء الفاعل في الجملة ضميراً متصلاً مخاطب يعود على الله عزَّ وجلَّ، ولعل الحال التي كان عليها ألباب أصحاب العقول الراجحة افتضت أن يكون الفاعل كذلك، فهم في حالة مناجاة ومخاطبة الله طالبيين السلام والنجاة وكل هذا أدركوه بهذا التفكير، حيث "علموا أنَّ وراء هذا العالم ثواباً وعقاباً، فاستعاذوا أن يكونوا ممَّن حَقَّت عليه كلمة العذاب، وتوسلوا إلى ذلك بأنَّهم بذلوا غاية مقدروهم في طلب النِّجاة إذ استجابوا لمنادي الإيمان، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم وسألوا غفران الذنوب، وتكفير السيئات، والموت على البرِّ إلى آخره"².

وجاء بالمفعول به اسم الإشارة لأنهم وهم يتفكرون في مخلوقات الله وملكوته، سيكون ما يتفكرون به حاضراً أمامهم، فأشار إليه بأيديهم، وانتهت الجملة بالفضلة "باطلاً" فهي حال لازمة الذكر في النفي وإن كانت فضلة في الإثبات، وكثيراً ما كانت تبني العرب صيغة النفي على اعتبار سَبْقِ الإثبات³.

وبهذا يكون النظام الغالب في ترتيب عناصره على الصورة التالية:

- أداة النفي (ما) + الفعل + فاعل (ضمير متصل) + مفعول به (اسم الإشارة) + حال.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية:

[117].

¹ ابن هشام الأنصاري جمال الدين، المغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج: 01، ص: 279.

² محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 04، ص: 197.

³ المرجع نفسه، ج: 04، ص: 198.

فقد جاء نمط الجملة إلا في صورة واحدة: الفعل + المفعول به (ضمير متصل) + الفاعل (ظاهر)، وقد تقدّم المفعول به على الفاعل وجوباً، لرعاية الفاصلة لا للتخصيص، إذ الكلام في الفعل تعلقه بالفاعل لا بالمفعول به، "وجوّز الزمخشري وغيره أن يعود الضمير على المنفقين، أي ظلمهم بأنّ لم تقبل نفقاتهم وأن يعود لأصحاب الحرث، أي ظلمهم بإهلاكهم الحرث، ولكن ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصي، وقال ابن عطية: الضمير في ظلمهم" للكفار الذي تقدم ضميرهم في ينفقون، وليس هو للقوم ذوي الحرث"¹، فالكلام الفصيح يستغني عن الأسماء الظاهرة ويستبدلها بضمائر في مواقع يحسن استعمالها. وأفادت "ما" نفس الدلالة الزمنية التي أفادت عليها الجملة الفعلية فعلها ماضياً، وهو نفي الحدث في زمن الماضي، مع كون العقاب يكون في المستقبل ولم يحدد مواعده، ولكن الخالق أقرّ عليه منذ الأزل ونفي الظلم على نفسه.

ومن الواضح أنّ دلالة "ما" اقترنت بمعنى التوكيد، وهي نظرة استلمحها "الزركشي" لابن حاجب استنتجها من كلام "سيبويه" أنّ دلالة "ما" على التوكيد، قائلاً: "قال ابن حاجب: ثم إنّ سيبويه جعل فيها معنى التوكيد، لأنّها جرت موضع "قد" في النفي، فكما أنّ "قد" فيها معنى التأكيد، فكذلك "ما" جعل جواباً لها"²، وما يبدوا "سيبويه" لم يذكر إطلاقاً بأنّها معنى "قد"، ولكن قال: "وتكون توكيد لغوا، وذلك قولك: متى ما تأتي آتِكَ، وقولك: غَضِبْتُ من غير ما جُرِم، وقال الله عزّ وجل: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 155]، وهي لغو في أنّها لم تحدث إذا جاءت، شيئاً لم يكن قبل أن تجيء من العمل، وهي توكيد الكلام"³.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 07].

¹. أبو الحيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج: 03، ص: 235.

². أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهارد الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج: 04، ص: 406.

³. سيبويه، الكتاب، ج: 04، ص: 221.

والملاحظ أن الجملة لم تقتصر على المسند والمسند إليه، فأُلحق الفضلات وصارت لازمة لها ليتم المعنى، فالجملة جاءت في معرض نزول آيات القرآن الكريم التي منها آيات بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد من الناس ومنها آيات أُخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم، فمن ردّ ما اشتبه إلى الواضح منه، وحكم محكمه على متشابهة فقد اهتدى، ومن عكس انعكس¹، ثم يخبر الله أن من يعلم بتأويل المتشابه بمعناه الحقيقي إلاّ هو وحده، والمتمكنون في العلم المدركون لحقائق الأشياء ووضع الكلام مواضعه، واستعمالهم الفكر حتى لا ينسب إلى الباري تعالى ولا إلى ما شرع من أحكامه ما لا يجوز في العقل²، فخصتهم الجملة بالاستثناء لتشريفهم بأن جعلهم أولوا الألباب.

وحسب القرآن الضميمة، أن الآية المنفية المقترنة بالفعل المضارع عبّرت عن الوقتين الحاضر والمستقبل، وقد أشار "تمام حسان" على أنواع من الزمن المستحضر على الفعل المضارع الآتي مع "ما" النافية، ليدل به على الحال التجديدي والاستمراري³، فهؤلاء المتمكنون في العلم الذين كانوا في زمن نزول القرآن سيذهبون ويأتي بغيرهم يؤمنون بالمتشابه والمحكم ويظلون هكذا حتى تقوم الساعة، فاقتضى المعنى أن يكون في تجدد دائم ومستثمر، وجاء نمط الجملة كالتالي:

أداة النفي (ما) + فعل مضارع + أداة الاستثناء + فاعل + مضاف إليه.

7. الجملة الاسمية المنفية بـ (ما):

وقد وردت في ستة عشر موضعا، كما في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 22].

¹ ينظر: عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن الكريم، ج: 01، ص: 344.

² . ينظر: أبو الحيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج: 02، ص: 402.

³ . ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 246.

وقد تم اختيار الجملة الاسمية للتأكيد ولنفي نصرة عنهم عن الدوام، وأكد الله كلامه بـ (من) الزائدة التي دخلت تجعل النفي نصًّا في العموم لئلا يترك لهم المجال إلى التأويل وليس لنفي الجنس، يقول "الطنطاوي" (ت1431هـ): "نفي كل ما كانوا يتوهمونه من أسباب النصر، وقد أكد هذا النفي لمن الزائدة أي ليس لهم أحد ينصرهم من بأس الله وعقابه لا هم في الدنيا ولا في الآخرة، لأنَّ بسبب كفرهم وأفعالهم القبيحة صاروا مستحقين للعقاب وليس هناك ما يدفعه عنهم"¹.

وبذلك يتضح أنَّ دلالة النفي في الآية تسوق إلى أشد ألوان التهديد والوعيد لهؤلاء المعتدين بسبب كفرهم وأعمالهم القبيحة استمدت من دلالة السياق العام.

- أداة النفي (ما) + جار ومجرور (خبر مقدم) + جار ومجرور (مبتدأ مؤخر).

قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 144].

استأنفت الجملة الخبرية بأداة النفي، حيث أشارت إلى أن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم كسائر الرسل في أن يخلوا كما خلوا التي توجب التمسك بدينه بعده، وتنفي عنه أن يكون خالداً، فهو مقصور على أداء الرسالة ولا يتجاوزها إلى البعد عن الهلاك²، وهذه الجملة المنفية عتب لمن ظنَّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس كغيره من الرسل، جاءت تنفي الاعتقادات الوهمية، وثبتت بأنَّه رسول كمن مضى من الرسل، وبلغ كما بلغوا، وليس بقاء الرسل شرطاً في بقاء شرائعهم، بل هم يموتون وتبقى شرائعهم ويلتزمها أتباعهم، ولهذا جاء بالجملة الشرطية المستهلة بالاستفهام الإنكاري التوبيخي لبعض من أصحاب الرسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصابهم من هلع في القلوب وتزلزل في أقدام، حين قيل لهم: قتل؟³.

¹. محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم. تفسير سورة آل عمران، ج: 02، ص: 64.

². ينظر: أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج: 02، ص: 92.

³ ينظر: أبو الحيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج: 03، ص: 363/362.

وفي ضوء هذا تتجلى خاصية الوظيفية للجملة الاسمية المنفية التي حملت في طياتها فحققت دلالات الأخبار والتعجب والعتاب والتذكير.

وتم استدلال على كل مسلم المنقلب على عاقبيه، في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنُيَضِرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ أي من يرجع عن جهاده ومكافحته للأعداء لن يضر الله شيئاً بما فعل، بل يضر نفسه بتعريضها للسخط والعذاب وحرمانها من الثواب¹، فالجملة الشرطية هنا عامة لكل من ينقلب على عاقبيه فلن يضر إلى نفسه ولن يضر الله في شيء تجلت بوضوح في جملة جواب الشرط (لَنْ يُضِرَّ اللَّهَ شَيْئًا)، وهذا جواب للدلالة على نفي القطعي بأدنى شيء من الضر اقترن بالفعل المضارع للدلالة على زمن المستقبل لتحذير من وقوع الارتداد عند موت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد وقع ما حذرهم الله منه بعد وفاة الرسول إذ ارتد كثير من المسلمين، ثم هداهم الله بعد ذلك، فالآية فيها إنباء بالمستقبل².

وبهذه الجملة المنفية استطاع تحقيق غاية بلاغية والتفاتة أسلوبية حيث انتقل الخطاب من الماضي حال سماعهم خبر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما انجرّ عتب الله المسلمون على انقلاهم إلى المستقبل الذي يعمم حالة التوبيخ والاستنكار لكل من ينقلب عن الحقيقة الدين والإيمان به.

- أداة النفي (ما) + مبتدأ + أداة الاستثناء + خبر + متممات الجملة.

8. الجملة الفعلية المنفية بـ (لم):

(لم) هي حرف لنفي الماضي بالمعنى، تختص بالدخول على الفعل المضارع فيصير مجزوماً، وتنقل معناه إلى زمن الماضي، قال "سيبويه" (لم) هي نفي لقولك: فعل"³.

¹ ينظر: أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر ط1، 1964، ج: 02، ص: 88.

² ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 04، ص: 113.

³ سيبويه، الكتاب، ج: 01، ص: 220.

ويقول "المبرد" (ت898هـ): "ووقعها على المستقبل من أجل أنها عاملة، وعملها الجزم، ولا جزم إلا لمعرب، وذلك قولك: قد فعل، فتقول مكذبا: لم يفعل، فإنما نفيت أن يكون فعل فيما مضى"¹.

وقد وردت هذه الأداة في ثلاثة مواضع موزعة على النحو التالي: قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 23].

استهل تركيب الجملة بالاستفهام على سبيل المجاز لكونه صادر من الأعلى إلى الأدنى، فالله سبحانه وتعالى حين يسأل في القرآن لا يطلب جوابا، فهو أعلم به ولكن يسأل ليمنّ على عبده، أو يسأل وهو يريد الإخبار، وخص بالأداة الهمزة لأهميتها وقوة تأثيرها، التي يطلب بها أحد أمرين: التّصور والتصديق، وارتبطت بعدها بفعل ليكون محل الشك الفعل نفسه إما تثبته أو تنفيه، والظاهر أن الاستفهام إذا دخل على أداة النفي قرّره وصار إثباتا، يقول "ابن عاشور": "وقد جاء الاستعمال في مثله أن يكون الاستفهام داخلا على نفي الفعل والمراد حصول الإقرار بالفعل ليكون التقرير على نفيه مُحَرِّضًا للمخاطب للاعتراف به بناء على أنه لا يرضى أن يكون ممّن يجهله"².

فالرسول صلى الله عليه وسلم رأى هنا، ما كان من أمر أهل الكتاب فاقترض السياق التعجب النبوي عليه السلام من حال هؤلاء، حيث دعاهم إلى كتابهم التّوراة الذي يعتقدون صحّته، ليحكم بينهم فيما تنازعوا فيه فأبوا ذلك، وأعرض فريق منهم عن قبول حكم الله، وهذا أمر يدعو إلى العجب من لدن الرّسول، وكل من رأى حالهم، أو سمع به³، وبهذا يكون الاستفهام في الجملة قد خرج لإيراد معنيين: التّقرير والتّعجب.

¹. أبي العباس محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، ج: 01، ص: 185.

². محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 03، ص: 208.

³. ينظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج: 01، ص: 14/13، محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ج: 01، ص: 328.

- أداة الاستفهام (الهمزة) + أداة النفي (لم) + فعل مضارع + فاعل + جار ومجرور + متممات الجملة.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاجِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 135].

قال "ابن كثير": " (وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ) أي تابوا من ذنوبهم ورجعوا الله عن قرب، ولم يستمروا على المعصية ويصروا مقلعين عنها ولو تكرر الذنب تابوا منه"¹، فمهما بلغت ذنوب العبد وتكررت في الدنيا، فإذا استغفروا تاب، فيمحي الله أثر ذنوبه. إن دخول "لم" على الجملة الفعلية المضارعة أحدث تغيير في بنية الفعل شكلاً ومضموناً في تركيب الجملة، ومن حيث الشكل جزم الفعل وتغير حركته الإعرابية من ثبوت النون إلى حذفها نجم من علامة الجزم، ومن حيث المضمون فغيرت (لم) الفعل من الحال وما يدلّ عليه الفعل المضارع في الأصل إلى زمن الماضي، فالمتقون يناولون أعلى درجات العلى الجنة التي عرضها السموات والأرض في الآخرة، وعدم الإصرار على الفواحش أو ظلم أنفسهم يكون في الدنيا، فالدنيا بالنسبة للآخرة زمان ماضي.

- أداة النفي (لم) + فعل المضارع + فاعل + متممات الجملة.

قال الله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَتَى بِكَ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 47].

وقد عملت (لم) في الفعل المضارع تركيباً ودلالة، فغيرت حركته الإعرابية، وجعلت زمانه ماضياً، ليتنفي حدوث المس للسيدة مريم عليها السلام بعدم وقوعه في زمن الماضي (لأنه لم يفعل) نفي للفعل، وما يؤيده لفظة نكرة (بشر) في سياق النفي فهي تعم كل البشر، فينتفي مسيس كل بشر كائناً ما كان بالحلال أو الحرام، حتى يكون حمل في الوقت الحاضر.

¹. عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن الكريم، ج: 03، ص: 197.

فاقتضت الإرادة الإلهية أن لا يكون النفي مركبا من (ما) وفعل ماضي، فهو تركيب يدلُّ النفي ما قَرُب من الحال، فاقتضى المقام زيادة في طهارة مريم عليها السلام بعدم الاقتراب أي أحد إليها من بني البشر، فلو كانت الأداة (ما) لكان النفي مقصود في تلك الفترة، أما (لم) فإنَّها تنفي الماضي مطلقا، وبهذا يكون كلام الله قد نزّه مريم من البغي في أي فترة سبقت¹.

- أداة النفي (لم) + فعل مضارع + مفعول به + فاعل + متممات الجملة.

9. الجملة الفعلية المنفية بـ (لَمْ):

(لَمْ) هي حرف يأتي للنفي بمعنى (ما) كقوله تعالى: ﴿بَلْ لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابٍ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 08]، قال: "الرَّمَّانِي": "وهي جواب لمن قال: "قد قام، أي قولك لم يقم زيد، وأصلها لم زیدت عليها (ما)"، تختص بالفعل المضارع وتجزمه، وتنفيه وتقلب زمنه إلى الماضي المتصل بالحال كالأداة (لم)، غير أنَّها تفارقه في بعض الأمور².

فالفرق بينهما وبين (لم) أنَّ النَّفْيَ بـ (لم) يكون متصلا ومنقطعا في حين أنَّ النفي بـ (لَمْ) لا يكون إلَّا بزمن التكلّم، وأنَّ النَّفْيَ بـ (لَمْ) فيه معنى التّوقع، وذلك لأنَّها نفي (قد يفعل) و(قد) فيها معنى التّوقع، وكذلك منفيها، فإنَّك إذا قلت (لَمْ يحضر) فإن المعنى: لَمْ يحضر بعد وهو متوقع حضوره، وأمّا (قد حضر)، فإنَّ معناه كان متوقعا منه الحضور فحضر³.

وقد جاءت في موضع واحد من سورة "آل عمران"، لقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 142].

¹. ينظر: حارث عادل محمود زُتود، بناء الجملة الفعلية بين الإثبات والنفي في سورة آل عمران (دراسة نحوية دلالية)، ص 125.

². ينظر: ابن هشام الأنصاري جمال الدين، المغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص 420، وعلي بن عيسى الرُّماني، معاني الحروف، ج: 03، ص: 477.

³ ينظر: فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، ج: 04، ص: 162.

هذه الآية من الآيات التي نزلت عقب غزوة أحد، توجه المؤمنين إلى الطريق القويم، وتعالج العيوب التي بادرت عن الكثير منهم بمخالفة توجيهات صاحب الرسالة، والفرار من الميدان، ومع هذا كانوا يطمعون في دخول الجنة، فأعلمهم الله أن للجنة ثمنًا لا بد من بذله فليس الإيمان وحده كافيا لدخولهما، بل لابد من العمل وتحمل المشاق من الجهاد لنصرة الحق، والصبر في الشدائد والمحن.

ومن الملاحظ أن البنية التركيبية قد عدلت عن الأداة المألوفة ك (لم)، ولكن بالاختيار الأداة يشكلّ مثيرا أسلوبيا يشد انتباه القارئ ويجذبه، فينتبه إلى جمالية القول وما يكتنفه من دلالات ناتج من تمازج المستفهم بالمنفي، ف (أم حسبتم) حسب رأي "الرازي" (ت 925هـ) نهي وقع بحرف الاستفهام الذي يأتي للتبكيك وتلخيصه لا تحسبوا أن تدخلوا الجنة ولم يقع منكم الجهاد، وافتتاح الكلام بذكر (أم) أكثر ما تأتي في كلامهم واقفة على ضربين يشك في أحدهما لا بعينه، فيقولون: أزيد ضربت أم عمرا؟ مع تيقن وقوع الضرب بأحدهما، ومن عادة العرب اتيان بهذا الجنس من الاستفهام لأجل التوكيد¹.

وأما العلم المنفي وقوعه في الحال المسند إلى الله تعالى، فهو كناية عن نفي المعلوم، أي أن الله عز وجل علم بعدم جهادهم وصبرهم، ولو كانوا مجاهدين وصابرين حقًا لعلم الله بذلك، فنفي العلم هنا بمعنى نفي للمعلوم، كنفي اللازم وإرادة الملزوم ومثله ما شاع وذاع في أسلوب القرآن وكلام العرب، يقول "طاهر ابن عاشور": "وأريد بحالة نفي علم الله بالذين جاهدوا والصابرين، الكناية عن نفي الجهاد والصبر، لأن الله إذا علم شيئًا فذلك المعلوم محقق الوقوع فكما كنى بعلم الله عن التحقق في قوله تعالى: "وَلْيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا" كنى بنفي العلم عن نفي الوقوع"². ومما لا شك هذا التلازم خاص بعلم الله وإن كانت لغيره افتراء وادعاء ليس له أساسا من الصّحة.

¹ ينظر: فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب التفسير الكبير، ج: 03، ص: 375.

² محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 04، ص: 106.

وعن جمالية بلاغة هذا الأسلوب، يقول "أبو السعود" (ت972هـ): "وعدم العلم كناية عن عدم المعلوم لما بينهما من اللزوم المبني على لزوم تحقق الأول لتحقيق الثاني، ضرورة استحالة تحقق الشيء بدون علمه تعالى به، وإيثارها إلى التصريح، للمبالغة في تحقيق المعنى المراد، فإن إثبات عدم جهادهم بالبرهان، وللإنذار بأن مدار ترتب الجزاء على الأعمال، إنما هو علم تعالى بها، كأنه قيل والحال أنه لا يوجد الذين جاهدوا منكم، وإنما وجه النفي إلى الموصوفين، مع أن النفي هو الوصف فقط، وكان يكفي أن يقال (وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا) كناية عن المعنى، ولما تجاهدوا، للمبالغة في بيان انتفاء الوصف، وعدم تحققه أصلاً"¹، وقد أسفر التداخل الكناية والاستفهام في الآية بإضفاء أسلوب النفي قوة تعبيرية عالية التي ضاعفت فعاليته في تحصيل المعنى المراد، و(لَمَّا) كما أسلفنا متوقع حدوث منفيها، وتوظيفها يدل على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه في المستقبل، وبالتالي كان ترتيب الآية على الصورة الآتية:

- أداة النفي (لَمَّا) + فعل مضارع + فاعل + اسم موصول (مفعول به) + صلة الموصول.

10. الجملة الاسمية المنفية بـ "ليس":

وهي الأداة الوحيدة التي تختص بنفي الجملة الاسمية حيث تنفي الجملة الاسمية حيث تنفي ثبوت النسبة القائمة بين المبتدأ والخبر، وهي أداة عاملة تعمل على رفع المبتدأ يسمى في التحليل النحوي اسم ليس، وعلى نصب الخبر فيسمى خبرها².

وقد ورد في "شرح المفصل" دلالة "ليس" ومعناه نفي مضمون الجملة، يقول "ابن يعيش": "اعلم أن (ليس) فعل يدخل على الجملة ابتدائية فينفيها في الحال، وذلك إذا قلنا "زيدٌ قائمٌ" ففيه إيجاب قيامه في الحال، وإذا قلت "ليس زيدٌ قائمًا" فقد نفيت هذا المعنى"³.

¹ أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج: 02، ص: 91.

² عز الدين علي مختار علي، أسلوب النفي وأدواته ودلالاته، كلية الآداب، السودان، ط2، 2011، مج01، ص: 264.

³ موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي الموصلي ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري، ج: 04، ص: 366.

ويرى "ابن هشام" أن الدلالة الزمنية لـ (ليس) غير مقصورة على نفي الحال، وإنما تنفي غيره بالقرينة، وإنما يكون نفي الحال في "ليس" عند الإطلاق، ويميل إلى هذا المذهب "الدكتور السامرائي" حيث يقول "وتدخل على الجملة الاسمية فتنفى فتكون لنفي الحال عند الإطلاق، نحو: ليس أخوك حاضراً، أي الآن، وإن قيدت كانت بحسب ذلك القيد فقد تكون للمضي نحو: ليس أخي قد سافر أمس، وقد تكون للاستقبال، وذلك نحو قولك: لست ذاهباً إليه غداً، قال تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ [سورة هود، الآية: 08]، وقد تكون للاستمرار وذلك كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [سورة الحج، الآية: 10]، وقد تكون للحقيقة غير مقيدة بزمن، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى﴾ [سورة آل عمران، الآية: 36]، ومن الواضح في السياق أن عمل "ليس" يكون لنفي الحال عند الإطلاق إذا انعدمت القرينة اللفظية، وإن وجدت تلك القرينة فإن دلالتها على النفي تكون بحسب القرينة، وسنتعرف على بعض من نماذجها في السورة.

قال الله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [سورة آل عمران، الآية: 28].

لقد استهل الله بنيته تركيبية بالنهي عن اتخاذ الكافرين أولياء وأنصار وظهوراً من دون مؤمنين، لما فيها مصلحة الإسلام والمسلمين، ومن بفعل ذلك، فإنه في هذه الحال بعيداً عن ولاية الله ومنسلخاً منها رأساً وليس بينه وبين الله صلة تذكر، ونفى سبحانه بـ (ليس) حال المؤمن الذي يكون على دينه وولايته ويتخذ الكافر نصيراً وعوناً من دون المؤمنين، ثم استثنى في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ أولئك الذين يكونون في سلطانهم، ويخافون على أنفسهم فلا مانع في إظهار الولاية لهم بألسنتهم وإضمار العداوة لهم بشرط عدم مشايعتهم على ما هم عليه من كفر، ولا إعانتهم على مسلم بفعل¹، وفي ضوء السياق، يظهر

¹ ينظر: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 02، ص:

أن دلالة (ليس) لا تقتصر على زمن المتكلم الحاضر، وإنما تمتد ما بعده زمن المتكلم لاتصالها بدلالة (من)، فكون اتخاذ المؤمنين لم يقتصر على زمن معين وينتهي، بل يمتد ليشمل جميع الأزمنة والأمكنة إلى غاية يوم البعث، وقد نص "أبو الحيان" على أن "هذا يدل على المبالغة في ترك المولاة، إذ نفي عن متولهم أن يكون في شيء من الله، وفي الكلام مضاف محذوف، أي: وقيل: من دينه وقيل: من عبادته وقيل: من حربه، وخبر (ليس) هو ما استقلت له الفائدة وهي: في شيء و(من الله)، في موضع نصب على الحال، لأنه لو تأخر لكان صفة لشيء، والتقدير: فليس في شيء من ولاية الله، و(من) تبعيضة، نفي الولاية الله عن اتّخذ عدوه وليّ، لأنّ الولايتين متنافيتين"¹.

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينارٍ لَا يُودِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ فَإِنَّمَا ذَلِكَ بآثَمِهِمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّانَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 75].

يخبر الله تعالى عن اليهود بأنهم فيهم خونة، ويحذر المؤمنين بالاعتزاز بهم، فإنّ منهم {مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ} أي من المال يؤده إليك، وما دونه بطريق الأول أن يؤديه إليك، ومنهم {مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينارٍ لَا يُودِّهِ إِلَيْكَ} أي بالمطالبة والملازمة والإلحاق في استخلاص حقك، وإن كان هذا صَنِيعُهُ في الدينار فما فَوْقَهُ أَوْلَى أَلَّا يُؤديه.

والذي أوجب لهم الخيانة وعدم الوفاء للعرب، اعتقاداتهم المزعومة الباطلة ليس عليهم إثم في عدم استرجاع الأموال إليهم، وهذا أعظم إثمًا من القول على الله بلا علم، ويظهر من السياق أن دلالة (ليس) نفي الحدث على حال المخاطب، أي الحال التي يكون عليهم لا حرج في حبس أموال المسلمين العرب، وهذا المعنى لا يقتصر دلالته على زمن محدد وإنما أكل الأموال العرب وحبسها لدى كفر يمتد إلى زمن المستقبل، والدليل ما يعرف اليوم بمصطلح "تجميد الأموال"، وبالتالي يكون نظام الترتيبي للجملة المنفية:

¹ أبو الحيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج: 05، ص: 286.

- أداة النفي (ليس) + اسم ليس + جار ومجرور (متعلقان لمحذوف الحال) + جار ومجرور (متعلقان بمحذوف خبر ليس).

ومنه قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 113].

صدر آياته سبحانه بنفي، ينفي عدم التساوي أهل الكتاب في الكفر وسوء الأخلاق، بل منهم طائفة قائمة بأمر الله مطيعة لشرعه مستقيمة على طريقته ثابتة على الحق ملازمة له، لم تتركه كما تركه الأكارون من أهل الكتاب وضيعوه¹، وعن الضمير في قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ حسب رأي "الطنطاوي" (ت1431هـ): "يعود لأهل الكتاب الذي تقدم الحديث عنهم وهو اسم ليس، وخبرها قوله سواءً والجملة المستأنفة للثناء على من يستحق الثناء منهم بعد أن وبّخهم القرآن من يستحق التوبيخ"².

وقال "ابن الكثير" (ت742هـ): "والمشهور عن كثير من المفسرين أنّ هذه الآية نزلت على أمة من أحبار أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام، بن عبيد وثعلبة بن سعيه، وأسيد بن سعيه وغيرهم"³.

يقول "أبو السعود" (ت 982 هـ) "ليسوا سواء مستأنفة تمهيدا لتعداد محاسن مؤمني أهل الكتاب وتذكيرا لقوله تعالى: ﴿مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ﴾، والضمير في (ليسوا) لأهل الكتاب جميعا لا للفاسقين منهم خاصة وهو اسم ليس وخبر سواء وإنما أفرد لأنه في الأصل مصدر والمراد بنفي المساواة نفي المشاركة في أصل الاتصاف بالقبايح المذكورة لا نفي المساواة في مراتب الاتصاف بها مع جميع المشاركة في أصل الاتصاف بها أي ليس جميع أهل الكتاب متشاركين

¹ . ينظر: محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم. تفسير سورة آل عمران، ج: 02، ص: 226.

² . المرجع نفسه، ج: 02، ص: 226.

³ . عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن الكريم، ج: 02، ص: 162.

في الاتصاف بما ذكر من القبائح والابتلاء بما يترتب عليها من العقوبات"¹، وقد استقر نظام الجملة على النمط التالي:

- أداة النفي (ليس) + اسم ليس + خبر ليس + متممات الجملة.

ومنه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 128].

لقد قصد التعبير القرآني في بعد توزيعه للبنية مع أداة النفي (ليس) في جملة الاعتراضية إلى تقديم المسند إليه على المسند، وهو واجب التأخير لأنه نكرة والخبر شبه جملة، وخبرها هو شبه الجملة "لك" لأنه الركن الذي يخبر عن المبتدأ ويتمم معناه، إذ أن (ليس لك شيء) كلاماً تاماً في هذا السياق، وأما (ليس من الأمر شيء) فليس بكلام تام، فلا يتم معنى الجملة إلا به².

فإن تقديم المسند إليه جاء قصد تقوية الخبر وحصره، حيث أن تصدير الجملة المنفية في الشق الثاني بالاسم كانت لأغراض بلاغية تجاوزت البناء النحوي المحكم، لتخصيص المسند بالخبر الفعلي، أي "ليس إليك يا محمد، من أمر خلقي إلا تنفذ فيهم أمري وتنتهي فيهم إلى طاعتي، وإنما أمرهم إلي والقضاء فيهم بيدي دون غيري، أقضي فيهم وأحكم بالذي أشاء، من التوبة على من كفر لي وعصاني وخلاف أمري من المسلمين"³.

يقول "ابن عاشور" (ت1393هـ): "﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ﴾ معترضة بين متعاطفان، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فيجوز أن تحمل على صريح لفظها، فيكون المعنى نفي

¹ . أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج: 02، ص: 124.

² . ينظر: أبو حسين غازي محمود ، تقريب مسائل النحو المهمة شواهد وتطبيقات من الكتاب والسنة وفصيح الشعر، مكتبة مركز الإمام الألباني، الأردن، دط، 2020، ص: 83.

³ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ج: 07، ص: 194.

أن يكون للنبي، أي لقتاله الكفار بجيشه من المسلمين، تأثير في حصول النصر يوم بدر، فإنّ المسلمين كانوا في قلة من كل جانب من جوانب القتال، أي النصر حصل بمحض فضل الله على المسلمين¹ والظاهر من السياق أن دلالة (ليس) نفي الحدث في حال الخطاب، موجه النفي للنبي محمد صلى الله عليه وسلم بأنّه عبد مربوب إلى الله ومهمته أداء الرسالة وعبادة الله الواحد الأحد، وقد خضع نظام الجملة المنفية في ترتيبها على الشكل الآتي:

- أداة النفي (ليس) + جار ومجرور (خبر ليس) + جار ومجرور + اسم ليس + متممات الجملة.

7- التوكيد (التكرار):

7-1- تعريفه:

أ. لغة :

هو كلمة مكوّنة من ثلاث أحرف (و ك د)، يقول "الفيروز آبادي": "وكد يكِدُ وكودًا: أقام وقصد وأصاب، والعقد: أوثقه، ألكده والرجل: شدّه والوكائد: سيور يشدُّ بها جمع وكاد وأكاد، والوكد بالضّم: السعي والجهد بالفتح: المراد، والهم، والقصد والتوكيد: أفصح من التأكيد وتوكد وتأكد بمعنى والمواكدة: الناقة الدائبة في السير، والمتوكد: القائم المستعد لأمر، والمياكيد والتأكيد والتواكيد: السيور التي يشدُّ بها القربوس"².

فالتوكيد³ في معناه اللغوي يدور حول معنى الإقامة، القصد، التوثيق، الإحكام، الشّد، الممارسة.

¹. محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 04، ص: 79.

². مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، قاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، دط، 2008، ص: 327.

³. عبد الله خضر حمد، أسلوب التوكيد في أساليب اللغة العربية الأكثر استعمالاً، والتوكيد في اللغة ثلاث صور هي (التوكيد) بالواو، و (التأكيد) بالهمزة، و (التأكيد) بتخفيف الهمزة إلى الألف، وأكثرها شهرة في الصفحة الأولى لذلك جاءت في قواميس (التوكيد) و (التأكيد) والأول أفصح، وإن كانت الثانية (التأكيد) أكثر استعمالاً في اللغة الدارجة، موسوعة علوم اللغة العربية (علوم البلاغة وعلوم العروض)، ص: 278.

ب. اصطلاحاً:

فهو تابع يقرر أمر المتبوع في النسبة والشمول، وقيل: عبارة عن إعادة المعنى الحاصل قبله¹، أو بعبارة أخرى هو أن يكون اللفظ لتقرير المعنى الحاصل قبله وتقويته ويسمى إعادة².

فالتوكيد اصطلاحاً يطلق على معنيين³:

- أحدهما: التقرير أي جعل الشيء مقروفاً في ذهن المخاطب.
- وثانيهما: اللفظ الدال على التقرير أي اللفظ المؤكد الذي يقرر به وهو ما قصدوه بقولهم: "التأكيد لفظ يفيد تقوية ما يفيد لفظ آخر، وهو أعم من أن يكون تابعا له". فتكسب المعنى قوة ويزيده ثباتاً وتمكناً في النفوس خصه بالذكر علماء النحو في كتبهم وأبوابهم منثورة هنا وهناك، فحين همّ البلاغيون في استجلالهم للخطاب اللغوي وربطه بالمقامات والمقاصد المناسبة له، وحذا وحذوه الأصوليون في دراساتهم للنص القرآني بالغوص في أعماقه بإدراك معانيه البارزة والخفية مطلبهم الأساسي، فجعل بذلك كتبهم وأبحاثهم اللغوية ترتقي إلى مستوى النضج والدقة، فصارت منبعاً خصباً تنهل منه الدراسات اللغوية المعاصرة.
- ومن المعلوم أنّ العرب تؤكد كل شيء تراه في حاجة إلى توكيد فهي قد تؤكد الحكم كلّ، أو تؤكد جزءاً منه، وقد تؤكد لفظة بعينها، أو تؤكد مصدر الحكم أو مضمون اللفظ، وغير ذلك: فتقول (إنّ محمد مريض) و(محمد مريض محمد مريض) فهذا التأكيد للحكم، وتقول (محمد نفسه مريض) فهذا التأكيد للكلمة واحدة، وتقول (محمد ساع إلى الخير سعياً) فهذا تأكيد للحدث الذي تضمنه اسم الفاعل.

¹ ينظر: علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني، التعريفات، ص: 71.

² أيوب بن موسى الحسيني القزويني الكفري أبو البقاء الحنفي، الكليات في معجم الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص: 267.

³ محمد علي التّناوي، كشف اصطلاحات العلوم والفنون، ج: 01، ص: 83.

وتقول (أدلجتُ ليلاً) فهذا تأكيد للزمن الذي تضمّنه الدلج، لأنّ الدلج السير في الليل خاصة، قال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: 01]، ف (ليلاً) تأكيد للزمن الذي تضمّنه الإسراء¹.

إذن فأساليب اللغة وتراكيبها عموماً ترتبط بما يحيط بالكلام من مناسبات القول ومقتضياته، وبالعلاقة بين المتكلم والمخاطب، ولا يتم التفاهم في أي لغة إلا إذا روعيت تلك المناسبات، وأخذت العلاقة بين أصحابها ينظر الاعتبار ما لم يكن للكلام مفيداً، ولا الخبر مؤدياً غرضه ما لم يكن حال المخاطب ملحوظاً ليقع الكلام في نفس المخاطب موقع الاكتفاء والقبول²، وهو ما تؤكده عليه الدراسات اللغوية الحديثة بعينها، ولا يعني بكلامنا أن فكرة ربط الكلام بسياقه الإبلاغي جديدة في الدرس النحوي، وتعد الأساس التي ينبني عليها تأليف الجملة أو تأليف الكلام في الأساليب التي يراعي فيها مطابقة الكلام لمتطلبات السياق أو الموقف الكلامي التي تصدر في نفس المتكلم لتصل بها المخاطب المنتظر، وهو ما يمكن أن نستشفه من كلام "عبد القاهر الجرجاني"، إذ يقول: "ونحن بنوع من التسهيل والتسامح، تقع على أن الأنس الحاصل بانتقالك في الشيء عن الصفة والخبر إلى العيان ورؤية البصر، ليس له سبب سوى زوال الشك والريب، فأما إذا رجعنا إلى التحقيق فإننا نعلم أنّ المشاهدة تؤثر في النفوس مع العلم بصدق الخبر، كما أخبر الله تعالى عن إبراهيم الصلاة والسلام في قوله: ﴿قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيْطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [سورة البقرة، الآية: 260].

كما لم يغفل الدرس البلاغي في البحث عن كوامن هذه العلاقات³، حيث يطالعنا في كل كتاب بلاغي الشروط المتعلقة بالكلام ومناسباته لتثبت قوانين الخطاب ما يتوافق نفوس السامعين وعقولهم في مقولات بلاغية، وأشهرها "كل مقام مقال"، ولعل تلك العلاقة تدرس مصاحبة لأسلوب التوكيد فارتبطت به كمّاً ونوعاً، حيث راعوا في ورود التوكيد وعدمه

¹. فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، ج: 04، ص: 131.

². ينظر: مهدي المخزومي، في النحو العربي (نقد وتوجيه)، ص: 225.

³. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: 01، 1988، ص: 95.

أحوال المخاطب من ناحية علمه بالخبر أو عدم علمه به أو تردده فيه أو إنكاره، وراعوا درجة هذا العلم أو إنكاره فكانت أشكال التوكيد ودرجاته من أهم مواضع هذا الدرس، وكان مما اتفق عليه علماءها فكرة التكرار في دلالتها بعض من أدوات التوكيد، كذكرهم إذا اجتمعت (إِنَّ) واللام كان بمنزلة تكرار الجملة ثلاث مرات، لَأَنَّ (إِنَّ) أفادت تكرير مرتين فإن دخلت اللام صار ثلاثاً، وكذلك النون المشددة بمنزلة تكرير الفعل ثلاثاً، والخفيفة بمنزلة تكريره مرتين¹.

2-7-أقسام التوكيد:

وينقسم إلى قسمين :

1-2-7-التوكيد اللفظي:

ويكون بإعادة اللفظ على حسب ما تقدّم، ويكون في المفرد والجملة²، أي يعنى ما يراد توكيده باللجوء إلى التكرار الذي سيكون في الجملة الفعلية والاسمية، والأفعال والأسماء والحروف والضمائر لغرض تمكين الكلام في نفس السامع وليبين الحقيقة في نفسه. (ولا داعي للتفصيل فيه، فقد تم التّطرق إليه بالدراسة والتحليل).

1-2-7-التوكيد المعنوي:

وهو على ضربين، أحدهما: ما يستخدم لإزالة الشك في الكلام، ويكون بإحدى أدواته: التوكيد بالحروف، والتوكيد بالمصدر، والتوكيد بالنّعت، والتوكيد بالقصر، والتوكيد بالقسم.

لقد دخل التوكيد(التكرار) في سورة آل عمران على الجمل الاسمية والفعلية بصور متعددة، فقد جاء مع الجمل الاسمية بمؤكد واحد أو أكثر، وجد في الجملة الفعلية على شكل مصدر ومفعول مطلق، والحروف (قد، لقد، س، لام القسم)، والقصر، ولعل هذا

¹ ينظر: جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ج: 01، ص: 25.

² ينظر: أبي الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي ابن عصفور الأشبيلي (ت669هـ)، شرح الجمل الزجاجي، ووضع حواشيه وفهارسه: فواز الشّعار، دار الكتب العلمية . بيروت- لبنان، ط:01، (1419هـ/ 1998م)، ص: 228.

التنوع لأجل تحقيق أغراض أسلوبية وأهداف دلالية فجاء مع الجمل المثبتة والمنفية، قصد تقوية المؤكد وتمكينه في أذن السامع، يقول: "ابن يعيش": "أنك إذ كررت فقد قررت المؤكد، وما علق به في نفس السامع، ومكنته في قلبه وأمطت شبهة ربما خالجه أو توهمت غفلة وذهاباً عما أنت بصده فأزلته"¹.

1. تأكيد الجملة بأن:

وردت (إنّ) مع الجمل الإسمية الفعلية في مواطن كثيرة في السورة الكريمة، حيث بلغت خمسة وثمانون (85) موضعاً تقريباً موزعة بين العالم العلوي والعالم السفلي، وردت منها أربعة وسبعون (74) التزمت فيه الجملة بالترتيب الأصلي، بمعنى النَّاسِ أولاً ثمَّ اسمه وخبره، وأربعة (4) مرات خرجت فيها عن الترتيب الأصلي، أما الدلالات التي أفادتها أخبار هذه النواسخ وهي في الترتيب الأصلي ما جاء في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 09]

أراد التعبير القرآني بأداة (أنّ) تحقيق المقاصد الدلالية وترسيخها في الآية، فمن حيث الدلالة وقع التركيز على الحكم بإثباته، فسبق بدعاء عن أهل الراسخين في العلم، والتقدير: "يا ربنا إن جامع الناس لا ريب فيه" وحذفت الياء لكثرة استعمالها ولإرادة التخفيف، و(إنّ) هنا تفيد التوكيد فهم موقنون بأن ربنا جامع الناس للجزاء في يوم القيامة، وأنّ وعده لا يكون خلفاً وكلامه لا يكون كذباً فمن زاع قلبه بقي هناك في العذاب في أبد الآباد، ومن أعطيته التوفيق والرحمة والهداية وجعلته من المؤمنين، بقي هناك في سعادة والكرامة أبد الآباد². ولا يتبادر في أذهانهم أدنى مجال الشك وما يعلل ذلك ورود (إنّ) مرتين في نفس الآية.

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل

عمران، الآية: 42].

¹ موفق الدين أبي البقاء يعيـش بن علي الموصلي ابن يعيـش، شرح المفصل للزمخشري، ج: 03، ص: 40.

² ينظر: فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب التفسير الكبير، ج: 07، ص: 158.

اقتضى السياق القرآني التوكيد بحرف (إِنَّ) لأجل إثبات المعنى وإقراره في نفس السامع وإزالة الشك واللبس في الكلام بإيتائه بالحرف المؤكد واللفظ المكرر (اصطفى) فحمل شحنة دلالية، وأوحت بالبعد الدلالي في بيان أَنَّ الله هو الَّذِي اصطفى مريم على نساء العالمين، يقول العكبري: "وكرر اصطفى إما توكيدا وإما لبيّن من اصطفاها عليهم"¹.

ويأتي التوكيد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 51]، موقع التعليل للأمر كالتقوى والطاعة، فلو نظرنا في الآية الأولى قوله تعالى: ﴿رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ لوجدنا أَنَّ الله سبحانه أحق بالتقوى والعبادة، بينما نجد قوله تعالى: ﴿فَأَعْبُدُوهُ﴾ تفريع عن الربوبية، وبالتالي جعل الله "إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ" تعليلا ثم أصلا للتفريع²، والآية على هذا النحو هي كلام مستأنف مسبق لتقرير أصل الديانة المترتبة على الإيمان بما أورده تبارك وتعالى ورد الشبهة على النصارى الذين يؤلهون المسيح عليه السلام وإثبات ربوبية الله تعالى بأداة التأكيد التي تعادل تكرار الجملة مرتين.

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 19].

نجد في الآية الكريمة تعريضا بالتهديد، لأنَّ الحساب المذكور كناية عن الجزاء، حيث قيل "إِنَّ سرعة الحساب تقتضي إحاطة العلم والقدرة"³، فالجملة هنا: تفيد الوعيد، لأنَّ من يكفر يعاقبه الله ويجازيه عن قريب، وتدُلُّ كذلك على تحذير المسلمين من الوقوع لما وقع فيه غيرهم.

وكذا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. [سورة آل عمران، الآية: 62]

¹ أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، التبيان في إعراب القرآن، تح: علي محمد البجاوي، دار عيسى البابي الحلبي وشركاه، دب، دط، 1976، ج: 01، ص: 132.

² ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 03، ص: 254.

³ الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم السبع المثاني، ج: 03، ص: 107.

لقد جاء التوكيد بضمير الفصل، لأنه يفيد ربما القصر، واقترن باللام المرحقة لئلا يتوالى حرفا التوكيد ويكون دخولها على الفصل أجوز لأنه أقرب إلى المبتدأ¹، وجاء بالضمير لإفادة تقوية الخبر وزاده قوة عندما دخلت عليه لام الابتداء، لإفادة الخبر عن الله تعالى بالعزة وإبطال إلهية المسيح على حساب اعتقادية المخاطبين من النصارى²، ضف إلى ذلك، ما حملته (إنَّ) من محسن بلاغي، إذ عملت على ربط الجملة بما قبلها، بحيث لو أسقطتها لذهب جمال النظم ورونقه، ويصبح الكلام مفككا لا ميزة له وبالتالي يؤثر على فصاحة القرآن وبلاغته، وبالتالي جاء نسج التوكيد مع هذه التراكيب على النمط الآتي:

- أداة التوكيد + اسم إنَّ + خبر إنَّ (اسم ظاهر) + متممات الجملة.

وقد استعرض دلالات التوكيد خبرها فعلا ماضيا كقوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى بَعْضُ الَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 195].

فقد جاء التأكيد بالمؤكد لغرض أسلوبى أسفر عنه السياق القرآني، نتيجة لما أبدوه أهل الإيمان من دعاءات جليلة وتضرعاتهم المتكررة في قولهم (ربَّنَا) خمس مرات متتالية أملا بإلحاحهم المتكرر الاستجابة والقبول، وليأتي الجواب من الله لهؤلاء الخاشعين رغبة منهم في جزاءه وعطائه ورهبة في عدم عقابه وعذابه، وأجاب الفاضل ولإبعاد مجال للشك واللبس أكد كلامه بالأداة (إنَّ) بأنه لا يضيع أجر أي عامل عمل خيرا ذكرا كان أو أنثى واقترنه بجملة من المؤكدات باللام الدال على القسم وبـ "نون التوكيد الثقيلة" في قوله: (لَأُكَفِّرَنَّ، لَأُدْخِلَنَّهُمْ)، وكأنَّه أعاد الفعل ثلاث مرات، يقول "الزركشي": "النون المشددة هي بمنزلة ذكر الفعل ثلاث مرات، وبالخفيفة بمنزلة ذكره مرتين، قيل: وهذان النونان لتوكيد الفعل في

¹. ينظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم السبع المثاني، ج: 03، ص: 190.

². ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 03، ص: 267.

مقابل توكيد الاسم بـ"اللام"¹، وبتوكيده معنى الكلام كله بالمصدر "ثوابا من عند الله" إذ هو مصدر لما تضمنه معنى (لأكفرن عن هم سيئاتهم) ومعناه لأثبتهم ثوابا وليؤكد ثوابه أنه من عند الله المولى مما يؤدي على إثرها زيادة في قوة التأكيد.

وكذا في قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 49].

فإن استخدام التأكيد (إن) وتكرره مرتين من وراء ذلك مقصد ومؤدى بلاغي يسعى إلى تمكين المعنى به في نفس القارئ، فجاء بـ (إن) الأولى لتأكيد أن سيدنا عيسى رسول الله، والثانية لتثبت وتؤكد معجزاته الموسومة لعليه السلام بإذن ربه، فالخلق أمر مرتبط بالله وخارج بلا شك عن قدرة البشر مما يوجب على بني اسرائيل على وجه الخصوص التصديق والإيمان والانقياد لهذه الآيات.

كما قد اقترن مجيء بأداة التوكيد (إن) بأفعال مضارعة "أَنِّي أَخْلُقُ، فَأَنْفُخُ فِيهِ، فَيَكُونُ"، للدلالة على الاستمرارية دون انقطاع، وتجديد معجزاته وديمومتها، ويعني أنه يحي أكثر من مرة الميت، ويبرئ أكثر من مرة الأكمة والأعمى، ويخبر مرارا لما في بيوتهم، وقد جاء نمط الجملة وفق النمط الآتي:

- أداة التوكيد + اسم إن + خبر إن (جملة فعلية).

أما بالنسبة للدلالات التي أدتها وهي خارجة عن الترتيب الأصلي ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 190].

وقوله أيضا: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 199].

¹. أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهارد الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج: 02، ص: 419.

ففي الآية الأولى اسمها مؤخر وهي "لآيَاتٍ" مقترنة بلام الابتداء لتأخرها عن خبرها . شبه الجملة "فِي خَلْقٍ". اتعاضاً ودلالة على التأكيد بخلق العالم أَنَّ هناك خالقاً واحداً لا شريك له لقصد الإستدلال، فأشار إلى الأولين بخلق السموات والأرض وباختلاف الليل والنهار طولاً أو قصراً، وما في ضمن ذلك مما يكون في الليل والنهار من برودة وحرارة وعزة وذِلِّ والرِّفعة والوضعة والرِّخاء والشِّدة ونحو ذلك ، وهذه الأشياء كلّها لا تدركها إلى العقول الراجعة النيرة التي تدرك الأشياء بحقائقها لأنَّ هؤلاء يتدبرون في دلائل قدرة الله وعظمته.

فالغرض الدلالي تأكيد دلالة الانتفاع ذو الألباب بالنظر إلى آيات الله عزَّ وجل لحسن سلامة حواسهم ، والملاحظ أن التعبير القرآني لم يكتف بمؤكد واحد بل تعدى ذلك إلى استخدام مؤكد الثاني للتعظيم وتفخيم كمّا وكيفاً للآيات الكثيرة، فسياق المقام يتطلب التثبيت والتّمكن بالأمر، ونفس الشيء في الآية الثانية إذ أكّد الخبر بأنَّ واللام الابتداء للردِّ على المنافقين الذين قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم لما صلى على النّجاشي: "أنظروا إليه يصلي على نصراني ليس على دينه ولم يره قط"¹.

ليبيّن أنّ أهل الكتاب ليس كلهم ينقدون الميثاق ويحرفون الكتاب، وفيها تعريض للمنافقين الذين هم أقبح أصناف النّاس كفر، وزادت اللام قوة وتأكيداً للمعنى حينما دخلت على اسم "إِنَّ" وجاز ذلك تقديم الخبر "إنّما أكّد الخبر إنّ باللام لأنّها موضوعة للتأكيد المبتدأ فلما أريد زيادة التّوكيد جمع بينها وبين "إِنَّ"²، وقد خرجت الجملة الاسمية معها "إِنَّ" بالشكل الآتي:

- أداة التّأكيد + خبر إنّ (شبه جملة) + مضاف إليه + لام التّوكيد + اسم موصول (اسم إنّ) مؤخر.

¹ محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 04، ص: 207.

² كمال الدين أبي البركات عبد الرحمان بن أبي سعيد الأنباري، الإنصاف في المسائل الخلاف، تح: مازن المبارك - دار الفكر - دمشق، - ط: 01، 1988 م، ص: 165.

2. التوكيد الجملة ب (قد):

يعد الحرف (قد) من وسائل التوكيد البارزة في سورة آل عمران التي تفيد التحقيق، أو على الأغلب تفيد التحقيق والتقريب لما فيه من معنى تأكيد الحصول، وتقريب الماضي من الحاضر¹، وقد (حكى الجوهرى عن الخليل أنه لا يؤتى بها في شيء إلا إذا كان السامع متشوقا إلى سماعه، كقولك لمن يتشوق سماع قدوم زيد، قد قدم زيد، فإن لم يكن لم يحسن بها، بل تقول: قام زيد".

وقد دخلت على الأفعال الماضية في عشرة مواضع متفرقة مع اتصالها بالفاء الفصيحة في بعض الأحيان، ويظهر ذلك في قوله:

- ﴿فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 20].
- ﴿فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 101]
- ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 118]
- ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 137]
- ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 144]
- ﴿قَدْ أَهَمَّمْتُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 154]
- ﴿قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا﴾ [سورة آل عمران، الآية: 165]
- ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 183]
- ﴿فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 184]
- ﴿فَقَدْ أَخْزَيْتُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 192]

ويكمن سر مجيء (قد) المسبوقه بالفاء الفصيحة لغرض تشويق السامع وشد انتباهه

¹ ينظر: محمد حسن الشريف، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 01، 1996م، ج: 02، ص: 786/785.

لمعرفة المصير الذين جحدوا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعارضوا رسالته، فأفصحت عن شرط مقدر ناشئ عن الكلام السابق، وأكثر هذه الآيات دلالة على التشويق قوله تعالى: ﴿فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 20]، فالسامع ينتظر بشوق ويتلهف الآية الواقعة بعد (قد)، ومما زاد للتشويق جمالا اتيانه للفعل (اهتدوا) وما تحمله من دلالة مفاجأة جعلت السامع يتلهف لمعرفة لما هو قادم ، وجاء نمط الجملة على النحو:

- فاء الفصيحة + قد + فعل ماضي + فاعل.

ومنه قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 137].

أول ما يلفت الانتباه في تركيب الجملة دخول "قد" عليها ، لأن الكلام احتاج إلى تثبيت بمؤكد لتعزيز الفكرة في نفس السامع ، وقد نزلوا منزلة من يشك في الخبر لما ظهر لها عليهم من انكسار الخواطر من جراء الهزيمة الحاصلة لهم من المشركين، واقتترانه بالفعل (خلت) ليذكرهم بأحوال الأمم الماضية من أهل الكفر بالإهلاك ، ومن أهل الإيمان بالنصر والتمكين بعد الامتحان والابتلاء، وذلك "لئلا يغتر من يأتي بعدهم من المسلمين فيحس أن النصر لهم خاصة وأن الشرائع في ذلك الوقت لازلت تنزل"¹.

وما يسترعي الانتباه اللجوء إلى استخدام تقديم شبه الجملة (من قبلكم) على الفاعل (سنن)، الذي نرى تقديمه عائد إلى سببين: أحدهما التأكيد ، إذ أن من بعض مدلولات تقدم الجار والمجرور على الفاعل التأكيد، وثانيهما لدفع التّوهم ، إذ لو أخر المجرور لتوهم أنه من صلة الفاعل، وهو صلة لفعله، مما ساهم في تحقيق الوظيفة التّواصلية والجمالية للتعبير القرآني، وبالتالي جاء نمط الجملة على النحو الآتي:

¹. محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 04، ص: 96.

- أداة التوكيد (قد) + فعل ماضي + جار ومجرور + مضاف إليه + فاعل + متممات الجملة.

3. التوكيد بالجملة ب (لقد):

يرى "الزجاجي" أنّ دخول اللام في (لقد) على جهة القسم والتوكيد¹، "ومنهم يقدرّون قسماً محذوفاً جوابه (قد)"²، وقال "المبرد": "وإن وصلت اللام ب (قد) فجيد بالغ: تقول: والله لقد رأيت زيداً"³.

وقد وردت هذه الصورة في سورة آل عمران في ستة مواطن، وذلك في قوله تعالى:

- ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 123].
- ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُلْقَوْهُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 143].
- ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 152].
- ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 155].
- ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا﴾ [سورة آل عمران، الآية: 164].
- ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 181].

وما يميز توكيد الجمل الفعلية الماضية ب (لقد) أنّها جاء مسبوقة بالواو في أربعة مواطن وتجردها في مواطن الأخرى، والجدير بالملاحظة أنّ الجمل التي بين أيدينا قد اعتمد على اللام المؤكد برفقة (قد) فأفادت معنى التحقيق لزيادة شحنة التوكيد وتكثيفها، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ فالجملة هذه مؤكدة بمؤكدات ثلاثة: الأول القسم المحذوف، والثاني: اللام، والثالث قد، فيكون التقدير: والله لقد نصركم، ليؤكد بما وعدهم إياه بالنصر الذي قدره الله لهم يوم بدر، وهو نصر عظيم، إذ كان النصر لفئة

¹ ينظر: أبو اسحاق إبراهيم السري الزجاجي، معاني القرآن وإعرابه، ج: 01، ص: 164.

² الحسن بن قاسم المرادي، الجني الداني في حروف المعاني، ص: 125.

³ أبي العباس محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، ج: 02، ص: 335.

القليلة على الجيش الكثير، ذي عددٍ وافرة، وكان قتل المشركين يومئذ سادة قريش، وأيمة الشرك وحسبك بأبي جهل ابن هشام¹. وبتركيب انبنى نظامه على النحو التالي:

- واو الإستئنافية + أداة التوكيد (لام القسم) + أداة التوكيد (قد) + فعل + مفعول به
مقدم + فاعل مؤخر + متممات الجملة .

4. التوكيد الجملة بـ (السين) :

هو حرف تنفيس أو تسويق يختص بالدخول على الفعل المضارع، وليس له أثر في لفظ الفعل، ولكن له أثران في معناه الأشهر أن يخصص معنى المضارع للاستقبال بعد أن كان صالحاً للحاضر، والأثر الآخر يكسب ذلك الفعل معنى التوكيد².

وقد استدعى حضور الحرف السين في القرآن الكريم لتأكيد أخبار عالم غيب، والترغيب والترهيب، والوعد والوعيد فكان له حصة الأسد، وقد تردد في السورة في خمس مواقع في قوله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 114]، وبدخول السين على الفعل المضارع نقلته من الزمن الضيق وهو الحال إلى زمن الواسع وهو الاستقبال مقتضى لتوكيده وتثبيت معناه برفع شأن جزاء الشاكرين لله تعالى ، يقول "أبو الحيان": "وعد عظيم بالجزاء وجاء بالسين التي هي في قول بعضهم قرينة التفسير في الاستقبال أي لا يتأخر جزاء الله إياهم"³، ويقول "الألوسي" في هذه الآية نفسها: "وفي تصديرها بالسين وإيهام الجزاء من التأكيد والدلالة على فخامة شأن الجزاء وكونه بحيث يضيق عنه مطاق البيان ما لا يخفى"⁴.

¹ ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 03، ص: 72.

² ينظر: وفيق مصطفى الشعيبي، أساليب التوكيد في القرآن الكريم، دار الفلاح . عمان-الأردن ، دط ، 2008م، ص: 107.

³ أبو الحيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج: 03، ص: 69.

⁴ الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم السبع المثاني، ج: 03، ص: 326.

وجاء بحرف السين لقصد الوعيد من الله عز وجل للذين كفروا، بقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُخْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 12]، فجاء بالسين في كلمة (ستغلبون) لغرض تأكيد الوعيد، يقول "أبو السعود": "فستغلبون البتة عن قريب في الدنيا وقد صدق الله وعده بقتل بني قريظة، وإجلاء بني نضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عاداهم..."¹.

وكذا في قوله تعالى: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 180]، وفي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ [سورة آل عمران، الآية: 181]. لقد جاء بالحرف السين في كلمة (سَيُطَوَّقُونَ، سَنَكْتُبُ) لغرض تأكيد الوعيد الذي ينتظر لكل من بخل بماله، سيجعل الله طوقاً في أعناقهم ويلزمهم ذنبه وعقابه، ولا يجدون إلى دفعه سبيلاً ومن ظنوا أغنياء بأموالهم، وبأن المال المكتنز سد منيع يمنعهم من عذاب الله، فيجيء بالسين ليؤكد عذابهم في نار جهنم، وقد كان النظام المميّز في ترتيب عناصر هذه الآيات:

أداة التوكيد (السين) + فعل مضارع + فاعل ((ضمير متصل أو مستتر) + متعلقات الجملة.

5. التوكيد الجملة ب (لام القسم):

القسم وسيلة من وسائل التوكيد الجملة، يقال "سيبويه": "اعلم أن القسم توكيد لكلامك"².

وقد اشتمل القرآن الكريم على نصيب وافر من التوكيد بلام القسم، والسورة الكريمة على وجه الخصوص، يقول "السيوطي": "والقصد بالقسم تحقيق الخبر وتوكيده ... والقرآن نزل بلغة العرب ومن عاداتهم القسم إذا أرادت أن تؤكد أمراً"³، بحيث تواترت في إحدى عشر موضعاً، وسنكتفي بذكر بعض نماذج منه، بقوله عز وجل:

¹ أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج: 03، ص: 279.

² سيبويه، الكتاب، ج: 02، ص: 104 .

³ الحسن بن قاسم المرادي، الجني الداني في حروف المعاني، ص: 39.

﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾. [سورة آل عمران، الآية: 23].
 ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾. [سورة آل عمران، الآية:

[81

﴿وَلِيُخَصِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾. [سورة آل عمران، الآية: 114]

وقد جاء القسم ظاهراً صريحاً مؤكداً بحروف القسم الواو واللام في البنية التركيبية، فاخص بالدخول على المقسم به دون اختصاص بالله لتأكيد خبر إعراضهم عن دين الحق والاحتكام إلى كتابه، فأريد باللام للتعجيب من حال هؤلاء كيف يتولون بعدما آتاهم الكتاب ونقلوه وإذا طالبهم بالرجوع إليه فأدبروا وتولوا، اقترن باللام للدلالة على تجدد إعراضهم الذي كان يصدر كل مرة، واللام في (تُؤْمِنَنَّ، لَتَنْصُرُنَّهُ) جواب للقسم، فتعني اللام هنا توطئة للقسم لقسم مقدر، وهذا القسم مقدر وجوابه خبر لمبتدأ ما في لما آتاهم، والتقدير: "والله لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ وَالله تَنْصُرُنَّهُ، والضمير الهاء المتصل في كلا الفعلين يعودان على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، المدلول عليه في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 81]، فالأصل بأن هذا من قبيل الشرط، فكان جواب الشرط محذوف لأنه أغنى عنه جواب القسم، فدخل على الفعل المضارع المتصل بنون التوكيد الثقيلة لأنه قسم مثبت غير مفصول بينه وبين اللام بالفاصل، فزادت تأكيداً وتمكيناً في نفس سامعه لتثبيت صدق نبوة سيد الخلق، وهذه الآية لأهل الكتاب أخذ الله ميثاقهم أن يؤمنوا بمحمد ويصدقوه وينصروه¹، ثم جاء بحرف القسم الواو واللام في قوله تعالى: ﴿وَلِيُخَصِّصَ﴾ لغرض أسلوبى اقتضاه سياق المقام ليؤكد تطهير المؤمنين من الذنوب وتخليصهم من العيوب وتصفية الذي جاهدوا في سبيل الله سواء أصابهم قتل أو جراح سينصرهم ويمحق الكافرين.

والنظام الغالب في ترتيب عناصر هذه الآيات هو:

- أداة التوكيد (لام التعليل) + فعل مضارع + فاعل + متعلقات الجملة .

¹ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 06، ص: 558.

6. توكيد الجملة بـ (المصدر):

هو المصدر المنتصب، توكيدا لعامله ، أو بيانا لنوعه أو عدده نحو: ضربت ضرباً، وسرتُ سيراً زيدٍ، وضربتُ ضربتين¹، وهو نمط تعبيرى تعنى صيغته التركيبية بوقوع الحدث في زمن ماضى القريب من الحال، بالإضافة إلى التأكيد بالمفعول المطلق، لقوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [سورة آل عمران، الآية: 37]

لقد استندت الصيغة التركيبية إلى مفعول المطلق باعتباره إحدى وسائل الضرورية للتوكيد وأول ما يلفت لتركيب الجملة (فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ) هو مصدر (قبول) زيادة حرف الباء عليه، "فقل إن أصل الكلام، فتقبلها قبولاً حسناً، فأدخلت الباء على المفعول المطلق ليصير بالآلة للتقبل، وهذا إظهار للعناية بها في هذا القبول"²، والأصل في القاعدة أن يقال: بتقبُّلٍ حسنٍ لأنَّ المصدر من صيغة (تفعَّلَ) وهو (تفعَّلَ) ومثل هذا يسمى اسم مصدر، لكن النّظر القرآني عبّر عنه بأنّه مصدر مؤكد على غير مصدر³.

كما اختلف المفسرون في أصل التوكيد "وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا"، فكان متوقعا حسب القاعدة أن يذكر (الإنبات) مع الفعل (أنبت)، أو (النبات) مع الفعل (نبت)، فيقول: أنبتها إنباتاً حسناً، أو نبت نباتاً حسناً، ولكن جاء النظم القرآني بغير المألوف في قوله: "وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا"، يقول "ابن عاشور": "(ونبات) مفعول مطلق لأنبت، وهو مصدر نبت، وإنّما أجرى على (أنبت) للتخفيف"⁴، ولم يذكر علة التخفيف.

ويوضح هذا المعنى "فاضل السامرائي" بقوله: "لم يقل (إنباتا) لأنّه لو قال (إنباتا) لم يجعل لها فضلاً لأنّه لم يزد على معنى الإنبات، وإنّما قال: (نباتا حسناً) على معنى أنّها قبلت

¹ ينظر: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، المفصل في صناعة الإعراب، ص: 55.

² محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 03، ص: 235.

³ ينظر: أبو اسحاق أحمد بن محمد النيسابوري، الكشف والبيان، تح: أبو محمد ابن عاشور، دار الأحياء التراث العربي، بيروت، ط: 01، 2002م، ج: 03، ص: 56.

⁴ محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 03، ص: 88.

الإنبات فنبتت نباتا حسناً، فجعل لها في معدنها وشخصها الطاهر قبولاً لذلك الإنبات والاستجابة له، ولو قال (إنباتاً) لجردها من هذا المعنى والله أعلم¹، وبهذا نرى أن الآية جمعت بين فعل الله تعالى (وأنبتها) مطاوعة معدنها الطاهر بالقبول فنبت (نباتاً)، فبدل أن يقول: وأنبتها إنبات حسناً فنبتت نباتاً حسناً، فعبر النظم بالفعل الأول وبالمصدر للفعل الثاني وهي توكيد للفعل المذكور بمصدر محذوف زائد موظفاً ليطابق المعنى الثاني، وهي موافقة لفعل مضمر، فجمع المعنيين معاً إيجازاً في اللفظ واتساع في الدلالة²، وجاء بالتأكيد ليخبرنا الله تعالى عن قبول مريم من أمها النذيرة، ورعايته أحسن رعاية، وقد جاء نمط الآية على الصورة الآتية: فعل + فاعل (ضمير مستتر) + مفعول به + مفعول مطلق.

7. التوكيد الجملة بـ (القصر):

القصر طريقة من طرائق التوكيد يهدف به المتكلم إلى تثبيت غرضه في ذهن السامع، وإزالة ما في نفسه من شك فيه التوكيد بالقصر أقوى طرائق التوكيد، وأدلها على تثبيت ما يراد تثبيته أو تقريره³، يقول "القزويني": "والقصر ليس إلا تأكيداً على تأكيد"⁴.

لقد استخدم أسلوب القصر بطرائقه المختلفة في السورة حسب ما يقتضيه المقام وبناء القرآن المحكم، فقد يلجأ السياق القرآني إلى قصر الصفة على الموصوف أو الموصوف على الصفة فيما باستخدام النفي والاستثناء كقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 114] اقتضى السياق القرآني توكيد الموصوف (محمد) على صفة (الرسالة)، لأنَّ المقام اقتضى تأكيد الرسالة وقصره على الصفة نظراً للموقف الذي مرت به الأمة حيال انتشار خبر وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، وما

¹ فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، ج: 02، ص: 142.

² ينظر: محمد نور الدين المنجد، اتساع الدلالة في الخطاب القرآني، تقديم: سعيد الأيوبي، دار الفكر، دمشق، ط1، 2010، ص: 155.

³ ينظر: مهدي مخزومي، في النحو العربي (نقد وتوجيه)، ص: 210.

⁴ جلال الدين محمد عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد الخطيب القزويني، الايضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبيدع)، ص: 73.

محمد صلى الله عليه وسلم إلا مبلغ الرسالة ولا يتميز عن غيره إلا بهذه الصفة فهو الانسان قد يتعرض للقتل أو الموت في أي لحظة، لذلك يحذره من الانقلاب على أعقابهم، وكذا في قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾، [سورة آل عمران، الآية: 185] وهي جملة استئنافية مؤكدة بالقصر، قصر فيها الموصوف "الحياة الدنيا" على الصفة "متاع الغرور"، إذ أنه قصر قلب لأن "هؤلاء المهتمكين في الأمور الدنيوية إنهما كما أنساهم شريعة الله كأنهم اعتقدوا بأنهم دار خلود وأنهم مقيمون فيها أبدا فقصرها على المتاع دون الخلود قصر قلب، والنظام الغالب في ترتيب عناصره وفق النحو الآتي:

- واو الاستئنافية + أداة النفي (ما) + مبتدأ + نعت + أداة حصر + خبر مبتدأ + متعلقات الجملة.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 47].

حين بلغ مريم عليها السلام أمر ربها بالحمل والوضع، أصابها الروع والدّهشة والاستغراب كيف أن يتحقق هذا الأمر وهي لم تتزوج بعد؟ "قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ".

فجاء القرآن يؤكد ويقرر بأداة القصر "إنما" قصر فيها الموصوف "القول" على الصفة "كن"، إذ أنه قصر قلب ليسكن روعها، ويهدئ نفسها ويجعل هذا المعنى قريبا مألوفا في نفسها، لبيان كمال قدرة الله تعالى: "وسهولة تأتي المقدورات حسبما تقتضيه مشيئته، وتصوير لسرعة حدوثها، بما هو علم فيها من طاعة المأمور المطيع، للأمر القوي المطاع، وبيان لأنّه تعالى كما يقدر على خلق الأشياء مدرجاً بأسباب ومواد معتادة، يقدر على خلقها دفعة واحدة من غير حاجة إلى شيء من الأسباب والمواد"¹.

¹. أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج: 02، ص: 38.

وانطلاقاً مما سبق، نجد أنَّ نبرة التوكيد في سياق الآيات كانت تعلو وتهبط في مراقب دقيقة وبالغة لمواقع المعاني في النفوس وما تنطوي دواخلها من جمالية فنية لأسلوب النص القرآني، تخدم أغراضاً معينة يحكمها السياق ويتطلبها المقام.

8- الوصل والفصل:

يعد الوصل والفصل من الظواهر التركيبية المهمة التي تشكل عدولاً تمكّن المبدع من توظيفها لتعميق المعنى وإضفاء دلالات والغوص في مستوياتها المتعددة، "وذلك لغموضه ودقة مسلكه"¹، حتّى أنّ بعضهم جعله حدّاً للبلاغة²، حيث سئل أحدهم عن البلاغة فقال: البلاغة معرفة الوصل والفصل، وقد ذكره الجاحظ في "البيان والتبيين"، وقال "عبد القاهر الجرجاني" في الدلائل: "واعلم أنّه ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول فيه: إنّهُ خفي غامض ودقيق صعب، إلا وعلم هذا الباب أغمض وأخفى وأدق وأصعب"³.

ولأهمية الوصل والفصل فقد تناولهما البلاغيون بصورة مفصّلة، وعرفوهما بأنّهما العلم بمواضع العطف والاستئناف، "فالوصل عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه والتمييز بينهما"⁴، كما قاموا بتحديد مواضع لكل من الوصل والفصل⁵.

وبلاغة الوصل لا تتحقق إلا بـ (الواو) العاطفة، دون بقية حروف العطف لأن (الواو)

¹. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 171.

². ينظر: جلال الدين محمد عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد الخطيب القزويني، الايضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، ج: 01، ص: 145.

³. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 231.

⁴. ينظر: أحمد بن عبد الوهاب النويري شهاب الدين، نهاية الإرب في فنون الأدب، تج: مفيد قميحة، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1، 1423هـ، ج: 07، ص: 70.

⁵. مواضع الفصل هي كمال الاتصال، وكمال الانقطاع، وشبه كمال الاتصال، وشبه كمال الانقطاع، والتوسط بين الكمالين، أما مواضع الوصل فهي: الإشراف في الحكم الأعرابي وان تتفق الجملتان خبراً وإنشاء وبينهما مناسبة تامة، وإذا اختلفتا خبراً وإنشاء واهم الفصل خلاف المعنى المقصود. ينظر: جلال الدين محمد عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد الخطيب القزويني، الايضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، ج: 1، ص: 146. 157.

هي الأداة التي تخفى الحاجة إليها، إذ لا تفيد إلا مجرد الربط وتشريك ما قبلها بما بعدها في الحكم الإعرابي، أما بقية حروف العطف تفيد مع التشريك معاني أخرى¹، بحيث "يعمل الوصل في كل ثنائية على إيجاد مدلول جديد يعكس التفاعل بين طرفي الدلالة اللذين كثيراً ما يحدث بينهما أخذ وعطاء وتناسب في الشكل"².

وفضلاً عن الإشراك الشكلي، هناك الإشراك الدلالي والمعنوي "ولا يتصور إشراك بين شيئين حتى يكون هناك معنى يقع ذلك الإشراك فيه"³.

وهذا الكلام ليس حصراً على الوصل فحسب بل ينسحب إلى الفصل "فالفصل لا ينقسم عن مسلمة الانزياح الأسلوبي عن المعيار الثابت إذ تجسد الانزياح في إحداث خلخلة في المتواليات اللسانية التركيبية ضمن النسق الوصلي⁴، لعمق الصلة بين الوصل والفصل اعتماداً على المستوى العميق كأساس لإنتاج الظاهرتين في المستوى السطحي، إذ يتحقق الوصل في صورتين إحداهما ظاهرة بفضل أداة الربط، والثانية مضمرة وتتحقق بمجرد القران (القران) الفصل دون أداة⁵، يهدف من خلالهما إلى إبراز جمال المعنى في أبهى صورة فنية لتحقيق كمال الفائدة، وكمال الفائدة يتطلب عدم الافتقار أوجه الجمال الذي يظل نابضاً قادراً على الإفادة، مؤدياً معاني التي تتواجد بوجودهما، فتنبعث من إحياءهما، ثم تترابط هذه المعاني الفرعية لتصور المعنى العام أو الفكرة المقصودة بهدف إيصالها للمخاطب في أبهى صورة وأحلاها.

¹ من حروف العطف (الفاء) وتفيد الترتيب من غير تراخ، و(ثم) توجبه مع تراخ، و(أو) تردد الفعل بين شيئين وتجعله لأحدهما، فإذا تم عطف الجملة على الجملة بواحد منها ظهرت الفائدة. ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 172.

² منها محسن هزاع البياتي، آيات العدد في القرآن الكريم، أطروحة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، مجلس كلية التربية للبنات في جامعة تكريت، (1424هـ/2003م)، ص: 82.

³ ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 172.

⁴ ينظر: وسن عبد الغني مال الله المختار، سورة الكهف دراسة أسلوبية، أطروحة مقدمة لنيل درجة الماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2000م، ص: 81.

⁵ ينظر: جون كوهن، بنية اللغة الشعرية، ص: 158.

ويمكن تلمس هذا التداخل الأسلوبي بين البنية النحوية والبنية الدلالية باستحضار حرف العطف في كل جمل كنمط تركيبى متميز، يكون في بداية الجملة ووسطها ونهايتها، وبين الآيات الواحدة تلوى أخرى بغية تحقق بعض اللطائف الأسلوبية والنكت البلاغية "إذ ليس العطف مجرد ربط ميكانيكي بين العبارات والجمل بل هو أداة هامة لتحقيق التفاعل السياقي بين أجزاء النص"¹، الذي يظهر واضحاً في عطف الجملة الشرطية على الموصولة، والموصولة على الاستفهامية، والاستفهامية على المنسوخة...

ولم تخل سورة آل عمران من هذا الفن، فلو بحثنا عن مظاهر الوصل والفصل وتجلياتها في التعبير القرآني لوجدناها كثيرة، فتارة نرى الجمل قد وصلت ببعضها وأخرى نراها مفصولة ترك الوصل بينها بناء على الصيغ المتواجدة فيها، فمن جماليات هذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَالِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 14]

في الآية الكريمة نحس بجمالية أسلوب الوصل عن طريق العطف بين الجمل من خلال حرف العطف (الواو)، بوصفها أداة لضم مجموعة من الدلالات مترابطة معنويًا، فالله سبحانه وتعالى لما صدر التعبير القرآني بذكر الحب، فكان المحبوب مختلف المراتب ومتفاوت الدرج، اقتضت الحكمة الإلهية تقديم الأهم بالأهم من المحبوبات، فقدّم النساء على البنين، لما يظهر فيهم من قوة الشهوة، ونزوع الطبع، وإيثارهن على كل محبوب، وقدّم البنين على الأموال لتمكّنهم في النفوس واختلاط محبتهم بالأفئدة، وهكذا القول في سائر المحبوبات، فالنساء أقعد في البيوت، والبنون أقعد في المحبة من الأموال، والذهب أكثر تمكّنًا من الفضة، والخيل أدخل في المحبة عن الأنعام والمواشي أدخل من الحرث.²

¹ نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، دط، دت، ص: 238.

² ينظر: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم اليمنى العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج: 02، ص: 63/62.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 18].

ففي الآية الكريمة تم عطف كلّ من الملائكة وأولو العلم على لفظ الجلالة، وقد بحث النّحاة مسألة هذا العطف في حدود المعنى التّشريك في الحكم الذي مداره فكرة الإسناد والصورة المنطقية للعبارة، والمسألة الدقيقة فبقدر ما تتصل بما ذكر، لا تخلو من اتّصال بإيحائها الفنّي والجمالي، الذي يفيد التّشريك المعنوي أي الاشتراك مع الاختلاف في المرتبة والدرجة أو ما يتناوله الفلاسفة في مباحث الألفاظ الكلّية، فشهادة الله - عزّ وجل - ليست هي عينها شهادة الملائكة الكرام، وهما ليسا كمثّل شهادة أولي العلم، فشهادة الله هو ما نصّه في الوجود على وحدانيته، وذلك بالإظهار والإثبات على سبيل الاستعارة، "لأنّ المراد أنّه سبحانه دلّ وحدانيته بل وسائر كمالاته بأفعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره (...) فشبهه سبحانه تلك الدّلالة الواضحة بشهادة الشاهد في البيان والكشف، ثم استعير لفظ المشبه به للمشبه ثم سارت الاستعارة من المصدر إلى الفعل، والملائكة وأولو العزم عطف على الاسم الجليل ولا بد حينئذ من حمل الشّهادة على معنى المجازي شامل لما يسند إلى هذين الجمعين فلفظ (شَهِدَ) مراد منه ما يصح نسبته إلى ما أسند إليه¹، فمن الملائكة هي إقرارهم بذلك، وشهادة أهل العلم هي إيمانهم واحتجاجهم على وحدانيته (...)، فالسرّ البلاغي في هذا الوصل يتجلى في الصّلة المستفادة من لفظ الفعل "شَهِدَ" ومجيء لفظ الجلالة ليبين فاعل هذا الفعل والمتّصف به²، ومن هنا تظهر الصّلة بوضوح بين المتعاطفين في الآية الكريمة.

وما يلاحظ على عطف المكونات اللغوية داخل الجملة الواحدة، أنّها تخضع لمنطق تركيبى ودلالي واحد، فالنظام اللغوي المميز لهذه العناصر اللغوية جعلت الدلالة تشترك في نفس الوظيفة، ذلك لأنّ العطف "هو عملية اجتماع مكونات ذات وظيفة واحدة في نطاق مركب واحد. وتتم بواسطة أدوات العطف"³.

¹ ينظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم السبع المثاني، ج: 03، ص: 150.

² ينظر: منير سلطان، الفصل والوصل في القرآن الكريم-دراسة في الأسلوب، دار نشأة المعارف، الإسكندرية - مصر، ط: 02، 1997 م، ص: 175-176.

³ محمد شاوش، ملاحظات بشأن دراسة تركيب الجملة، مجلة الموقف الأدبي، دمشق-سوريا، ع 136، 1982، ص: 89.

وقد لاحظ استحضر البنية الدلالية للعناصر المعطوفة إلى حقل دلالي مختلف يقوم في الأغلب على نظام المغايرة، في قوله تعالى: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 27].

لقد عمد النظم القرآني مع الأسماء (الليل والنهار، النهار والليل، الحي والميت، والميت والحي) إلى المغايرة على رغم توحيد العناصر اللغوية بحرف العطف الواو، ومكمن التخالف الأسلوبية الذي خلقه حرف العطف المشترك يعود إلى تعداد الدلائل قدرة الله الكاملة على تدبير الكون مما لا يدخل تحت قدرة المخلوقين ولو اجتمعوا، كإدخال الليل في النهار، وإدخال النهار في الليل، فيطول هذا، ويقصر هذا ويحصل جراء ذلك كما هو معلوم في سنته تبارك وتعالى بهذا الخلق أن تتبدل الفصول فيحصل الشتاء والصيف وما بينهما، "وإخراج الحي من الميت وإخراج الحيوان من المضغة، ومن مح البيض، وإخراج الميت من الحي بإخراج النطفة والبيض من الحيوان"¹، فإن خلقه لهذه الأضداد الليل والنهار، الحي والموت مع التصرف فيها وتقليبها وإخراج الضد من ضده ليبين كمال قدرته عز وجل، وذلك مما يزيد القلب خضوعاً وإخباتاً وخشوعاً لله تعالى.

والم تأمل في تعدد العناصر اللغوية والدلالية التي ارتبطت بحرف العطف فيجد أنها خضعت لنظام دلالي تمثل في العطف بين مجالين متباينين دلالياً ومن هذه الانطلاقة في المزاوجة بين هذين المجالين تولدت القيم الخلافية في سياق النص، وقد ساعد على تداخل هذه القيم التركيبية والدلالية المتباينة حرف العطف.

وقد تخلل الآية الحاوية للعطف صلة الموصول، فشكّل ظاهرة أسلوبية مميزة تندرج في ضوءه تكثيف تركيبى للآيات، فقد تكون الصلة جملة فعلية بسيطة أو مركبة أو جملة اسمية، وهذا الشحن التركيبى يقتضيه سياق حسب الموضوع المطروح، فإن كان موضوع العقيدة وإثباتها في مقام المجادلة والمناظرة يستدعي التكثيف التركيبى استحضر الأفعال والأسماء لخدمة الدلالة الأم.

¹ محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 11، ص: 156.

بحيث استعمل الفعل بصيغة الماضي بعد الاسم الموصول "ما" كان لغرض إثبات وتقرير اعتناق إبراهيم للدين الإسلامي ونفي العلاقة بينه وبين هؤلاء الضلال من اليهود والنصارى في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 67]، في باب عطف الجمل مع بعضها ليجمع حرف العطف شمول الحكم على معبود والعابد على حد سواء.

وقد وردت سمة أسلوبية أخرى مع حرف العطف في سورة آل عمران بمخالفتها لنمط العطف المعتاد بين الجمل داخل الآيات في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّْا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 165]، وقبل أن نفسر كوامن العدول الأسلوبية في جملة العطف، لابد من التنويه أن: "أن" العطف علاقة نحوية تقوم على الجمع بين عناصر تشترك في نفس الوظيفة، أي بين كل واحد منها وبين بقية مكونات المركب نفس العلاقة¹.

فلما حصل تباين بين عناصر مكونات اللغوية للجملتين، اختلفت الوظيفة النحوية للحرف العطف بانتقاله إلى وظيفة أخرى، فأنجر عن هذا الانتقال مخالفة تركيبية دلالية.

ويكمن السر في هذه المخالفة التركيبية في استحضار الاستفهام الصدارة فتعذر العطف "لأننا عندما نقول أن هذه الجملة معطوفة على تلك معناه أنهما تشتركان في نفس الوظيفة المتمثلة في كون كل واحد منها مكوناً مباشراً من مكونات الخطاب"².

فلما اختلفت الوظيفة النحوية بين مكونين لغويين أحدهما استفهامي، اختلف نظم الآية وحيء بشحنتين تركيبيتين جمع بينهما حرف العطف، فنتج عنه تداخل أسلوبية بنمطيه الانسجام والتخالف خلق بعدا جماليا وبلاغيا للبنية التركيبية وانسجاما دلاليا.

¹. محمد شاوش، ملاحظات بشأن دراسة تركيب الجملة، ص: 83.

². المرجع نفسه، ص: 88.

وقد عمد التعبير القرآني إلى استحضار العطف للجمع بين الدلالات المتقاربة في الأسلوب الواحد، كما في قوله تعالى في حديثه عن أهل النار: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 61].

وعن الحوار الملائكي، كمحاورة الملائكة لذكريا عليه السلام: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ، فَتَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ، قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَادْكُرُّ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعُشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 41/38].

وذلك من خلال التزام الآية الواحدة بحرف العطف الفاء في حديث عن مجادلة أهل الكتاب من النصارى وعنادهم في أمر عيسى عليه السلام بعد ظهور البيان ودعوتهم إلى المباهلة والملاعنة لإقامة حجة على النبوة، وجاء العطف بـ (ثم) إذ قيل أنَّها تفيد التراخي في الزمن، لينزل عقوبته ولعنته على الكاذبين بعد التضرع والإلحاح (أي كون حصول ذلك على مراحل)، وكذلك جاءت محاورة الملائكة لذكريا فيها عطف بالفاء عند إقبال الملائكة وتبشيره بالولد وهو شيخ فاني وامراته عجوز، والفاء هنا تدل على تعقيب المباشر فدلَّت على سرعة استجابة الله عزَّ وجل دعاءه.

وهذا للدليل واضح يبرز مدى انسجام الأسلوب للآيات وردت فيها حروف العطف مع غيرها من التراكيب، كتداخل حروف العطف مع الاستفهام والتأكيد وصلة الموصولة في التعبير واحد في جملة الإسمية والفعلية، وبالتالي كان شكل العطف مع الجملة الإسمية في إخباره تعالى عن مجادلة النصارى:

- ف (حرف عطف) + اسم شرط + فعل + مفعول به + فاعل + جار ومجرور + جار ومجرور + اسم موصول.... + ف (حرف عطف) + فعل + فاعل + فعل مضارع + فاعل + مفعول به + مضاف إليه + ألفاظ مركبة من مضاف ومضاف إليه معطوفة بحروف العطف على (أبناء) منصوبة + ثم (حرف عطف) + فعل مضارع مجزوم...

والملاحظ أنّ الأفعال قسم الأول لأهل جهنم جاءت صورة الجملة الاسمية المثبتة معها مكوّنة بعكس نظام الترتيبي الذي ينص على المسند إليه + المسند في الغالب مع تراوح في استخدام الفعل المضارع في تقديم التعليل كونه يفيد التّجدد والاستمرار الأمر الذي ناسب تعجيل العذاب في كون أنّ ضلالهم ومجادلتهم لحقيقة المسيح كان مستمرا.

ولعل هذا التوافق الأسلوبي يعكس هنا توافق دلاليًا قوامه الدلالة المركزية القائمة على إلحاق العذاب واللعنة والطرْد من رحمته لمن خالف أمر الله مسترسلا في اعتقاداته الباطلة.

وقد جاء الهيكل اللغوي للجمال الحاوية للحوار الملائكي والبشري باستحضار الواو بنسبة أعلى من الفاء، للدلالة الجمع والمشاركة، وقد اقترنت مع أسماء الموصولة والتأكيد كتداخل أسلوبي لانسجام دلالي، وبالتالي كان شكل حرف العطف مع المسند إلى الجماعة المتحاورة (الملائكة وزكريا) عليهما السلام:

- حرف العطف (ف، و) + فعل الماضي (نادته + بلغني + اذكر + سيخ) + متمات الجملة. وإنّ الولوج في أعماق المكونات اللغوية لآيات السورة، سيلمح التداخل الأسلوبي بين الدلالة والتركيب من خلال النمط المتحدّث عنه، وهو الانسجام والتخالف الأسلوبي على الصعيد البنية التركيبية الذي نلاحظ فيه مخالفة أسلوبية، لأجل تحقيق المخالفة الدلالية من المخالفة التركيبية كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 73].

لقد شكل حرف العطف (أو) في الآية السالفة مفصلاً مهماً بتعادلته مع أسلوب الشرط، حيث خرج معناه إلى الاتصال لأنَّ ما قبله لا يستغني عما بعده، لتكون (أو) هنا بمعنى (أنَّ) لأنَّهما حرفاً شرطاً وجزاء يوضع أحدهما موضع الآخر أي وإن يحاجوك يا معشر المؤمنين عند ربكم فقل يا محمد: إنَّ الهدى هدى الله ونحن عليه، ويجوز أن يكون الجميع خطاباً للمؤمنين ويكون نظم الآية: أن يؤتي أحد مثل ما أوتيتم يا معشر المؤمنين حسدوكم فقل (إنَّ الفضل بيد الله) وإن حاجوك (قل إنَّ الهدى هدى الله).

وإليه ذهب الواحدي رحمه الله حيث قال: "قوله {يُحَاجُّوكُمْ} عطف على {أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ} المعنى: ولا تؤمنوا بأن يحاجوكم عند ربكم، لأنَّه أصح منهم ديناً فلا يكون لهم الحجة عليكم عند الله"¹.

وقد خرج حرف العطف مع نمط التوافق والتخالف هنا مع الجملة الفعلية بصورة:

- حرف العطف + الفعل (الماضي) + الفاعل + متممات الجملة.

ولعل هذا التوافق والانسجام الأسلوبي لهذه الصيغ النحوية لكافة الجمل الاسمية والفعلية بأشكالها وأنماطها راجع لاختيار التعبير القرآني نمط المكونات اللغوية وجمعه بين التجديد والثابت حسب ما تمليه المقاصد الدلالية للسورة، وبهذه الموازنة بين الائتلاف والاختلاف تتولد القيم الخلافية بين التراكيب النحوية، مما يفرز انسجاماً وتداخلاً بين مختلف الصيغ التركيبية الذي ساعد حرف العطف على تداخلها إذ "ليست هناك عدد

¹ أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تج: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1994، ج: 01، ص: 354.

أقصى تنتهي إليه إمكانيات تعدد العناصر بواسطة العطف كما انه يمكن أن يحصل ذلك بين عناصر ليست من نفس النوع من حيث التراكيب (أي بين اللفظ الواحد والتركيب الجزئي وشبه الجملة)¹.

وعلى هذا يمكن القول، بعد تعرضنا لهذه العينات المختلفة لأنماط البنية التركيبية المتضمنة خصائص تركيبية متنوعة، تجلى على إثرها تعبير القرآن الكريم عن جملة مقاصده ودلالاته بأرقى العبارات وأسمى البيان، ومن ثم أدت دور فعال في شد جزئيات النص وتحقيق السمة الوصلية والجمالية للأسلوب القرآني.

¹. محمد شاوش، ملاحظات بشأن دراسة الجملة، ص: 84.

الفصل الرابع:

المستوى الدلالي في سورة آل عمران

1-دراسة الحقول الدلالية

2- تحليل الصور البيانية

إن الغرض الأساسي من دراسة مستوى الدلالي للسورة الكريمة، محاولة الكشف عن البنية العميقة لنظام اللغة المكون نتيجة تفاعل مستويات مختلفة للظاهرة اللغوية، وهو جانب المعنى.

وترتكز دراسة المستوى الدلالي على علم الدلالة وهو علم، "الذي يعني بدراسة الدلالات الألسنية، وعلى الأخص الجانب المعنوي من هذه الدلالات، أي المدلول، والمدلول يدرس على ضوء هذا العلم من عدة جوانب، الجانب الأول يتمثل في العلاقات التي يقيمها المدلول مع الأشياء التي يرمز إليها أو يعبر عنها (المفاهيم، العواطف، معطيات العالم الخارجي)، والجانب الثاني يتمثل في العلاقات التي يقيمها المدلول مع غيره من المدلولات، والجانب الثالث يتمثل في العلاقات التي تنشأ بين السمات الأساسية التي تتكون منها المدلولات"¹، أي أنّ دلالة الكلمة تحتوي على كل معانيها ضمن السياق اللغوي، ذلك لأنّ الكلمات في الواقع لا تتضمن دلالة مطلقة بل تتخذ دلالتها في السياق الذي ترد فيه، وترتبط دلالة الجملة بدلالة مفرداتها وبنيتها التركيبية، إذ كل إشارة لغوية تحتوي على دال ومدلول، ولا يكون للدال أو لأي لفظة مكونة من مقاطع صوتية وجود في اللغة ما لم تتضمن اللفظة معنى لها².

وإنّ المنهج المتبع في دراستنا لنظام العام لمدلولات الكلمات وطرق اقتربها في سورة آل عمران يندرج ضمن مبحثين مهمين:

-دراسة الحقول الدلالية: بغرض تقسيم العالم اللغوي في سورة آل عمران إلى جزئيات لغوية صغيرة، وذلك بتفكيك البنية الدلالية إلى أنظمة دلالية جزئية، ويتم هذا العمل انطلاقاً من تقسيم السورة إلى ثلاث: قسم الأسماء والأفعال والصفات، فينطلق

¹ .موريس أبو ناصر، مدخل إلى علم الدلالة الألسني، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع18، 1982م، ص: 34.

² . ينظر: ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط: 01، (1402هـ/ 1982م)، ص: 140 / 141.

باستعراض أسماء السورة جملة مع توزيع كل ما يوافقه في جداول عامة تستنبط من تراكيب معانيها المحورية إلى عناصر فكرية افتراضية تختزل معاني النص عامة، وبخطوات ثابتة نقوم مع الأفعال والصفات مراعيًا في دراستنا لهذه المكونات على مراتبها المعنوية فقط مبتورة عن السياق، إذ أنّ عملنا ينصب بدراسة مواد البناء معزولة عن السياق لكنها مجموعة بحسب انتظامها في معنى العام.

- دراسة تحليل الصور البيانية: إن تحديد المنحى في معالجة الصور البلاغية محاولة البحث عن المقاصد التصويرية قصد استجلاء دلالتها الجمالية وخصائصها الفنية بتقديم نماذج من سورة آل عمران المحتوية على تأثيرات إيحائية وأغراض جمالية وفنية مزاجية بين الدرس الأسلوب الحديث والموروث البلاغي القديم.

1- دراسة الحقول الدلالية:

1-1- تعريف الحقول الدلالية:

لقد كان العرب السبق إلى فكرة ترتيب المفردات اللغوية على شكل حقول معجمية، فكانت بداية جمع المادة اللغوية في صورة رسائل كل منها ترصد مفردات حقل معين، ومن هذه الرسائل اللغوية كتاب الإبل، كتاب الخيل، كتاب خلق الإنسان، كتاب الحشرات، كتاب النبات، كتاب الأنواء، وقد تبلور تأليف المعاجم العربية في شكل معاجم مرتبة صوتيًا أو ألفبائيًا وبعده كذلك ظهر عدد من المعاجم المرتبة حسب المعاني، كالغريب المصنف لأبي عبيد، المنجد لكراع، مبادئ اللغة للإسكافي، فقه اللغة للثعالبي، والمخصص لابن سيده.¹

وما يمكن ملاحظته في الكتاب العربي أنّه لم يقصد إلى وضع نظرية في الحقول الدلالية تنتظم بموجبها ترتيب مفردات حقل معين ترتيباً دقيقاً أخذاً بالتدرج في الدلالة، أو يقرب بعضه من بعض أو بالأكثر شيوعاً، ثمّ الأقل فالأقل أو ما شابه ذلك وإنّما كان المؤلف العربي يحشُر الكلمات الخاصة باللون مثلاً من غير نظر إلى ما كان أساسياً ثمّ كان

¹ ينظر: رشيد عبد الرحمن عبيدي، مباحث علم اللغة واللسانيات، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 2002، ص: 170.

قريباً منه، ثم ما تولد من جمع بعض الألوان مع بعض كما يفعل باحثو علم الدلالة وواضعوا نظرية الحقول الدلالية في العصر الحديث¹. ثم جاء بعدهم الباحثون المعاصرون وخاضوا في قضية الدلالة والنظرية، وتطورت أفكارهم شيئاً فشيئاً وأصبحت علم قائم بذاته، وهي ما يسمى اليوم بـ (الحقول الدلالية).

الحقل الدلالي هو "مجموعة من مفردات اللغة تربطها علاقة دلالية، وتتشترك جميعاً في التعبير عن معنى العام يعد قاسماً مشتركاً بينها جميعاً مثل الكلمات الدالة على الألوان، والكلمات الدالة على الآلات الزراعية، والكلمات الدالة على النبات، أو الكلمات الدالة على الأفكار"²، وقد عرفه "استيفان أولمان" بأنه: "بأنه قطاع متكامل من المادة اللغوية، يعبر عن مجال معين من الخبر"³.

وهذه النظرية ترتبط أكثر باللغويين الألمان، الذين كانوا أوائل في تطبيق النظرية فقد قام العالم اللغوي الألماني "تريير 1934 Trier م" بدراسة مجموعة من الكلمات التي تتصل بالألفاظ الفكرية في اللغة الألمانية الوسيطة"⁴، وبهذا يعد مبتكر مصطلح الحقل الدلالي من خلال دراسته لنصوص القديمة وتقسيمها إلى ثلاث حقول: دينية، وفنية، ومعرفية، وهاجم الطريقة التقليدية في التركيز على تاريخ الألفاظ المفردة، ودعا إلى ضرورة دراسة الألفاظ في قطاعات متكاملة⁵.

¹ . ينظر: فردينان دي سوسير، محاضرات في علم اللغة العام، تر: يوثيل يوسف عزيز، دار أفاق عربية، بغداد، ط: 01، 1984، ص: 153.

² . فريد عوض حيدر، فصول علم الدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط3، 2011، ص: 174.

³ . أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، مصر، ط5، 1998، ص: 79.

⁴ . محمد سعد محمد، في علم الدلالة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط2، 2002، ص: 46 / 47.

⁵ . ينظر: كريم زكي حسام الدين، التحليل الدلالي (إجراءاته ومناهجه)، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2000، ج: 01، ص: 123.

فأساس هذه النظرية يقوم على جمع الكلمات المتوافقة دلالياً ووضعها تحت لفظ عام دلالي واحد يشملها جميعاً، تقول - أي النظرية - ولكي يفهم معنى الكلمة المعينة يتوجب فهم مجموعة كلمات أخرى متصلة دلاليًا بالكلمة المراد، ويهدف هذا التحليل الدلالي للحقول المراد دراستها واستجلاء معانيها، والوقوف على أهدافها التي تحققها هذه اللفظة داخل المعمار النصي إلى جميع الألفاظ التي تخص حقلاً معيناً، والكشف عن صلة هذه الألفاظ بعضها ببعض وصلاتها بالمصطلح العام¹، ويتفق أصحاب هذا الاتجاه على جملة من مبادئ:

- لا تكون الوحدة المعجمية (Lexeme) مشتركة في أكثر من حقل.
- لا يوجد وحدة معجمية غير منتمية إلى حقل معين.
- عدم الإغفال الجانب السياقي التي ترد فيه الكلمة.
- عدم دراسة المفردة مستقلة عن التركيب المعنوي.

ومن وجهة الأسلوبية الكلمة تكسب دلالتها الأسلوبية وجمالياتها في نص ما بتجاورها مع كلمات الأخرى "وأنّ رصد قوائم غير سياقية بالعناصر المفردة ليست له أيّة قيمة أسلوبية"²، فالسياق يلعب دوراً كبيراً في التحليل الدلالي لما يضيفه في تعيين قيمة اللفظة في كل مرة تستعمل فيه تكتسي معنى محدداً مؤقتاً، والدليل كلمة الصراط أو السبيل التي تؤدي دوراً كبيراً في تشكيل التّصور الديني المميز للقرآن ترتبط بدلالاتها بمجموعة من الكلمات مثل: مستقيم، سويّاً، هدى، رشاد... أو عوج، ضلال، تيه... فتشكل فيما بينهما حقلاً دلالياً خاصاً، وهذا يعني أنّ مجال العناية في نظرية الحقول الدلالية دلالة المفردة بوصفها نقطة التقاء المحورين: الرأسي والأفقي، فالمحور الرأسي هو محور الاختيار الذي تتراس فيه الكلمات رأسياً في كل حلقة من سلسلة الكلام، تربط بينها علاقة استبدالي، ولكن الاختيار يقع على واحد فتندسحب باقي الكلمات من النص وتبقى محلقة في فضائه،

¹. ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص: 80.

². صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ص: 243.

وتشكل الكلمات الغائبة المحلقة في الفضاء النصي مع الكلمة المختارة الحاضرة في النص ما يعرف بالحقل الدلالي، أما المحور الأفقي فهو محور التوزيع الذي تتجاوز فيه الكلمات المختارة أفقياً على سلسلة الكلام، وتنشأ بين هذه الكلمات علاقات ركنية، بمعنى أن الكلمة تركز في وجودها إلى ما يجاورها من الكلمات وهذا التّجاوز هو الذي يفرز دلالة المفرد على وجه الخصوص، ومن هنا كانت أهمية السياق في نظرية الحقول الدلالية¹.

ويرى أصحاب النظرية أن العلاقات القائمة بين الكلمات داخل الحقل الدلالي لا تخرج عما يأتي: "الترادف، الاشتمال، التّضاد، التنافر، علاقة الكل بالجزء"²، وعليه ستسعى دراستنا بالتقفي أثر المفردات المتواترة في سورة آل عمران التي تتشاكل فيما بينها لتشكلاً حقولاً دلالية مختلفة باختلاف ألفاظها، وقد تبين الجرد الإحصائي بأن التشكل يكمن في ثلاث أقسام: قسم الأسماء، قسم الأفعال، قسم الصفات.

1-2-2-دراسة الحقول الدلالية:

1-2-1- قسم الأسماء:

تحتوي سورة آل عمران تقريباً (100) اسماً موزعة على الأنظمة الدلالية الجزئية متفاوتة النسب، كما توضحه الجداول الآتية:

الحقل	الحقل	الحقل	الحقل	الحقل	الحقل	الحقل	الحقل
01	02	03	04	05	06	07	08
الله	الفرقان	العالمين	أناس	النهار	جنات	عبد	ظلم
رب	الكتاب	السموات	النّاس	الليل	المآب	النبي	فسق
الوهاب	التوراة	الأرض	أولادهم	أنهار	الرسول	كذب	حساب
العزیز	الإنجيل	الملائكة	البنين	جهنّم	السميع	الساعة	
رحيم		الآخرة					
عليم		المصير					
		القيامة					

¹. ينظر: سالم عبد الرب السلفي، البنى الأسلوبية في شعر الغربة، دار المجد للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2018،

ص: 34.

² أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص: 98.

وإذا ما تأملنا معاني المفردات المشكلة لهذه الحقول الدلالية، فإننا نلمح بأن تركيب المعاني المحورية لسورة آل عمران قد ارتكز على عناصر فكرية يمكن إدراجها ضمن عالمين: الإيمان والتوحيد، والجحود والإنكار، فشكل كلّ علم من هذين عالمين موضوعاً رئيسياً، ونقصد بالموضوع الرئيسي "الموضوع الذي تتردد مفردات عائلة اللغوية بشكل يفوق مفردات العلاقات اللغوية الأخرى هذا على المستوى الشكلي...، أما على مستوى البنيوي فإنّ موضوع الرئيسي هو الذي يفرز بقية الموضوعات ويولدها بشكل آلي"¹، لذا يجب أن يتضمن البناء الفني للسورة غرضاً مشتركاً يتشكل على ضوئه بعض العناصر المفردة لأنّه "خلال السيرورة الفنيّة تتمازج الجمل المفردة فيما بينها حسب معانيها محققة بذلك بناء محدّداً، تتواجد فيه متّحدة بواسطة فكرة أو عرض مشترك، أنّ دلالات العناصر المفردة للعمل تشكل وحدة هذا الغرض"²، وقد تفرع عالم إلى عدد من الحقول الدلالية.

1. عالم الذات الإلهية:

المفردة	عدد ثوابتها
لله	195
رب	37
عليم	9
العزیز	5
حكيم	5
سمیع	4
غفور	4
رحيم	3
الحكيم	3
حليم	1
الوهاب	1
القيوم	1

¹ حسن عبد الكريم، الموضوعية البنيوية (دراسة في شعر السياب)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط: 01، 1983م، ص: 43.

² تودروف ترفتان، نظرية المنهج الشكلي نصوص الشكليين الروس، تر: ابراهيم الخطيب الشركة المغربية للنashرين المتحدین، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، دط، 1982م، ص: 175.

من الملاحظ - التواتر هو كلمة (الله) جل وعلا، إذ وردت في سورة آل عمران مئة وخمسة تسعين مرة بهذا الاسم من غير مصاحبة لغوية بإضافة أو جمع، بعكس عائلته لغوية الأخرى "الرب" التي ورد فيها اسم "الرب" سبعة وثلاثين مرة واسم العليم تسعة مرات، والعزيز والحكيم وردا خمس مرات، والسميع والغفور وردا ربع مرات، والرحيم والحكيم وردا ثلاث مرات واسم الوهاب والرحيم والقيوم مرة واحدة بإضافة وجمع مما شكّل ظاهرة أسلوبية تحتاج إلى تعليل.

إنّ ورود لفظة "الله" بهذه النسبة العالية أمر طبيعي، لأنّها المحور الأساسي الذي يستقطب كل الموضوعات الأخرى، فهي محور يتعلق بالقضية العقائدية التي نزلت لأجله السورة المتمثل في اعتراض ومجادلة النصارى لما هم فيه من عقائد باطلة، وإبطال الشبهات التي تضمنتها معتقداتهم المنحرفة تعمدوا نثرها حول صحة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، وقصة عيسى عليه السلام وفكرة الولد والشريك، مما يعزز صحة هذا التواتر براعة استهلال سورة "آل عمران" وروعة مطلعها بعد الآية (آلم) فجاءت الآية مباشرة بقول جازم تثبت الألوهية لله تعالى ووحدانيته، وذلك في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 02]، ووصفه بصفات الكمال (الْحَيُّ) الذي له جميع معاني الحياة الكاملة كما يليق بجلالته و(الْقَيُّومُ) القائم عزّ وجل على تدبير كل شيء، ونعلم أنّ مجيء لفظ الجلالة بالاختصاص للدلالة على تفردّه من غير أن تضاف إلى أحد أو من غير أن يجمع، فلو تم حذف الألف في قولك: الله بقي الباقي على صورة الله وهو مختص به في قوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 189]، وإن تمّ حذف اللام الثانية بقيت البقية على صورته الأولى كما في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [سورة آل عمران، الآية: 83]، وإن تم حذف اللام الباقية بقي الضمير "هو" يدل عليه في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 18].

كذلك من الملاحظ في اسم (الرب) قد ورد مقترنا في أغلب الآيات بضمير المتكلم المفرد والجمع، وضمير المخاطب المفرد والجمع، وضمير الغائب المفرد والجمع، ولم نجدها معرفة بالألف واللام ولعل في تنوع الإضافة ما يسير إلى شمولية الربوبية بالسيطرة والتحكم بمخلوقاته الكونية جل جلاله فهذه المخلوقات يأتي بعد ذكر اسمه (الرب)، ولعل هذا الإسناد يومئ إلى معنى التربية بكل ما فيها من ألفة، والناظر في المادة اللغوية للكلمة (رب) يجد بأنّها تعبّر بدلالاتها اللغوية على المعنى الجوهرى الذي أراده التعبير القرآني من تواتره تسع وعشرين مرة، يقول "أبو حاتم الرازي" شرحا كلمة (الرب) "والرب في كلام العرب هو المالك، يقال هذا رب الدار ورب الضيعة ورب المملوك، ويقال ذلك في كل مالك لشيء... ولا يقال للمخطوف هذا الرب معرّفا بالألف واللام كما يقال الله عزّ وجل، بل يعرف بالإضافة، فيقال رب الدار ورب البيت وغير ذلك، لأنّه لا يملك ذلك الشيء فإذا قيل الرب، معرّفا بالألف واللام ذلّت الألف واللام على العموم واستغنى بذلك عن الإضافة لأنّه عزّ وجل رب كل شيء، ومالكة فلا يضاف إلى شيء فيختص به دون غيره"¹.

فالقاسم المشترك بين هذه الأسماء (الله، الرب، الوهاب، العزيز، الحكيم، السميع، الغفور، الحليم، الرحيم، العليم) وهو انفراد الله تعالى بها دون مشاركت له واختصاصه بها عزّ وجل فهو المنفرد بالألوهية، ولهذا جاء بداية السورة تؤكد دلالة انفراد الله تعالى وجلال قدرته في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 02].

¹. أبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي (ت266هـ)، الزينة في الكلمات الإسلامية، عارضه بأصوله وعلق عليه: حسين بن فيض الله الهمداني الرازي اليعبري الحرازي، مطبعة الرسالة، القاهرة، ط: 02، 1958م، ج: 02، ص: 45.

2. عالم الكتب السماوية:

وهو العالم المتواجد في الحقل الدلالي الثاني كما يشير الجدول السابق من قسم الأسماء، التي توزعت مفرداته على النحو الآتي:

المفردة	عدد تواترها
الكتاب	10
الآيات	18
التوراة	6
الانجيل	3
الفرقان	1

نجد لفظة (الكتاب) قد وردت عشرون مرة، فهي بمثابة كلمة المفتاحية فجاء التركيز وتبسيط الضوء عليها لإبراز العظمة الإلهية وإثبات الألوهية لله تعالى، بأن هذا الكتاب أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم للتأكيد والإقرار ليبلغه للناس أجمعين كما هو الذي نزل التوراة والانجيل على أنبياءه من قبل ذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 03]، قبل نزول الكتاب بقوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلُ هَدَى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 04]، وهذا لدليل قاطع على صدق سيدنا محمد وعلى صدق الرسالة المحمدية فالذي أنزل على موسى وعيسى هو نفسه الذي أنزل على محمد عليه السلام، فكانت الكتب السماوية كلها تحت على الفضيلة وتنهي عن الرذيلة، وما دام القرآن آخر الكتب السماوية الذي فيه صلاح الناس وفلاحهم كذلك نزل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد عليه السلام.

وقد أقامت علاقة الترادف في عناصر عالم الكتب، حيث ذكرت بعض أسماء القرآن مثل: الفرقان، الكتاب، الآيات... وكلها تصب في عائلة لغوية واحدة وألا وهو: القرآن المنزل على سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم، ولعل توالي التكرار (الكتاب) في سورة آل عمران للتأكيد والإقرار للذين أنكروا هذا الكتاب وما جاء به، فكانت هذه المفردة كمنبه لهؤلاء المنكرين لله ولكتابه ولرسوله عليه الصلاة والسلام.

ومن أهم الفروق اللغوية لاسيما الفرق لفظ (الفرقان) يقول "الراغب الأصفهاني" في هذا الاسم: "الفرق يقارب الفلق لكن الفلق يقال اعتبارا بالانشقاق والفلق يقال اعتبارا بالانفصال وفرقت بين الشيئين فصلت بينهما سواء كان ذلك يدركه البصر... أو بفضل تدركه البصيرة... والفرقان أبلغ من الفرق لأنه يستعمل في الفرق بين الحق والباطل... والفرقان كلام الله تعالى لفرقه بين الحق والباطل في الاعتقاد والصدق والكذب في المقال الصالح في الأعمال وذلك في القرآن والتوراة والإنجيل"¹.

3. عالم دلائل القدرة الإلهية:

إنَّ هذا العالم يتشكَّل من مجموعة الحقول الدلالية وهي الحقل الدلالي الثالث والرابع والخامس والسادس، لأنَّ دراسة الموضوع الرئيسي تقتضي بالضرورة دراسة الموضوعات الفرعية التي تنبثق عنه، فالحقل الدلالي الثالث والخامس يستقطب مجال المخلوقات الكونية والحقل الرابع يتمحور حول مجال القرابة البشرية وغيرها من الحقول الدلالية الأخرى.

والملاحظ في عالم المخلوقات الكونية أنَّ مفردات العالم الكوني تحتل نسبة أعلى، فقد تواترت لفظة (السموات) بصيغة الجمع في عشر مرات مقترنة في أغلب سياقاتها باسم الله وبصيغة المفرد مرة واحدة مرتبطة باسم الأرض، وهي من أعظم مخلوقات الله الدالة على ملكيته المطلقة، ودليل على انفراد الله بامتلاكه السموات والأرض، وما فيمن من مخلوقات، فحين تتردد اسم الجنة والعالمين ثلاث مرات اقترنتا بالذات الإلهية، ولعل سيطرة مفردة السموات على بقية المفردات الأخرى قد يعزى إلى الطاقة الإيحائية المحملة بها هذه اللفظة، فالسماء تشير إلى دلالات العلو والرفعة فهي منشأ التنزيل وعالم الطهر الروحي.

¹ . الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت . لبنان، دط، دت، ص: 179.

وإذا أمعنا في العناصر المكونة لعالم القدرة الإلهية نجد أنَّه هناك علاقات قائمة بين مفرداته لأنَّ معنى الكلمة هو "محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى في نقل نفس المعجمي"¹، ومن العلاقات الواضحة بين أسماء عالم القدرة الإلهية، علاقة التقابل الضدِّي بين الإنس والجن وبين السموات والأرض، والليل والنهار، وعلاقة التقابل التكاملي بين الأنعام، وأناس، وعلاقات الترادف بين الخلق والعالمين، وأن الذي يحدد طبيعة هذه المفردات الواردة في هذه العلاقات اللغوية هو علاقاتها المختلفة فيما بينها، والمبدأ الذي يربط هذه الأسماء ويعترف بينها هو مبدأ الترابط أو اللاترابط، "لأنَّ كثيرا من التعابير العربية وتبعاً لتلك الآيات القرآنية، يحكمها مبدأ الترابط ومعناه أنَّ بعض الكلمات ترتبط بأخرى أو تدعوها، وهكذا فإنَّه غالبا ما تأتي الصلاة المقرونة بالزكاة، والفحشاء بالمنكر... ولكن نذكر الصلاة إلى جانب الخمر شيء لا يقبله العرف اللغوي، فالصلاة يدعو حقلها الدلالي مجموعة من الألفاظ، ويرفض أخرى ومن ثمَّ فإن ممارستها أثناء السكر تعني عملاً غير مقبول أي محرماً"².

ومن الكلمات التي كان لها حظ الشيوع والتكرار في عالم الكوني بصيغة الجمع، لفظ (جنات) المتواترة ثلاث مرات في الحقل الدلالي السادس، والجنة في كلام العرب البستان والنخيل، قال "الرازي": "إنَّما سميت الجنة التي هي الثواب الجنة، لأنَّه ثواب ادخره الله لأوليائه وأهل طاعته وهو مستور عليهم وهو مأخوذ من اجنَّ الشيء إذا ستره... فكأنَّ الجنة مأخوذة من الاجتنان والستر، قال وسمي البستان أيضا الجنة، لأنَّه قد أحيط به وستر ما فيه عن الأعين"³، فالدلالة اللغوية لكلمة "الجنة" هي البستان الذي فيه شجر أما الدلالة الإسلامية فهي دار الخلود والكرامة التي أعدّها الله لأوليائه يوم القيامة، وقد جاء مرادفها في سورة آل عمران "حسن المآب".

¹ . أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص: 98.

² . محمد مفتاح، دينامية النص، ص: 205.

³ . أبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي (ت266هـ)، الزينة في الكلمات الإسلامية، ج: 02، ص: 196 / 197.

4 . عالم عباد الرحمان:

المفردة	عدد تواترها
الرسول	12
النبي	04
الملائكة	08
الألّباب	03

يكشف الجدول المقابل غلبة المفردة (الرسول) عدديًا بتواتر اثنا عشر مرّة ، ولعل ما يفسر نسبة تواترها الأهمية المعطاة لسيد الخلق صلى الله عليه وسلم في تبليغ الرسالة الجديدة المسندة إليه ، ولأجل تعظيم مكانته وتشريف مقامه الذي خصه به الله تعالى .

فأصل الدلالة اللغوية لمفردة الرّسول هيّ الانبعاث، غير أنّها أفادت في سورة آل عمران معنى المتحمل للرسالة السماوية وفي هذا يقول "الراغب الأصفهاني": "أصل الرسل الانبعاث على التّؤدة ويقال ناقة رسله سهلة السير وإبل مراسيل، منبعثة انبعاثا سهلا، ومنه الرسول المنبعث، وتصور منه الرفق فقل على رسلك إذا أمرته بالرفق، وتارة الانبعاث فاشتق منه الرسول"¹.

كما يمكن تفسير استخدام السورة لهذه المفردة (الرسول) بأنّه عليه الصلاة والسلام هو المجسد لعالم الإيمان بالله تعالى ردّا على من كذبوه وكذبوا رسالته، فهو نموذج بشري فاضل اقتدى به أولي الألّباب (أتباعه وأصحابه)، كما احتوت بعض المفردات القريبة من مفردة (الرسول) تربط بينهما علاقة مميزة هيّ علاقة التناظر نحو عبده، المرسلين، النّبي.

¹ . الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص: 195.

وقريب من مجال الإرسال نجد كلمة "الملائكة" المتواترة ست مرات في سورة آل عمران وهي من مخلوقات الله الكونية حيث جاء في كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية "قال أبو عبيدة أصله مهوز من المألكة والملاكة، وهي الرسالة... الملائكة والرسول، وقال غيره، وكأنّ الملائكة مأخوذة من المألكة وهي الرسالة، لأنّ الله عزّ وجل أرسل الملائكة إلى الأنبياء بالرسالة ويكون معنى الملائكة، الرسول، وإنّما سموا ملائكة لإرسال الله إياهم إلى الأنبياء بالرسالة... وسمعت بعض أهل اللغة يقول: سموا ملائكة لأنّ الله خلقهم، ووكل لكل ملك منهم بأمر من الأمور، واستحفظه واسترعاه، وجعل تدبيره إليه ومكنه منه فسوّى ملكاً"¹، ولعل الدلالة التي تضمنتها الملائكة في سورة آل عمران في العالم الغيبي، تعني هي أرواح سماوية خادمة الله وظيفتها تنفيذ إرادته وتمجيده، ولدليل على قدرة الله العظيمة في تسيير شؤون الكون.

5. عالم الإنكار والجحود:

وهو العالم المتكوّن من أسماء الحقل الدلالي الثامن، وهي كالآتي:

المفردة	عدد تواترها
عذاب	16
ظلم	06
حساب	04
كذب	03
جهنّم	03
فسق	02

إذا أمعنا النّظر في هذه المجموعة اللفظية نجد أكثر الأسماء وروداً وانتشاراً في هذا الحقل اسم "العذاب" المتواتر ستّة عشر مرة في سورة آل عمران وقد اقترن ذكره في مواقع التّهديد والوعيد لهؤلاء مخالفين المنكرين لأحكام وشرائع الدين الإسلامي، حيث وردت هذه

¹. أبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي (ت266هـ)، الزينة في الكلمات الإسلامية، ج: 02، ص: 163 / 166.

الكلمة بأشكال وصيغ مختلفة كقوله تعالى: "عَذَابٌ عَظِيمٌ" [سورة آل عمران، الآية: 176] "عَذَابٌ مُهِينٌ" [سورة آل عمران، الآية: 187] "عَذَابُ الْحَرِيقِ" [سورة آل عمران، الآية: 181] "عَذَابٌ أَلِيمٌ" [سورة آل عمران، الآية: 188]، وكلها صيغ أفادت معنى المبالغة جاءت لتجسّد صورة العذاب بنوعيه الحسي والمعنوي، إذن فلا داعي الوقوف على دلالتها اللغوية لكونها معروفة .

وتليها في الترتيب الثاني، لفظة "الظلم" المتواترة ست مرات في سورة آل عمران وأغلب مواقع ورودها يرد اسم للكفار بلفظ "الظالمون"، فقد وردت في السورة الكريمة بمعنى الاعتداء بغير حق سواء بالقول أو بالفعل على الله تعالى وعلى رسوله، أو ظلمهم لأنفسهم بكفرهم، يقول "الراغب الأصفهاني": الظلمة عدم النور وجمعها الظلمات... ويعبر بها عن الجهل والشرك والفسق كما يعبر عن أضدادها... والظلم عند أهل اللغة وكثير من العلماء وضع الشيء في غير موضعه المختص به إما بنقصان أو بزيادة، وإما بعدول عن وقته أو مكانه... والظالم في مجاوزة الحق الذي يجري مجرى نقطة الدائرة¹، وبالتالي اختلفا في دلالتها اللغوية والاسلامية، فالأولى تعني وضع الشيء في غير موضعه، والثانية تدلّ في أغلب الظن على الشرك بالله والفسق بتكذيب لرسوله والرسالة السماوية وهذا قمة المجاوزة للحق والاعتداء على شرع الله، والملاحظ على الأسماء المنتمية لهذا الحقل ك(الكذب، وفسقوا الكفر...) أنّها قامت على علاقة القرابة المعنوية مع كلمة "الظلم".

ومن خصائص التعبير القرآني في سورة آل عمران ذكر الحيز المكاني لجهنم تواترت لفظة (مأوى) مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 162]. المأوى مصدر أوى يأوي أويا ومأوى... ومأوى اسم للمكان الذي يأوي إليه² الكفار بجهنم وقد ارتكزت بعض الأسماء الواردة في عالم التكذيب والظلال على علاقة الترادف وذلك ما نلاحظه من ألفاظ مثل: جهنم، نار، سوء، هوى، الشيطان، عدو، كما نجد علاقة الترادف في ألفاظ مثل: ذنوب، آثام، سيئات، زيف، عوج.

¹ .الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ج: 02، ص: 315.

² .المرجع نفسه، ج: 02، ص: 307.

1-2-2- قسم الأفعال:

الحقل 01	الحقل 02	الحقل 03	الحقل 04	الحقل 05	الحقل 06	الحقل 07
أخذهم	يصوركم	نزل	يأمرون	يكتمون	حاجوك	لا يكلمهم
ستغلبون	خلق	أنزل	ينهون	يقتلون	مكروا	لا ينظر إليهم
تحشرون	يدلّ	تنزل	استغفروا	يعتدون	عصوا	لا يزكّهم
يعذبهم	تولج	نتلوه	ينفقون	يظلمون	يخفون	لا يخفف عنهم
	تخرج		جاهدوا	يلوون	يبخلون	
	يشاء		تابوا	تكفرون		
	يبعث			يضلونكم		
	الحي			يفترون		

1. عالم الوعيد والتهديد:

المفردة	عدد تواترها
أخذهم	03
ستغلبون	01
ستحشرون	01
يعذبهم	02

يبين الجدول السابق أنّ الأفعال المتواترة ترتبط بالذات الإلهية فقد تجمعت ضمن

وحدات معنوية أساسية، إذ "تستند العائلة اللغوية إلى ثلاثة مبادئ: الأول هو الاشتقاق والثاني هو الترادف والثالث هو القرابة المعنوية"¹، فالسمة الغالبة على الحقل الدلالي الأول أنّها وردت في سياق العذاب والتهديد والوعيد، وقد قامت علاقة قرابة معنوية بينهما حسب ما تشير دلالته للألفاظ لعالم الوعيد والتهديد.

¹. حسن عبد الكريم، الموضوعية البنيوية (دراسة في شعر السياب)، ص: 30.

2 . عالم دلائل القدرة الإلهية:

المفردة	عدد تواترها
يصوركم	01
خلق	03
يجعل	04
تولج	02
تخرج	02
يشاء	10
يبعث	01
يحي	01
يميت	01

أما الأفعال المشكلة لعالم دلائل القدرة الإلهية فقد تمحورت ضمن الحقل الدلالي الثاني المستقطب لدلالة الخلق والقدرة ،مثل: "يصوركم، خلق، يجعل، تولج، تخرج . يشاء، يبعث، يحي، يميت"، وما يلاحظه من خلال الجدول السابق المتضمن لقسم الأفعال سيطرة الفعل "يشاء" للدلالة على ثبوت الفعل في الماضي واستمراره بلا توقف ،وقد ارتبط هذا الفعل في أغلب الآيات بموضوع دلائل القدرة الإلهية للرد على الكفار، وهو أليق بمقام إبراز أفعال الله تعالى في عزه ومنه في الخلق، ومن ثمّ نفهم سرَّ غياب فاعل هذا الفعل في كل الآيات المتضمنة للفعل "يشاء" إذ الفعل بدلالته يدلُّ على قدرة الله ووحدانيته فهو الوحيد المتصرف في كل الأمور من الأفعال المتعلقة بالله تعالى.

وقد حمل الفعل "جعل" دلالة البدء بالفعل والقيام به وهو ما ناسب قدرة الله في الإيجاد والتفرد بالخلق خاصة أنّه ورد أربع مرات تراوح في استعماله بين المضارع والأمر، يعني أوجد الفعل بفعله بصيغة المضارع للدلالة على الاستمرارية في كونه أنه يخبر عن أمور مستقبلية المرتبطة بالعالم السفلي وما يبديه في الدنيا من كفر واعتقادات بغيضة تمس الاسلام والمسلمين، مثال قوله تعالى: ﴿فَتَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 61].

فدلالة الفعل أخرجت إلى معنى حكم بالشيء على الشيء بالباطل لتوسيع دلائل القدرة إلى أبعد ما يمكن للمرء تصوره لتشمل بالإضافة إلى الإيجاد الحكم مما يثبت الوصف للشيء لتشمل بالإضافة إلى الإيجاد الحكم مما يثبت الوصف للشيء بدلالة تحقق الأفعال واستمرارها والذي لا يشير في ذلك إلا إلى الله، وقد اقترن بنون الجمع للدلالة على التعظيم والتفخيم الله وقدرته على تسير الخلق كيفما يشاء، وقد أخرج بمعناه في الآية في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ [سورة آل عمران، الآية: 41] إلى عالم العلوي بطلب زكريا من الله بعلامة تدله على معرفة الحمل ليتلقى تلك النعمة الجليلة التي بشرها الله بها. كما ذكر أفعال قريبة من الفعل ولكنها تفوقه في التواتر وهو الفعل "خلق" المتواتر ست مرات وأصله "التقدير المستقيم ويستعمل في ابداع الشيء من غير أصل ولا اهتداء، قال: (خلق السموات والأرض) أي أبدعهما...، ويستعمل في ايجاد الشيء في الشيء نحو خلقكم من نفس واحدة، ... وليس الخلق الذي هو الابداع إلا لله تعالى، أما الذي يكون بالاستحالة فقد جعله الله لغيره في بعض الأحوال...، وهو لا يستعمل في كافة الناس إلا على وجهين، أحدهما في معنى التقدير:

فلأنت تَفْري ما خَلَقْتَ، وَبَعُ ضُ القوم يَخْلُقُ ثم لا يَفْري

والثاني في الكذب نحو قوله: (وَتَخْلُقُونَ إِفْكَاً) وقوله تعالى: (فتبارك الله أحسن الخالقين) يدل على أنه يصح أن يوصف غيره بالخلق؟.. إن ذلك معناه أحسن المقدرين، أو أن يكون على تقدير ما كانوا يعتقدون ويَزْعُمُونَ أن غير الله يبدع فكأنه قيل: فأحسب أن ها هنا مبدعين وموجدين، فالله أحسنهم إيجاداً على ما يعتقدون...، وكل موضع استعمل الخلق في وصف الكلام فالمراد به الكذب، ومن هذا الوجه امتنع كثير من الناس من إطلاق لفظ الخلق على القرآن...، والخلقُ يقال في معنى المخلوق، والخلقُ والخلقُ في الأصل واحدٌ، خُصَّ الخلقُ بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخُصَّ الخلقُ بالقوة والسجايَا المدركة بالبصيرة...¹، وقد قامت علاقات واضحة ما بين الأفعال، وذلك ما نلاحظه في العائلة اللغوية التي تضم التقابل (بعث ويحي) والتضاد (يحي ويميت).

¹ .الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ج: 01، ص: 310/309.

3 . عالم الكتب السماوية:

المفردة	عدد تواترها
نَزَلَ	03
أَنْزَلَ	09
تُنَزَّلُ	01
نتلوه	02

نجد الأفعال المكونة لعالم الكتب السماوية فقد توزعت على الحقل الدلالي الثالث بحيث احتل الفعل "أَنْزَلَ" مكانا بارزا في عالم الكتب السماوية إذ ورد هذا الفعل تسع مرات، وهو يعدّ الفعل الجوهري لهذا القطب، لقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 03]، ﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 04]، ﴿أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 07]، جاء الفعل بصيغة الماضي لتبين أثر الانزال لدى البشر دون المبالغة والتكثير، بأنّه أنزل التوراة والانجيل "هدى" للناس، والفرقان ببراهين ساطعة وآيات بينات يعاقب الذي كفروا أشد العقاب، وفيه الكتاب آيات متشابهات يبتغي تأويلها من في قلوبهم زيغ لإثارة الفتنة، ويؤمن بها راجحوا العقول من الراسخين في العلم، فالصورة العامة للفعل تبرز وروده بصيغة "أنزل، نَزَلَ، تنزّل"، ومن الأفعال القريبة منه نجد الأفعال مثل "نتلوه" لتدل على الكتب السماوية.

4 . عالم الإيمان:

بعد العالم الكتب السماوية نجد عالم الإيمان الخاص بالمؤمنين الذي آمنوا بالله

وبرسوله وقد توزعت مفرداته كما يلي:

المفردة	عدد تواترها
يأمرون	03
ينهون	03
تابوا	01
استغفروا	01
ينفقون	01
جاهدوا	01

والملاحظ على هذا الحقل، جاء للحديث عن الأعمال الحسنة التي تقيد بها المسلمين ومنها قوله تعالى: ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 104]، وقد ارتبطت معظم الأفعال الواردة بالسلوك العملي للذين صلح دينهم ومن هذه الأفعال: "لا نشرك، لا لا يتخذ، ولم يصروا تابوا، استغفروا" التي سبقت بعض أفعالها بحروف الجزم والنفي، للدلالة على ترك المعاصي والابتعاد عنها .

5 . عالم الجحود والإنكار:

وقد توزعت الأفعال عالم الجحود والإنكار على النحو الآتي:

المفردة	عدد تواترها
يكتُمون	01
كذبوك	02
يعتدون	02
يظلمون	06
يلوون	01
تلبسون	01
تكفرون	18
يضلونكم	02
معرضون	01
يفترون	01

يندرج هذا الحقل الدلالي ضمن مجال الكفر، حيث نلاحظ من خلال هذا الجدول أنَّ الفعل "كفر" تواتر ثمانية عشرة مرة، وهو الفعل الجوهري والمحوري لعالم الإنكار وهو المستقطب للأفعال الأخرى، حيث أنَّه عمدة لعالم الجحود والإنكار، يقول "الراغب الأصفهاني" موضحاً دلالة الكفر "كفر في اللغة ستر الشيء وهي جحود للوحدانية أو الشريعة أو النبوة"¹، فقد ارتبطت معظم الأفعال الواردة بالفعل كفر لوجود تقارب لغوي بينهما، جاءت لتجسد الصورة الحقيقية للجاحد والمنكر لشريعة الله سبحانه وتعالى .

6. تجاوز الحد في الكفر:

يتمحور الحقل حول دلالة تجاوز الحد في الكفر وقد توزعت أفعاله كما يلي:

المفردة	عدد تواترها
حاجوك	05
يقتلون	04
ومكروا	02
عصوا	01
عضوا	01
انقلبتم	01
يخفون	01
استزَلَّهم	01

يبين الجدول أنَّ الدلالة المركزية لهذا الحقل هي دلالة المحاجة من قبل المشركين لرسول الله، والفعل المستقطب لهذه الدلالة هو "تجاجون"، يقول "راغب الأصفهاني": "والحجة الدلالة المبينة للحجة... فجعل ما يحتج بها الذين ظلموا مستثنى من الحجة..."² إذ تدل هذه الكلمة على تعنت المشركين بعدم قبول الحق فيمكرون ويخفون الحق في صدورهم ويعضون أناملهم غيضا ويخلون بما أتاهم الله ويطلبون المعجزات الخارقة، وكل هذه المفردات القائمة على مبدأ الترادف جاءت لتبين مدى تجاوز الكفار في ظلمهم.

¹ . الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ج: 02، ص: 433.

² . المرجع نفسه، ج: 01، ص: 205.

7. الحساب والعقاب :

وهو حقل الدلالي متضمن مجاله محاسبة الله تعالى عالم الجحود والإنكار يوم القيامة لما فعلوه، تمثلت أفعاله على النحو الآتي:

المفردة	عدد تواترها
لا يكلمهم	01
لا ينظر	01
لا يزكهم	01
لا يخفف	01

تتضمن هذه العائلة اللغوية صيغة النفي، حيث نلاحظ أنّ هذه الأفعال سبقت بحرف النّهي (لا) المجسدة لمعنى الاستهانة والسخط، فجاءت دلالة الأفعال لتبيّن نوع العقاب الذي سيسلط على المشركين بالله تعالى.

1-2-3- قسم الصفات:

احتوت السورة الكريمة على صفات كثيرة استعمل عدد كبير منها في الحقول الدلالية السابقة، وإليك بعض الصفات المشكّلة في النص:

الحقل 01	الحقل 02	الحقل 03	الحقل 04
عليم	الذكر	كثير	حنيفًا
عزيز	حكيم	أليم	أجر
رحيم	الحق	الحريق	ثواب
غفور			حسن
سميع			
بصير			
حليم			
وكيل			
مالك			
قدير			
رؤوف			
شهيد			
محيط			
خبير			

1 . عالم الذات الإلهية:

احتلت الصفات المرتبطة بالذات الإلهية العلية المرتبة الأولى، إذ بلغ عددها إلى إحدى وخمسون صفة كما هو واضح في الجدول التالي:

المفردة	عدد تواترها
عليم	08
عزيز	05
رحيم	03
غفور	04
خبير	02
محيط	01
شهيد	01
سميع	04
حكيم	04
بصير	04
عظيم	06
حليم	01
وكيل	01
مالك	01
قدير	04
رؤوف	01
وهّاب	01
حي	01
قيوم	01

من أكثر الصفات تمثيلا للذات الإلهية نجد صفة "عليم"، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة آل عمران الآية: 63]

﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 73]

﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 115]

ونجد أنّ التعبير القرآني استخدم صفة "العليم" أعلى نسبة وهي مناسبة للذات الإلهية في سياق الآيات، إذ هو فقط العالم بأسرار السماوات والأرض من الأشياء والأشخاص والنبات والأعمال والخواطر والحركات.

كذلك من صفات الله "السميع" فقد وردت في أربعة مواضع في سورة آل عمران لتدل كذلك على وحدانية الله وقدرته على معرفة أقوال البشرية وسرائر النفوس خيرا أو شرا، فقد وصف الله تعالى نفسه بهاتين الصفتين "السميع" و"العليم" بشكل متتابع في ثلاث آيات من حيث ذكر صفة السميع قبل صفة العليم ذلك لدلالة "أنّ التغير الذي أحدثه المعرض بهم متعلق بأقوالهم وهو دعوتهم آلهة غير الله فهذه الصفات جاءت من ناحية أخرى لقصد التهديد والإنذار لأنهم مهما قالوا أو فعلوا فلا مفرّ، لأنّ هنالك من يسمعهم ويعلم ما يفعلون فمن يعلم حقيقة هذه الصفات يكن دائما حذرا من أقواله وأفعاله خوفا من الله تعالى.

وقريب من صفتي "السميع، العليم" نجد صفتي "العزیز، الحكيم" وذلك في قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 6]

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 18]

﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 62]

فالمتمأمل للآيات الكريمات ،سيلمح اقتران صفتي "العزیز والحکیم" في أغلب مواقعه على عكس الصفات الأخرى مرات ما تعيء مفردة أو مقترنة ،لأنَّ ثمة تناسب معنويا بين الداليتين وسياقها ،فالتصوير الأرحام أمر لا يقوم به إلا عزيز لما تضمنه الصفة من معاني القدرة والغلبة والعظمة ،والهيئة التي يأتي بها لا تصدر إلا بتدبير حكيم لما يضيفه من معاني العلم والحكمة ،يقول "أبو حيان الأندلسي": "ثم أتى بوصف العزة الدالة على عدم النظر والحكمة الموجبة لتصوير الأشياء على الإتيان التام"¹.

وفي الحديث عن وحدانية الله ،جاء ختم الآية بهاذين الصفتين لتناسيهما مع الأمرين المذكورين، باعتبار أن العزة تناسب وحدانيته التي ذكرت أولا "لا إله إلا هو" ثم ذكر قيامه بالقسط، فذلك يتفق مع الحكمة ،"والجمع بينهما دال على كمال آخر وهو أن عزته تعالى مقرونة بالحكمة، فعزته لا تقتضي ظلم وجورا وسوء فعل كما يكون من أعزاء المخلوقين، فإنَّ العزيز منهم قد تأخذه العزة بالإثم فيظلم ويجور ويسيء التصرف، وكذلك حكمه تعالى وحكمته مقرونان بالعز الكامل بخلاف حكم المخلوق وحكمته فإنَّهما يعتريهما الدل"²، وهذا سر اقتران الصفتين في القرآن الكريم وعدم مجيئهما منفصلتين.

وقد استدعى حضور صفتي " الغفور والرحيم " لدلالة وحكمة اقتضاها التعبير القرآني ،وذلك في قوله تعالى:

﴿ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 31]

¹. أبو الحيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج: 02، ص: 396

². محمد بن صالح العثيمين، تفسير ابن العثيمين (تفسير القرآن الكريم)، ج: 03، ص: 270.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 89]

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، [سورة آل عمران، الآية: 129]

فالعالم بأسرار الكون يستدعي المغفرة والرحمة مهما بلغ الذنب من الكبر ترغيباً لخلقه بالإقلاع عن ترك المعاصي والذنوب لمن اتبع دين التوحيد والدليل أن هذه الآيات نزلت على وفد نجران الذي قدموا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم لتكذيبه ومحاботته بالهتان والباطل، ولو اتبعوا الرسول عليه وسلم لوجدوا الله غفور رحيم، والمتأمل في المادة اللغوية لصفة "غفور" يجد أنها تناسب دلالة الستر والتغطية، يقول "ابن منظور": "غفر، الغفور، الغفار، جل ثناؤه وهما من أبنية المبالغة ومعناها الساتر لذنوب عباده المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم"¹، ومن هنا تتجلى بوضوح أن الصفة لازمة لله تعالى.

وفي مقابل صفة المغفرة نجد صفة الرحمة، فهذه الصفة دليل آخر على وحدانية الله من جهة ومن جهة أخرى دليل على إحسان الله للناس وفضله عليهم بأن يستر عيوبهم وذنوبهم ويلطف بحالهم برقة وعطف يقول "الألوسي": "ذكر المغفرة والرحمة لأجل أن يعرفوا أن هذه الذنوب العظيمة المتجاوزة عن الحد مغفورة إن تابوا وأن رحمته واصله إليهم بعدها وأن ييأسوا من رحمته تعالى بما صدر منهم مع إصرارهم على ما هم عليه من المعادة والمخاصمة الشديدة"².

وقريب من صفتي "غفور، رحيم" نجد صفتي "الحي، القيوم" رغم ورودها مرة واحدة غير أنها تضمنت دلالات عميقة يقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 2]، يمكن أن نلاحظ أن النص بصفاته يتجاوز مستوى الوصف إلى أفق دلالي عميق المعنى باقتران الصفتين، وذلك لما بينهما من لزوم واقتضاء، وفي اختيار هاتين

¹. ابن منظور، لسان العرب، ج: 05، ص: 25.

². الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم السبع المثاني، ج: 02، ص: 25.

الصفيتين ما يوحي بالطاقة الدلالية لهما، يقول "ابن عاشور": "والمقصود من هذه الجملة إثبات وحدانية... وصفة الحي: إثبات الحياة وإبطال استحقاق آلهة غير الله والحي بالنسبة إلى الخالق ... انتفاء الجمادية مع التنزيه عن عوارض المخلوقات"¹ يقول "الزمخشري": "الحي الباقي أي الدائم الحياة بحيث لا يعتريه العدم"² والحي صفة مشبهة والقيوم صفة المبالغة، دلالة على تدبيره شؤون الكون بإثبات الألوهية لله تعالى لأنه لا يوجد غيره حي خالد ولا قيوم يدبر أمور أحوالهم، لذا جاءت الصفة الحي تسبق صفة القيوم ذلك أن لا قيوم من غير حياة، ولا حياة بلا قيوم فالعلاقة سببية متممة لبعضها البعض .

2 . عالم الكتب السماوية:

وقد ارتبط العالم الدلالي بصفيتين ذلك في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 58]

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 108]

إن الصفات المذكورة في هذه الآيات لدليل آخر على وحدانية الله تعالى لأن المنزل واحد، والكتب السماوية مصدرها واحد وهو الله تعالى، ويعد القرآن خاتم الكتب السماوية أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وإن ما يؤكد عظمة القرآن ومكانته أن الله أنزله هدى وإرشادا لخلقه فضمنه أوصاف الكمال والجمال والإعجاز مختلفة في اللفظ مترادفة المعنى، حيث أنه اتصف "بالذكر الحكيم" "المشتمل على الحكم الممنوع من تطرُق الخلل إليه"³، وكذلك وصف في الآية الثانية بالحق أي بالعدل والسمو يقول "ابن عاشور":

¹ . أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج: 03، ص: 377.

² . أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج: 03، ص: 54.

³ . ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 04، ص: 50.

"والباء في قوله (بالحق) للملابسة وهي ملابسة الأخبار للمخبر عنه"¹، فجاءت هذه الصفات لإثبات سمو ورفعة هذا الكتاب ولإقامة الحجة على الذين أشركوا وعاندوا الرسول وكذبوا بالقرآن، بأنّ هذا الكتاب من صنع رب البشر.

3. عالم الجحود والإنكار:

يتواجد هذا العالم في الحقل الدلالي الثالث كما يشير إليه جدول الصفات ،وقد توزعت صفاته على النحو الآتي:

المفردة	عدد تواترها
كثيرا	03
أليم	05
الحريق	01

ومن النُعوت التي كان لها حظ الشيع والانتشار في سورة آل عمران صفة "كثيرا" ذلك في قوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾ [سورة آل عمران، الآية: 186]

تعبّر هذه الصفة الواردة في هذه الآية الكريمة عن مفهوم "الكم" وقد ارتبطت هذه الصفة بالحالة النفسية لأنّ هذا الأذى هو "الضرُّ بالقول لذلك وصفه بالكثير أي الخارج عن الحد الذي تحتمله النفوس غالبا"² ويندرج هذا القول ضمن الطعن في الدين الحنيف والقدح في أحكام الشرع الشريف وبالتالي فإنّ مفهوم "الكم" مناسب كيد وسوء المشركين وتجاوزهم الحد في الأذى، وكما هو واضح الآية قامت على دلالة الكم لأنّه أبلغ في تصوير أذى المشركين للذين اهتدوا لطريق الحق.

¹ . محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 04، ص: 52.

² . المرجع نفسه، ج: 04، ص: 335.

ومن الصفات عقاب المشركين مجيء صفة "أليم" متواترة خمس مرات لتبيان عذاب جهنم، فأفادت معنى التهويل والترهيب للمعرضين عن دين الحق، فتواتر هذه الصفة لدليل قاطع على ثبات ورسوخ العذاب للمشركين، فجاءت الصفة بأسلوب تعبيرى جميل لتنقل الحدث في صورة مرئية، وقريب من الصفة السابقة نجد صفة "الحريق" في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 181]، جاءت هذه الصفة نتيجة أفعال اليهود بقولهم بأن الله فقير وهم أغنياء وقتلهم الأنبياء بغير حق من قبل أسلافهم فالتذكير هنا لدلالة أن هذه الأعمال من طبائعهم فتأتي النتيجة لأعمالهم سيجازون عن ذلك دون صفح فجاء الفعل "ذوقوا" ليدل على الثبات لأنه من الله تعالى بدخولهم النار "والذوق حقيقة إدراك الطعوم واستعمل مجازا مرسلا في الإحساس بالعذاب بعلاقته الإطلاق ونكتته أن الذوق في العرف يستتبع تكرّر ذلك الإحساس لأن الذوق يتبعه الأكل"¹، فهذا الأكل المتوعد من مذاق خاص إنه الحريق، فدلالة هذه الصفة التهويل والوعيد للذين أنكروا وأعرضوا عن رسوله، كما وجدت صفات أخرى مترادفة في علاقاتها مثل: شديد، عظيم، مهين للدلالة على الاحتقار والوعيد لهم من الله، إذ أثرت نوعا من الموسيقى تحمل طياتها نوع من الخوف والرغبة، وهنا تبرز جمال التصوير القرآني وبراعته.

4. عالم عباد الرحمان:

المفردة	عدد تواترها
حنيفا	02
أجر	01
الصالحات	01
ثوابا	01

¹. محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص: 184.

يرتكز أساسا هذا العالم على الحقل الدلالي الرابع كما هو واضح من الجدول المكون للصفات، وقد اقترنت جل الصفات بالرسول عليهم الصلاة والسلام باعتبارهم المجسدين لعالم عباد الرحمان، فجاءت الصفات لتؤيد وترسخ مسألة اتباع الإسلام.

ومن أكثر الأوصاف التي تؤيد هذه المسألة، نجد صفة "حنيفا" في سورة آل عمران من الصفات الرادعة لأقوال المشككين في دين ابراهيم عليه السلام فصفة "حنيفا" تعني "اسم لمن يستقبل في صلاته الكعبة ويحج إليها ويضحي ويختت... فهذه الصفة بمثابة براءة لإبراهيم من الأديان الأخرى مثل النصرانية واليهودية، وعبادة الأصنام"¹، ثم جاء ترتيب النفي على غاية الفصاحة لإبعاد النفس من الملل بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ [سورة آل عمران، الآية: 67]

ثم قرر الدين الحق بقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ [سورة آل عمران، الآية: 67].. ثم بين حقيقة هذه الأديان بقوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 67]، ثم تكررت هذه الصفة مرة أخرى في قوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الآية: 95، فدلالة هذه الصفة وتكرارها لدليل لنفي الشبهة عن دين ابراهيم بأن يكون يهوديا أو نصرانيا أو مشركا، وبيان دين ابراهيم الصحيح وهو الإسلام.

ومن صفات عباد الله صفة "الصالحات" مما لاشك فيه أنّ دلالة الصالحات تشير إلى تصوير حسن أخلاق اتباع محمد صلى الله عليه وسلم، فتأتي صفة "أجر" كنتيجة لأعمال المؤمنين الصالحة المبينة في قوله: ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 179]، لتدل على قبول أعمالهم، والراجح أنّ الصفات المذكورة جاءت لتنقل صورة مشرقة بأنهم عملوا الصالحات باتباع الرسول الله عليه وسلم فاكتسبوا أجر عظيم، وتساندها لذلك لفظة "ثوابا" لتدل على فوزهم بنعيم الآخرة بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 195]

¹. أبو الحيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج: 02، ص: 67.

2- تحليل الصور البيانية:

2-1-تعريف الصور البيانية:

تحدث العلماء قديما وحديثا عن الصورة في العمل الأدبي، تباينت آراءهم، واختلفت في بيانها، وتحديد المراد بها، فكان لكل نظرة خاصة به، وفهمه المعين بها.

وإذا أردنا ضبط المصطلح في المعاجم اللغوية، فإننا نجد المراد بها "تلك اللوحة الفنية الرائعة التي ترسمها مخيلة الأديب باستخدام الألفاظ، كما ترسمها ريشة الفنان"¹، فهذه الصورة تعتمد في نشأتها على العلاقة بين اللفظ والمعنى، فليست هي اللفظ بمفرده شكلا فارغا رنانا، ولا المعنى مضمونا مجردا، ولكنها الخصائص المشتركة بينهما، التي تقدم شخصية النص الأدبي، وتميزه عن غيره من النصوص بما تحمله من أحاسيس وانفعالات، ربما لا توحى بها ظاهر اللفظ، ولا يحققها مجرد المعنى، ولكنها مزيج بين دلالة اللفظ، وإيحائية المعنى، في تحقيق نموذج أدبي²، تستقي حيثياتها من علم البيان كالتشبيه، والاستعارة، والمجاز، والكناية وغيرها³. ومن هنا تظهر بلاغة المبدع وبراعته إذ يستطيع من خلالها تأدية معانيه بأساليب شتى بحسب ذوقه وأدبه ومقتضى الظاهر وكلما كان الانتقال بعيدا قليل الحضور على البال ممتزجا بالخيال كان ادعى تأثيرا وإعجابا في نفوس المتلقين، فتكسب المعنى رونقا وجمالا، وتجعله أقوى أثرا وتأثيرا، إذ "لا ريب أن هناك فرقا بين أن نفيض الكلمات بالمعاني والمقاصد، وأن نفيض بها الأحداث والصور، فرق بين ما تدل عليه لفظة (الشجاعة) وما تدل عليه صورة (الأسد) ببطشه وإقدامه وبأسه وشدته، المعاني التي نفيض بها الأحداث والصور أغزر وأبين وأمكن"⁴.

¹ .محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ص: 591.

² .ينظر: محمد حسين علي الصغير، الصورة الفنية في المثل القرآني، ص: 35.

³ .محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ص: 591.

⁴ .محمد أبو موسى، التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل علم البيان، ص: 22.

أما فيما يتعلق بالقرآن الكريم فإن له طبيعته الخاصة به في مجال التصوير البياني في عرض المشاهد المختلفة، والموضوعات المتعددة، فهو لا يعتمد على إثارة الفكر وحده ليُقنع، بل يتجه بكل طاقات اللفظ، ويستخدم في جميع السبل والطرق كي يثير وجدان القارئ أو السامع إثارة روحية، رفيعة المستوى، فتتأثر التأثير التام من القرآن¹. ولعل تعبير القرآن بالتصوير البياني عن مقاصده وأغراضه يعد - ولا شك - مظهرًا من مظاهر إعجازه، وصورة من صور التحدي التي تحدّى الله به العرب، وأعجزهم به²، وقد بين سيد قطب خاصية القرآن في استخدامه لهذه الصورة قائلا: "التصوير هو الأداة المفضّلة في أسلوب القرآن الكريم، فهو يعبر بالصورة المحسنة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني، والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حيّ، وإذا الطبيعة البشرية مجسّمة مرئية، فأما الحوادث والمشاهد والقصص والمناظرة، فيردها شاخصة حاضرة، فيها الحياة وفيها الحركة، فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخيل"³، ثم يزيد لهذا التصوير إيضاحًا مبنيًا أنه ليس حلية أسلوبية يزين بها الأسلوب، كما أنها لا تأتي في القرآن كيفما اتفق "وإنّما هو مذهب مقرّر، وخطة موحدة، وخصيصة شاملة، وطريقة معيّنة، يفتنّ في استخدامها بطرائق شتى وفي أوضاع مختلفة، ولكنها ترجع في النهاية إلى هذه القاعدة الكبيرة: قاعدة التصوير"⁴.

2-2- دراسة الصور البيانية:

فالصورة البيانية التي سنتناولها في بحثنا، نعني بها تلك الأوجه البلاغية المعروفة من تشبيه واستعارة وكناية ومجاز مرسل من خلال تحليل عناصرها البيانية:

¹. ينظر: عبد العزيز بن صالح العمار، التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن دراسة بلاغية تحليلية، سلسلة

جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط: 01، (1500هـ / 2007م)، ص: 10.

². ينظر: ناصر بن عبد الرحمان بن ناصر الحنين، النظم القرآني في آيات الجهاد، ص: 443.

³. سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص: 36.

⁴. المرجع نفسه، ص: 37.

2-2-1- التشبيه:

التشبيه لغة يعود إلى أصل مادة (شبه) وتدور حول التشابه الأشياء وتشاكل بعضها مع بعض آخر في صفات معينة¹، والشبه هو المثل، يقال: شابه الشيء إذا ماثله². ومن المعنى اللغوي لهذه المادة جاء تعريف التشبيه لدى علماء البلاغة، فقد ذكر كل من عرّف التشبيه أنّه اشتراك قائم بين شيئين في صفة معينة وإن اختلفت عباراتهم، فقد عرّفه "القزويني" في قوله: "مشاركة أمر لأمر آخر في المعنى"³، وعرّفه "الطوفي" بأنّه: "إلحاق أدنى الشيئين بأعلاهما في صفة اشتركا في أصلها، واختلفا في كفيتهما قوة وضعفا"⁴، فعلاقة المقارنة التي تجمع بين طرفيها لاتحادهما أو اشتراكهما في الصفة أو الحالة بوجه الشبه وأداة التشبيه مذكورة أو محذوفة.

وقد أجمع العلماء على أهميته وأثره في الكلام، وقد اتفقوا على شرف قدرة، وفخامة أمره في فن البلاغة، وذلك "أنّه يزيد المعنى وضوحا ويكسبه تأكيدا ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه، ولم يستغني أحد منهم عنه"⁵، فضلا عن أنّه طريق لاتساع المعارف البشر من حيث أنّه يسهل على الذاكرة عملها، فيغنيها عن اختزان جميع الخصائص المتعلقة بكل شيء على حدة بما يقوم عليه من اختيار الوجوه الدالة التي يستطيع بالقليل استحضار الكثير⁶.

¹. ينظر: أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، مادة (ش ب ه).

². ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ش ب ه).

³. جلال الدين محمد عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد الخطيب القزويني، الايضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، ص: 164.

⁴. سليمان بن عبد القوي، الطوفي، الإكسير في علم التفسير، تح: عبد القادر حسين، دار الأوزاعي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1، 1989، ص: 132.

⁵. أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تح: علي محمد الباجوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، بيروت-لبنان، ط1، 1419هـ، ص: 249.

⁶. ينظر: محمد الهادي الطرابلسي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، منشورات الجامعة التونسية، تونس، دط، 1992م، ص: 185.

وقد كثُر وروده في كلام العرب وتم استخدامه في مواضع متنوعة، ومقامات متعددة، ولا عجب في هذا أنه كلما يجيء التشبيه في أعطاف المعاني أفادها كلاماً، وكساها حلةً وجمالاً، ولعبد القاهر الجرجاني وقفة مع التشبيه، فقد بين مكانته وأهميته في البلاغة، يقول ممتدحاً: "واعلم أنّ مما اتفق العقلاء عليه، أنّ التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبهةً، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشبّ من ناره وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صباية وكلفا، وفسّر الطباع على أن تعطيه محبة وشغفا"¹.

وفي فهم أعمق للتشبيه ينظر. عبد القاهر الجرجاني. التشبيه على "أنّه صورة تجمع بين أشياء متماثلة، وأساس هذا التماثل كامن في النفس والشعور"، وليس تماثلاً خارجياً فحسب، ومتى كان التباعد بينهما أتم كان التشبيه أحسن، وسبب في ذلك فيما يقول "عبد القاهر الجرجاني": "أنّك ترى بها الشيئين مثليين متباينين، مؤتلفين مختلفين"²، ذلك أنّ مبنى الطباع وموضوع الجبلة على أن الشيء إذا ظهر من مكان لم يعهد ظهوره منه، وخرج من موضع ليس بمعدن له، كانت صباية النفوس به أكثر، وكان الشغف منه أجدر، وسواء في إثارة التعجب وإخراجه إلى روعة المستغرب، وجود الشيء من مكان ليس من أمكنته، ووجود الشيء لم يوجد، ولم يعرف من أصله في ذاته وصفته".

إنّ "عبد القاهر الجرجاني" يربط بين غرابة التشبيه وبين مقدار التأثير الذي يكون على المتلقي من خلال الدهشة التي يولدها لديه، حين يدرك فجأة أنّ ثمة أشياء متباعدة، بلا علاقة ظاهرة تربط بينها، قد تجمعت وتآلفت على نحو لافت غريب³.

¹ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، ص: 92-93.

² المرجع نفسه، ص: 109.

³ مسعود بودوخة، الأسلوبية والبلاغة العربية: مقارنة جمالية، ص: 164.

فالتشبيه من هذا المنظور ضرب من القياس والمقارنة، لأنّ المعنى في الصورة ثابت مقرر اكسبته الصورة التمثيلية وضوحاً وقوة، والمعلوم أنّ القرآن لم يلتزم في عرض للأمثال بالصيغة الواحدة أو الأسلوب المعين، فمرة ببناء المشبه على المشبه به أو العكس، ومرة بالعرض المفاجئ والدخول المباشر في التمثيل، ومرة أخرى بتذليل التمثيل في آخر الكلام، وأخرى بالتمثيل الذي ينتزع منه وجه الشبه بنظرة كليّة عامة، كل ذلك يضيف حيوية على التمثيل، ويجعله متجدداً في نفس المتلقي، فيستري انتباهه وتركيزه، ويجنبه السآمة والملل.

ومن أبرز النماذج التي تكشف جماليته ودوره في صياغة بصورة جمالية في سورة آل عمران، كقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 156]

فالتشبيه في الآية تشبيه مرسل مفصل، اتخذ الأداة جسراً الرابط بين العناصر الصورة التشبيهية، ساهم بشكل كبير في تحقيق المتعة النفسية والجمالية للقارئ فهي أساسها ومقياس درجاتها الفنية، فجاءت الصورة لتعبير عن حالة نفسية لشريحة بشرية، ينهي الله سبحانه وتعالى المؤمنين أن يكونوا كالمنافقين في تخاذلهم وتقاعصهم عن القتال والسفر لطلب الرزق، فيقول لمن غزا في سبيل الله وقتل أو مات في السفر خرج فيه في طاعة الله أو تجارة، لو لم يكن خرجوا من عندنا وكانوا في بلادهم لما ماتوا ولا قتلوا، تكذيباً منهم بالقضاء والقدر، فالله سبحانه قد يحيي المسافر والغازي، ويميت المقيم والقاعد، فالقرآن الكريم يحرص على بروز الشخصية الذاتية للمسلمين، وعلى تعهدهم بالرعاية والعناية، وإيجاد الموقف المتميز لهم أمام خصوم الدعوة الإسلامية، لذا حذرهم ونهاهم أن يقولوا مثل قول المنافقين¹.

¹. ينظر: أحمد سليمان أبكر، التشبيهات في القرآن الكريم (من سورة البقرة إلى سورة الكهف)، دار الخليج للنشر والتوزيع، ط: 01، 2023م، ج: 01، ص: 93.

فالمراد من قوله تعالى: ﴿كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عبد الله بن أبي وأصحابه المنافقين، هؤلاء الجماعة القائلة تلك المقولة الخبيثة والباطلة لإخوانهم، قال "أبو الحيان" (ت745هـ): "الأخوة هنا أخوة النسب، إذ كان قتلى أحد من الأنصار وأكثرهم من الخزرج، ولم يقتل من المهاجرين إلى أربعة، وقيل خمسة، ويكون قائلون منافقي الأنصار جمعهم أب قريب أو بعيد"¹، وكانت غايتهم تحبيط عزائم المؤمنين وتنفيرهم من الخروج لقتال أهل الكفر، ذلك لأن طبيعة الإنسان تميل لمحبة الحياة وكرهية الموت والقتل، ولكن المؤمنين الصادقين لن يتأثروا بأقوالهم ولا بتخذيل الدساسين، فخاضوا معارك المعارك، وشرف الأبطال، وحصلوا على غنائم عظيمة بفضلهم.

وفي قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 49]

في الآية تشبيه مرسل مجمل، مرسل لذكر الأداة، ومجمل لحذف وجه الشبه الذي يضفي للصورة غموضا وإحياء، فيجد المتلقي صعوبة في إدراك الصورة ولا يخفى لما فيها من جمال، لأن النفس تجد المتعة في الشيء الذي تناله بعد عناء وروية أكثر من تناله بسهولة ويسر، حيث جعل الله عيسى عليه السلام رسولا إلى بني إسرائيل، حيث قال لهم: إني رسول الله إليكم قد جئتكم بعلامة دالة على صدق نبوتي بأنني أصور لكم من مادة الطين مثل شكل الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله، والظاهر أن هذا التشابه كان في الخلقة وقدرة على الطيران لا غير، أجراها الله على يده لإظهار معجزته.

إنّ هذا يعني أنه لا يستطيع عيسى ولا غيره من البشر أن ينفرد مستقلا بمثل هذا، لقطع الطريق انتحال أيّ صفةٍ له أكثر من كونه بشرا، إضافة لدحض أيّ شكٍ مهما كان يسيرا في كون قيامه بذلك من تلقاء نفسه، وما هذا إلاّ تحقيق منه لشأن ما أتى به في جنب

¹. أبو الحيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج: 03، ص: 99.

بديع خلق الله فتبارك الله أحسن المبدعين، ولهذا نجده قد ذكّرهم في بداية الآية بأنّ {كهَيْئَةُ الطَّيْرِ} هذه مصنوعة من مادة أولية وهي الطَّيْنُ وزادهم قبل ذلك كلمة {أَخْلُقُ} وهي "بمعنى: التَّكْوِينُ أو الصُّنْعَ" ولم يقل: أَوْجِدُ، لأنّ ذلك يعني الإخراج من العدم وعلى غير مثالٍ سابقٍ، وهذا كله إمعانا في دفع أي شُبْهَةٍ أو رَيْبَةٍ حتّى قبل نشوئها قطعاً لدابر الاعتقاد الخاطئ، فهذا التشبيه فيه الشُّبْهَ منتزَعٌ من عدّة أمور يجمع بعضها إلى بعض، فهذه الهيئَةُ ليست منفصلة عن كونها تشبه الطَّيْرَ كما أنّ هذا الطير لم يُنَسَ فيه أصلُ خلقته وهو الطين، فمن قِدر (الله) على مثل هذه الهيئَةُ وجعلها في شكل طيرٍ قادرٍ على غير ذلك بطريقٍ أولى، والله أعلم.

وكذا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 59]

وقد أجمع المفسرون أنّ الآية نزلت في وفد نصراني من نجران: "وذلك أنّ رهطا من أهل نجران قدّموا على محمد صلى الله عليه وسلم . وكان فيهم السيد والعاقب . فقالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم: ما شأنك تذكر صاحبنا؟ فقال: من هو؟ قالوا: عيسى تزعم أنّ عبد الله، فقال محمد صلى الله عليه وسلم: أجل، إنّهُ عبد الله، قالوا له: فهل رأيت مثل عيسى، أو أنبئت به؟ ثمّ خرجوا من عنده، فجاء جبريل بأمر ربنا السميع العليم، فقالوا: قل لهم إذا أتوك "إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ" إلى آخر الآية"¹.

وقد أطلق العلماء على التشبيه التي تضمنته الآية باسم التشبيه التمثيلي، الذي يتم من خلاله تشبيه صورة بصورة أخرى، ويكون وجه شبه صورة منتزعة من أشياء عدّة، وهو أبلغ أنواع التشبيه وأكثرها شحذا للذهن وإثارة الخيال رسم بمنتهى الجمال لتقريب وتوضيح المعنى للأذهان، حيث ذكر المشبه (إنّ مثل عيسى) والمشبه به (كمثل آدم)، ولعبت

¹ . أبي جعفر محمد بن جرير الطّبري، تفسير الطّبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 03، ص: 293، وينظر: فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب التفسير الكبير، ج: 08، ص: 82، وأبو الحيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ص: 500.

جملة المضافة (كُنْ فَيَكُونُ) دوراً في توضيح وجه الشبه للصورتين، فقد يبدي بعض الناس الغرابة في شأن خلق الله عيسى بن مريم عليه السلام من غير أب، ولكن ليس غريب لأهل الإيمان الذي آمنوا بالله عن حق، فهو عنده يسير: لَأَنَّ اللَّهَ قَدْ خَلَقَ مَا هُوَ أَغْرَبُ مِنْهُ، وهو خلق آدم عليه السلام (من غير أبٍ وأم).

ردّ الله تبارك وتعالى: "على النصارى الذين ادّعوا أَنَّ عيسى عليه السلام هو الله، أو ابن الله، أو هو ثالث الثلاثة على اختلاف مذاهبهم في ذلك"¹، وقد أقدم تشبيه الغريب بالأغرب ليكون أقطع لهم وأحسم لمادة شبهتهم، وأوقع في النفوس، لأنهم قد أقروا بهذا الخلق لآدم عليه السلام الذي خلق من غير أب وأم، فكيف لا يقروا بما هو أيسر وأقل غرابة منه، وهو خلق عيسى عليه السلام من غير أب.

على الرغم أنهما يختلفان في ميزة الخلق، كون آدم عليه السلام خلق من تراب، وعيسى بن مريم خلق من الروح فلا شيء يمنع من تشبيه خلق عيسى بخلق آدم عليهما السلام، لأن المماثلة مشاركة في بعض الأوصاف، وقد شبه به باعتباره وجد وجوداً خرجاً للعادة، فهما بذلك متشابهان، والله بهذا التشبيه قد حسم الأمر بطبيعة الخلق، وقدرته العظيمة في نشئ الكائن كما يشاء سبحانه وتعالى.

وكذا في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 36]

يفرض الترتيب النحوي للجملة العربية تفضيل الأنثى على الذكر، لأن الاسم الذي يتعرض لضربة سيف (ليس النافية) يتحوّل إلى مفضول، والاسم الذي يأتي بعد أداة التشبيه يفوز بشرف الأفضلية، وهذا ما جرى عليه العادة في لغة العرب، حيث يقولون: ليس الثرى كالثريا، وليس القول كالعمل، ليس الأعمى كالبصير فالمشبه به الواقع بعد كاف التشبيه هو الفاضل وليس العكس.

¹. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، أمثال القرآن وصوره في أدبه الرفيع، دار القلم، دمشق، ط2، 1992، ص: 26.

وبهذا التشبيه المجسد في الآية يكون قد كسر نمطية القانون اللغوي، وتجاوز حدود المؤلف المتواضع عليه في باب التشبيه الاصطلاحي، حيث اتخذ صورة تشبيهية مسبقة بالنفي لنفي المساواة بين الشئيين ليس لوجه الشبه، إنّما لأفضلية المشبه (المذكر) على المشبه به (الأنثى) لأنّه الأهم في نفسها والمرجو المأمول في خدمة بيت المقدس لا يلحقه عيب في الخدمة والاختلاط الناس لذا وقع عليه النفي، ولو تم حذف النفي من التقدير لصار الكلام: الذكر كالأنثى في القدرة على خدمة بيت المقدس، وهذا المعنى يتنافى الحقيقة والواقع، يقول الزركشي (ت794هـ): "لما كان جعل الفرع أصلاً، والأصل فرعاً من التشبيه في حال الإثبات يقتضي المبالغة في التشبيه كقولهم: القمر كوجه زيد، جعل الأصل فرعاً، والفرع أصلاً في كماله الذي يقتضي نفي المبالغة في التشبيه، لا نفي المشابهة وهو المقصود هنا"¹.

وإذا رجّح التّسكين في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ على خطاب الله عزّ وجلّ لها، فيكون التشبيه مقلوباً منفياً بين ما كانت تريده وما وهبه الله . عزّ وجلّ . بيانا لنفاسة ما وضعته، وأنها خير من مطلق الذكر الذي سألته، ويكون التعريف للعهد الذي كانت ترجوه لا يساوي الأنثى التي وهبها الله²، وهذا الكلام إعلام لأهل القرآن بتغليط قولها، وقوة رجائها فيما كانت تزعم وتغير ما كانت تظنّ وهي حقيقة ما وهب الله ومعظمة له مؤكدة بذلك القول "إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى".

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ

مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 175]

¹ . أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهارد الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج: 03، ص: 487.

² . ينظر: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج: 01، ص: 245، أبو الحيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج: 02، ص: 439، و الألويسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم السبع المثاني، ج: 03، ص: 135، محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 03، ص: 232.

في الآية الكريمة تشبيهه بليغ، تكمن جمالية في تكثيف المعنى بإضفاء الكلام قوة وتأثير من خلال قدرته على الايصال المعنى دون الحاجة لذكر عناصره (الأداة ووجه الشبه)، فتساوت الأطراف وسقطت بينهما الجدود والفواصل وكأنها شيء واحد، وهذا ما ينشط المتلقي بفسح مجال للبحث عن الصفات المشتركة بين الطرفين، حيث شبه (المثبط) الذي يعوق ويلقي في القلوب الخواطر الدسيسة، والوساوس الرديئة بالشیطان لعتوه وتمرده على الكفر¹.

وفي عود اسم المشار في قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ وما يترتب عليه من ترديد الكلام بين التشبيه والحقيقة، إما أن تكون عائدة على المقال "إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ" فيكون لفظ (الشیطان) مستعملاً في معناه الحقيقي، وإما أن يكون عائداً إلى (الناس) فيكون لفظ الشيطان مستعملاً على طريقة التشبيه لأن لفظ الناس مؤول بشخص معين شبه بالشیطان واستعمال لفظ (الناس) ومراد به واحد أو نحوه، يقول ابن عاشور: "قال بعض المفسرين وأهل العربية: إِنَّ لفظ النَّاس هنا أطلق على نعيم بن مسعود وأبي سفيان، وجعلوه شاهداً على استعمال النَّاس بمعنى واحد، والآية تحتمله، وإطلاق لفظ الناس مراداً به واحد أو نحوه مستعمل لقصد الإيهام"².

2-2-2- الاستعارة:

أ. لغة:

مأخوذة من مادة (عور) ومنها أن تقول: "تَعَوَّرَ واستعار: طلب العاريّة، واستعار الشيء واستعاره منه: طلب منه أن يعيره إياه... وواعْتَوَّرُوا الشيء وتَعَوَّرُوهُ وتعاوروه، تداولوا فيما بينهم... تقول: أَعَرْتُهُ الشيء أَعِيرُهُ إعارةً وعارةً واستعار ثوباً فأعاره إياه"³، والملاحظ من الدلالة المعجمية أن لفظ الاستعارة نقل الشيء من حيازة شخص آخر.

¹. ينظر: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 04، ص: 185.

². محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 04، ص: 169.

³. ينظر: أبو النصر اسماعيل بن حماد الفارابي الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج: 04، ص: 4756، مادة (ع و ر)، وابن منظور، لسان العرب، ج: 04، ص: 612، مادة (ع و ر).

ب. إصطلاحاً:

"هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة مشابهة بين المعنى الأصلي للكلمة والمعنى التي نقلت إليه مع وجود قرينة صارفة من إرادة المعنى الأصلي"¹، وهي من فنون البلاغية الحيوية في التصوير، التي انبثقت من خصائص المجاز والتشبيه وإن كانت أكثرهم وأبلغهم تخييلاً، وقد جرى ذوق الشاعر والأديب على اصطناع أنماط الاستعارة قبل أن تقعد على أشكالها فنيّة، صادرة عنهم بمحض الفطرة في لغتهم البشرية دون الاستناد إلى أي معرفة نظرية أو وعي تحليلي لطرق أدائها، فهي مبدأ الحاضر في اللغة كما قال ريتشاردز "A.Ritcherds": وهو ما يمكن البرهنة عليه بالملاحظة المجرة، فنحن لا نستطيع أن نصوغ ثلاث جمل في أي حديث سلسل دون اللجوء إلى الاستعارة، حتى في اللغة الجافة للعلوم الراسخة لا يمكننا أن نستغني عنها"².

فالمجال الاستعاري المرتبط بالتشخيص يؤدي إلى امتزاج الكامل في الصورة بحيث يأخذ التعبير أقطار الصورة في جوانبها المختلف، ويصبح للخيال دوره الهام في اشباع الصورة وتمثلها، نظراً لكونه أحد أعمدة التشخيص الهامة، وهو في المجال الأدبي عمل جوهري وأحد عناصر التجربة الفنية يلجأ إليه المبدع ليعبر عن مكنون الذات، فيحيل الأشياء إلى ذات تنفعل وتحرك، ويصبح الكون في عين الشاعر، ذات ناطقة منفصلة، ليخلص في النهاية إلى الاستيلاء قدر كبير من الجمال الفني والتأثير النفسي³، وقد وصف سيد البلاغة وشيخ الذوق "عبد القاهر الجرجاني" قيمها البلاغية في قوله: "أمدُّ ميداناً،

¹ ينظر: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تح: عبد الله الصمالي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1999، ص 258.

² ريتشاردز "A.Ritcherds"، فلسفة البلاغة، تر: سعيد الغانمي وناصر حلاوي، افريقيا الشرق، المغرب، 2002م، ص:39.

³ . ينظر: محمد قطب عبد العال، من جماليات التصوير في القرآن الكريم، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، دط، 1990، ص: 69.

وأعظمُ افتنانًا، وأكثرُ جريانًا، وأعجبُ حسنًا وإحسانًا، وأوسعُ سعةً، وأبعدُ غورًا، وأذهبُ نجدًا في الصناعة وغورًا، من أن تُجمعَ شُعْبُهَا وشُعُوبُهَا، وتُحصِرُ فنونها وضروبها، وإنَّك لتجد اللفظة واحدة قد اكتست فيها فوائد، ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد، وشرف متفردٌ، وفضيلة مرموقة وخلاصة موموقة، ومن خصائصها أنَّها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدَّة من الدُّرر، وتجني من الغصن الواحد أنواعا من الثمر"¹.

وقد أجمع القرآن الكريم بين الهدف الديني والمطلب الفني من حيث الجمال في العرض، والتنسيق في الأداء التصويري المشخص، وهب للجماد العقل والحياة زيادة في تصوير المعنى وتمثيله للنفس، مما يثير كوامن وجدان المتلقي ويسلمه على عالم من الخيال يتناسب مع حدَّة شعوره وانفعاله، اتخذ القرآن الاستعارة وسيلة للإلقاء والإقناع لإبراز رسالته الإلهية فجعلته يكتسي حلة من الجمال في التعبير وحسن في التصوير، حظي بقيمة بلاغية عالية فريدة من نوعها، تحدى به الرسول حملة القول وأصحاب اللغة، "فالألفاظ المستعارة ألفاظ موحية لأنَّها أصدق أداة تجعل القارئ يحس بالمعنى أكمل احساس وأوفاه، وتصور المنظر للعين، وينقل الصورة للأذن، وتجعل الأمر المعنوي ملموسًا مجسًّا".

وعلى هذا الأساس شغلت الاستعارة اهتمام النقاد والبلاغيين، بالنظر الذي تؤديه بنقل معاني النص من الحقيقة إلى المجاز مرتكزة على سمة الإيجاز، تضيف بعدا شعريا وجماليا للأثر الأدبي، مما يعزز لجمهور المتلقي استمتاع بالنص ويثير اهتمامهم بالموضوع المقدم، ولعل هذا الاحتفاء بالاستعارة تجيب عنه البلاغة نظرا لما تحظى اتجاهها واستحضارها القوي منذ بداية نشأتها، بداية من "أرسطو Aristose" الذي دعا بضرورة الانعطاف المجازي والغوص في أعماق التخيلي باعتبارها علامة عبقرية فمقياس الموهبة

¹. بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد (علم البيان)، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 01، 1985م، ص: 112/111.

من يملك القدرة على الإحساس بأوجه التشابه بين كينونتين منفصلتين وكيفية ربطهما ببعض، فيسحب التميز إلى لغته التي تتولد جملة من الاستعارات، قائلاً أن: "أعظم هذه الأساليب حقاً هو أسلوب الاستعارة، هذا الأسلوب وحده هو الذي لا يمكن أن يستفيدة المرء من غيره وهو آية الموهبة، فإن إحكام الاستعارة معناه البصر بوجوه التشابه"¹. فالبلاغة تشبيه آية من ناحيتين: الأولى تأليف ألفاظه والثانية ابتكار المشبه به بعيد عن الأذهان، لا يجول إلا في نفس أديب وهب الله له استعداداً سليماً في تعرّف وجوه الشبه، الدقيقة بين الأشياء، وأودعه القدرة على ربط المعاني وتوليد بعضها من بعض إلى مدى بعيد لا ينتهي"، وسر بلاغة الاستعارة لا يتعدى هاتين ناحيتين، فبلاغتهما من ناحية اللفظ أنّ تركيبها يدل على تناسي التشبيه، ويحملك عمداً على تخيل صورة جديدة تندسك روعتها ما تضمّنه الكلام من تشبيه خفي مستور"².

وإذا ما حاولنا تحديد النظرة الحديثة للاستعارة بمثابة خلق جديد في اللغة وداخل اللغة، فيما تقيمه من علاقات جديدة بين الكلمات، وبها تحدث إذابة لعناصر الواقع لإعادة تركيبها من جديد، وبهذا التركيب الجديد كأنّها منحت تجانس كانت تفتقده، وهي بذلك تبث حياة داخل الحياة التي تعرف أنماطها الرتيبة، وبهذا تصنيف وجوداً دليلاً، أي تزيد الوجود الذي تعرفه، هذا الوجود الذي تخلقه علاقات الكلمات بواسطة تشكيلات لغوية عن طريق تمثيل جديد له³، إذ بها التضام وهو ما يسميه المعاصرين بالمفارقة المعجمية التي تكون هي قرينة الدالة على الانحراف⁴.

¹ . طاليس أرسطوا، أرسطوا طاليس في الشعر، تر: شكري عياد محمد، دار الكتاب العربي . القاهرة، مصر، 1967م، ص: 128.

² . علي الجازم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة في البيان والمعاني والبديع مع الدليل، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت-لبنان، ط2، 2019، ص: 112.

³ . ينظر: يوسف أبو العدوس، الاستعارة في النقد الأدبي الحديث (الأبعاد المعرفية والجمالية)، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ط: 01، 1997، ص: 08/07.

⁴ . ينظر: حسن طبل، المعنى في البلاغة العربية، ص: 124.

وسنحاول إمعان النظر للاستعارة القرآنية الواردة في السورة، لإظهار دورها الدلالي والجمالي في التعبير القرآني، والاشارة إلى الأثر النفسي الذي تحدثه، بالكشف عن المفارقة بين البنية السطحية الظاهرة، ودلالات البنية العميقة لها، ولنبدأ بقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 21]

حمل المعنى استعارة تهكمية، فالأصل في البشارة أن تكون في الأخبار بما يدخل الفرح والسرور على النفس، ولكن الآية عدلت عن معناه الحقيقي، وهذا يمثل الجانب الانفعالي بخلق عنصر المفاجئة والدهشة التي زرعت للمخاطب، فالاستعارة في هذا النص "تتحقق عمودياً بين (بشرهم) البنية الحاضرة، و(أنذرهم) البنية الغائبة، فحين أنه لا يوجد تشابه بين التمييز والانداز، وعلى هذا تخرج الاستعارة التهكمية في وصف الاستعارة الذي يشترط التشابه بين حقلي الاستعارة الحاضر والغائب"¹، فالتضاد التي حملته الكلمات في الجملة تعكس دلالة واضحة على التّهمك والسخرية، وهذا قليل في حق المنافقين الذين أظهروا إيمانهم وأبطنوا كفرهم، وجاء ذلك لهم جزاءً ووفاءً "كمعادل لفظي وقد حققت المفارقة الصّياغة بتحوّلها من معنى البشارة إلى معنى الانذار قراء في العبارة عن طريق تجاور أضداد، والانتقال من الوعد إلى الوعيد، ومن التّغيب إلى التّرهيب"² لعلمهم يرجعون.

وقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [سورة آل عمران، الآية: 103]

¹. حسين عبيد الشّمري، صورة الآخر في الخطاب القرآني (دراسة نقدية جمالية)، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان، ط: 01، 2008م، ص: 184/183.

². أحمد غالب النوري الخرشة، أسلوبية الانزياح في النص القرآني، ص: 96.

وقد استعير الحبل لمعنى العهد، لأنه المتعارف عليه عند العرب أنّ الحبال تأتي مجازاً في الكلام بمعنى العهود، ويبدوا أن سبب الاستعارة يرتبط بدور الحبل في الانقاذ من المهالك، وكذلك العهود يستأمن بها من المخاوف، وهذا هو أساس التشابه بينهما¹، وقد أضفت استعارة المقدمة الصورة قوة وإحياء خاصة عندما ارتبطت بالله عز وجل بما تحمله من دلالات ومعاني شتى لتنقل للسمع حالة الأمن والطمأنينة في صورة من يتمسك بحبل الله المتين، ومن يتمسك لا محال ناجٍ من الهلاك.

وتتجلى جماليات التصوير الاستعاري التصريحي ضمن السياق التعبيري "وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا" بالحيوية والحركة، مثلها جمالية التصوير "وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا"، فقد أخرجت كلا الموضعين المعاني المجردة والذهنية إلى صور حسية، تستشعر للقارئ حساً وعقلاً من الوهلة الأولى، فبالإضافة الحبل إلى الله يتحقق دلالة الثبات فتكتسب إثرها اللفظة قيمة معنوية زيادة على ماديتها، فقد عززت الصورة الانسجام الدال على اليقين بتوظيف الحسية.

قد رأى الزمخشري (ت538هـ) أنّ في "هذا تمثيلاً للمعلوم بالنظر، والاستدلال بالمشاهد المحسوس، حتى يتصوره السامع كأنه ينظر إليه بعينه، فيحكم اعتقاده واليقن به"²، وعلى هذا فإنّ الصورة الاستعارية في سياق المشهد تؤدي وظيفة ثانوية بوصفها صورة حسية تثري السياق العام وتُغنيه بدلالات شتى، وهي تصوّر كل ما يحمله السياق العام من أمن وخوف، وحذر ويقظة، فتحدث في النفس الانسانية كلّ الأثر، وتغنيها عن السؤال بحال من يتمسك بدين الله تعالى، لأنّ الصورة الاستعارية تسهم في شدّ المتلقي عن طريق غرس الإمكانات التعبيرية ونقل المعاني باتجاه التصوير الموحى في السياق العام

¹ ينظر: محمد بن الحسين الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، تح: علي محمود مقلّد، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، دط، دت، ص: 46

² أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج1، ص: 304.

للمشاهد وهي "تعبّر في الكثير من صوّرها عن احتجاج منطقي بالتّصرف في اللغة وتوليد التقابلات وتحويل المادي إلى معنوي أو العكس وإثارة تداعيات تتحقق من خلال الوظيفة الفكرية"¹.

وانظر بلاغة القرآن العظيمة وقدرته على تصوير المعنى ببراعة وتجسيده ،أيضا لقوله تعالى: "شَقًّا حُفْرَةٍ" وكيف استطاع أن يقرب لك المعقول باستعارة المحسوس إليه ،فالنار حقيقية وتصويرها بحفرة تمثيل وتصوير، إذ ليس لجهنم حفرة بل علم عظيم العذاب، ولكن هذه الرؤيا جاءت على وجه التمثيل²، وقد أراد الله عزّ وجل أن يلفت أنظار المؤمنين نعمه الكثيرة التي فضّل بها عليهم ،فصوّر حالهم التي كانوا في الجاهلية من كفر وضلال بحال المشرف على حفرة عميقة وهوة سحيقة³ من النار يوشك أن يرتدى فيها، كما أنّ فيه امتنانا بتداركهم بلطفه ورحمته، واعترافا بالقدر والنعم التي حظيت بها هذه الأمة بعد إيمانهم.

وقوله تعالى: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾ [سورة آل عمران، الآية: 144]

هذا التركيب في قمة البلاغة والإعجاز من ناحية تخيّره للألفاظ والعبارات المناسبة لسياقه، وزيادة في تصوير المعنى وتمثيله للنفس بالعدول عن التعبير الذهني المجرد (الرّدة) في مشهد محسوس مرئي على سبيل الاستعارة مبالغة لإظهار ما سيقترفونه أهل الرّدة بعد سماع أخبار موت الرسول صلى الله عليه وسلم ب"الرجوع إلى الحال التي كانوا عليها أي حال الكفر"⁴، فجمال هذه الصورة الفنية أتى من إصابة قلب المعنى بفنيّة غاية الجمال

¹. غسان بن خلف، روائع التبيان في استعارات القرآن (دراسة تطبيقية في أمثلة من الاستعارات القرآنية)، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1، 2018، ص:65.

². ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 04، ص:35.

³. ينظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج دار الفكر المعاصر، بيروت-لبنان ، ط1، 1991، مج2، ص:347.

⁴. طاهر محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 04، ص: 113.

والروعة، يقول "سيد قطب": "وفي التعبير تصوير حي للارتداد (انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ)... (وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ) فهي حركة حسية في الانقلاب تجسم معنى الارتداد عن هذه العقيدة كأنه منظر مشهود، والمقصود أصلاً ليس حركة الارتداد الحسية بالهزيمة في المعركة ولكن حركة الارتداد النفسية"¹، فالفرار البعض من المعركة يوم أحد أخذه الله عز وجل إلى دلالة أعم وأشمل وهي الردة عن الدين، وهذا لم يحصل . بحمد الله، من مؤمن يوم ذاك، بل كانوا من المنافقين الذي ظهروا على صورتهم الحقيقية، والصورة المقدمة في العبارة هي تجسيد الكفر في صورة من يولي دبره للإيمان، وهذا بأحسن تصوير وأبداع تشخيص في إلقاء المعنى الفكر، ليتمكن السامع أفضل تمكن في فهم فحوى الآية.

وقوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَفَقَّوْا﴾ [سورة آل عمران، الآية: 112]

جاء الضرب في هذا التعبير في غير مجاله الدلالي، وأخرج المعنى الذهني الذي هو "ألزموا الذلة"² في صورة مجسدة مرئية على سبيل الاستعارة المكنية، إذ شبه الله تعالى إحاطة الذلة والمسكنة باليهود واشتمالها عليهم ، كما تضرب الخيمة أو اللحاف، لأنه المعنى المراد هنا، "ضُرِبَ الخيمة" بضرب أوتادها بالمطرقة (...) أي: التحفتهم الذلة التحاف الخيمة بمن ضُرِبَتْ عليه"³ وقد يكون بمعنى "ضرب فلان الضريبة على عبده التي ألزمته دفعها، وكذلك ألزموا الذلة وثبتت فيهم فلا خلاص لهم منها"⁴ وهي لا زمة لهم كما "يُضرب أهل البيت على أهلهم فهم ساكنون في المسكنة غير ضاغبين عنها"⁵، فالتعبير القرآني استعار لفظ الضرب للدلالة على شدة ملازمة ودوام الإقامة وجامع الإحاطة والشمول لهم، وبهذا

¹ . سيد قطب، في ظلال القرآن، ج: 04، ص: 94، ينظر: حسين عبيد الشمري، صورة الآخر في الخطاب القرآني، دراسة نقدية جمالية، ص: 184.

² . أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ج: 04، ص: 32.

³ . الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ج: 01، ص: 505.

⁴ . ينظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم السبع المثاني، ج: 02، ص: 245.

⁵ . أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج: 1، ص: 402.

انزاح لفظ الضرب عن مدلوله الحقيقي إلى المدلول المجازي ،والقرينة من إرادة المدلول الحقيقي هي اقتران الضرب بالذلة وهي شيء معنوي، لأجل تجسيم هذا الجرم الذي اتصف بهم في صورة محسوسة كنتيجة مباشرة ملازمة لهم ما داموا مقيمين في مضار الكفر، ومتلبسين بجرم قتل الأنبياء، وتعديمهم لحدوده ،وبهذا التجسيد الحسي للمعنويات ليستثير خيال المتلقي ويمزج وجدانه ويجذبه إليه في لحظات للاستمتاع بالمتعة الفنية تقارب ما يجدها المتأمل في فن التصاوير والفنون التشكيلية الساحرة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 143]

في الآية الكريمة استعارة "لأنّ الموت لا يلقي ولا يرى، وإنّما أراد سبحانه وتعالى رؤية أسبابه، من صدق الصاع، وتتابع قراع أو رؤية آلاته، كالرماح المشرعة، والسيوف المخترطة"، فمدام الموت شيء معنوي، فما معنى رؤية الموت هنا؟ وما السر البياني في ذلك؟.

إن رؤية الموت ههنا يراد بها رؤية أسباب الموت لا الموت نفسه، وأسباب الموت يصح فيها الرؤية، مثل الطعن بالرماح والضرب بالصفاح، والرشق بالسهم، والقذف بالسلام، وكل ذلك يصح أن يرى ويشاهد، وهذا الخطاب موجه للجماعة لم تحضر بدرأ، وكانوا يتمنون أن يشهدوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا شرف الشهادة والكرامة ما ناله البديون، وأولئك هم الذين ألحوا بالخروج إلى المدينة لملاقاة المشركين في غزوة أحد، وعانوا في أهوال الانكفاء أمام المشركين والشدة التي قاساها رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وقتل الإخوان والأقارب، والمشاركة على الهلاك، كل هذا كان فيه الموت بيده ويصدّ عن أنياب كالزّج* الأزرق، فالله سبحانه وتعالى أراد أن يصدّر شدة ما عانوه وعانوه فساق ذلك في صياغة هذه الصورة الفدّة، فكانت هي ملاقة الموت وجهها لوجه دون

*. الزّج هو "الرّمح القويّ المسنون".

مقدمات و"تعرفوا شدته وصعوبة مقاساته"¹، فمن يلقي عدوًا يطلبه حتما سيُكشف عن ساق بينهما ويلقى كل واحد عنتًا من الطرف الآخر، وهذا ما رآه هؤلاء أعيان لدى الأعيان ونفله إلينا بمشهد في حافل بشق صنوف الجمال والبلاغة والروعة في دقة التصوير المناسب.

قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾
[سورة آل عمران، الآية: 176]

فالله تعالى شبه الكفار في صورة جماعية ضمن مشهد مرئي محسوس، حيث صور مشهد حركة الكافرون وهو يتسارعون إلى طريق الكفر ماضون فيه كأنهم يسعون إلى غاية يريدون الوصول إليها، فستتلاشى صورة الكفر بما فيها من السرعة والاندفاع لضعفها أمام الصورة المقابلة المتمثلة بالقوة بأنهم لن يضرروا الله-بمسارعتهم في الكفر، كما أن مسارعتهم لو سارعوا إلى الإيمان لن تكون بنافعته.

2-2-3-الكناية:

أ. لغة:

إذا تتبعنا المعنى اللغوي للكناية وجدناها تدلُّ على الانتقال من لفظ إلى لفظ آخر لغرض آخر يريده المتكلم، قال ابن منظور: "الكناية أن تتكلم بشيء وتريد غيره، وكنى عن الأمر بغيره كنى كناية، يعني إذا تكلم بغيره ما يستدلُّ عليه نحو الرفث والغائط ونحوه..."²، فاللفظ في الكناية ليس بالواضح وضوح المذكور صراحة، ولا هو بالمخفي الذي أخفى عن عمد وقصد، فهو أشبه ما يكون بالمكسو بثوب رقيق يشف عما تحته، فلا هو مستور ولا هو عارٍ³.

¹ أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج: 01، ص: 383.

² ابن منظور، لسان العرب، مادة (ك ن ي).

³ محمد جابر فياض، الكناية، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة-السعودية، ط1، 1989، ص: 121.

ب. اصطلاحاً:

تعد العرب الكناية من مظاهر البلاغة، وأسلوب من أساليب البيان، وغاية لا يقوى على الوصول إليها إلا كل بليغ متمدرس، لُطِفَ طبعه، وصفت قريحته، فالسرفي بلاغتها أنها في صور كثيرة تعطيك الحقيقة المصحوبة بدليل، وفي طيّها برهانها¹، فقد ظفرت الكناية بجملة من التعريفات منذ بداية نشأتها لم تبدي اختلافاً حول مفهومها، وإن اختلفت زاوية النظر إليه من تعريف إلى تعريف، وبحسبنا من هذه التعريفات ما ذكره "عبد القاهر الجرجاني" (ت471هـ) حيث قال: "أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيؤمى به إليه، ويجعله دليلاً عليه، مثال ذلك قولك: هو طويل النجاد يريدون طويل القامة"² والظاهر أن كناية تشمل أي لفظ يذكر ويراد منه المعنى غير المباشر له، أو لازم معناه، ويؤكد ذلك تعريف "فخر الدين الرازي" (606هـ) لها بأنها "عبارة عن أن تذكر لفظة وتفيد بمعناها معنى ثانياً وهو المقصود"³، والظاهر أن الكناية تشمل أي لفظ يذكر ويراد منه المعنى غير المباشر له، فنحن مع كل عبارة من العبارات التي أوردها عبد القاهر إزاء خطوتين متلازمتين من الدلالة:

- الأولى: هي الدلالة الوضعية للألفاظ العبارة على معناها المباشر.

- الثانية: هي دلالة هذا المعنى على المعنى المراد أو المكنى عنه.⁴

ومعنى هذا أن المعنيين: الحقيقي والمجازي مطروحان في السياق، وعنصر القصد من قبل المرسل هو الذي يرجح مجاوزة المستوى السطحي للأسلوب الكنائي، ويحيل المتلقي إلى

¹ علي الجازم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة في البيان والمعاني والبديع مع الدليل، ص: 140/139.

² عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 66.

³ فخر الدين الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ص: 135.

⁴ حسن طبل، حول الإعجاز البلاغي للقرآن (قضايا ومباحث)، مكتبة الإيمان بالمنصورة، أمام جامعة الأزهر،

ط: 01، 2005م، ص: 162.

المستوى العميق الذي يدرك من خلال لازم المعنى، "فالكناية بنية ثنائية الانتاج، حيث تكون في مواجهة إنتاج صياغي له إنتاج دلالي موازٍ له تماما بحكم المواضعة، لكن يتم تجاوزه بالنظر إلى المستوى العميق لحركة الذهن التي تمتلك قدرة الربط بين اللوازم والملزومات، فإذا لم يتحقق هذا التّجاوز فإنّ المنتج الصناعي يظل في دائرة الحقيقة... وهو ما يؤكد وقوع الكناية في منطقة وسطى بين الحقيقة والمجاز، إذ لا يمكن الميل بها إلى دائرة الحقيقية لتستقل بها، لأنّ الصياغة لم تنتج معناها فحسب، بل انتجت لازما مرافقا لها، كما لا يمكن أن تستقل في دائرة المجاز، لعدم وجود القرينة المانعة من إرادة المعنى الوضعي. "ولهذا فإنّ بنية الكلام تمثل صراعا حادا بين المعجم "المعنى الحقيقي" والسياق الذي يرشح المعنى المجازي، يحاول المعجم جذب الصياغة إلى منطقة الحقيقة، بينما يحاول السياق خلعها عن معانيها المعجمية لتفرز الدلالة المجازية فقط، وهنا يكون المتلقي هو الفيصل في تحديد اتجاه الدلالة التي تسير فيه الصياغة¹.

وصورة الكناية في القرآن الكريم هي إحدى تلك السنن التعبيرية التي سلكها بيانه المحكم دون أن يشرعها أو يتفرد بها مع اللسان العربي، وإنّما كان وجه تفرده أو مناط إعجازه فيها هو أنّه مع سيره في طرائقها المسلوكة، وجريه في مضاميرها التي تسابق فيها ذوو الفصاحة واللسن قبل نزوله، فحقق الغاية التي لا تدرك، وبلغ بها ذروة الفنيّة التي تقاصرت دونها وتتقاصر همم سالكيها والمبرزين فيها من البشر، وهذا يقودنا إلى طرح الاشكالية الآتية: ما خاصية هذه الصورة في البيان القرآني؟.

بما أنّ الكناية وجه من أوجه البيان . فسوف نحاول استجلاء ما يميزها من هذا البيان المعجز باستعراض أهم خصائص الصورة الكنائية في القرآن الكريم، ألا وهي²:

¹. ينظر: أحمد غالب النوري الخرشة، أسلوبية الانزياح في النص القرآني، ص: 104/103.

². ينظر: حسن طبل، حول الإعجاز البلاغي في القرآن (قضايا ومباحث)، ص: 202 / 174.

أولاً: خلود العلاقة:

هو ارتداد علاقة الرّمز بالمعنى في الصور الكنائية إلى الأعراف الإنسانية العامة التي هي في كل مجتمع أو عصر بمثابة قوائم راسخة التي لا تتبدل، ومن ثمّ كاد خلود تلك الصور بخلود تلك العلاقة وبقاؤها محتفظة بشحناتها الدلالية وطاقتها التصويرية منذ نزول هذا الكتاب الخالد إلى أن يرث الله الأرض وما عليها.

ثانياً: مثالية الوضوح:

وهو أن يحسّ المتلقي أنّ الصور الكنائية ذاتها . لا المعنى الحرفي أو الوسيط . هي التي تنقله نقلاً مباشراً إلى المعنى المراد، أو يخيل إليه لسرعة وصول هذا المعنى إليه أنّه قد فهمه من حاقّ اللفظ أو بنيته لا غير، فبقدر ما تسارع هذه الصورة إلى تمثيل هذا المعنى للمتلقى، بقدر ما يكون سُمُوها في مراتب الوضوح، وهذه هي الصورة المثلى والغاية المبتغاة له.

ثالثاً: التّناسب السياقي:

المقصود بهذا هو ملائمة الرّدف أو الصورة للمعنى المكّن عنه، ودقّة ملائمة الصورة أيضاً في كل منها بطاقات التّصويرية والدلالية الخاصّة لا المعنى الذي تصوّره فحسب، بل لطبيعة الموقع وخصوصية السياق الذي ترد فيه، والرّدف هو المعنى الثاني الذي يلزم المعنى الأول أو الحقيقي في واقع الحياة أو بالأحرى في عرف الاستعمال اللغوي¹.

ونبدأ قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 03]

التعبير بقوله "لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ" كناية لطيفة عمّا تقدم الكتاب أي: القرآن الكريم، وسبقه من الكتب السماوية كالطّوراة والانجيل والزبور وغيرهم، فكفى عن الكتب السماوية "لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ" لغاية الظهور والاشتهار، فكأنّها معروضة بين يدي القرآن العظيم، لاشتماله

¹. ينظر: حسن طبل، حول الإعجاز البلاغي في القرآن (قضايا ومباحث)، ص: 163.

على ما جاء فيها وزاد على ذلك حتّى هيمن عليها، وكشف ما لحقها من تحريف وتبديل صارت كأنها حاضرة الآن بين يدي هذا الكتاب العظيم الذي لا يأتيه باطل من بين يديه ولا من خلفه، أو "كأنّه جعل القرآن أمام الكتب السابقة جمعها وجعلها في شرفه وضيافته، ألا تجد نفسك تقول إذا أردت تعظيم شخص ما: جلس الناس بين يدي فلان؟"¹.

وبعده قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَتَى بِكَ الْيَوْمَ وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 47]

فالجمله الواردة { وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ } جملة حالية تبين الحالة أو الهيئة التي يكون الولد في عرف الناس، "فالعادة الجارية التي أجراها الله في خلقه أنّ الولد لا يكون إلا عن نكاح أو سفاح"²، و"المسيس في العبارة الكريمة كناية عن الوطء"³، أو "بمعنى يجمع والمسيس الجماع"، وقد أجمع العلماء أنّ المس: جُعِلَ العبارة عن النكاح الحلال لأنّه كناية عنه، وهو يقتضيه لأنّه المس الحقيقي لا يحصل به تناسل، وإنّما أطلقه الله وأريد به لازمه، فالمس هنا حقيقة لكن المقصود به الدلالة على معنى آخر هو الجراح فكُنِيَ بلفظ المس هنا⁴، وبهذا نرى القرآن يدعو "الكلمة المهذّبة أن تشيع، وللعبارة المؤدّبة أن تنتشر فيعمد إلى مجموعة الألفاظ التي تتعلق بالجنس فيعبر عنها تعبيراً تفهم من ضمّ بعضه إلى بعض مراد الله تعالى به بعبارة ومؤدّبة من غير حذر وإخراج"⁵.

¹ . المهندس مثني محمد هبيّان، من روائع البيان في سور القرآن، دار الفكر. بيروت-لبنان، دط، (1435هـ/ 1436هـ/ 2004م)، ج: 02، ص: 378.

² . أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع الأحكام القرآن والمبين لما تضمّنه من السنّة وآي الفرقان، ج: 04، ص: 92.

³ . أبو الحيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج: 02، ص: 378.

⁴ ينظر: أحمد حمد محسن الجبّوري، موسوعة أساليب المجاز في القرآن الكريم (دراسة ووصف وتقويم وأمثلة)، دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان، ط: 01، 2017م، ص: 775.

⁵ . محمود عبّود زوين، الدعاء في القرآن الكريم، دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان، دط، 2002م، ص: 144.

ونُكِرَ فاعل المسِّ {بشر} ليفيد العموم بإطلاق لأنَّ من تتكلم هي العذراء البتول أفضل نساء العالمين، وقد تكون ذكرت المسَّ من باب الأولى أو التَّنبيه بالأدنى إلى الأعلى، وكأنَّها أرادت أن تقول إنَّها لم تتقرَّها يدُ لأمسٍ فضلاً على أن تتعرض للمحذور الأكبر - عليها السَّلام - وهو ما ينتج عنه الولد في العادة، ولهذا اقتضى التبشير للسيدة مريم التَّعجب والاستغراب وليس الشَّك والارتياب.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 119].

فالكناية (عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ) تعبير موجٍ وموجز يجسد تلك الانفعالات النفسية لهؤلاء المنافقين بهذه الحركة المادية المنفعلة، وهو عض أطراف الأصابع (الأنامل) إذا خلا بعضهم إلى بعض، وهو المعنى الظاهر الذي تدلُّ عليه هذه الحركة الكنائية، إلَّا أنَّ هذا المعنى ليس هو المقصود لذاته وإنَّما المقصود ما يرتبط بهذه الحركة ويلازمها من مشاعر وانفعالات وهؤلاء المنافقين اتجاه المؤمنين، وهو المعنى المكتى عنه بهذه الحركة.

قال الزمخشري: "يوصف المغناط والنادم بـ (عَضِّ) الأنامل والبنان والإيهام"، وقال القرطبي: "وعَضُّ الأنامل عبارة عن شدَّة الغيظ مع عدم القدرة على انقاذه ومنه قول أبي طالب: يَعْضُّونَ غِيضًا خَلَفْنَا بِالْأَنَامِلِ"، وهي ما يفعله عادة من أصيب بندمٍ أو خيبة أمل، وهذه كناية عن الندم والأسف "وشدَّة الألم والغيظ لما يروونه من ائتلاف المسلمين واجتماع كلمتهم، ونظرة الله تعالى إليَّاهم بحيث عجز أعداؤهم أن يجدوا سبيلا إلى التَّشفي حتَّى اضطروا إلى مداراتهم"¹.

¹ . عبد الفتاح لاشين، البيان في ضوء أساليب القرآن، دار الفكر العربي، مدينة نصر-القاهرة، ط: 02، (1418هـ/ 1998م)، ص: 259.

وكما قلنا هي "كناية عن الغيظ والحسرة لأنّها من روافدها فيذكر الرادفة ويدلّ بها على المردوف، فيرتفع الكلام في طبقة الفصاحة، ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان ما لا يجد عن لفظ المكنّي عنه"، ومن هنا تظهر ثنائية الحضور والغياب التي تسيطر على صياغة الآية الكريمة، فالمكنّي عنه "الندم والحسرة"، والمعنى الحقيقي الظاهر "عض الأنامل"، والعدول عن المعنى الغائب إلى المعنى الظاهر يحقق الجمالية والمتعة النفسية، لأنّها تحمل في طيّاتها دلالة على شدّة الندم التي دفعت صاحبها إلى عض أنامل يديه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلُوكُمْ الْأَذْبَارُ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية:

[111].

لقد وردت في الآية الكريمة كناية جميلة عن الهزيمة والانكشاف، وكانت في صورة مقرّرة تشمئز لها النفوس، فأراد الله عزّ وجل أن يقلل من شأن اليهود ويلهب الحمية في نفوس المسلمين للتصدي لهم والوقوف في وجه مكرهم، فاستبعد توهمهم بأنهم أهل خبرة بالحرب ودراية بالمعارك، ويعتبر هذا ادّعاء افتروه عشية وقوع معركة بدر وعودة المسلمين منتصرين إلى المدين، فقالوا لهم: لقد قاتلتم أناسا لا علم لها بالحرب وفنونها، لو تلتقون بنا تعلمون ذلك، فجاء الحق وكشف بطلان هذه الفرية التي لا يسترها الليل ولا يغطيها الذيل، فكيف يحي الضمار ويدافع عن الصغار من لا يستطيع حماية دبره وهي العورة التي خلفه، وقد عدّل القرآن لهذه اللفظة ليضفي هذه الدلالة الحافة والله أعلم.

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ

بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 106].

قيل إن بياض الوجه وسواده كنايةان عن ظهور بهجة السرور والنعمة وكآبة الحزن

والمحنة والأظهر أتهما على ظاهر معناه¹، وقيل يوسم أهل الحق ببياض الوجه والصحيفة وإشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه، وأهل الباطل بأضداد ذلك².

لقد كفى البيان القرآني بأسوداد الوجه عن معنى الغمّ وشدة الحزن، وإن إثبات حدوث السّواد يتضمن دلالة أن بشرة الوجه لم تكن كذلك قبل حدوثه، وجاء التعبير بصيغة الفعل للدلالة عن تجدد هذه الصفة، ويكمن السر إيثار الصياغة لإظهار أن سواد البشرة عارضٌ وطارئٌ وناتجٌ عما أصاب كوامن صاحبه من الغمّ والحزن على ما رأى وآل إليه أمره في عرصات يوم القيامة، فإضلال الوجه كناية عن إضلال نفس صاحبه، وهذا مناسب للحال من كان على الهدى ثمّ زيع إلى الضلال والعمى لهذا قال سبحانه: ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾.

2-2-4- المجاز المرسل:

يعد المجاز المرسل من أقسام المجاز المهمة الذي تضمنه التعبير القرآني وسيلة كظاهرة أسلوبية مميزة في العرض والأداء والتعبير، لما له من أثر بارز في توسيع المعنى للمتلقى بتحريك مدركاته العقلية والشعورية واكדתه بتعيين المراد، فهو أسلوب كلامي قوامه الاستغناء عن اللفظ الأصلي والتعبير عن المعنى بلفظ يدل على معنى آخر في أصل اللغة، ولكنهما متداعيان ملتحمان فمقومات المجاز المرسل.

¹ ينظر: نور الدين علي بن سلطان الهروي الملكي الحنفي الشهير بالملا علي القارئ (ت1014هـ)، دار تفسير الملا على القاري المسعى (أنوار القرآن وأسرار الفرقان)، الكتب العلمية . بيروت . لبنان، دط، دت، ج: 01، ص: 326.

² ينظر: ناصر الدين بن أبي سعيد عبد الله عمر بن محمد الشيرازي، أسرار التّزئيل أسرار التّأويل المسعى تفسير البيضاوي، ج: 02، ص: 32.

إذن ثلاثة التعبير عن لفظ بلفظ آخر، والارتباط بمقتضى التداعي واعتماد المجاز¹، وعليه فالمجاز المرسل -ككل المجاز- بوسع المعنى كما يساعد على الافتنان في التعبير وتدعو إليه المبالغة في المعنى، والإيجاز في العبارة²، وتسميته بالمرسل "نابعة من كونه غير مرتبط بقيود، فالإرسال في اللغة: الإطلاق، وأرسله أطلقه، ولما كانت الاستعارة مقيّدة ادعاء أنّ المشبه من جنس المشبه به كان المجاز المرسل مطلقاً من هذا القيد"³، فليس له علاقة بعينها وإنما له علاقات كثيرة أوصلها "الغزالي" إلى أربعة وعشرة علاقة أو تصنيف، وقد اعترض عليه "ابن أثير" وناقشه فيها، ليحاول اختزال أقسام المجاز في ثلاث: وهي: التوسع والتشبيه والاستعارة⁴،

ويمكن لمفهوم الاتساع أن يشمل أقسام المجاز المرسل والمجاز العقلي معاً، ولم تغفل الأسلوبية الأخرى بالكشف عن قيم الجمالية لأشكال المجاز المرسل المتمثلة في مدى قدرته على تلخيص خواص الأشياء في الوجدان المتحدث واختزالها إلى خاصية فريدة يتركز عليها انتباهه، حيث تدفع المبدع لأن يدمج حقيقتها بأشكال مختلفة طبقاً لاهتماماته الجوهرية، كما يقول "فاليري" فإنّ الحقيقة المشتركة أو الواقع ليس سوى حالة خاصة لعالم الأعصاب مشاهدة، أو لحظة في وعيه، أو مجرد ذبذبة ونظام من القيم، وعملية الذهن الأساسية هي تركيز العدسة الباصرة والتقاط الأشياء في الوعي بطريقة تبرز خواصها أو تميعها وتمحوها، توضيحها أو تطمسها طبقاً لأهدافها⁵.

¹ ينظر: محمد الهادي الطرابلسي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، ص: 208.

² ينظر: عبد الفتاح لاشين، البيان في ضوء أساليب القرآن، ص: 155.

³ محمد حسين علي الصغير، أصول البيان العربي في ضوء القرآن، ص: 50.

⁴ ينظر: ضياء الدين ابن أثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج: 02، ص: 96.

⁵ صلاح فضل، علم الأسلوب (مبادئه وإجراءاته)، ص: 296.

ولما كان المجاز المرسل يتميز بخاصية الانزلاق بالإشارة بالتجاوز السياقي فمن الطبيعي أن يعتمد تأثيره الأسلوبي على هذا الانزلاق ويمضي في اتجاهه، فتحدث للمتلقى حركة تؤدي بدورها إلى وسم النص من خلال الكتابة المجازية بسمه خاصة مميزة في رؤية الواقع، ومن هنا يلعب المجاز دوراً نشيطاً في تكوين الصورة القرآنية والأدبية متفرداً بجماله وروعته عن المجاز المستعار، والدليل هناك كثير من الصور المهمة اللافتة لا تتم إلا من خلال المجاز، إما باعتباره أساس الصورة، وإما باعتبارها الدعامة التي تثيرها عندما تضع شيئاً متعينا مكان شيء مجرد¹، فسر جماله وعوامل تكوين بهجته يكمن في أربعة أشياء وهي: (الإيجاز، والمبالغة المعنوية، والتأكيد، والدقة)² مما يورث الكلام حُسناً، وتزيده رونقاً، وتجعله أنيقاً، وعليه سنشرع بالحديث عن أسرار المجاز انطلاقاً من علاقاته متخذة نماذج من سورة آل عمران:

- العلاقة الحالية:

تتحقق العلاقة الحالية بإطلاق اسم الحال في المكان على محله³، ومثالها قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 107].

أنظر إلى كلمة "الرحمة" هل يمكن للإنسان أن يحل فيها؟ لا، لأنها معنى من المعاني، وإنما يحل الإنسان في مكان الرحمة، فعبر بلفظ "الرحمة" الحالة، وأراد الجنة وهي المحل، وهكذا يتبين لنا أنّ دلالة (الرحمة) تغيرت مدلولها واكتسبت دلالة جديدة في ضوء السياق الآية وتعني هنا "الجنة" تسمية للشيء باسم الحال فيه، ولعل ما يؤكد الانتقال من

¹. ينظر: صلاح فضل، علم الأسلوب (مبادئه وإجراءاته)، ص 300-301.

². ينظر: مسرة جمال، دراسات في المجاز وجماله في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه، جامعة بشاور، كلية الدراسات الإسلامية واللغة العربية، (1313هـ/ 1993م)، ص: 276.

³. ينظر: جلال الدين محمد عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، ص: 209.

المدلول الأول إلى المدلول الثاني القرينة الموجودة في السياق، وهي قوله: "هُمُ فِيهَا خَالِدُونَ" إن الخلود المؤمنين أساسا يكون في الجنة، والدليل قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأحقاف، الآية: 14]، أما الرحمة شيء معنوي والتعبير عنها بدلا من الجنة تبدو أكثر فاعلية لأنه أعطت صورة مسبقة عما يلقاه المؤمن في الجنة من رحمة ونعمة دائمة، وتجعل المؤمن يسير على درب الخير التي رسمها الله سبحانه وتعالى طمعا في نيل هذه الرحمة.

- العلاقة المحلية:

وتتحقق هذه العلاقة بإطلاق اسم المحل على الحال به¹، ويكمن ضعف التحول الدلالي في هذه البنية باعتمادها على تحول من نوع خاص، فيقوم بتغيب العنصر التعبيري وينقل الصياغة من الحقيقة إلى المجاز، ومثاله قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 167].

في الآية الكريمة مجاز مرسل وعلاقته المحلية، حيث عبّر عن بالأفواه وأراد الألسن، لأنّ الأفواه محلها، وبلاغة ذلك تتجلى أنّهم يتشدقون بالكلام ويتخللون به كما تتخلل البقرة بلسانها فيملئونها بما لا طائل تحته، وهذا تقبيح لصورتهم وتشويه لهيئتهم حين يتحدثون بالكذب والنفاق².

ونلاحظ أنّ الانتقال الدلالي من الأفواه إلى الألسن تم من خلال المجاورة وليس من خلال المشابهة، لعدم وجود نقاط التشابه بين الاثنين، مما منحها إحياء متدفقا وسمة أسلوبية واضحة فأنارت لدى القارئ هزة انفعالية مشحونة بالقيمة الأسلوبية الإبداعية لكونه قد عدل بظاهر اللفظ إلى معنى خفي جميل ومعبر، فأكسبه جمالا في الصياغة وتكثيفا في المعنى.

¹ ينظر: جلال الدين محمد عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد الخطيب القزويني، الايضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبدیع)، ص: 209.

² عبد الرحمان بن مصطفى العيدروس الشافعي، رسالتان في الاستعارة والمجاز (الأولى: نتيجة البشارة بمعرفة الاستعارة)، أحمد بن موسى بن داود العروس، وجيزة الإيجاز الموضحة لعلاقات المجاز، تح: السيّد محمد سلام، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان، دط، دت، ص: 59.

- العلاقة السببية:

وهو أن يذكر السبب ويراد المسبب، أي يكون المعنى الموضوع له اللفظ المذكور سببا في المعنى المراد فيطلق السبب على المسبب أو النتيجة¹، ومثال هذه العلاقة قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 182].

يختار التعبير القرآني في الآية طريقة بليغة لإظهار العذاب المنزل عليهم بمشهد محسوس للمشاهد نتيجة ما اقترفوه من كفر ومعاصي في حياة الدنيا وحرمانهم الجنة والدخول إلى النار، فاللفظ الدال على السبب "أَيْدِيَكُمْ" قد انتقلت دلالتها إلى ما ينجم عن الأيدي، لأن أكثر الأعمال تزاوُل بهنّ فجعل كل عمل كالواقع بالأيدي على سبيل التغليب².

والذي سوَّغ هذا الاختيار العلاقة السببية بين اللفظين الحاضر في شكله الصوتي الغائب في مادته الفكرية، وفي هذا المجاز تكمن بلاغة التعبير القرآني بتصوير الحقيقة المعنوية بصورة حسية تلازمه دائما، تحمل الشحنات الأسلوبية التي أفصح عنها دلالة اللفظة وخلق عنصر المفاجئة للمتلقى ودفعه لإعطاء التأويل المناسب للنص ما كان ليتم لولا استعمال المجاز لغاية أسلوبية تعبيرية.

- العلاقة المسببية:

وهو أن يطلق المسبب ويراد السبب بأن يكون المعنى الأصلي المذكور مسببا عن المعنى المراد، فيطلق اسم المسبب على السبب³، كقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 133]، للكشف عن جمالية التصوير يجدر الوقوف بداية فهم للمعاني والظلال التي تنبعث من الألفاظ، وقد ورد عن أنس بن مالك ومكحول أن المراد بالمغفرة تكبيرة الإحرام، وورد عن الإمام على أنها أداء الفرائض، وعن عثمان بن مالك أنها التوبة⁴ وهو الأرجح.

¹ ينظر: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية، ص: 275.

² ينظر: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج: 01، ص: 407.

³ ينظر: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية، ص: 275.

⁴ ينظر: ال أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع الأحكام القرآن والمبين لما تضمنته من السنّة وآي الفرقان، ج: 02، ص: 299.

لا شك أن المغفرة المسببة عن هذه الدلالات جميعها، ومن ثمة فعلاقة المذكور بالمراد علاقة مسببية قائمة على أساس المجاورة، فالله سبحانه وتعالى يأمر عباده المؤمنين المتقين بالمسارعة إلى مغفرته بصيغة المبالغة لإدراك الجنة التي عرضها السماوات والأرض، وما زاد التصوير الجمالي في الآية اقترانها بالتشبيه البليغ في قوله: {وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا} ومن أسرار ذكر العرض دون الطول فقد أراد وصفها بالسعة فخصها بالذكر، لكثرة تداولها في العرف العربي فيذكرون العرض لبيان السعة كقولهم: ثوب عرضه كذا، وبستان عرضه كذا...، والقرآن الكريم نزل بلغة العرب وبمعهودهم في الخطاب، لذا عدل عن ذكر الطول لأنه المستقر في البداءة والأذهان أن الطول أدل على السعة فإن كان عرضها مما يسع السموات والأرض فما بالك بطولها¹، والظاهر الآية تصف الجنة من حيث الاتساع أو المساحة.

فالسر الجمالي في استعمال هذه الكلمات في المعنى المجازي الانتقال هذه المعاني بصورة محسوسة، وحيّة متحركة، وبارزة مشخصة، حيث أن السرعة، والمغفرة، والعرض الموسومة لا يمكن مشاهدتها مجسّمة سوى استعمالها بطريق المجاز.

- العلاقة الكلية:

يقصد بالعلاقة الكلية تسمية الشيء باسم كَلِّه، بحيث يستعمل اللفظ الدال على الكل ويراد جزء منه²، وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 42].

في الآية الكريمة يختار التعبير القرآني طريقة بليغة استحضر القائم بفعل القول بلفظ الجماعة، على الرغم أن الأفعال المسند إليه لم بفعلها الجميع، وقد أجمع جمهور المفسرين أن المقصود بالملائكة جماعة من الملائكة أو هو وحده ملك جبريل عليه السلام،

¹ ينظر: محي الدين درويش، إعراب القرآن وبيان معانيه، ج: 02، ص: 55.

² ينظر: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية، ص: 275.

والعرب أحياناً تخبر عن واحد بلفظ الجمع "وقد ثبت التّصريح بهذا في انجيل لوقا، فيكون إسناد النداء إلى الملائكة من قبيل إلى إسناد الفعل الواحد إلى قبيلته كقولهم: قَتَلْتُ بَكْرًا كَلْبِيًّا"¹، فمثلاً هنا كان مقتضى السياق أن يقال: "إذ قال جبريل للملائكة" غير أنه لم يقل، بل اختار النص القرآني استعمال لفظة "الملائكة" لزيادة التشريف والتكريم للسيدة مريم ليعرف العالمين فضلها تلك التي نادتها الملائكة باصطفاء الله إياها وبشرتها بكلمة الله لها، فالمجاز هنا يأخذ الطبيعة تراجعية بانتقاله من الكلية إلى الجزئية لم يتم على أساس المشابهة وإنما على أساس الجنس باعتبار ملك جبريل من جنس الملائكة.

- العلاقة الجزئية:

هو أن يذكر الجزء ويراد به الكل، بحيث يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور جزءاً من المعنى الكلي المراد²، ويشترط في مثل هذه العلاقة أن يكون مزيد من الاختصاص بالمعنى المقصود، ومن ذلك تعبير النص القرآني عن الإنسان بأجزاء مختلفة منه، كقوله تعالى: ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 20].

ومن بلاغة التصوير في الآية، عبّر عن الوجه عن الذات بكاملها، فهو تعبير بالجزء بالكل، وذكر الوجه لأنّ أشرف جزء وأفضله عند الإنسان به يكون منقاداً لله سبحانه وتعالى وهو به تكون الوجهة والاتجاه، فإذا وجّه إلى الله وحده سبحانه دون غيره فذلك يعني الانقياد التام والاستسلام لله سبحانه وتعالى، وقد كانت العرب تسمي الأشراف وكبراء القوم وجوهاً، ناظرة إلى هذا المعنى: "ويحتمل أن معنى الآية أسلمت شخصي وذاتي وكُلِّيّتي وجعلت ذلك لله، وعبّر عن الوجه . كما أسلفنا . إذ الوجه أشرف أعضاء الشخص وأجمعها حواس"³.

¹ . محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 03، ص: 239.

² ينظر: محمد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، مكتبة لبنان، لبنان، دط، دت، ص: 164.

³ . عبد الحق بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير كتاب العزيز، ج: 01، ص: 414.

- علاقة الإطباق:

كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: 121]

لقد تضمن التعبير القرآني المجاز وعلاقته الإطلاق في قوله: {مَقَاعِدَ}، ونلاحظ أنَّ معنى (مقاعد القتال) "مواطن ومواقف، وقد اتَّسع في قعد وقام حتَّى أجريا مجرى صار واستعمل المقعد والمقام في معنى المكان ومنه قوله تعالى في مقعد الصدق"¹، وفي تأويل الآية يتأرجح "طاهر ابن عاشور" فيقول مرّة كناية أو مجازا وعلاقته الإطلاق وحجته في ذلك شيوع هذا الكلام إلى الحد الذي يتساوى المقر والمكان فيه، ومنه قوله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾² [سورة القمر، الآية: 55]، الذي نطمئن إليه أنّه مجاز مرسل وعلاقته الإطلاق وليس الكناية، فدعامة المجاز ومرجعه تسترعي أساسا بالعدول عن اللفظ الظاهر إلى معنى خفي يفهم من السياق الذي يتخلص الكلام من تقريريته وتظهر ملامح الإيحاء والثراء الدلالي فيه.

نلاحظ من خلال ما تقدّم، استناد السورة الكريمة تعبير بالصور عن المعاني التي يراد إثباتها في ذهن المتلقي، فنقلت له الأفكار والمعاني بصورة حسية، وقد تضافر التصوير المعتمد على الحقيقة، والتصوير البلاغي المعتمد على التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز

¹ أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج: 01، ص: 199.

² ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 04، ص: 71.

المرسل في تشكيل الصورة الفنية مما أضفى بعداً جمالياً للسياق القرآني، من خلال اعتمادها في تشكيلاتها على أبنية تصويرية بصورتها المفردة البسيطة التي تقتصر على تصوير مشهد منتزع من الواقع الحسي المحدود كالتشبيه والاستعارة، والمركبة الجامعة التي تراكم فيها الصور لتشكيل الكيان المراد تصويره بهدف توسيع مجال التخيل والتصوير.

وتبينت الحقول الدلالية في "سورة آل عمران" أنّ عالمها ديني، يقوم على قطبين أساسيين: قطب الإيمان بالله ورسوله، وقطب الجحود والإنكار وتكذيب لرسالة محمد عليه الصلاة والسلام.

خاتمة

خاتمة

لقد كان الهدف من دراستنا هذه الكشف عن الخصائص الجمالية للكلمة في ضوء السياق القرآني وفق المنهج الأسلوبي مسلطين الضوء عن الملامح الإعجاز اللغوي والأسلوبي والقيم الجمالية في سورة آل عمران وما اتسمت به من سمات أسلوبية، ويمكننا عرض النتائج التي توصلنا إليها، فيما يأتي:

أولاً: السمات الصوتية:

تميزت سورة "آل عمران" ببعض الخصائص التالية:

- 1- لقد كان النظام الصوتي لسورة آل عمران يقوم على المزاوجة بين صفات الحروف ومخارجها، وأدى هذا التباين إلى إثراء العطاء الإيقاعي والدلالي للسورة.
- 2- استمدت سورة آل عمران إيقاعها وموسيقاها من النظام الصوتي الخارجي المتضمن جملة من التواترات الصوتية والدلالية المميزة.
- 3- ساهم تكرار بعض الأصوات والكلمات والعبارات في السورة في زيادة الإيقاع الجميل في البنية التشكيلية للسورة وسيلة تتماشى ومتطلبات الموقف المراد تجسيمه وتصويره.
- 4- تراوحت البنية الصوتية في سورة آل عمران في استخدام المقاطع الصوتية بين المقفلة والمفتوحة لإغناء منظومتها الإيقاعية والدلالية في آن واحد.
- 5- تضمنت السورة أنماط متعددة من الفواصل، لنيل أقصى طاقة صوتية وإيقاعية ممكنة، أثرت التعبير بأنغام متنوعة.
- 6- أبرزت الدراسة، أنّ فواصل القرآن الموظفة في الغالب تعدّ محورا معنويًا تدور حوله الآية إلى جانب دورها الإيقاعي.

ثانيا: السمات الصرفية:

1. من السمات الأسلوبية لسورة آل عمران أنَّ بعض أوزانها وقوالها التي وضعت فيها كلمات ذات نغمة إيقاعية موسيقية.
2. استخدمت السورة المعرفة والنكرة استخداما متميِّزا لتحقيق الأغراض المنشودة، وحاولت الدراسة أن تربط هذا الاستعمال ببنية السورة ووحدتها، وأبانت عن أسرارها البلاغية والجمالية.
3. شكّل الإظهار والإضمار في سورة آل عمران ضربا من ضروب المخالفة، فيصرح بالاسم في الموضع الذي يقتضي اضماره، ويضمّر في مواضع الذي يقتضي إظهاره، ليعين أصالته وسمو بلاغته.
4. عمدت سورة آل عمران إلى استعمال العلم لتحقيق دلالات أهمها: التّعظيم والحصر، كما تستخدم اسم الإشارة الدال على التّهمك والتّشويه، والاسم الموصول المفيد لدلالي التّعظيم والتّحويل وتستخدم الاسم المعرف بالأداة للعهد حيناً وللجنس حيناً آخر، وتستخدم الاسم المعرف بالإضافة قصد التّفخيم والتّعظيم.
5. أبانت الدراسة، أنّ الخروج عن استخدام اللغوي في التذكير والتّأنيث في "سورة آل عمران" لم يكن عفوي، وإنّما ينجر من وراءه دلالات مقصودة ولماسات فنية مقبولة.
6. وما يسترعي الانتباه، أنّ سورة آل عمران استخدمت الاسم الموصول استخداما مميزا، إذ لا يكاد يخلو موضوع من موضوعاتها من الاسم الموصول، فهو بمثابة سمة أسلوبية واضحة الملامح، فقد ورد في سياقات مختلفة وبدلالات متباينة.
7. اعتمدت "سورة آل عمران" إلى استخدام الصيغ الصرفية البسيطة بمختلف أنماطها، وقد هيمنت صيغة (فَعَلَ) على بقية الصيغ الفعلية الأخرى.
8. واعتمدت على الصيغ الصرفية المركبة، وقد ورد منها: صورة (قد + فعل) المتضمنة لصيغة الماضي القريب، وصورة (كان + فعل) المشتملة على صيغة الماضي الاستمراري.
9. برز عدول سورة الكريمة من المبني للمعلوم إلى المبني للجهول في استخدامها لصيغ المغايرة عندما يتعلق الأمر بالفاعل المحذوف، أو بتغيير الفاعل.

ثالثاً: السمات التركيبية:

1. لقد عدَّ أسلوب التقديم والتأخير جزء من النظم القرآني المعجز، وأنَّه وارد في القرآن الكريم متضمناً ملامح دلالية وأسلوبية وليس لعلل لغوية.
2. إنَّ المعاني التي أوحى بها صور الحذف في "سورة آل عمران"، أوصفت جمالية على أسلوب القرآني لما أطلقته من عنان للناظر للغوص بخياله لإجلاء المعاني الجليلة في أعماقها.
2. كُثِرَ في السورة خروج الاستفهام عن أصله فأفاد أغراضاً دلالية أخرى، برز منها: التَّقرير، والإنكار، والتَّعجب.
3. وردت صيغة الأمر في سورة آل عمران للدلالة على معاني كثيرة منها: الوجوب والالتزام، الدعاء، التَّعريض، التَّكوين، النَّصح والإرشاد، والإهانة، والتَّهديد وغير ذلك.
4. إنَّ النداء في سورة آل عمران أثر بلاغي وبياني، أدى وظيفة تنبيهية استحضارية للمتلقى في كل أو معظم مواقفه، إذ ارتبط حضوره في الأوامر والنَّواهي الربانية، ولم يكن المقصود هو دلالية.
5. كُثِرَ صور التَّوكيد في الجمل الإسمية والفعلية بمختلف الأدوات، لما فيها من بيان التَّقوية والإثبات لبعض الأحكام والقصص وإقرارها وترسيخها في الذهن.
6. أبانت الدراسة، أن دلالات التَّوكيد في الجملة الاسمية قد التزمت في الجملة بالترتيب الأصلي والخروج عن الترتيب الأصلي لأنَّ السياق يتطلب ذلك لغرض تثبيت وتقرير والتَّمكن بالأمر.
7. شكَّل الوصل والفصل في سورة آل عمران ملمحاً أسلوبياً، جاء في غاية الجودة والحسن ليكشف عن جمالية السياق القرآني لما حققه من إحياءات ودلالات جديدة وفق تعبير دقيق محدَّد بعينه.

رابعاً: السمات الدلالية:

- بيّنت الحقول الدلالية في سورة آل عمران أنّ عالمها ديني، يقوم على قطبين: قطب الإيمان بالله ورسوله وقطب الجحود والإنكار وتكذيب نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته السماوية.
- كان التّعبير عن المقاصد سواء عن طريق التّشبيه أو الاستعارة أو المجاز تعبيراً دقيقاً يفي بالغرض ويدل على المعنى دلالة واضحة لا لبس فيها ولا إيهام بالإضافة إلى عدم خضوع الصور البلاغية السورة الكريمة إلى بيئة معينة فأسلوب القرآن الكريم ممتد عبر الزمان والمكان والبيئات.
- وفي الختام نرجو أن تكون ثمرة جهدنا في هذا العمل قد وصلت إلى ما طمحنا إليه منذ أن بدأت رحلتنا فيه، فإن أصبنا فمن الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان.
- وآخر دعوانا أنّ "الحمد لله رب العالمين".

الملحق:

سورة آل عمران

الملحق: سورة آل عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْم (1) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (2) نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (3) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (4) إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (5) هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (6) هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (7) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهْبَ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (8) رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (9) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ (10) كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (11) قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْغَلِبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (12) قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ (13) زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ

وَالْقَنْطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَمِ وَالْحَرْثَ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (14) قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (15) الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (16) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَنِتَّةِينَ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ (17) شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (18) إِنَّ الَّذِينَ عِندَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا أَلْكَتَبَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْثًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (19) فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا أَلْكَتَبَ وَالْأُمِّيَّيْنَ ءَأَسَلَمْتُمْ فَإِنْ أَسَلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (20) إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (21) أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّصِيرِينَ (22) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ أَلْكَتَبَ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ (23) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (24) فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (25) قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (26) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (27) لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ

الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّهُ وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ
 وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (28) قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَوُهُ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي
 السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (29) يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ
 مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ
 وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (30) قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ
 وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (31) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
 الْكَافِرِينَ (32) إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى
 الْعَالَمِينَ (33) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (34) إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي
 نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (35) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا
 قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي
 أُعِيدُهَا بَكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (36) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا
 وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُمُ إِنِّي لَكِ هَذَا قَالَتْ
 هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (37) هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ
 لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (38) فَنَادَتْهُ الْمَلَكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ
 أَنْ اللَّهُ يُبَشِّرَكَ بِبَحِيٍّ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (39) قَالَ
 رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا
 يَشَاءُ (40) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَادْكُرْ رَبَّكَ
 كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعُشِيِّ وَالْإِبْكَرِ (41) وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرِئُمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ

وَأَصْطَفَيْنَاكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (42) يُمَرِّمُ أَقْنِي لِرَبِّكَ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (43) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَمَهُمْ أَمَّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (44) إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يُمَرِّمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهَاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (45) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (46) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (47) وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (48) وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ (49) وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيِّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (50) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (51) ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (52) رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (53) وَمَكْرُوهًا وَمَكْرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ (54) إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (55) فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ (56) وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ الظَّالِمِينَ (57) ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ

الْحَكِيمِ (58) إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (59) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ (60) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (61) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَقْصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (62) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ (63) قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (64) يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (65) هَٰأَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ حُجِّجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ ۖ عَلِمَ فَلِمَ تَحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ ۖ عَلِمَ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (66) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (67) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (68) وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (69) يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (70) يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (71) وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا ۚ ءَاخِرُهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (72) وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلِيمٌ (73) يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (74) * وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن إِنْ تَأَمَّنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ

وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بَدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75) بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (76) إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (77) وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونِ السِّنَّةَ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (78) مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (79) وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (80) وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّنَ لَمَا آتَيْنُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (81) فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (82) أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (83) قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (84) وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (85) كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (86) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (87) خُلِدِينَ فِيهَا

لَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (88) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (89) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَرْزَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ (90) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةٌ إِلَّا الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ ۚ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (91) لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (92) ۞ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ۚ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ۚ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ (93) فَمَنْ آفَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (94) قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (95) إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (96) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا ۚ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ حَيْثُ أَصْطَفَى إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (97) قُلْ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ (98) قُلْ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبِغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ۚ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (99) يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفَرِينَ (100) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۚ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (101) يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ۚ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (102) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ ۚ لَعَلَّكُمْ

تَهْتَدُونَ (103) وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (104) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (105) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (106) وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (107) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ (108) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (109) كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (110) لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقْتُلُوكُمْ يُؤَلِّكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ (111) ضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدِّيلَةَ أَيَنْ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءَوْ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (112) لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (113) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (114) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (115) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (116) مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتَهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (117) يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا

يَا لَوْنَكُمْ خَبَالًا وُدُّوْا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (118) هَآنَتْكُمْ أَوْلَآءِ تُحِبُّوهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَفُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (119) إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُوهُمْ وَإِنْ تَصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (120) وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ الْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (121) إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (122) وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (123) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ ءَالِفٍ مِّنَ الْمَلَأِكَةِ مُنَزَّلِينَ (124) بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءَالِفٍ مِّنَ الْمَلَأِكَةِ مُسَوِّمِينَ (125) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (126) لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ (127) لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ (128) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِر لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (129) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (130) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (131) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (132) وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (134) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ

ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ ذُنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (135) أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (136) قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (137) هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (138) وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ (139) إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمُ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (140) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (141) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُم وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (142) وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (143) وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (144) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّوجَلًّا وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ (145) وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (146) وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (147) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (148) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُم عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (149) بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (150) سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ ۖ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوًى

الظَّالِمِينَ (151) وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّنْ بَعْدَ مَا أَرْكَبُ مَا تَحِبُّونَ مِّنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُم عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (152) ۖ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَانِكُمْ فَأَتْبَكُمُ غَمًّا بَغَمًّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَبَكُمْ ۖ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (153) ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (154) إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْأَجْمَعَانِ إِنَّمَا أَصْنَفَكُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (155) يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَّوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۖ وَاللَّهُ يُخَيِّـۤمُ وَيُمِيتُ ۖ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (156) وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (157) وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ (158) فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159) إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِّن بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (160) وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ

يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (161) أَفَمِنْ أَتَّبَعَ
 رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَنَهُ جَهَنَّمَ وَبُئْسَ الْمَصِيرُ (162) هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ
 وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (163) لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ
 يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ
 مُّبِينٍ (164) أَوَلَمْ أَصْـبَحْكُمْ مَّصِيبَةً قَدْ أَصْـبَحْتُمْ مِّثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ
 إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (165) وَمَا أَصْـبَحْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ
 الْمُؤْمِنِينَ (166) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ آدَفَعُوا قَالُوا لَوْ
 نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَنِ يَقُولُونَ بِأَفْوَهِهِمْ مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (167) الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا
 عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (168) وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ
 أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ
 يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (170) *يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ
 مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (171) الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ
 مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ (172) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ
 النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ
 الْوَكِيلُ (173) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهِمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ
 وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (174) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِنْ
 كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ (175) وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا

يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (176) إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (177) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (178) مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِيٰ مِنْ رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۖ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (179) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ ۚ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (180) لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (181) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (182) الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدٌ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (183) فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (184) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۖ فَمَن رُّحِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۖ وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ (185) لَتَبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (186) وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ۖ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ (187) لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا

تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (188) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَلِلَّهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (189) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (192) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَأَمَّا رَبَّنَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (193) رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (194) فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مَّن ذَكَرِ أَوْ أُنْثِيَ بَعْضُكُمْ مِّن بَعْضٍ فَاذْكُرُوا هَاجِرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَرِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقُتِلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (195) لَا يَغْرَتُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (196) مَتَّعَ قَلِيلًا ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (197) لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ (198) وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خُشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (199) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (200) ﴿ صدق الله العظيم

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1. المصحف الشريف، رواية حفص عن عاصم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1437هـ-2016م.

المصادر والمراجع

الكتب العربية

1. ابراهيم ابن منصور التركي، تيسر علم المعاني، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، بريدة. جامعة القصيم، دط، (1434هـ / 2013م)
2. ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر. القاهرة. مصر، د ط، د ت.
3. ابراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط: 5، 1984م
4. ابراهيم أنيس، موسيقى الشعر، دار القلم، بيروت، ط: 04، 1972م.
5. ابراهيم بركات، التأنيث في اللغة العربية، دار الوفاء، المنصورة، ط: 01، 1988م.
6. ابراهيم عمر الجعبري، شرح (تدميث التذكير في التأنيث والتذكير)، شرحها وحققها محمد عامر أحمد حسن ط: 1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط: 1، (1411هـ / 1991م)
7. إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث. المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط: 01، (1424هـ / 2003م).

8. أحلام ماهر محمد حميد، أبنية الأفعال المجردة في القرآن الكريم ومعانيها (دراسة صرفية دلالية)، دار الكتب العربية، بيروت - لبنان، ط1، 2009
9. أحمد ابن تيمية، اقتضاء صراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تح: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت-لبنان، ط7، 1999
10. أحمد المتوكل، الوظيفة والبنية مقاربات وظيفية لبعض قضايا للتركيب في اللغة العربية، مطابع منشورات عكاظ، الرباط، دط، دت.
11. أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تح: عبد الله الصمالي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1999.
12. أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 2005م.
13. أحمد بن حنبل، الحديث في مسند إمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، القاهرة، دط، دت
14. أحمد بن عبد الوهاب النويري شهاب الدين، نهاية الإرب في فنون الأدب، تح: مفيد قميحة، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1، 1423هـ
15. أحمد بن عمر بن محمد نجم الدين الكبرى (ت618هـ)، التأويلات النجمية في التفسير الإشاري الصوفي، تحقيق وتخريج وتعليق ودراسة أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان، دط، 1971.

16. أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، دار أحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط1، 2001.
17. أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر ط1، 1964
18. أحمد حساني، المكون الدلالي للفعل في اللسان العربي، دار المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1993م
19. أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1994م
20. أحمد حسن الزيات، الدفاع عن البلاغة، مطبعة الرسالة، القاهرة، دط، 1945م.
21. أحمد حمد محسن الجبوري، موسوعة أساليب المجاز في القرآن الكريم (دراسة ووصف وتقييم وأمثلة)، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان، ط: 01، 2017م
22. أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، مكتبة الزهراء، القاهرة، دط، دت.
23. أحمد سليمان أبكر، التشبيهات في القرآن الكريم (من سورة البقرة إلى سورة الكهف)، دار الخليج للنشر والتوزيع، ط: 01، 2023م.
24. أحمد شايب، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط: 6، 1966م

25. أحمد عبد الستار الجوّاري، نحو التيسير (دراسة ونقد منهجي)، مطبعة المجمع العلمي، العراق، دط، (1404هـ / 1984م)
26. أحمد غالب النوري الخرشة، أسلوبية الانزياح في النصّ القرآني، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط: 1، (1435هـ / 2014م).
27. أحمد كشك، من وظائف الصوت اللغوي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2006..
28. أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، دط، (1418هـ / 1997م).
29. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، مصر، ط5، 1998
30. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب للنشر، القاهرة-مصر، ط: 1، 2008م.
31. أسامة عبد العزيز جاب الله، جماليات التّلوين الصوتي في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث . إربد .الأردن، ط: 01، 2013م
32. أبو اسحاق ابراهيم السّري الزجّاجي، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده الشلبي، دار الحديث، القاهرة، ط: 02، 1997م
33. أبو اسحاق أحمد بن محمد النيسابوري، الكشف والبيان، تح: أبو محمد ابن عاشور، دارالأحياء التراث العربي، بيروت، ط: 01، 2002م

34. أسعد أحمد العلايلي، تهذيب المقدمة اللغوية، دار السؤال للطباعة والنشر، دمشق، ط: 03، 1985.
35. اسماعيل حقي البروسوي، روح البيان في تفسير القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 2008.
36. ابن أبي الإصبع المصري، بديع القرآن، تح: حنفي محمد شرف، نهضة مصر للنشر، د ط، دت
37. آلاء محمد حسن، بلاغة الخطاب في الزهراوين (سورة البقرة وآل عمران)، دار غيداء للنشر والتوزيع. عمان-الأردن، ط: 01، 2015م.
38. الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم السبع المثاني، ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط 1، 1994
39. الإمام عبد الله بن عبد الرحمن الدرامي، سنن الدرامي، تح: حسين سليم، دار الكتاب العربي، بيروت، دط، دت.
40. أمين بكري شيخ، التعبير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط 1، 1973م.
41. أيوب بن موسى الحسيني القزيمي الكفري أبو البقاء الحنفي، الكليات في معجم الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، د ط، د ت
42. بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، منشورات جامعة طرابلس، ط: 01، 1977م

43. أبو البركات علد الله بن أحمد بن محمود النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، تح: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1998
44. بركة بسام، علم الأصوات، مركز الإنماء القومي، بيروت، د ط، دت.
45. برهان الدين أبو حسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، ط:1، 1969م
46. بسام بركة، علم الأصوات العام، مركز الإنماء القومي، بيروت، دط، دت.
47. البغوي، تفسير البغوي "معالم التنزيل"، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، دط، 1409هـ
48. أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، التبيان في إعراب القرآن، تح: علي محمد البجاوي، دار عيسى البابي الحلبي وشركاه، دب، دط، 1976
49. أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب، تح: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، ط:2009، 1
50. بكار حسين يوسف، بناء القصيدة في النقد العربي القديم، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط:4، 1982م.
51. بكر بن الطيّب الباقلاني، إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف . مصر. ط: 03، دت
52. أبي بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الراسم للدعاية والإعلان، جدة، ط:03، (1410هـ / 1990م).

53. أبي بكر محمد بن السري بن شهل النحوي المعروف بابن السراج، الأصول في النحو،
تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 03، (1417هـ / 1996م)
54. أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، المذكر والمؤنث، تح: طارق الجنابي، دار الرائد
العربي، بيروت، ط: 02، 1986م.
55. بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد (علم البيان)، دار العلم للملايين،
بيروت، ط: 01، 1985م
56. بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري، تسهيل شرح ابن عقيل لألفية
ابن مالك في النّحو، تقديم: حسني عبد الجليل يوسف، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع
القاهرة. مصر، ط: 01، (1421هـ / 2001م).
57. ابن التّستري الكاتب، المذكر والمؤنث، تح: أحمد عبد الحميد هريري، مكتبة الخانجي
بالقاهرة، دار الرفاعي الرياض، ط: 1، (1403هـ / 1983م).
58. تمام حسان، الأصول دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب النحو- فقه اللغة
– البلاغة، عالم الكتب، مصر، ط 1، 2000
59. تمام حسان، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية في النص القرآني، عالم
الكتب، القاهرة، ط: 01، (1413هـ / 1993م)
60. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، دط،
1994م

61.توفيق أسعد، صيغة أفعال ودلالاتها في القرآن الكريم، منشأة المعارف، الإسكندرية،

الكويت، 1990م

62.ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة

المنورة - السعودية، دط، 2004

63.أبي جعفر محمد بن جرير الطّبري، تفسير الطّبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي

القرآن، تح وضبط: بشار عواد معروف وعصام فارس الحرساني، مؤسسة الرسالة،

بيروت، ط1، 1415هـ-1994م

64.جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي (849هـ/911م)، الأشباه والنظائر في

النحو، دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، د ط، د ت

65.جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي (849هـ/911م)، الإتيقان في علوم

القرآن، تقديم وتعليق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع،

دمشق- بيروت، ط:04، (1420هـ/ 2000م)

66.جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تح:

أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان، ط:01، 1988م

67.جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع،

تح وشر: عبد السلام محمد هارون وعبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت،

دط، (1413هـ/ 1992م).

68. جلال الدين محمد عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد الخطيب القزويني (ت739هـ)، الايضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، وضع حواشيه: ابراهيم شمس الدين، دارالكتب العلمية . بيروت . لبنان، ط:01، (2003م/ 1424هـ)
69. جميل أحمد ظفر، النحو القرآني (قواعد وشواهد)، فهرسة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، مكة المكرمة، ط: 2، (1418هـ/ 1998م).
70. جميل حمداوي، الاتجاهات الأسلوبية، الألوكة للنشر والتوزيع، دب، ط:1، 2015م.
71. الجميلي ابراهيم جنداري جمعة، الموقف الأدبي: الإيقاع في القصة القرآنية، اتحاد كتاب العرب، سوريا، 2002م، ص:16.
72. جورجى شاهين عطية، سلم اللسان في الصرف والنحو والبيان، دار ریحاني للطباعة والنشر، بيروت، ط: 04، دت
73. ابن الجوزي، زاد الميسر في علم التفسير، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2002.
74. جوزيف ميشال شريم، دليل الدراسات اللغوية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط:2، 1987م.
75. أبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي (ت266هـ)، الزينة في الكلمات الاسلامية، عارضه بأصوله وعلق عليه: حسين بن فيض الله الهمداني الرازي اليعبري الحرازي، مطبعة الرسالة، القاهرة، ط: 02، 1958م

76. ابن أبي حاتم الرازي، تفسير القرآن العظيم مسندًا عن الرسول صلى الله عليه وسلم
والصحابه والتابعين، تح: أحمد بن عبد الله العمري الزهراني وحكمت بن بشير بن
ياسين، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1439.
77. حازم القرطاجني، منهج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار
الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 2، 1981م.
78. أبو حامد بهاء الدين أحمد بن علي السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح،
ضمن شروح التلخيص، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان، دت
79. حامد عوني، المنهاج الواضح للبلاغة، مكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، دط، 2010م
80. حسن الطبل، المعنى في البلاغة العربية، دار الفكر العربي - مصر- القاهرة، ط: 01،
(1412هـ / 1998م).
81. الحسن بن قاسم المرادي، الجني الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة، محمد
نديم فاضل ، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان ، ط: 01، (1413هـ / 1992م).
82. حسن طبل، حول الإعجاز البلاغي للقرآن (قضايا ومباحث)، مكتبة الإيمان بالمنصورة،
أمام جامعة الأزهر، ط: 01، 2005م
83. حسن عبد الكريم، الموضوعية البنيوية (دراسة في شعر السياب)، المؤسسة الجامعية
للدراسات والنشر والتوزيع . بيروت . لبنان، ط: 01، 1983م
84. حسن عبيد، الحذف بين النحويين والبلاغيين (دراسة تطبيقية)، دار الكتب العلمية .
بيروت . لبنان، دط، دت.

85. أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1994.
86. أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المخصص، تح: ليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1996.
87. أبي الحسن علي بن سليمان بن أسعد التميمي البكيلي، كشف مشكل في النحو، تح: يحي مراد، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان، د ط، 2004م.
88. أبي الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي ابن عصفور الأشبيلي (ت669هـ)، شرح الجمل الزجاجة، ووضع حواشيه وفهارسه: فواز الشّعار، دار الكتب العلمية . بيروت-لبنان، ط:01، (1419هـ / 1998م).
89. حسن مصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، إيران، ط1، 2000.
90. حسين الرفايعة، العدول عن المطابقة في العربية، دار جرير، عمان، ط1، 2011.
91. حسين جمعة، في جمالية الكلمة (دراسة جمالية بلاغية نقدية)، دار مؤسسة رسلان - دمشق -سوريا، دط، 2011م.
92. حسين عبید الشّمري، صورة الآخر في الخطاب القرآني (دراسة نقدية جمالية)، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان، ط: 01، 2008م.
93. أبو حسين غازي محمود ، تقريب مسائل النحو المهمة شواهد وتطبيقات من الكتاب والسنة وفصيح الشعر، مكتبة مركز الإمام الألباني، الأردن، دط، 2020.

94. أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1991.
95. أبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، تح وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان، ط: 1، (1419هـ / 1998م).
96. حمدي بخيث عمران، سورة الفاتحة دراسة تأصيلية في اللغة والتفسير، أصوات للدراسات والنشر، دط، 2018م.
97. حنا نصر الحتي، قاموس الأسماء العربية والمعربة وتفسير معانيها، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط3، 2003.
98. أبو الحيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان، ط: 04، (1438هـ / 2017م).
99. خالد عبد الله الأزهرى، شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2000
100. خالد قاسم، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن، علم الكتب الحديث، عمان-الأردن، ط1، 2006.

101. ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، تح وشرح: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، القاهرة، ط:03، (1399هـ / 1979م)
102. خديجة الحديثي، أبنية الصرف في كتاب سيبويه معجم ودراسة، منشورات مكتبة النهضة بغداد، بغداد، ط:01، (1385هـ / 1965م)
103. ابن خلدون، المقدمة، دار ابن هيثم، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط:1، (1426هـ / 2005م).
104. خليل أحمد عمايرة، أسلوبا النفي والاستفهام في العربية في منهج في تحليل اللغوي، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1، 1987
105. خليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تح: ابراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، بغداد، د ط، د ت
106. الدين زاده محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجاوي الحنفي، تفسير القاضي البيضاوي، ضبطه وصححه محمد عبد القاهر شاهين، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان، ط: 01، (1419هـ / 1999)
107. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت . لبنان، د ط، د ت
108. الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ضبطه وصحّحه: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، د ط، (1425هـ / 2004م).

109. رجاء عيدة، البحث الأسلوبي (معاصرة والتراث)، دار المعارف، مصر، ط: 01، 1993م.
110. رشيد عبد الرحمن عبيدي، مباحث علم اللغة واللسانيات، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 2002.
111. رمضان عبد التّواب، التّطور اللغوي مظاهره وعلمه وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 03، (1417هـ/1997م).
112. رمضان عبد التّواب، التّطور النحوي في اللغة العربية، محاضرات ألقاها في الجامعة المصرية سنة 1929م، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، 1982م.
113. أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، معاني القرآن، تح: أحمد يوسف النجاتي وآخرون، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، ط1، دت.
114. زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط: 01، (1402هـ/1982م)
115. أبوزيد أحمد، التناسب البياني في القرآن، مطبعة النّجاح الجديدة، الدار البيضاء، د ط، 1970م
116. سالم عبد الرب السلفي، البنى الأسلوبية في شعر الغربة، دار المجد للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2018.
117. سامي محمد عباينة، التفكير الأسلوبي، عالم الكتب الحديثة، إربد، ط: 02، 2010م.

118. سعد مصلوح، الأسلوب (دراسة لغوية إحصائية)، عالم الكتب، القاهرة، ط:03، (1416هـ / 1996م).
119. أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار احياء التراث العربي، بيروت- لبنان، دط، 2007.
120. سليمان بن عبد القوي، الطوفي، الإكسير في علم التفسير، تح: عبد القادر حسين، دارالأوزاعي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1، 1989.
121. أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي الخطابي، بيان إعجاز القرآن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، دار المعارف بمصر، ط3، 1982.
122. السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح، محمد معوض وآخرون، دارالكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1994.
123. سيويه، الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1407هـ-1988.
124. السيد خضر، فواصل الآيات القرآنية - دراسة بلاغية دلالية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، (1420هـ / 2000م).
125. سيد قطب، التّصوير الفني في القرآن، دار الشروق. القاهرة ، ط10، 1988م.
126. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط32، 2003.

127. شرف الدين الراجحي، المبني للمجهول وتراكيبه ودلالاته في القرآن العظيم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، 1999م
128. الشريف المرتضي بن الحسين الموسوي العلوي، آمالي غرر الفوائد ودرر القلائد، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، ط: 01، (1373هـ / 1954م)
129. شكري عياد، مبادئ علم الأسلوب العربي، درانتروناشيونال للنشر والتوزيع، القاهرة، ط: 01، 1988م.
130. شكري عياد، مدخل إلى علم الأسلوبية، مطبعة أصدقاء الكتب، القاهرة، ط: 3، 1996م.
131. شكري عياد، موسيقى الشعر العربي، دار المعرفة، القاهرة، ط: 02، 1978م.
132. شكري عياد، اتجاهات البحث الأسلوبي، دار العلوم للطباعة والنشر، السعودية، ط: 01، 1985م.
133. شلتاغ عبود، أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم، دار الحجة البيضاء . بيروت . لبنان، ط: 01، (1424هـ / 2003م).
134. صبح سعيد خلدون، التقديم والتأخير في القرآن الكريم (بلاغ وإبلاغ)، دار الينابيع، مصر، دط، 2002م
135. صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط: 03، 2009م.
136. صبحي صالح، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 10، 1977

137. صفية مطهري، الدلالة الإيحائية للصيغة الإفرادية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2003م.
138. صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وأجراءاته، دار الشروق، القاهرة، ط: 01، (1419هـ / 1998م).
139. ضياء الدين ابن أثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، دط، 1990م.
140. ضياء الدين بن الأثير الجزري، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، تح: مصطفى جواد وجميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي، العراق، دط، (1956م/ 1375هـ).
141. طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية، جامعة الإسكندرية، دط، 1998م.
142. الطيب بكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، تح: صالح القرمادي، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، ط03، 1992م.
143. عائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن، ومسائل ابن الأزرق دراسة لغوية قرآنية بيانية، دار المعارف، ط: 02.
144. أبي العباس أحمد بن محمد بن محمد ابن يعقوب المغربي (ت1128هـ)، مواهب المفتاح في شرح التلخيص، تح: خليل ابراهيم خليل، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان، دط، دت

145. عباس حسن، النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، دار المعارف، مصر، ط: 03، د ت
146. عباس حسن، خصائص الحروف العربية ومعانيها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دط، 1998م.
147. أبي العباس محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1994
148. عبد الحفيظ حسن، المنهج الأسلوبى فى النقد الأدبى، د. دار. دط، 2020.
149. عبد الحق بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير كتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية . بيروت، لبنان، ط: 01، 2002م
150. عبد الحكيم راضي، نظرية اللغة غي النقد العربي (دراسة في خصائص اللغة الأدبية من منظور النقد العرب)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط: 01، 2002م.
151. عبد الحميد جيدة، الاتجاهات الحديثة في الشعر العربي المعاصر، مؤسسة نوفل، بيروت، ط: 01، 1980م.
152. عبد الرحمان بن مصطفى العيدروس الشافعي، رسالتان في الاستعارة والمجاز (الأولى: نتيجة البشارة بمعرفة الاستعارة)، أحمد بن موسى بن داود العروس، وجيزة الإيجاز الموضحة لعلاقات المجاز، تح: السيّد محمد سلام، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان، دط، دت

153. عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبو زيد الثعالبي المكي، تفسير الثعالبي المسمى الجواهر الحسان في تفسير القرآن، دار احياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط1، 1997
154. عبد الرحمن بن ناصر السَّعدي (1307هـ/1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، قدّم له فضيلة الشيخ عبد الله عبد العزيز بن عقيل، وفضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين، اعتنى به تحقيقا ومقابلة عبد الرحمان بن معلّ اللّويحق، مؤسسة الرسالة. بيروت. لبنان، ط:1، (1423هـ/2002م).
155. عبد الرحمن حسن الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، بيروت، ط:1، (1416هـ/1996م)
156. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، أمثال القرآن وصوره في أدبه الرفيع، دار القلم، دمشق، ط2، 1992
157. عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط:03، دت.
158. عبد العزيز بن صالح العمار، التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن دراسة بلاغية تحليلية، سلسلة جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط:01، (1500هـ/2007م).
159. عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية . بيروت . لبنان، ط: 01، (1430هـ/2009م)
160. عبد العزيز قاسم محمد الطائي، مبادئ اللغة العربية وأحكام علمي النحو والصرف (مرشد لغوي عربي ميسر لطلاب الدراسة الثانوية فما فوق)، دار الكتب العلمية . بيروت. لبنان، دط، دت.

161. عبد العظيم ابراهيم محمد المطعني وعلي جمعة، دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم (دراسة تحليلية)، مكتبة وهبة، القاهرة، ط: 01، (1462هـ / 2005م)
162. عبد العظيم ابراهيم محمد المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط: 03، (1432هـ / 2011م)
163. عبد العظيم ابراهيم محمد المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة. العابدين. القاهرة، ط: 01، (1413هـ / 1992م).
164. عبد الغفور زين الدين المليباري، النحو العربي (النواحي الوظيفية والدلالية)، دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان، 2022م.
165. عبد الفتاح لاشين، بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار (وأثره في الدراسات البلاغية)، دار الفكر العربي، مصر، دط، دت.
166. عبد الفتاح لاشين، من أسرار التعبير في القرآن (صفاء الكلمة)، دار المريخ للنشر، الرياض، ط: 03، 1983م.
167. عبد القادر بن شيبه الحمد، تهذيب التفسير وتجريد التأويل، ممّا ألحق من الأباطيل وردىء الأقاويل، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1993
168. عبد القادر حسين، فن البلاغة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط: 01، 1973م
169. عبد القادر عبد الجليل، هندسة المقاطع الصوتية والموسيقى الشعر العربي (رؤية لسانية حديثة)، دارالصفاء. عمان- الأردن، ط: 01، 1998م

170. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط:01، 1988
171. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح وشر: محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة القاهرة، دط، 1397هـ-1977م.
- ¹⁷² عبد اللطيف محمد الخطيب، المستقصى في علم التصريف، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط:1، (1434هـ / 2003م)
173. عبد الله العلايلي، مقدمة الدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد، المطبعة العصرية، مصر، دط، 2016.
174. أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهارد الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، دارالمعرفة، بيروت، 1391هـ
175. عبد الله بن أحمد بن محمود النسقي (710هـ)، تفسير النسقي المسقى مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان، دط، دت
176. عبد الله بن صالح الفوزان، دليل السالك إلى ألفية ابن مالك، دار المسلم للنشر والتوزيع، مصر، ط2، 1999
177. عبد الله خضر ثير داود، الانزياح التركيبي في النص القرآني (دراسة أسلوبية)، دروب للنشر والتوزيع، دط، دت.

178. عبد الله خضر حمد، قراءات أسلوبية في الشعر الجاهلي، دار الأكاديميون . أربيل . العراق، دط، دت .
179. أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع الأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السّنة وآي الفرقان، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط:1، (1424هـ / 2006م).
180. أبي عبد الله محمد بن اسماعيل ابن ابراهيم الجعفي البخاري، صحيح البخاري ،كتاب تفسير سورة آل عمران، دار البشري للطباعة والنشر، ددر، دط، 1437هـ- 2016م.
181. عبد المنعم سيد عبد العال، جموع التّصحیح والتّكسير في اللغة العربية، مكتبة الخانجي بالقاهرة، د ط، دت.
182. عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1999
183. أبي عثمان بن بحر الجاحظ، كتاب الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، ط: 02، (1384هـ / 1965م)
184. ابن عجيبة الحسني، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (دراسة لغوية نحوية)، تح: محمد ضياء الدين خليل ابراهيم، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان، دط، دت
185. عدنان بن ذريل، اللغة والأسلوب، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 1989م.

186. عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، دار الكتب، القاهرة، دط، دت.
187. أبو العرفان محمد بن علي الصّبان الشافعي، حاشية الصّبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، ضبطه وصحّحه وخرج شواهد: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان، دط، دت.
188. عز الدين اسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي عرض وتفسير ومقارنة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1974.
189. عز الدين بن أبي بكر بن عبد العزيز ابن جماعة، حاشية على شرح الجاربردي على الشافية في الصرف، دار الطباعة العامرة، لبنان، ط1، 1310هـ.
190. عز الدين علي مختار علي، أسلوب النفي وأدواته ودلالاته، كلية الآداب، السودان، ط2، 2011.
191. عز الدين محمد الكردي، التقديم والتأخير في القرآن الكريم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، دط، 2007.
192. عزت آغا ملك، الأسلوبية من خلال اللسانية، الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت . لبنان، ع: 38، 1986م.
193. عزيز فوّال بابتي، المعجم المفصل في النحو العربي، دار الكتب العلمية . بيروت، لبنان، ج:1، د ط، د ت

194. عشتار داود، الأسلوبية والشعرية (قراءة في شعر محمود حسن اسماعيل)، دار مجدلأوي، عمان، ط: 01، (1428هـ / 2007م).
195. ابن عصفور الأشبيلي، الممتع في التصريف، تح: فخر الدين قباد، دار المعرفة، بيروت. لبنان، ط: 01، (1407هـ / 1987م)
196. علي أبو المكارم، الحذف والتقدير في النحو العربي، دار غريب . مدينة نصر. القاهرة، دط، 2007م
197. علي أبي قاسم عون، بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2006م
198. علي الجازم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة في البيان والمعاني والبديع مع الدليل، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت-لبنان، ط2، 2019
199. أبي علي الحسن ابن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تح: النبوي عبد الواحد الشعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 01، (1420هـ / 2000م)
200. علي بن عيسى الرُّماني، التّكت في إعجاز القرآن . ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز ، تح: محمد زغلول سلام ومحمد خلف الله، دار المعارف - مصر، ط: 02، 1968
201. علي بن عيسى الرُّماني، معاني الحروف، حققه وخرج حديثه وعلّق عليه عرفان بن سليم العشا حسونة الدمشقي، المكتبة العصرية، بيروت . لبنان، دط، دت
- ²⁰² علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني (816/740هـ)، التعريفات، حققه وقدّم له ووضع فهرسه: إبراهيم الأبياري، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1983.

203. علي محمود النابى، الكامل في النّحو والصرف الكتاب الثاني الصّرف، دار الفكر العربي، القاهرة، ط:01، (1425هـ / 2004م)
204. عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدّمشقي، تفسير القرآن الكريم، تح: مصطفى السيّد محمد، محمد فاضل العجماوي، محمد السيد رشاد، علي أحمد عبد الباقي، حسن عبّاس قطب، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ط:1، (1424هـ / 2000م)
205. عمران اسماعيل فينور، أساليب المحاورّة في القرآن الكريم، تح: طالب محمد اسماعيل، دار زهران للطباعة والنشر والتوزيع . عمان . الأردن، ط: 01، (1431هـ / 2010م)
206. أبو عمرو بن بحر الجاحظ، مجموع رسائل الجاحظ، جمع وتعليق: محمد طه الحاجزي، دار النهضة العربية . بيروت، ط1، 1982م
207. غالب فاضل المطلبي، لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، منشورات وزارة الثقافة والفنون العراقية، 1978م.
208. غسان بن خلف، روائع التبيان في استعارات القرآن (دراسة تطبيقية في أمثلة من الاستعارات القرآنية)، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1، 2018
209. فاضل صالح السامرائي، أسرار البيان في التعبير القرآني، محاضرة ألقاها ضمن فعاليات جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، 2002
210. فاضل صالح السامرائي، معاني النّحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . عمان. الأردن، ط: 1، (1420هـ / 2000م)

211. فاضل مصطفى الساقى، أقسام الكلام العربي (من حيث الشكل والوظيفة)، تقديم: تمام حسان، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، (1397هـ/1977م)
212. الفتح لأشين، البيان في ضوء أساليب القرآن، دار الفكر العربي، مدينة نصر- القاهرة، ط: 02، (1418هـ/ 1998م)
213. فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية . مدخل نظري ودراسة تطبيقية، مكتبة الآداب، القاهرة، د ط، 2004م.
214. أبي الفتح عثمان ابن جني (ت392هـ)، الخصائص، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م، ط: 01.
215. أبي الفتح عثمان ابن جني، المنصف في شرح كتاب التصريف، تح: ابراهيم مصطفى، عبد الله أمين، القاهرة، 1954
216. أبي الفتح عثمان ابن جني، سر صناعة الإعراب، دار القلم، دمشق، ط1، 1993
217. فتحي الديري، المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي التشريع الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 03، (1434هـ/ 2013)
218. فتيحة غلام، جماليات الدلالة والسياق في النص القرآني (المحاولة في التنظير والتطبيق)، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، ط: 01، 2024.
219. فخر الدين الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تح: بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 02، 1985م

220. فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، دت.
221. فرحان بدوي، الأسلوبية في النقد الغربي الحديث، مجد المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، دط، دت.
222. فريد عوض حيدر، فصول علم الدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط3، 2011
223. الفضل بن الحسن طبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2005
224. فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، دار الفرقان للطباعة والنشر، مصر، ط: 1، (1409هـ / 1989)
225. أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، أساس البلاغة، دار صادر، بيروت- لبنان، دط، 1979.
226. أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ضبطه وصححه ورتبه مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث، القاهرة، دار الكتاب العربي . بيروت . لبنان، ط: 3، (1407 هـ / 1987م).
227. أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، المفصل في صناعة الإعراب، تح: محمد وحسن محمد عبد المقصود، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط: 01، (1421هـ/2001م).

228. أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الأوسط، تح: طارق بن عوض الدين محمد، أبو الفضل عبد المحسن ابراهيم الحسيني، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، دط، (1038هـ/ 2293هـ).
229. قيس اسماعيل الأوسي، أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، مكتبة الوطنية، بغداد، دط، 1988م
230. ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، تح: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، دط، 1425هـ
231. الكريم خطيب، إعجاز القرآن في دراسات السابقين دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها، دار الفكر العربي، مصر، ط1، 1974
232. كريم زكي حسام الدين، التحليل الدلالي (إجراءاته ومناهجه)، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2000
233. كمال الدين أبي البركات عبد الرحمان بن أبي سعيد الأنباري، أسرار العربية، تح: بركات يوسف هبُود، شركة دار الأرقم أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، ط: 01، (1420هـ/ 1999م)
234. كمال الدين أبي البركات عبد الرحمان بن أبي سعيد الأنباري، الإنصاف في المسائل الخلاف، تح: مازن المبارك - دار الفكر - دمشق-، ط: 01، 1988م
235. كمال الدين أبي البركات عبد الرحمان بن أبي سعيد الأنباري، البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، تح: رمضان عبد التواب، مطبعة دار الكتب، دط، 1970

236. كمال الدين محمد بن معين الدين الفسوي (ت1134م)، شرح شافية ابن الحاجب،
تح: محمد محمود محمد صبري الجبة، دارالكتب العربية . بيروت . لبنان، ط1، دت.
237. كمال بشر، الدراسات في علم اللغة، دارالمعارف، القاهرة . مصر، ط:9، 1986م
238. كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط: 01،
2000م.
239. كمال محمد زرنديخ، أسس الدرس الصرفي في العربية، دار المقداد، فلسطين،
ط:04، (1428هـ/2007م)
240. لهود بن محكم الهواري، تفسير كتاب الله العزيز، تح: الحاج بن سعيد شريفي، دار
الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط1، 1990.
241. مازن المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر، بيروت، دط، 1960.
242. مأمون نصري الشيخ البزورية، محل النفي وأثره في الاختلاف الفقهاء والأصوليين
(دراسة تأصيلية مقارنة مقاصدية)، دارالكتب العلمية، بيروت-لبنان، دط، 2020
243. ماهر مهدي هلال، جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب،
دار الرشيد للنشر، العراق، دط، 1980.
244. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب
العزيز، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، دط، 2008.
245. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، قاموس المحيط، دار الحديث،
القاهرة، دط، 2008

246. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط1، 1976
247. محمد ابراهيم شادي، البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، مطبعة الرسالة، سوريا، ط:1، (1409هـ / 1988م)
248. محمد أبو موسى، دلالة التركيب (دراسة بلاغية)، دار العلم، القاهرة، ط: 01، 1979م
249. محمد أحمد زهير، أسلوب الأمر في سورة البقرة . دراسة أسلوبية، حوليات آداب عين الشمس، مج 38، 2010.
250. محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، إشراف ومراجعة: هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة . بيروت . لبنان، ط:01، (1421هـ / 2001م)
251. محمد الحسن اوي، الفاصلة في القرآن، دار عمار، عمان، الأردن ط:02، (1421هـ/2000م).
252. محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار المعرفة، بيروت، د ط، د ت
253. محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ط1، 1984.
254. محمد العمري، تحليل الخطاب الشعري البنية الصوتية في الشعر، الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء . ط:01، 1990م.

255. محمد العياشي، نظرية إيقاع الشعر العربي، المطبعة العصرية، تونس، دط، 1985م
256. محمد الغمومي، نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط:1، 1999م.
257. محمد الناصر لدين الله بن محمد الزمّري الكتاني الحسني، قبسات في علوم القرآن الكريم وشرح المختار من أي الذكر الحكيم، اعتنى بجمعه وطبعه أسامة الناصر الشريف الكتاني، مراجعة وتقديم على أبو العلى، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، دط، دت.
258. محمد الهادي الطرابلسي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، منشورات الجامعة التونسية، تونس، دط، 1992م
259. محمد الهادي الطرابلسي، مظاهر التفكير في الأسلوب عند العرب، ضمن كتاب قضايا الأدب العربي، الجامعة التونسية، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، دط، 1987.
260. محمد بن الحسن الرضي الاسترابادي، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، تح: يوسف حسن عمر، جامعة فارغون، دط، 1978م
261. محمد بن الحسن الرضي الإسترابادي، شرح شافية ابن الحاجب، تح: محمد نور الحسن وآخرون، دار الفكر العربي، بيروت-لبنان، ط1، 1975
262. محمد بن الحسين الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، تح: علي محمود مقلّد، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، دط، دت

263. محمد بن صالح العثيمين، تفسير ابن العثيمين (تفسير القرآن الكريم)، دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 2004
264. محمد بن علي ابن نور الدين، كتاب الاستعداد لرتبة الاجتهاد، مؤسسة الرسالة العالمية، بيروت، ط1، 2007
265. محمد بن محمد بن جزري، النشر في القراءات القرآنية، تح: علي محمد الضياع، المكتبة التجارية الكبرى . القاهرة . مصر، د ط، د ت
266. محمد بن يحيى، السمات الأسلوبية في الخطاب الشعري، عالم الكتب الحديث . إربد . الأردن، ط:1، (1432هـ . 2011م).
267. محمد جابر فياض، الكناية، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة-السعودية، ط1، 1989.
268. محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، منشورات جامعة القدس المفتوحة . عمان . الأردن، ط:01، 1996م.
269. محمد حسن الشريف، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 01، 1996م.
270. محمد حسن باجودة، تأملات في سورة آل عمران، دار البلاد، مصر، دط، 1989.
271. محمد حسن جبل، المعجم الاشتقاقي لألفاظ في القرآن الكريم، كتبة الآداب، القاهرة، ط:01، 2010م.

272. محمد حسين سلامة، الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، دار الأفاق العربية . مدينة نصر. القاهرة، ط: 01، (1423هـ / 2002م).
273. محمد حماسة عبد اللطيف، في بناء الجملة العربية، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، دط، 2003م.
274. محمد سعد محمد، في علم الدلالة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط2، 2002.
275. محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم . تفسير سورة آل عمران، دار المعارف، القاهرة، دط، دت.
276. محمد صالح الضالع، الأسلوبية الصوتية، دار غريب للطباعة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط: 1، 2002م.
277. أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، تح: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ميدان الأزهر، د ط، (1372هـ / 1952م)
278. أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، دط، دت
279. أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، أدب الكاتب، تح: محمد الدالي، دار صادر، بيروت-لبنان، دط، (1387هـ / 1967م).
280. أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد الأنصاري، شرح شذوذ الذهب في معرفة كلام العرب، دار الطلائع . مدينة نصر. القاهرة، د ط، د ت

281. أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد الأنصاري، شرح قطر الندى وبل الصدى، تح: ايميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان، ط:08، (1439هـ / 2024م).
282. محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم (نظرات جديدة في القرآن)، اعتنى وخرج أحاديثه، عبد الحميد الدخاخي، دار طيبة للنشر والتوزيع . الرياض . السعودية، ط: 01، (1417هـ / 1997م).
283. محمد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، مكتبة لبنان، لبنان، دط، دت.
284. محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، ط1، 1994م.
285. محمد عبد المطلب، هكذا تكلم النص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، القاهرة . 1997.
286. محمد عبد المنعم الخفاجي، الأسلوبية والبيان العربي، الدار المصرية اللبنانية، مصر، ط:1، 1992م.
287. محمد عزام، الأسلوبية منهجا نقديا، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط:1، 1989م.
288. محمد علي التّنهاوي، كشف اصطلاحات العلوم والفنون، تقديم: رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط:01، 1996م.

289. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الصابوني للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1997.
290. محمد فتح الله الغير، الخصائص النطقية والفيزيائية للصوامت الرنينية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط:01، 2008م.
291. محمد قطب عبد العال، من جماليات التصوير في القرآن الكريم، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، دط، 1990.
292. محمد كريم الكواز، الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ط:1، 1426م.
293. محمد كريم الكواز، علم الأسلوب مفاهيم وتطبيقات، منشورات جامع السابع من أبريل، الجماهيرية العربية الليبية، ط1، 1426هـ
294. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، الكويت، ط1، 2001.
295. محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط: 03، يوليو 1992م.
296. محمد مفتاح، دينامية النص، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، ط 03، 1990م.
297. محمد نور الدين المنجد، اتساع الدلالة في الخطاب القرآني، تقديم: سعيد الأيوبي، دار الفكر، دمشق، ط1، 2010.

298. محمود أحمد نحلة، دراسات قرآنية في جزء عم، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، دط، 1988م.
299. محمود السيد شيخون، أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، دت.
300. محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى (ت500هـ)، أسرار التكرار في القرآن، تح: أحمد عز الدين وعبد الله خلق الله، دار صادر، بيروت - لبنان، ط: 02، (1417هـ / 1996م).
301. محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى، البرهان في توجيه متشابه القرآن، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1982.
302. محمود سمران، علم اللغة (مقدمة القارئ العربي)، دار النهضة العربية، بيروت، دط، دت.
303. محمود عبّود زوين، الدعاء في القرآن الكريم، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان، دط، 2002م.
304. محي الدين درويش، إعراب القرآن وبيان معانيه، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، سوريا، ط4، 1415هـ.
305. أبو مسجل الأعرابي، النوادر، تح: عزة حسن، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1961م.
306. مسعود بودوخة، الأسلوبية والبلاغة العربية: مقارنة جمالية، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، دط، 2016.

307. مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية (موسوعة في ثلاثة أجزاء)، راجعه وحققه: عبد المنعم خفاجة، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ط: 30، (1414هـ/1994م).
308. مصطفى جمال الدين، البحث النحوي عند الأصوليين، دار الهجرة، إيران، ط: 2، 1405هـ.
309. مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط: 1، 1977.
310. مصطفى شعبان المصري، من الإعجاز اللغوي في القرآن (دراسة لغوية أسلوبية في مناسبة اللفظ لسياق الحال)، تقديم: عبده الراجحي، الكتب الجامعي الحديث، القاهرة، ط: 1، 2012م.
311. مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: 8، 2005.
312. مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي . بيروت . لبنان، ط: 1، 2003م.
313. مصطفى عبد السلام أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، دت.
314. منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط: 1، 1990م.

315. أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تح: أحمد عبد العليم البردوني،
مر: علي محمد البجاوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د ط، د ت.
316. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت-لبنان، د ط، د ت.
317. منير سلطان، الفصل والوصل في القرآن الكريم-دراسة في الأسلوب، دار نشأة
المعارف، الإسكندرية - مصر، ط: 02، 1997م
318. منير محمود المسيري، دلالات التقديم والأخير في القرآن الكريم (دراسة تحليلية)،
مكتبة وهبة، القاهرة، ط: 01، (1426هـ / 2005م)
319. منيرة محمد ناصر الدوسري، رسائل جامعية (أسماء سور القرآن وفضائلها)، تقديم:
فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية،
ط: 01، 1426م.
320. مهدي المخزومي، في النحو العربي (نقد وتوجيه)، دار الرائد العربي، بيروت، ط: 02،
(1406هـ / 1986م)
321. المهندس مثني محمد هبيّان، من روائع البيان في سور القرآن، دار الفكر. بيروت-
لبنان، د ط، (1435هـ / 1436هـ / 2004م)
322. موسى سامح ربابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، دار الكندي للنشر والتوزيع. إربد
الأردن، ط: 01، 2003م.

323. موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي الموصلي ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري، قدمه ووضع هوامشه وفهارسه: ايميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان، دط، 1971
324. ناصر الدين بن أبي سعيد عبد الله عمر بن محمد الشيرازي (ت791هـ)، أسرار التّأويل أسرار التّأويل المسمى تفسير البيضاوي، حققه وعلقه عليه وخرج أحاديثه وضبطه نصه محمد صبيحي بن حسن حلاق ومحمد أحمد الأطرش، دار الرشيد، دمشق، ط: 01، (1421هـ/2000م).
325. ناصر الدين بن أبي سعيد عبد الله عمر بن محمد الشيرازي، أسرار التّأويل أسرار التّأويل المسمى تفسير البيضاوي، ج: 02
326. ناصر بن عبد الرحمان بن ناصر الحنين، النظم القرآني في آيات الجهاد، مكتبة التوبة، الرياض ط: 10، 1996م.
327. نبيل خالد أبو علي، البحث الأدبي واللغوي طبيعته . مناهجه . إجراءاته، مكتبة المركز الدول، غزة، ط: 03، 2021م.
328. أبو النصر اسماعيل بن حماد الفارابي الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 02، (1407هـ/1987م)
329. نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، دط، دت

330. نعمة هادي الساعدي، القرآن الكريم والعقلية العربية، دار الهدى، إيران، ط1، 1424هـ
331. نعيم اليافي، قواعد تشكل النغم في موسيقى القرآن، اتحاد الكتاب العرب، سوريا، 1984
332. نور الدين السّد، الأسلوبية وتحليل الخطاب (دراسة في النقد العربي الحديث)، دار هومة للطباعة. الجزائر، 2010.
333. نور الدين السّد، معجم مصطلحات الأدب، تح: مجدي وهبة، مكتبة لبنان. بيروت. لبنان، ط:1، 1972م.
334. نور الدين علي بن سلطان الهروي الملكي الحنفي الشهير بالملّا علي القارئ (ت1014هـ)، دار تفسير الملا على القاري المسمى (أنوار القرآن وأسرار الفرقان)، الكتب العلمية. بيروت. لبنان، دط، دت
335. الهادي الجطلاوي، مدخل إلى الأسلوبية، عيون المقالات، الدار البيضاء-المغرب، ط:1، 1992م.
336. هادي نهر، الصرف الوافي (دراسات وصفية تطبيقية)، عالم الكتب الحديث. إربد. الأردن، ط:01، 2010م
337. هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة العلوي (450هـ/542هـ)، أمالي ابن الشجري، مطبعة المدني. القاهرة. مصر، ط:01، (1413هـ/1992م)

338. ابن هشام الأنصاري جمال الدين، المغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط6، 1985
339. أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تح: علي محمد الباجوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، بيروت-لبنان، ط1419، 2هـ
340. والخازن، تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل، ضبطه وصححه: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2004.
341. وفيق مصطفى الشعيبي، أساليب التوكيد في القرآن الكريم، دار الفلاح . عمان-الأردن ، دط ، 2008م
342. وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج دار الفكر المعاصر، بيروت-لبنان ، ط1، 1991
343. يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم اليمنى العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، راجعه وضبطه ودققه محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: 1، (1415هـ / 1995م)
344. أبي يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت626هـ)، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان، ط: 01، (1403هـ / 1973م)
345. يوسف أبو العدوس، الاستعارة في النقد الأدبي الحديث (الأبعاد المعرفية والجمالية)، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ط: 1، 1997.

346. يوسف أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار المسيرة للنشر والتوزيع . عمان
الأردن، ط:01، (1427هـ / 2007م).

347. يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الدار
العربية للعلوم ناشرون، بيروت . لبنان، ط:1، 2008م.

الكتب المترجمة

1. برتيل مالمبرج، علم الأصوات، تر: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، دط،
1985م.

2. بيير جيرو، الأسلوبية، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، سوريا، ط: 1،
1994م.

3. تودروف تزفتان، نظرية المنهج الشكلي نصوص الشكليات الروس، تر: ابراهيم الخطيب
الشركة المغربية للناشرين المتحدين، مؤسسة الأبحاث العربية . بيروت . لبنان، دط،
1982م

4. جورج مونا، مفاتيح الألسنية، تر: الطيب بكوش، مؤسسة سعيدان للطباعة والنشر،
سوسة، دط، 1984م.

5. جون كوهن، بنية اللغة الشعرية، تر: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال . دار
البيضاء . المغرب، ط:01، 1986م.

6. جون لويس كابانيس، النقد الأدبي والعلوم الانسانية، تر: عبد الجليل بن محمد، دار
المعارف، مصر، دط، دت.

7. روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط: 01، (1418هـ/1998م).
8. ريتشاردز "A.Ritcherds"، فلسفة البلاغة، تر: سعيد الغانمي وناصر حلاوي، افريقيا الشرق، المغرب، 2002م، ص: 39.
9. ريمون طحان، الألسنية العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دط، 1980م
10. ساندرس، نحو نظرية أسلوبية لسانية، تر: خالد محمود، المطبعة العلمية، دمشق، ط: 1، 2003م.
11. طاليس أرسطوا، أرسطوا طاليس في الشعر، تر: شكري عياد محمد، دار الكتاب العربي . القاهرة، مصر، 1967م
12. فردينان دي سوسير، محاضرات في علم اللغة العام، تر: يوثيل يوسف عزيز، دار أفاق عربية، بغداد، ط: 01، 1984
13. هنريش ليث، البلاغة والأسلوبية - نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، تر: محمد العمري، دراسات (سال) - بيروت - لبنان، ط: 01، 1989م.

المجلات

1. أحمد بطل وسيخ الموسوي، الاستفهام المجازي وأثره في السياق القرآني (سورة آل عمران أنموذجا)، مجلة الآداب، ع 113م، 2015.
2. أصغر شهبازي، أحمد أميد علي، أثر ظاهرة الحذف البلاغي في اختلاف الترجمات القرآنية، مجلة اللغة العربية وآدابها علمية، مج 14، ع 2، 2018.

3. إنعام الحق الغازي، ناصر محمود، المقطع الصوتي وأهميته في الكلام العربي، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب لاهور، باكستان، العدد: 24، 2017م.
4. حسن عباس، فطرية العربية على موائد علمائها، مجلة (المعرفة السورية)، مج: 36، ع: 407، 1997.
5. حسين إرشيد العظامات، فلسفة المبني للمجهول في العربية، مجلة المنارة، الرباط-المغرب، مج 17، ع 07، 2011.
6. سعد مصلوح، في التشخيص الأسلوبي الإحصائي للاستعارة، تطبيق على أشعار البارودي، مجلة الفكر، تونس، نوفمبر 1984م.
7. عبد الرزاق حسين أحمد، الإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم (مفهومه، أغراضه، عناية المفسرين له)، مجلة كويتية شهرية، ع32، (1433هـ / 2012م).
8. عبد القادر حامد، معاني الماضي والمضارع في القرآن، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ع: 11، 1998م.
9. عبد القادر زين، الأسلوب بين القدامى والمحدثين، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، جامعة الجلفة، مج 5، ع12، 2012.
10. عبد المنعم عبد الله خلف حميد الدليحي، التّوازي في سورة القمر-دراسة أسلوبية-، مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، مج: 2013، ع 30، 2013.
11. عصام صبحي، وأحمد محمد ويس، وظيفة الإنزياح في منظور الدراسات الأسلوبية، مجلة العلامات، ج: 21، م: 06، 1996.

12. علي عبد الواحد وافي، نداء المخاطبين في القرآن وأسراره البلاغية، مجلة كلية اللغة العربية، السعودية، ع: 08، 1978م.
13. عمر بوبقار، ظاهرة الجنس (التذكير والتأنيث) مقارنة لسانية، مجلة الأثر: جامعة قصدي مرباح. ورقلة-الجزائر، مج 11، ع 13، 2012.
14. عمران القيسي، حروف العربية من التصوف إلى التشكيل، مجلة الفكر العربي، ع: 15، يونيو 1980م.
15. فتيحة كحلوش، نظرية الانزياح: من الشجاعة العربية إلى الوظيفة الشعرية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة فرحات عباس. سطيف. الجزائر، ع 43، 2009م.
16. كاصد ياسر الزيدي، الجرس والإيقاع في تعبير القرآن، مجلة آداب الرافدين ع 9، 1978.
17. محمد أحمد الغمراوي، كلمة (قل) في القرآن، مجلة النبوي، مج 15، ع 02، صفر (1370هـ).
18. محمد الهادي الطرابلسي، في منهجية الدراسة الأسلوبية، مجلة الجامعة التونسية، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، نوفمبر 1983.
19. محمد بلوحي، الأسلوب بين التراث البلاغي العربي والأسلوبية الحديثة، مجلة التراث العربي، مج 24، ع 95، أيلول 2004م، رجب 1425هـ..
20. محمد سيد سليمان العبد، من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، ع: 26، 1989م.

21. محمد شاوش، ملاحظات بشأن دراسة تركيب الجملة، مجلة الموقف الأدبي، دمشق- سوريا، ع 136، 1982.
22. محمد صلاح زكي أبو حميدة، أسلوب الاستفهام ودلالاته البلاغية في سورة الصافات "دراسة أسلوبية"، المجلة العربية للعلوم الإسلامية، ع 32، 2014م.
23. المهدي إبراهيم الغويل، جمالية البنية الإيقاعية في القرآن الكريم دراسة في الجزء الأخير من سورة مريم، مجلة الجامعة الأسمرية، ع 21، 2011.
24. مورييس أبو ناصر، مدخل إلى علم الدلالة الألسني، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع 18، 1982م.
25. هلال علي محمود، سورة العاديات . دراسة مقطعية، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، ع: 54، 2009.

الرسائل الجامعية

1. إبراهيم عبد الجعيد، خصائص بناء الجملة القرآنية ودلالاتها البلاغية في تفسير التحرير والتَّنوير، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، (1419هـ / 1999م).
2. إبراهيم عبد الله أحمد عبد الجواد، الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، أطروحة دكتوراه، كلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية، عمان، 1994.
3. أحمد فرجي، التَّقديم والتَّأخير عند النُّحاة وشواهدهما في القرآن الكريم، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة تلمسان، معهد اللغة والأدب العربي، 1993م

4. حارث عادل محمد زيود، بناء الجملة الفعلية بين الإثبات والنفي في سورة آل عمران (دراسة نحوية دلالية)، أطروحة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس-فلسطين، 2008م
5. عامر عبد المحسن السعد، دلالة الاتساق البنائية في التركيب القرآني، أطروحة دكتوراه، جامعة البصرة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، البصرة، 1995م
6. عبد الواحد زيارة اسكندر المنصوري، مستويات النظم في التركيب القرآني، أطروحة دكتوراه، جامعة البصرة، كلية الآداب، البصرة، 1998.
7. مبارك تريكي، النداء في القرآن سورة البقرة نموذجاً، أطروحة دكتوراه، جامعة يوسف خدة، الجزائر، كلية الآداب واللغات، 2007م
8. مسرة جمال، دراسات في المجاز وجماله في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه، جامعة بشاور، كلية الدراسات الإسلامية واللغة العربية، (1313هـ / 1993م)
9. ملك حسن عبد الرزاق، أسرار التنوع في تشبيهات القرآن الكريم، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في البلاغة، قسم الدراسات العليا العربية (فرع الآداب)، المملكة العربية السعودية، 1409هـ/1410هـ
10. مها محسن هزاع البياتي، آيات العدد في القرآن الكريم، أطروحة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، مجلس كلية التربية للبنات في جامعة تكريت، (1424هـ/2003م)

11. وداد مكاوي حمود الشمرس، التّوازي في القرآن، أطروحة دكتوراه، جامعة الموصل،

كلية التربية للبنات .1422هـ

12. وسن عبد الغني مال الله المختار، سورة الكهف دراسة أسلوبية، أطروحة مقدمة

لنيل درجة الماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2000م

فهرس المحتويات

فهرس الموضوعات

شكر وعران

إهداء

مقدمة: أ

مدخل: الأسلوبية واجراءاتها النظرية والمنهجية ودراساتها النقدية

1- الأسلوب: 7

1-1- مفهوم الأسلوب: 7

1-2- نظريات التحليل الأسلوبي: 23

2- الأسلوبية (التأصيل والمفهوم): 29

1-2- مفهوم الأسلوبية: 29

2-2- الأسلوبية وعلاقتها بالعلوم الأخرى: 36

1-2-2- علاقة الأسلوبية باللسانيات: 36

2-2-2- علاقة الأسلوبية بالنقد الأدبي: 42

3-2-2- علاقة الأسلوبية بالبلاغة: 44

3-2- اتجاهات الأسلوبية: 49

49.....	1-3-2- الأسلوبية التعبيرية:
52.....	2-3-2- الأسلوبية النفسية:
55.....	3-3-2- الأسلوبية البنيوية:
57.....	4-3-2- الأسلوبية الاحصائية:
59.....	4-2- منهج التحليل الأسلوبي:
61.....	3- التعريف العام لسورة آل عمران:
61.....	1-3- سبب التسمية:
63.....	2-3- سبب النزول:
64.....	3-3- فضائل السورة:

الفصل الأول: المستوى الصوتي في سورة آل عمران

68.....	1- أهمية الدراسة الصوتية في القرآن الكريم:
70.....	2- الأصوات المشكلة في سورة آل عمران:
75.....	1-2- نسق الأصوات وانسجامها:
80.....	2-2- الحروف والكلمات:
97.....	3- المقاطع الإيقاعية في سورة آل عمران :

97	1-3-جمالية الإيقاع في القرآن الكريم:
102	2-3- مستويات الإيقاع في سورة آل عمران:
103	1-2-3- إيقاع الحرف:
113	2-2-3- إيقاع اللفظة:
139	3-2-3- إيقاع المقاطع:
146	4- الفاصلة القرآنية:
146	1-4- تعريف الفاصلة القرآنية:
151	2-4- القيم الجمالية للفاصلة القرآنية:
153	3-4- أنماط الفاصلة القرآنية:
153	1-3-4- ما يختص حروف الفاصلة:
156	2-3-4- ما يختص بالمقاطع:

الفصل الثاني: المستوى الصرفي في سورة آل عمران

169	1-تعريف علم الصرف:
170	2-علاقة علم الصرف بالنحو:
176	3-بنية الأسماء:

177	3-1-التَّنْكِير والتَّعْرِيف:
178	3-1-1-التنكير:
179	1-التعميم:
181	2-المبالغة:
182	3-التعظيم:
183	4-التقليل أو التكثر:
185	5- التَّحْقِير:
187	3-1-2-التَّعْرِيف:
187	3-1-2-1-مفهوم التعريف
189	3-2-2-1-أنواع المعرفة:
189	1-الضمير:
193	1. إضمار الاسم لتقدم ذكره:
194	2. ضمير الشأن:
195	3. الإظهار في مقام الإضمار:
198	2-العدد:

198	1- جمع التّكسير:
209	2- جمع المذكر السالم:
212	3- الجمع المؤنث السالم:
215	4- العلم:
227	5- أسماء الإشارة:
235	6- الأسماء الموصولة:
247	7- المعرفة بالأداة:
256	8- المعرفة بالإضافة:
261	3-2- التذكير والتأنيث:
268	3-2-1- تأنيث المذكر:
271	3-2-2- تذكير المؤنث:
275	4- أبنية الأفعال:
280	4-1- الصيغ الصرفية البسيطة:
280	1. صيغة (فَعَلَ):
283	2. صيغة (فَعِلَ):

285	3 . صيغة (فَعَّلَ):
287	4. صيغة (فَعَّلَلْ):
288	5 . صيغة (فَعَّلَ):
289	6. صيغة (أَفْعَلَ):
292	7. صيغة (استفعل):
295	8. صيغة الفعل المبني للمجهول:
302	4-2-الصيغ الصرفية المركبة:
304	1 . الصورة الأولى: (قد + فعل):
307	2 . الصورة الثانية: كان + يفعل.

الفصل الثالث: المستوى الركيبي في سورة آل عمران

310	1-التقديم والتأخير:
310	1-1-تعريفه:
315	1-2-صور التقديم والتأخير في سورة آل عمران
315	1. تقديم الخبر:
321	2.تقديم مفعول به:

322	3. تقديم الجار والمجرور:
325	4. تقديم العامل على المعمول:
329	2-الحذف:
329	2-1-تعريفه:
337	2-2-مظاهر الحذف في سورة آل عمران:
337	1.حذف المبتدأ:
343	2. حذف الخبر:
344	3. حذف الفعل:
346	4. حذف الفاعل:
351	5. حذف المفعول به:
354	3-الاستفهام:
354	3-1-تعريفه:
358	1.جملة استفهامية متضمنة لمعنى الإنكار:
359	2.الجملة الاستفهامية المتضمنة معنى التقرير:
361	3.الجملة الاستفهامية المتضمنة معنى التنبيه:

362	4.الجملة الاستفهامية المتضمنة معنى التوبيخ:.....
364	5.الجملة الاستفهامية المتضمنة معنى التعجب:.....
366	6.الجملة الاستفهامية المتضمنة معنى التهويل والتهديد:.....
368	4-الأمر:.....
368	4-1-تعريفه:.....
371	1. فعل الأمر:.....
372	2 . فعل المضارع المتّصل بلام الأمر:.....
372	3. اسم فعل الأمر:.....
372	4. المصدر النائب عن فعل الأمر:.....
377	5-النداء:.....
377	5-1-تعريفه :
379	5-2-أحرف النداء:.....
385	6- النفي والنهي:.....
385	6-1- الجملة المنفية:.....
388	1.الجملة المنفية بـ (لا):.....

389	2.الجملة الفعلية المنفية بـ "لا":.....
392	3.الجملة الاسمية المنفية بـ (لا):.....
395	4.الجملة الفعلية المنفية بـ "لن":.....
399	5.الجملة المنفية بـ "ما":.....
400	6.الجملة الفعلية المنفية بـ "ما":.....
405	7.الجملة الاسمية المنفية بـ (ما):.....
407	8.الجملة الفعلية المنفية بـ (لم):.....
410	9.الجملة الفعلية المنفية بـ (لَمَّا):.....
412	10.الجملة الاسمية المنفية بـ "ليس":.....
417	7-التوكيد (التكرار):.....
417	7-1-تعريفه:.....
420	7-2-أقسام التوكيد:.....
420	7-2-1-التوكيد اللفظي:.....
420	7-2-1-التوكيد المعنوي:.....
421	1.تأكيد الجملة بأنّ:.....

426	2. التوكيد الجملة بـ (قد):
428	3. التوكيد بالجملة بـ (لقد):
429	4. التوكيد الجملة بـ (السين) :
430	5. التوكيد الجملة بـ (لام القسم):
432	6. توكيد الجملة بـ (المصدر):
433	7. التوكيد الجملة بـ (القصر):
435	8- الوصل والفصل:

الفصل الرابع: المستوى الدلالي في سورة آل عمران

447	1- دراسة الحقول الدلالية:
447	1-1- تعريف الحقول الدلالية:
450	2-1- دراسة الحقول الدلالية:
450	1-2-1- قسم الأسماء:
451	1. عالم الذات الإلهية:
454	2. عالم الكتب السماوية:
455	3. عالم دلائل القدرة الإلهية:

457	4 . عالم عباد الرحمان:
458	5 . عالم الإنكار والجحود:
460	1-2-2- قسم الأفعال:
460	1.عالم الوعيد والتهديد:
461	2 . عالم دلائل القدرة الإلهية:
463	3 . عالم الكتب السماوية:
463	4 . عالم الإيمان:
464	5 . عالم الجحود والإنكار:
465	6 . تجاوز الحد في الكفر:
466	7. الحساب والعقاب :
466	1-2-3- قسم الصفات:
467	1 . عالم الذات الإلهية:
471	2 . عالم الكتب السماوية:
472	3 . عالم الجحود والإنكار:
473	4 . عالم عباد الرحمان:

475	2- تحليل الصور البيانية:
475	1-2- تعريف الصور البيانية:
476	2-2- دراسة الصور البيانية:
477	1-2-2- التشبيه:
484	2-2-2- الاستعارة:
493	3-2-2- الكناية:
500	4-2-2- المجاز المرسل:
510	خاتمة
515	الملحق: سورة آل عمران
530	قائمة المصادر والمراجع:
579	فهرس الموضوعات

المخلص:

تحاول هذه الدراسة الكشف عن "جمالية الكلمة في ضوء السياق القرآني" وما تضيفه من دلالات إيحائية وأبعاد جمالية فنية تبرز تفرّد الأسلوب القرآني في سورة آل عمران وفق منهج أسلوب، الذي يركّز على دراسة الظواهر اللغوية والأسلوبية والبيانية بالوقوف على مستويات التحليل الأربعة: الصوتية، الصرفية، والتركيبية والدلالية.

وقد جاء البحث في أربعة فصول، تناول الفصل الأول السمات الصوتية والخصائص الإيقاعية التي ساهمت في تشكيل البنية الصوتية لسورة آل عمران، وقصد بيان جمال الإيقاع فقد سلط الضوء على التكرار والفاصلة القرآنية وما يحدثانه من تتابع النغمي للأصوات ينتج عنهما إيقاعاً منتظماً غاية في جمال والعدوبة ينم عنهما إبراز دلالة أو دلالات للألفاظ المتسقة في الآية القرآنية.

وخصص الفصل الثاني لدراسة المستوى الصرفي، فدرست فيه بنية الأسماء وبنية الأفعال، ويضم الأول: التكرار والمعرفة بأنواعه، والتذكير والتأنيث، ويضم الثاني: الصيغ الصرفية البسيطة المفردة والصيغ الصرفية المركبة وتناول الفصل الثالث المستوى التركيبي، وما تفرّدت به كالتقديم والتأخير والحذف والاستفهام والأمر والنهي والتعجب والتوكيد والفصل والوصل التي أدّت معاني بصور بلاغية .

واحتوى الفصل الرابع على مبحثين هامين ، دراسة الحقول الدلالية الواضحة في السورة ، وتحليل الصور البلاغية الموظفة في سورة آل عمران كالتشبيه والإستعارة والكناية والمجاز المرسل .

الكلمات المفتاحية: جمالية، الكلمة، السياق، القرآن، سورة آل عمران

Résumé:

Cette étude tente de révéler « l'esthétique de la parole à la lumière du contexte coranique » et les connotations suggestives qu'elle ajoute et les dimensions esthétiques artistiques qui mettent en évidence le caractère unique du style coranique dans la sourate Al Imran selon une approche stylistique, qui repose sur l'étude des phénomènes linguistiques, stylistiques et graphiques en examinant les quatre niveaux d'analyse : phonétique, morphologique, syntaxique et sémantique.

La recherche s'est déroulée en quatre chapitres. Le premier chapitre traitait des caractéristiques acoustiques et rythmiques qui ont contribué à la formation de la structure phonétique de la sourate Al Imran, et visait à démontrer la beauté du rythme. Il a mis en lumière la répétition et la virgule coranique. et ce qu'ils créent dans la succession tonale des sons, aboutissant à un rythme régulier d'une extrême beauté et douceur. Ils mettent en valeur la signification ou les connotations des mots cohérents du verset coranique.

Le deuxième chapitre a été consacré à l'étude du niveau morphologique, dans lequel j'ai étudié la structure des noms et la structure des verbes. Le premier comprend : l'article indéfini, la connaissance de ses types, et le masculin et le féminin, et le second comprend : le simple. formes morphologiques uniques et formes morphologiques composées.

Le troisième chapitre traitait du niveau syntaxique et de ce qui lui est propre, comme l'introduction, le retard, la suppression, l'interrogation, l'ordre, l'appel, la négation, l'interdiction, l'accentuation, la séparation et la connexion, qui véhiculent des significations sous des formes rhétoriques.

Le quatrième chapitre contenait deux sections importantes, une étude des champs sémantiques clairs de la sourate et une analyse des images rhétoriques utilisées dans la sourate Al Imran, telles que la comparaison, la métaphore, la métonymie et la métaphore transmise.

Mots-clés: esthétique, mot, contexte, Coran, sourate Al Imran

Abstract:

This study attempts to reveal "the beauty of the word in light of the Quranic context" and what it adds of suggestive connotations and artistic aesthetic dimensions that highlight the uniqueness of the Quranic style in Surat Al Imran according to a stylistic approach, which is based on studying linguistic, stylistic and rhetorical phenomena by standing on the four levels of analysis: phonetics, morphology, syntax and semantics.

The research came in four chapters. The first chapter dealt with the phonetic features and rhythmic characteristics that contributed to forming the phonetic structure of Surat Al Imran, and in order to show the beauty of rhythm, it shed light on the repetition and the Quranic comma and what they cause of the tonal sequence of sounds, resulting in a regular rhythm of the utmost beauty and sweetness that indicates the highlighting of the meaning or meanings of the consistent words in the Quranic verse.

The second chapter was devoted to studying the morphological level, in which I studied the structure of nouns and the structure of verbs. The first includes: the indefinite and definite in its types, masculine and feminine, and the second includes: simple singular morphological forms and compound morphological forms.

The third chapter dealt with the syntactic level, and what it is unique in, such as presentation, delay, deletion, interrogation, command, calling, negation, prohibition, emphasis, separation and connection, which conveyed meanings through rhetorical images.

The fourth chapter contained two important topics, a study of the clear semantic fields in the surah, and an analysis of the rhetorical images employed in Surah Al Imran, such as simile, metaphor, metonymy and extended metaphor.

Keywords: aesthetics, word, context, Quran, Surah Al Imran